



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - باتنة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الاجتماعية

التناقض، الهوية واضطرابها الصحية النفسية لدى الشباب الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس

تخصص: علم النفس العملي

تحت إشراف:

أ. د. رجال تحريبي محمد العادي

إعداد الطالب:

العقوب لعن

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د. جبالتي نورالدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيساً
أ. د. رجال تحريبي محمد العادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مختاراً ومقرراً
أ. د. أحمد زردوعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضواً
د. راجية بن علي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة باتنة	عضواً
د. بوعزة زهير محمد الوافي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة بصرّة	عضواً
د. رابحي إسماعيل	أستاذ محاضر - أ-	جامعة بصرّة	عضواً

السنة الجامعية 2014/2015



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - باتنة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الاجتماعية

التبليغ، التوعية واختطابها الصحية النفسية لدى الشباب الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس

تخصص: علم النفس العملي

تحت إشراف:

أ. د. رجال تروبي محمد العادي

إعداد الطالب:

العقوب لعسن

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د. جبالتي نورالدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ. د. رجال تروبي محمد العادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مقرئا ومقررا
أ. د. أحمد زردوعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا
د. راجية بن علي	أستاذ محاضر - أ	جامعة باتنة	عضوا
د. بومنة (مير محمد الوافي)	أستاذ محاضر - أ	جامعة مسكرة	عضوا
د. رابحي إسماعيل	أستاذ محاضر - أ	جامعة مسكرة	عضوا

السنة الجامعية 2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليهم خبير "

(الحجرات الآية 13)

**

" و قل رب زدني علما "

(طه الآية 114)

**

♣ شكر وتقدير ♣

الحمد و الشكر لله الذي أحاطني بعظيم فضله وسعة رحمته

جزيل الشكر للأستاذ الدكتور رحال غربي محمد الهادي بُلن شرفني بإشرافه على هذا

البحث و دعمه المعرفي و المعنوي طوال فترة إنجاز هذه الأطروحة.

أقدم جزيل شكري و عظيم عرفاني إلى أساتذتي الكرام الأستاذ الدكتور نورالدين جبالي،

و جار الله سليمان من جامعة باتنة، والدكتور رابحي إسماعيل من جامعة بسكرة،

والأستاذ الدكتور جون مري سورات، والدكتورة الزهرة قراوي من جامعة تولوز بفرنسا على

كل المعلومات و الإرشادات النظرية والتطبيقية التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه

الدراسة.

كل الامتنان و التقدير للشباب المشاركين في عينة الدراسة على صبرهم وتحملهم عناء

المشاركة في عينة البحث في كل من جامعات الجزائر وباتنة وبسكرة .

أرجو من الله أن يكون هذا العمل خطوة فعالة ولبنة مفيدة لبحوث أخرى في ميدان علم

النفس عموما وعلم النفس الزمن خصوصا، وأن يكون نافعا لنا في ديننا ودياننا.

و نسأل الله التوفيق

إهداء

إلى والدي العزيزين بما قدماه لي من توجيه و تعزيز روح حب التعلم لدي.

إلى زوجتي وما وهب لي الله قرّة عيني محمد أصيل

إلى إخوتي و أخواتي الذين شجعوني على مواصلة البحث في طلب العلم

إلى كل الأصدقاء والزملاء الذين شاركوني في انجاز هذه الدراسة

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية، وأثر هذين المتغيرين على درجات الصحة النفسية لدى الشباب في المجتمع الجزائري. تم في هذه الدراسة عرض المقاربات النظرية المفسرة للارتباط بين عمليات التغير الاجتماعي والثقافي المميز للمجتمعات وأثرها في تحديد درجة نمو الهوية ورتبتها وكذا الإستراتيجية الثقافية المناسبة. كما هدفت الدراسة أيضا إلى بناء معادلة لنموذج حساب درجة الشدة النفسية بدلالة درجات استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية. وللوقوف على مختلف جوانب الدراسة، قمنا بصياغة الإشكالية على النحو التالي: " ما أثر كل من استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية على الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري؟". وللكشف عن ذلك تم التحقق من الفرضيات التالية:

1. تتوزع رتب الهوية في أوساط الشباب مع نسبة عالية لرتب معلقي الهوية منخفضة التحديد.
2. تتوزع استراتيجيات الثقافة في أوساط الشباب مع نسبة عالية لاستراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد.
3. توجد علاقات ذات دلالة إحصائية بين كل من رتب الهوية واستراتيجيات الثقافة والشدة النفسية.
4. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لكل من متغير الجنس أو السن أو المستوى التعليمي أو موقع السكن أو لغة الدراسة في متغيرات الدراسة.
5. يوجد أثر دال إحصائي لكل من استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية الكلية على درجات الشدة النفسية. اعتمد الباحث على أربع عينات استطلاعية وعينة أساسية (ن = 853). واستخدمت ثلاثة مقاييس هي: مقياس الشدة النفسية لـ "كيسلر" ومقياس استراتيجيات الثقافة، والمقياس الموضوعي لرتب الهوية. أوضحت الدراسة أن هذه المقاييس الثلاثة تتمتع بخصائص سيكومترية مقبولة. وتوصلت النتائج إلى توزع رتب الهوية بنسب متفاوتة مع نسبة عالية من رتب معلقي الهوية (الخالصة ومنخفضة التحديد، أكثر من 60%) ما يدل على أن الشباب الجزائري يعاني أزمة في الهوية، كما أن توزيع استراتيجيات الثقافة كان أيضا بنسب عالية من استراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد . كما أظهرت النتائج وجود علاقات قوية بين متغيرات الدراسة خاصة بين استراتيجيات الثقافة ودرجات الشدة النفسية من جهة ورتب الهوية ودرجات الشدة النفسية من جهة أخرى. وعدم وجود فروق تعزى لمتغيرات الجنس وموقع السكن والسن في رتب الهوية بينما توجد فروق تعزى لمتغيري المستوى التعليمي لصالح الفئات الأقل مستوى تعليمي، ولغة الدراسة لصالح اللغة الفرنسية في رتب الهوية. كما توصلت الدراسة أيضا إلى عدم وجود فروق في استراتيجيات الثقافة تعزى لمتغير السن بينما توجد فروق تعزى لكل من متغيرات الجنس واللغة والمستوى التعليمي وموقع السكن في هذه الاستراتيجيات.

سمحت نتائج الدراسة في النهاية بالكشف على أن اللجوء إلى تأجيل وتعليق الهوية (وهي حالة أكثر من 60% من الشباب) واختيار إستراتيجية التهميش في التنافس يرفع من درجات الشدة النفسية ومن درجة خطر انتشار الاضطرابات النفسية في أوساط الشباب الجزائري.

Résumé

Cette étude vise à identifier la relation entre les stratégies d'acculturation et les niveaux d'identité, et l'impact de ces deux variables sur l'état de la santé psychique des jeunes algériens. Elle vise aussi une équation pour prédire le degré de détresse psychologique en fonction des stratégies d'acculturation et des niveaux d'identité. En s'inspirant des éléments théoriques explicatifs des liens entre le changement social et culturel des sociétés modernes et son impact sur le niveau de développement d'identité des jeunes et les stratégies d'acculturation associées et par conséquent sur l'état de psychique des jeunes. Et pour répondre à nos questionnements concernant ces relations, nous avons émis les cinq hypothèses générales suivantes et qui ont fait l'objet de vérifications empiriques ultérieures :

1. Les niveaux d'identité se répartissent en faveur l'identité rapportée la moins déterminée.
2. Les stratégies d'acculturation se répartissent en faveur les stratégies d'acculturation les moins déterminées.
3. Il existe des relations significatives entre chacune des niveaux d'identité, des stratégies d'acculturation et la détresse psychologique chez les jeunes.
- 2 - Il n'existe pas de différence selon le sexe, l'âge, le niveau d'instruction, le lieu d'habitas et la langue d'étude dans chacune des variables d'études.
- 3 - Il existe un effet des stratégies d'acculturation et des niveaux d'identité sur le degré de détresse psychologique chez les jeunes.

L'étude comprenait quatre groupes de participants ayant servi à l'étude les caractéristiques psychométriques des outils de mesures et un échantillon principal composés de 853 jeunes viennent de différents facultés des universités suivantes : Batna, Biskra et Alger, en plus quelques centres de formation professionnelle. Les outils utilisés sont le test de détresse psychologique de Kisler, l'échelle objective des niveaux d'identité d'Adams et Binion, et l'échelle des stratégies d'acculturation de Rahal et Laggoun. En plus des bonnes caractéristiques psychométriques des outils, les résultats dévoilent une répartition des stratégies d'acculturation et des niveaux d'identité en faveur les stratégies et les niveaux les moins déterminants, cela signifie que le jeune algérien vit son identité en crise. Encore, les résultats dévoilent des

corrélations négatives et significatives entre la stratégie de séparation et l'identité confirmée avec le degré de détresse psychologique. Alors que les corrélations entre stratégie d'assimilation, de marginalisation, d'identité dispersée et d'identité rapportée avec le degré de détresse psychologique sont positives et significatives.

L'analyse de régression logistique binaire, montre que l'effet de la stratégie de marginalisation et le degré de l'identité rapportée (plus de 60% des jeunes) peuvent prédire le degré de détresse psychologique chez les jeunes et le risque d'avoir un trouble de santé psychique.

فهرس

أ	- آيات قرآنية
ب	- شكر وتقدير
ج	- إهداء
د	- ملخص 1
هـ	- ملخص 2
و	- الفهرس
ي	- فهرس الجداول الأشكال الرسوم البيانية والملاحق
1	- مقدمة

الجانب النظري

الفصل الأول الإطار العام لإشكالية الدراسة

5	1- الإشكالية
8	2- الأهمية
9	3- الأهداف
10	4- حدود الدراسة
10	5 - الدراسات السابقة
10	1-5- الثقافة والصحة النفسية
16	2-5- تشكل الهوية وعلاقتها ببعض المتغيرات
18	3-5- الهوية والصحة النفسية
20	4-5- التعليق على الدراسات السابقة
22	6- فرضيات الدراسة
23	7- التعريف الإجرائي للمصطلحات
23	7-1- الثقافة
23	7-2- الهوية
23	7-3- الشدة النفسية
24	7-4- فترة الشباب

الفصل الثاني الإطار العام للدراسة "أسس مفاهيمية"

26	تمهيد
26	1- الثقافة، التنقيف، تداخل الثقافات، علم النفس ما بين الثقافات
26	1-1- مفهوم الثقافة
28	1-2- التنقيف والتنشئة الاجتماعية
29	1-3- ظاهرة تداخل وتفاعل الثقافات
30	1-4- الثقافة، علم النفس وعلم النفس ما بين الثقافات
33	2- الهوية: مقارنة مفاهيمية ونظرية
34	1-2- المقاربات المفاهيمية للهوية
34	1-1-2- في علم النفس
36	2-1-2- في علم النفس الاجتماعي

36	3-1-2 في علم الاجتماع
38	2-2- مفاهيم متعلقة بالهوية
38	1-2-2- الشعور بالهوية
39	2-2-2- الشعور بالانتماء
40	3-2-2- الهوية وتمثيلات الذات
40	4-2-2- التشابه والاختلاف
41	5-2-2- التوحد والتقصص
42	6-2-2- الذات والآخر
43	2-2- المقاربات المفسرة للهوية
43	1-2-2- المقاربة التحليلية
44	2-2-2- المقاربة الانثروبولوجية التحليلية والثقافية
45	3-2-2- المقاربة الوراثة
45	4-2-2- المقاربة النفس اجتماعية
47	5-2-2- المقاربة المعرفية والمعرفية الاجتماعية
47	6-2-2- المقاربة التفاعلية
48	4-2- بناء الهوية
48	1-4-2- المحددات الأساسية لبناء الهوية
49	2-4-2- خطوات بناء الهوية
51	3-4-2- خاصية الثبات والاستمرارية في الهوية
52	5-2- إشكالية الهوية والثقافة
54	3- العولمة والثقافة وإشكالية الهوية والآخر
54	1-3- مفهوم العولمة
55	2-3- العولمة والإشكالية الثقافية
56	3-3- العولمة وإشكالية الهوية والآخر
57	4-3- العولمة والدولة
58	4- الشباب والعولمة
58	1-4- مفهوم مرحلة الشباب
59	2-4- النمو الانفعالي والاجتماعي للشباب
60	3-4- بيئة الشباب العربي والجزائري
62	4-4- المراهقة، الشباب والاضطرابات النفسية
الفصل الثالث	
النتائف بين الإطار النظري والتطبيقي	
66	1- مفهوم النتائف
73	2- خصائص عملية النتائف
73	1-2- شروط حدوث النتائف
73	1-1-2- نوعية التفاعل
74	2-1-2- طبيعة التفاعل
75	2-2- ميكانيزمات حدوث التفاعل
76	1-2-2- برفض الثقافة الأجنبية
78	2-2-2- بميكانيزمات التبادل الثقافي
80	3.2 الميزة الارتدادية الانعكاسية لعملية النتائف
80	3- أنماط واستراتيجيات النتائف

81	1-3- نموذج استراتيجيات الثقافة ل" لومبارت وآخرون " 1972 Lambert et al
82	2-3- نموذج استراتيجيات الثقافة النفسي ل" جون بيرري " J.Berry 1996
85	3-3- نموذج استراتيجيات الثقافة التفاعلي (MAI): 1997 Bouhris et al
88	4- قلق الثقافة
90	5- أدوات قياس الثقافة
91	1-5- مقاييس الثقافة التي تعتمد على دراسة السلوك
91	2-5- مقاييس الثقافة التي تعتمد على القيم
91	3-5- مقاييس الثقافة التي تعتمد على السلوك و القيم معا
91	4-5- مقاييس الثقافة الموجهة للعديد من الجماعات الاثنية
91	5-5- مقاييس الثقافة للعادات والاهتمامات المتعددة الثقافات للمراهقين: AHIMSA
93	6- آثار عملية الثقافة
93	1-6- على المستوى الفردي
93	1-1-6- الآثار البناءة للثقافة
94	2-1-6- الآثار الهدامة للثقافة
94	2-6- على المستوى الجماعي
95	3-6- الثقافة ومشكلات التكيف
96	4-6- الثقافة والصحة النفسية والجسدية
96	1-4-6- العلاقة بين عملية الثقافة وبعض الأمراض النفسية والعقلية
99	2-4-6- العلاقة بين عملية الثقافة والصحة الجسدية
الفصل الرابع	
إشكالية الهوية وبنائها في المجتمعات المعاصرة	
103	1- الإطار النظري لمتغير الهوية في الدراسة: هوية الأنا
103	1-1- نظرية اريكسون في النمو النفسي والاجتماعي وبناء الهوية
107	2-1- تشكل هوية الأنا عند المراهق
111	3-1- مجالات الهوية
112	1-3-1- هوية الأنا الأيديولوجية
112	2-3-1- هوية الأنا الاجتماعية والعلاقات التبادلية
113	4-1- رتب الهوية
114	1-4-1- تحقيق الهوية
114	2-4-1- تعليق الهوية
115	3-4-1- انغلاق الهوية
115	4-4-1- تشتت الهوية
116	2- استراتيجيات بناء الهوية
117	1-2- استراتيجيات الهوية عند كاميليري
118	1-1-2- مؤشرات استراتيجيات الهوية عند كاميليري
119	2-1-2- استراتيجيات الهوية
119	1-2-1-2- الاستراتيجيات التي تهدف إلى إعادة الشعور بتقدير الذات
120	2-2-1-2- الاستراتيجيات التي تهدف إلى خلق وحدة معنى
122	أ/ استراتيجيات تجنب الصراعات بواسطة التناسق البسيط
123	ب/ استراتيجيات تجنب الصراعات بواسطة الاتساق والارتباط المعقد
127	2-2- استراتيجيات الهوية عند بونيني L. Bougnet
127	1-2-2- استراتيجيات الحركة الفردية

127	2-2-2- استراتيجيات التغيير الاجتماعي
127	2-2-3- استراتيجيات التغيير ذات الطبيعة المعرفية أو الخلاقة اجتماعيا
127	2-3- استراتيجيات الهوية عند طواليبي: ردات الفعل في وضعيات الأزمة
128	2-1-3- ردات الفعل الأولية للأفراد في مقابل التقاطب ولجؤهم إلى الانطواء
129	2-2-3- وضعية التوازن في التقاطب بين رغبات وسلوكيات الفرد المتزامنة
129	2-3-3- انفجار التمثلات الثقافية للفرد
130	2-4- التغيير الاجتماعي من خلال استراتيجيات الهوية
131	3- تصنيفات وأنواع الهوية:
131	3-1- تصنيف الكيس ميكشيللي Mucchielli
132	3-2- تصنيف اريك اريكسون Erikson
132	3-3- التصنيف المقترح في الدراسة
132	3-3-1- الهوية الفردية:
134	3-3-2- الهوية الاجتماعية
135	3-3-3- الهويات الجماعية
136	3-3-3-1- الهوية الثقافية
138	3-3-3-2- الهوية الاثنية
139	3-3-3-3- الهوية الوطنية
141	4- أزمت الهوية ومشكلاتها
141	4-1- تعريف أزمة الهوية
142	4-2- أزمة الهوية كأزمة نفسية واجتماعية
143	4-3- أزمة الهوية كأزمة سياسية
144	4-4- مشكلات واضطرابات الهوية
144	4-4-1- انشطار وتشتت الهوية
145	4-4-2- استلاب الهوية
الفصل الخامس	
المجتمع الجزائري وخصائص الشخصية الجزائرية	
148	1- التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري
149	1-1- النموذج الخلدوني
149	1-2- النموذج الماركسي
151	1-3- النموذج الانقسامي التجزيئي
153	2- التنوع الثقافي للمجتمع الجزائري
153	2-1- اللغة والتركيبة السكانية
154	2-2- الأديان
156	3- التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري
158	3-1- التغيير على المستوى الاجتماعي
161	3-2- التغيير على المستوى الثقافي
164	4- واقع عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري
165	4-1- عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية
167	4-2- التنشئة الاجتماعية في المدرسة
168	4-3- التنشئة الاجتماعية من خلال وسائل الإعلام
169	5- خصائص الشخصية المغاربية (الجزائرية) ومكوناتها الأساسية
169	5-1- المحاولات النظرية لفهم الشخصية المغاربية

170	1-1-5- النظرة الظواهرية
170	2-1-5- النظرة التكوينية العضوية
170	3-1-5- الشخصية الجزائرية والبعد الثقافي والاجتماعي
171	4-1-5- الشخصية الجزائرية المغاربية والتحليل النفسي
172	5-1-5- النظرة التكاملية للشخصية
173	2-5- خصائص المراهقة والرشد المبكر في المجتمع الجزائري
174	6- الهوية الجزائرية
174	1-6- السياق التاريخي والثقافي للمجتمع الجزائري
176	2-6- مقومات الهوية الجزائرية الوطنية
177	3-6- ملامح أزمة الهوية الجزائرية.
180	7. سيكوباتولوجية الشخصية الجزائري
180	1-7- وبائية الأمراض والاضطرابات النفسية في المجتمع الجزائري
181	2-7- واقع الصحة النفسية والعقلية في الجزائر
183	3-7- الخصائص الاكلينيكية والوبائية لبعض الاضطرابات النفسية في المجتمع الجزائري
184	1-3-7- الاكتئاب
185	2-3-7- الانتحار
187	3-3-7- اضطرابات وأمراض نفسية أخرى

الجانب الميداني

الفصل السادس

الإجراءات المنهجية و إعداد أدوات الدراسة

190	1- المنهج
190	2- الدراسة الإستطلاعية
190	1-2- العينة الأولى
191	2-2- العينة الثانية
192	3-2- العينة الثالثة
193	3-2- العينة الرابعة
194	3- الدراسة الأساسية
195	4- أدوات الدراسة و خصائصها السيكمترية
195	1-4- مقياس كيسلر للشدة النفسية
196	1-1-4- خطوات ترجمة المقياس
197	2-1-4- الخصائص السيكمترية
203	2-4- مقياس استراتيجيات التناقص لدى الشباب الجزائري
203	1-2-4- خطوات بناء المقياس
203	1-1-2-4- إعداد المقياس
204	2-1-2-4- مكونات المقياس: الصورة الأولية " أ "
205	3-1-2-4- عرض الصورة الاولية للمقياس على الخبراء (الصدق الظاهري)
205	4-1-2-4- تطبيق الصورة الاولية للمقياس على العينة لدراسة الصلاحية السيكمترية للبنود
210	5-1-2-4- الصورة النهائية للمقياس
211	2-2-4- الخصائص السيكمترية

214	3-4- مقياس موضوعي لرتب الهوية: الإيديولوجية والاجتماعية بينيون وادامز الصورة "ج"
214	1-3-4- التعريف بالمقياس
216	2-3-4- تقنين المقياس على البيئة العربية من طرف محمد السيد عبد الرحمن
217	3-3-4- الخصائص السيكميتريية للمقياس في الدراسة
الفصل السابع	
عرض و تحليل النتائج	
223	1- توزيع رتب الهوية الإيديولوجية والهوية الاجتماعية في أوساط الشباب الجزائري
224	2- تتوزع استراتيجيات الثقافة في أوساط الشباب الجزائري
226	1- العلاقة بين رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات الثقافة و الشدة النفسية
228	1-3- العلاقة بين رتب الهوية الإيديولوجية و رتب الهوية الاجتماعية
229	2-3- العلاقة بين رتب الهوية الكلية و الشدة النفسية
230	3-3- العلاقة بين رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقافة
231	4-3- العلاقة بين استراتيجيات الثقافة
233	5-3- العلاقة بين استراتيجيات الثقافة و الشدة النفسية
235	4- علاقة رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقافة و الشدة النفسية بلمتغيرات الديمغرافية
235	1-4- العلاقة بمتغير الجنس.
236	2-4- العلاقة بمتغير السن
239	3-4- العلاقة بمتغير المستوى التعليمي
241	4-4- العلاقة بمتغير موقع السكن
242	5-4- العلاقة بمتغير لغة التدريس
245	5- أثر استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية على الشدة النفسية
الفصل الثامن	
مناقشة النتائج، توصيات واقتراحات	
252	1- الخصائص السيكميتريية للمقاييس
253	2- مناقشة الفرضيات
253	1-2- الفرضية الأولى
255	2-2- الفرضية الثانية
258	3-2- الفرضية الثالثة
261	4-2- الفرضية الرابعة
264	5-2- الفرضية الخامسة
265	3- المناقشة العامة
268	4- الإستنتاجات
269	5- توصيات و اقتراحات
	الخاتمة
	المراجع
	الملاحق

الجدول

رقم	الجدول	الصفحة
1	- الجماعات المتناقفة بحسب بييري	82
2	- أنماط واستراتيجيات التناقف عند بييري	83
3	- استعمال استراتيجيات التناقف في الجماعة الاثنية والمجتمع الواسع بييري	84
4	- الاتجاهات التناقفية الثنائية الأبعاد المعدلة بورهيس وآخرون	86
5	- الاتجاهات التناقفية الثنائية الأبعاد للمجتمع المستقبل : بورهيس وآخرون	86
6	- العلاقات الناتجة عن التفاعل بين الاتجاهات التناقفية للمهاجرين والمجتمع المستقبل	87
7	- العلاقة بين درجة التناقف وقلق التناقف بحسب بييري	89
8	- الأزمات النفسية خلال المراحل النمائية وفق النمو النفسي الاجتماعي لاريكسون	107
9	- رتب هوية الأنا وفق نموذج مارشا	116
10	- استراتيجيات الهوية عند كاميليري	126
11	- الخصائص الديموغرافية للعينة الأولى	191
12	- الخصائص الديموغرافية للعينة الثانية	192
13	- الخصائص الديموغرافية للعينة الثالثة	193
14	- الخصائص الديموغرافية للعينة الرابعة	193
15	- الخصائص الديموغرافية العينة الأساسية (ن=853)	195
16	- مستويات الشدة النفسية بدلالة درجة خطر الاضطراب	196
17	- نتائج اختبار "ت" للمقارنة الطرفية بين الفئة العليا والفئة الدنيا	198
18	- معاملات الارتباط بين البنود و درجة كل بند مع الدرجة الكلية لمقياس كيسلر	198
19	- معامل الارتباط بين درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التفاؤل	199
20	- معامل الارتباط بين درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التشاؤم	200
21	- معامل الارتباط بين درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس تايلور للقلق	200
22	- معامل الارتباط بين درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس بيك للاكتئاب	201
23	- مصفوفة تشبعات البنود على عامل واحد لمقياس كيسلر للشدة النفسية	201
24	- نتائج معاملات الارتباط للتجزئة النصفية لمقياس كيسلر	202
25	- يوضح القدرة التمييزية للبنود لمقياس التناقف	206
26	- نتائج التدوير بطريقة فارماكس ومصفوفة تشبعات البنود على عوامل التناقف	207
27	- معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية الاستعاب و درجة كل بند مع الدرجة الكلية	208
28	- معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية الاندماج و درجة كل بند مع الدرجة الكلية	209
29	- معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية التهميش و درجة كل بند مع الدرجة الكلية	209
30	- معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية الانفصال و درجة كل بند مع الدرجة الكلية	210
31	- مصفوفة تشبعات البنود على العوامل الثلاثة لمقياس التناقف بالتحليل العاظمي 2	212
32	- الارتباطات البينية " معاملات بيرسون" بين استراتيجيات التناقف	213
33	- توزيع عبارات المقياس الموضوعي لرتب الهوية على المحاور	214
34	- الارتباطات التقاربية والتباعدية بين أبعاد الهوية الأيديولوجية والاجتماعية	217
35	- الارتباطات التباعدية بين أبعاد الهوية الأيديولوجية والاجتماعية	218
36	- الارتباطات البينية لأبعاد مقياس الهوية الأيديولوجية	218
37	- الارتباطات البينية لأبعاد مقياس الهوية الاجتماعية	218

219	- الاتساق الداخلي للأبعاد الفرعية للهوية الأيديولوجية	38
219	- الاتساق الداخلي للأبعاد الفرعية للهوية الاجتماعية	39
222	- المتوسطات والدرجات الفاصلة والترميز المقابل لمتغيرات الدراسة	40
223	- توزيع رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية على عينة الدراسة	41
225	- توزيع استراتيجيات الثقاف على عينة الدراسة:	42
226	- المتوسطات والانحرافات المعيارية في كل من رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية لأدمز وبينيون تبعاً للخصائص الديمغرافية.	43
226	- المتوسطات والانحرافات المعيارية في كل من رتب الهوية الكلية لأدمز وبينيون ومقياس الثقاف تبعاً للخصائص الديمغرافية.	44
228	- معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية والشدة النفسية لدى الشباب	45
229	- توزيع أفراد العينة بحسب درجات الشدة النفسية	46
230	- يوضح معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية الكلية والشدة النفسية	47
231	- معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية الكلية واستراتيجيات الثقاف	48
232	- معاملات الارتباط بين كل من استراتيجيات الثقاف والشدة النفسية:	49
235	- نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق الجنس في رتب الهوية الكلية و الثقاف	50
237	- نتائج تحليل التباين حسب متغير السن لمتوسطات رتب الهوية الكلية والثقاف.	51
238	- نتائج اختبار شيفيه، الفروق في رتب الهوية الكلية و الثقاف حسب السن	52
239	- نتائج تحليل التباين حسب المستوى التعليمي لرتب الهوية والثقاف	53
240	- نتائج اختبار شيفيه، رتب الهوية الكلية و الثقاف حسب المستوى التعليمي	54
241	- نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق بحسب متغير موقع السكن	55
242	-: نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق بحسب متغير لغة التدريس	56
245	- ملخص الإحصاء الوصفي للمتغيرات و ترميزها	57
246	- نموذج معادلة الانحدار	58
246	- نتائج التكرارات	59
247	- ملخص خصائص النموذج	60
247	- اختبار هوسمر و لميشوف (مؤشر الملائمة)	61
248	- اختبار الاحتمالية هوسمر و لميشوف	62
248	- الجدول التصنيفي	63
249	- ملخص نتائج تحليل الانحدار (المتغيرات ضمن المعادلة).	64

الأشكال والنماذج

الأشكال و النماذج و الرسومات البيانية		
الرقم	العنوان	الصفحة
1	- مخطط قدمه أندريه توه سنة 2000 للمساعدة على تطوير وسائل قياس الثقافة بالاعتماد على الشروط السابقة للعملية و اتجاهات الفرد المتنقف وكذا نتائج الثقافة	
2	- العلاقة بين عملية الثقافة كخبرة و قلق الثقافة و الاكتئاب و أفكار الانتحار	

الملاحق

الملاحق	
الرقم	العنوان
1	الصورة الأولى لمقياس استراتيجيات الثقافة لرحال غربي محمد الهادي / العقون لحسن
2	الصورة النهائية لمقياس استراتيجيات الثقافة لرحال غربي محمد الهادي / العقون لحسن
3	المقياس الموضوعي لرتب الهوية ادمز وبينيون
4	مقياس الشدة النفسية (k10) كيسلر

إن عنصر الشباب يعتبر المؤشر الأساسي لصحة أي مجتمع أو اضطرابه، فالشباب كغيره من أفراد المجتمع له حاجات فيزيولوجية و نفسية و اجتماعية وثقافية يسعى لتحقيقها وإشباعها ، لكنه إذا فشل بسبب عقبات ذاتية أو بيئية تتحرف صحته النفسية والجسمية وينتج عن ذلك أزمات وانحرافات نفسية واجتماعية . هنا تظهر الاضطرابات النفسية التي لا تعدو إلا أن تكون : "أسلوب من أساليب التكيف التجأ إليها الفرد لأنه لم يجد غيرها لإزالة توتره وحل صراعاته ، وحكنا عليها بأنها أساليب مرضية وغير سليمة لأنها تفشل في حل الصراع وتحول دون تحقيق الفرد لذاته ." (سعد جلال، ص 102) . هذه الصراعات؛ التي هي في صميمها تعبير عن الحاجة إلى إشباع المطالب النفسية والجسمية والاجتماعية والثقافية؛ ناجمة في مجملها عن التغيرات الاجتماعية وما تخلفه من اضطراب للاستقرار الاجتماعي وتدهور للقيم وعجز عن إشباع الحاجات الأساسية مع زيادة للضغوط النفسية وحدة في صراع الأدوار والأجيال ، وتظهر في شكل أزمات هوية تطفو إلى السطح مع صراع ثقافي عنيف أين نجد الفرد يعايش فترات من القلق والصراع النفسي الداخلي بين القيم التي يفرضها التغيير الاجتماعي وحاجاته التطورية في مقابل القيم التقليدية والحاجة إلى الاستقرار .

ومن منطلق أن المجتمع الجزائري ليس بمنحرف عن هذا التغيير وما تفرضه العولمة والتطور التكنولوجي الحديث من تغيرات وزيادة في المتطلبات والحاجات الاجتماعية والثقافية والمعرفية تعجز الثقافة الأصلية عن تلبيتها . وبالاستناد إلى دراسات سابقة ؛ مثل دراسة الباحث الجزائري نور الدين طوالي في كتابه: "إشكالية المقدس" أين نجده يشير إلى أن الفرد الجزائري في فترة السبعينات كان يعيش معاشا ثقافيا عنيفا ناتجا عن استثماره في نفس الوقت لنوعين من القيم المتعارضة، تتميز بالاستمرارية اليومية مما يجعله منبعا للتوتر المتواصل، وهذا بسبب الصراع بين الحاجة إلى إزالة شوائب الثقافة الاستعمارية والعودة إلى الثقافة الأصلية مع حاجة البلاد إلى اللحاق بركب الأمم المتطورة والأخذ بالكثير من القيم الحديثة . ما يجعل الأفراد يعيشون ثقافتهم بشكل تقاطبي مع صراع داخلي كان حسب دراسة أخرى قام بها نفس الباحث في مركز التأهيل النفسي للشرافة سنة 1978 العامل المفجر لمجموعة من الاضطرابات النفسية عند مجموعة من النازحين إلى العاصمة. ارتأينا أن نقوم بانجاز هذه الدراسة للوقوف على مختلف الصراعات الناجمة عن هذه التحولات التي يعيشها مجتمعنا ومدى قدرة الفرد الجزائري على التأقلم والتعايش مع تلك الصراعات خاصة المتعلقة بالجانب الثقافي، مع الوقوف أيضا على إشكالية تحقيق وبناء الهوية لديه ومن ثمة مدى قدرته على إيجاد التوازن اللازم ومعايشة القلق والصراع النفسي الداخلي بواسطة مجموعة من الوسائل الدفاعية التي قد تصل به إلى انسلاخ ثقافي وتثاقف كلي مصحوب بأزمات هوية في محاولة منه لإيجاد نوع من التكيف والتوازن النفسي والاجتماعي، وهذا بالقيام بدراسة تحليلية لعملية التثاقف و التناول الدقيق لموضوع إشكالية الهوية الجزائرية مع التركيز على الثلاثية النفسو

اجتماعية: الثقافة، الهوية والتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، والربط بين هذه المتغيرات وظهور بعض اضطرابات الصحة النفسية لدى الفرد الشاب بهدف إثراء الجانب النظري في علم النفس العيادي والاجتماعي الجزائري بأبحاث وآفاق جديدة.

في بحثنا هذا ، بجانبه النظري والميداني، سنحاول البحث عن مدى وجود علاقة بين الثقافة والهوية وخطر اضطراب الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري. و لفحص هذه المفاهيم و تفاعلاتها الدينامية وللتأكد من مدى العلاقة الموجودة فيما بينها، تناولنا موضوع البحث في ثمانية فصول منها خمسة في الجانب النظري و ثلاثة فصول في الجانب الميداني.

عرضت إشكالية الدراسة في الفصل الأول التي من خلالها تم صياغة عدة تساؤلات، ثم التطرق إلى أهمية هذا البحث و أهدافه. كما قدمت مجموعة من الدراسات السابقة حول ظاهرة الثقافة وكذا حول بناء الهوية وعلاقتها بالصحة النفسية. بعد ذلك تم طرح الفرضيات الأساسية و الجزئية ثم التعريف الإجرائي لكل من مفهوم الثقافة والهوية والشدة النفسية ومصطلح الشباب.

و في الفصل الثاني، تناولنا بعض الأسس المفاهيمية المتعلقة بالدراسة والتي يمكن اعتبارها مفاتيح أساسية للولوج إلى عالم الثقافة والهوية . بدءا بالتعريف بالثقافة والتنقيف والمثاقفة والتنشئة الاجتماعية والعلاقة بين الثقافة وعلم النفس ثم علم النفس ما بين الثقافات في الجزء الأول من الفصل . ثم تناولنا مفهوم الهوية وبعض المفاهيم المتعلقة بها والمقاربات النظرية المفسرة للهوية ثم عمليات بنائها وإشكالية الهوية والثقافة في المجتمعات المعاصرة في الجزء الثاني بينما عالجتنا في الجزء الثالث مفهوم العولمة وإشكالية الثقافة والهوية والآخر المطروحة بشدة على المستوى الفردي والجماعي في ظل تلاشي الحدود الجغرافية بين الدول تحت تأثير العولمة ومخلفاتها. في الأخير سلطنا الضوء على فترة المراهقة والشباب ومميزاتها وعلاقة هذه المرحلة باضطرابات الصحة النفسية في ظل التغير الاجتماعي السريع الذي صاحب البلاد منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

و ضمن الإطار النظري دائما حاولنا في الفصل الثالث التطرق إلى عن عملية الثقافة تأصيلا وتنظيرا وتصنيفا بدءا بتحديد مفهوم الثقافة والتعرض إلى مختلف خصائص هذه العملية مرورا بتناول العلاقة بين استراتيجيات الثقافة من خلال أعمال جون بييري ولومبارت وبوهريس ووصولنا إلى محاولتنا الوقوف على أهم آثار عملية الثقافة إن على المستوى الفردي والجماعي ، وتحديد علاقتها بعمليات التكيف النفسي والاجتماعي وظهور بعض الاضطرابات النفسية والعقلية والجسدية في حال إخفاق هذه العمليات التكيفية وهذا بالاستعانة ببعض التحليلات والدراسات ذات العلاقة.

وفي الفصل الرابع تناولنا إشكالية الهوية وبناءها في المجتمعات المعاصرة ، حيث تطرقنا أولا إلى الإطار النظري لمتغير الهوية في الدراسة من خلال نظرية اريكسون للنمو النفسي الاجتماعي وبناء الهوية التي من خلالها طورت مارشيا نظريتها في تشكل الهوية لدى المراهق ومن خلال ذلك تحديد مجالات ورتب الهوية. ثم تطرقنا إلى استراتيجيات الهوية عند كاميليري وبونيني وطوالي في ظل التغيرات

الاجتماعية، ثم أشرنا في الأخير إلى مختلف التصنيفات النظرية للهوية والى الأزمات والاضطرابات في الهوية التي تظهر لدى الشباب .

وحاولنا في الفصل الخامس تناول خصائص المجتمع الجزائري والشخصية الجزائرية ، فقمنا بدراسة التركيبية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري في محاولة لفهم وتحديد النقاط التي مسها التغيير الاجتماعي والثقافي في ظل العولمة وثورة المعلومات خاصة ما يحدث على مستوى عمليات التنشئة الاجتماعية من خلال مختلف مؤسساتها لأنها العملية الأساسية في بناء الهوية لدى الأفراد. كما تناولنا خصائص الشخصية الجزائرية من خلال العديد من المحاولات النظرية التي حاولت تحديد بعض الخصائص النفسية والاجتماعية المميزة لها، ثم انتقلنا إلى دراسة الهوية في المجتمع الجزائري. كما تناولنا أيضا في هذا الفصل سيكوباتولوجية الشخصية الجزائرية من خلال تناول بعض الاضطرابات النفسية في سياقها الثقافي الجزائري للوقوف على بعض الخصائص الوبائية والإكلينيكية التي تميز هذه الاضطرابات في المجتمع المحلي .

في الجانب الميداني تطرقنا إلى الإجراءات المنهجية و إعداد أدوات الدراسة في الفصل السادس، حيث تناولنا المنهج الذي اعتمدها في هذه الدراسة و الأساليب الإحصائية التي استعملت، و أجريت التحليلات الإحصائية باستعمال برنامج الحزم الإحصائية SPSS. 20. ثم عرضنا عينة الدراسة الاستطلاعية المتمثلة في أربع عينات استخدمت لغرض دراسة الخصائص السيكمترية لكل من الأدوات الثلاثة المعتمدة في الدراسة ، و بعدها عرضنا عينة الدراسة الأساسية. ثم قمنا بحساب الخصائص السيكمترية من صدق وثبات لكل من أدوات القياس المستعملة في هذه الدراسة: مقياس كيسلر للشدة النفسية، مقياس استراتيجيات الثقاف من إعداد رجال غربي محمد الهادي والعقون لحسن ، ومقياس رتب الهوية ل بينيون وادمز ترجمة وتكييف محمد السيد عبد الرحمان .

وفي الفصل السابع عرضت النتائج التي توصل إليه الباحث الموضحة لمشكلة الدراسة وتحليلها من خلال الوقوف على طريقة توزيع رتب الهوية واستراتيجيات الثقاف على عينة الدراسة. ثم الكشف بعد ذلك عن العلاقة بين متغيرات رتب الهوية واستراتيجيات الثقاف ودرجات الشدة النفسية ، و إلى علاقتها بالمتغيرات الديمغرافية (السن والجنس و المستوى التعليمي وموقع السكن ولغة التدريس). ثم في الأخير التحقق من وجود أثر لاستراتيجيات الثقاف ورتب الهوية على درجة الشدة النفسية وخطر اضطراب الصحة النفسية لدى الشباب.

أما في الفصل الثامن فقد تمت مناقشة نتائج كل الفرضيات التي توصلت إليها هذه الدراسة. ثم تقديم ملخص عام عنها من خلال المناقشة العامة، ليتم بعد ذلك عرض التوصيات المستخلصة من هذا البحث التي يمكن تطبيقها في ميادين مختلفة ورسم سياسات ثقافية مستقبلية . كما قدمت اقتراحات بحثية مكملة لنتائج هذه الدراسة أو التي نعتقد أنها ستكون ذات أهمية و أهداف صحية و تربوية و اجتماعية .

الفصل الأول

الاطار العام لإشكالية الدراسة

- 1- الإشكالية
- 2- الأهمية
- 3- الأهداف
- 4- حدود الدراسة
- 5 - الدراسات السابقة
 - 1-5- التناقف والصحة النفسية
 - 2-5- الهوية وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية
 - 3-5- الهوية والصحة النفسية
 - 4-5- التعليق على الدراسات السابقة
- 6- فرضيات الدراسة
- 7- التعريف الإجرائي للمصطلحات
 - 1-7- التناقف
 - 2-7- الهوية
 - 3-7- الشدة النفسية
 - 4-7- الشباب

1- الإشكالية

يعتبر المجتمع الجماعة الإنسانية الأهم التي يتلقى فيها الفرد المبادئ الأساسية للصحة النفسية من خلال مختلف مؤسساته. هذه المؤسسات تساهم بقسط وافر في نمو شخصية الفرد وتنشئته خاصة في ظل التغيير الحاصل على مستوى الأسرة، وتقليص حجمها والعديد من وظائفها في الزمن الحاضر لصالح المؤسسات الأخرى كالمدرسة ووسائل الإعلام. والتي تساهم بدورها إلى حد بعيد في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد واشرايهم بالمبادئ والقيم السائدة في هذا المجتمع لبناء هوية مستقرة ومترنة خاصة بهم ولتحقيق التوازن النفسي والصحة النفسية لأفراد هذا المجتمع.

وبالعودة إلى التراث النظري المحلي والعالمي، نجد أن عدم الاستقرار الاجتماعي والتدهور الاقتصادي والبطالة وتدهور القيم والتركيز على النواحي المادية والعجز عن إشباع الحاجات الأساسية والاتجاه المعرفي السلبي لعدم القدرة على حل المشكلات، كلها عوامل تؤدي إلى ارتفاع عدد المشكلات واضطرابات الصحة النفسية، كما أن سرعة التغيير الاجتماعي تؤدي إلى زيادة الضغوط النفسية التي تساهم إلى حد بعيد في حدوث هذه الاضطرابات وفي استمرارها، فالفرد يعيش داخل محيط اجتماعي وفي ظروف قد تعرضه لبعض المواقف التي تتطلب منه تجنيد طاقات تكيفية هامة لمواجهة ضغوط الحياة اليومية ومتغيراتها. وانطلاقاً من مبدأ أن كل اضطراب نفسي هو محصلة مجموعة من العوامل والأسباب والظروف التي تهيئ الأرضية لحدوثه سواء كانت متعلقة بالفرد ذاته أو ببيئته الاجتماعية، ومن منطلق أن الاضطرابات تتماثل من حيث التعريف والمظاهر عند مختلف المجتمعات ولكنها قد تختلف من حيث العوامل المفجرة لها من مجتمع إلى آخر، ارتأينا أن نسلط الضوء في بحثنا هذا على ثنائية: الثقافة والهوية للوقوف على علاقة هذين المتغيرين بخطر ظهور اضطرابات الصحة النفسية في المجتمع الجزائري.

يعد مصطلح الثقافة من المفاهيم الكبرى في علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، رغم أن استعماله الأول يعود إلى ثلاثينيات القرن الماضي فقط، كما يعتبر من المفاهيم الأكثر استعمالاً وتداولاً في خطابنا العربي المعاصر لتوصيف علاقة الثقافة الواصلة بيننا وبين الغرب حيث يستعمل، خاصة من قبل الناقدين لتقليد الغرب، للدلالة على حالة التبعية الثقافية ونقدها. يعرفه ترومبلي 1979 على أنه: "مجموعة التغيرات التي تسجل في التركيبة الثقافية لجماعة أو لمجموعة من الجماعات التي تدخل في اتصال وتفاعل مباشر ومستمر فيما بينها، تظهر هذه التحولات عندما تطبع أحد هذه المجتمعات عناصر من ثقافتها في ثقافة أخرى بهدف إثراءها بهذه العناصر"، كما يعرفه ر. كونيغ 1972 بأنه: "الوضعية التي يجابه فيها الفرد من قبل منهجين ثقافيين متناقضين مما يجعل الفرد يعيش ثقافته بشكل تقاطبي تتجاذبه في ذلك متطلبات العصرية وإغراءاتها والتي تقاطع مع الحاجة إلى الحفاظ على العادات والتقاليد وشرعة الأسلاف". هذا المعاش يبرز إلى السطح صراعات على مستوى المعايير السيكولوجية

والقيم والرموز الثقافية والتي تدفع بالفرد إلى ولوج أولى الخطوات على طريق عملية التثاقف. فالتثاقف إذن يعبر عن حالة وجدانية وذهنية تتميز بالتناقض بين المثل الاجتماعية والواقع الاجتماعي، أي بين قيم المجتمع الكامنة التي تولد رغبات وطموحات لدى الفرد في حين تقف بيئته الاجتماعية عائقا أمام هذه الطموحات والتطلعات. مما يخلق لديه صراعا داخليا بين متطلباته الداخلية وخارجيا مع العوائق الاجتماعية، فتظهر لديه حالة من عدم الرضا نتيجة عدم تلبية رغباته الرئيسية كالحاجة للنشاط الإبداعي والتطور المعرفي والثقافي وإقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين في مقابل الحاجة إلى تجذر ثابت مع تلك لهوية خاصة ومستقرة تتوافق مع تعريف مالو سكايبير للهوية في قوله: "الهوية هي عملية دينامية تقوم على التوفيق بين الاستمرارية والتغير في عملية تفاعل مستمر بين الأنا والمحيط الاجتماعي" (A. GAILLARD, 2006, P 10)، فعدم تلبية هذه الحاجات يدفع بالفرد للبحث عن مصادر أخرى لإشباعها مما من شأنه أن يحدث لديه ثقافا لصالح ثقافات أخرى.

إن الخاصية التقاطبية والثنائية المميزة للثقافة في المجتمعات المعاصرة ستدفع الفرد بالضرورة حسب "اريكسون" إلى معايشة وضعيات أزمة في الهوية يكون فيها أمام خيارات متساوية أو متناقضة بسبب هذه الازدواجية الثقافية، بحيث يجد صعوبة في الاختيار أو الانتماء إلى أحد منها والالتزام بهذا الاختيار. فالفرد في هذه الحالة يخبر الأزمة من خلال تعدد المرجعيات الثقافية المتوفرة في المجتمع لكنه قد يفشل في الاختيار ثم الالتزام بخياراته لتحقيق هويته فتبقى معلقة ومؤجلة لاحقا ويبقى الفرد يعايش أزمة في الهوية ومعايشا عنيفا في القيم. هذه الوضعيات تجعل من تحقيق رتب ناضجة في نمو الهوية للفرد أمرا معقدا ونسبيا في ظل نسبية القيم والمفاهيم المشكلة لمحيطه ما يجعل هويته تتراوح بين التعليق والتشتت. إن هذا الارتباط الوثيق بين عملية التثاقف والهوية يسلط الضوء على إشكالية الهوية التي هي مشكلة كل فرد في الوقت الحاضر نتيجة انقطاع التوازنات الطبيعية الكبرى والسياسية والاجتماعية في ظل تأثير العولمة ومخلفاتها الثقافية على علاقات الفرد بذاته وبمحيطه، وهذا ما ذهب إليه نورالدين طوالي في كتابه "الهوية في المغرب العربي" حيث أشار إلى أن: «الهوية لا تكون ظاهرة إلا في حالة أزمة» (N. TOUALBI, 2001, P 20).

قد تكون عملية التثاقف؛ ومن خلالها عملية إعادة النظر في البناء السابق للهوية في ظل غياب النموذج المرجعي لبنائها؛ ناجحة لدى الأفراد الذين يحاولون التكيف مع المحيط الثقافي الجديد، في حين أن عدم نجاحها يصاحب بالكثير من التوتر والصراع والقلق نتيجة خضوع الفرد لصراع عميق في القيم وحتمية الاندماج في النظام الجديد والأخذ بقيمه وعاداته ولغته ومعاييره السلوكية مع ما يصاحب ذلك من إحساس بالكثير من التهميش والعزلة في الثقافة المستقبلية. هذا ما أشار إليه جون بيرري في دراسته الرائعة حول هذا الموضوع في المجتمع الكندي حين ذهب إلى أبعد من ذلك وأكد على أن عملية التثاقف تمثل عامل من العوامل المفجرة والمؤدية إلى ظهور العديد من اضطرابات الصحة النفسية. لقد أشارت أيضا الكثير من الدراسات الحديثة حول موضوع التثاقف وعلاقته المباشرة أو غير مباشرة بمتغيرات

التكيف الاجتماعي والصحة النفسية في المجتمعات الحديثة إلى أن درجة واتجاه عملية التناقص لهما علاقة وطيدة بالتكيف العائلي السليم والعلاقات الزوجية الناجحة وكذا مع التحصيل الدراسي الجيد وتحقيق التوازن النفسي والعقلي والبدني للأفراد في المجتمعات الحديثة . ويظهر هذا الأثر بوضوح في دراسات كل من سودوويسكي و لي ، نورالدين طوالي 1982 وكذا موريار و فورمان (1992) التي أكدت في مجملها على وجود علاقة ارتباطية موجبة وذات دلالة إحصائية بين عملية التناقص وظهور بعض اضطرابات الصحة النفسية والعقلية لدى الأفراد المتناقضين .

هنا نتساءل: أين الفرد أو الشاب الجزائري من كل هذا ؟.

على المستوى المحلي يمكننا الوقوف أكثر على أبعاد مفهومي التناقص والهوية عندما نتناول الإشكال الثقافي في الجزائر لدى فئة الشباب التي هي الأكثر تعرضا من غيرها للتأثيرات الاجتماعية والثقافية. وهذا نتيجة لعدم استعدادهم الكافي للتفهم لسوء تقديرهم للنماذج الثقافية المختلفة المعروضة عليهم مما يزيد من حدة مشكل بناء هوية مستقرة لديهم. هذا الإشكال ؛ الذي لا يمكن تناوله خارج دائرة التغيير الاجتماعي؛ كان ولا زال يتمحور عموما حول قضية إزالة شوائب الثقافة الاستعمارية من الذهنيات ومن البناء الثقافي قصد تكوين أنا اجتماعي وثقافي متحرر من كل الأفكار الاستسلامية والقهرية . هذا الأنا يصطدم بحاجة البلاد إلى اللحاق بركب الأمم المتطورة، الشيء الذي يفرض على الأفراد الأخذ بالكثير من القيم الحديثة كعمل المرأة خارج المنزل وكذا حرية الأديان... ، هذه الحاجات الملحة تجعل الأفراد يدخلون في صراع داخلي بين القيم التي يفرضها التطور مع القيم التقليدية والموروثة . كما لا ننسى أن الخيارات السياسية والاقتصادية التي اتبعتها الجزائر بعد الاستقلال عمقت من الأزمة بحيث جعلت من تحديد نموذج اجتماعي موحد ومقبول من طرف الجميع صعب المنال إن لم نقل مستحيلا، مما عقد من هذه الصراعات وجعل من بناء الهوية أمرا معقدا ومؤجلا. يتجلى هذا الصراع بالأساس في رغبة الدولة في بداياتها في تحقيق طفرة اقتصادية مع ما يصاحب ذلك من ثورة وجدانية وعصرية، في حين سعت بالمقابل إلى توطيد أسس الهوية الوطنية . هذه الوضعية من التناقض ؛ التي في عمقها مليئة بالتناقض المعرفي بين مكوناتها ؛ كانت وما زالت السبب في التخبط الإيديولوجي الحالي في الجزائر . لذلك نجد الفرد قد يلجأ لتحقيق هويته إلى الأخذ بنمط معين من الهوية مبني على الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويتطلب تحقيق ذلك منه أن يتناول الموقف تناولا موضوعيا فيختار البدائل المتاحة أو يقوم بالالتزامات المناسبة بالنسبة للبديل الذي يختاره سواء على مستوى المفاهيم والمعتقدات والتمثلات الاجتماعية أو على مستوى الاختيارات المهنية والمستقبلية . لكن إذا فشل في ذلك فإن بناء الهوية لديه سيبقى يراوح مستويات نمو منخفضة وغير ناضجة تصاحب في العديد من الحالات باضطرابات واختلالات في التوازن والصحة النفسية لان تحقيق الهوية من تحقيق الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

هذا وبعد 53 سنة من الاستقلال، وظهر جيل جديد لم يخبر عن الاستعمار إلا ما سمع عنه مع ظهور معطيات اجتماعية جديدة فرضتها السياسات المتعاقبة والأزمات العالمية والتغيرات الاجتماعية السريعة وكذا التفتح على العالم والغزو ثقافي عن طريق الفضائيات المقرة وأجهزة الانترنت وما تبثه من مفاهيم وقيم لثقافات مختلفة ومتناقضة أحيانا مع ثقافة الفرد الجزائري، وهذا بكل حرية ودون ضبط ، ترانا نتساءل عن واقع نمو الهوية لدى الفرد ووضعيتها من عملية التثاقف التي أخذت بعدا عالميا في ظل العولمة ، ومن خلال ذلك الوقوف على أثر عملية التثاقف وبناء الهوية على الصحة النفسية للشباب الجزائري .

وللإجابة على ذلك، جاءت هذه الدراسة لتجاوب على التساؤلات التالية:

- هل تتوزع رتب الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية في أوساط الشباب مع نسبة عالية من الأفراد ذوي رتب معلقى الهوية (معلقى الهوية الخالصة ومنخفضة التحديد) ؟
- هل تتوزع استراتيجيات التثاقف في أوساط الشباب مع نسبة عالية من استراتيجيات التثاقف منخفضة التحديد؟ (إستراتيجية اندماجية منخفضة التحديد).
- هل توجد علاقات ذات دلالة إحصائية بين كل من رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات التثاقف و الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لكل من متغير الجنس أو السن أو المستوى التعليمي أو موقع السكن أو لغة الدراسة في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات التثاقف؟
- هل يوجد أثر دال إحصائيا لكل من رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف على الشدة النفسية لدى الشباب؟

هذه التساؤلات حول إشكالية البحث الحالي تسمح بالكشف على مدى وجود علاقة بين متغيرات الدراسة ووجود أو عدم وجود فروق في متغيرات الدراسة تعزى للمتغيرات الديمغرافية. كما أن وجود علاقة قوية يتطلب فحص مدى الأثر على المتغير التابع وإمكانية التنبؤ بحدوثه من خلال المتغير المستقل ، أي فحص أثر استراتيجيات التثاقف ورتب الهوية على الشدة النفسية وخطر اضطراب الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري. للإجابة عنها، استخدمنا المنهج الوصفي الارتباطي ، و اعتمدنا على الأساليب الإحصائية الموافقة للتحقق من الفرضيات في هذه الدراسة.

2. أهمية الدراسة:

متغيران نشئا في أحضان الأريثوبولوجيا ودخلا دائرة علم الاجتماع فعلم النفس الاجتماعي ثم انطويا تحت مظلة علم النفس مابين الثقافات، وهما يفسران ظواهر عديدة ومتنوعة وبصورة كبيرة بدءا بالانحرافات الاجتماعية وصولا إلى مختلف الاضطرابات النفسية و الجسدية المتولدة عن الحياة الحديثة، نقصد بهذا المتغيرين : التثاقف "acculturation" والهوية "identité" وهما مفهومان حديثا تناول في أدبيات علم

النفس الحديث، كان بروزهما مصاحبا لحركية الانتقال النشيطة للشعوب ولنشاط عمليات التبادل بينها. تكمن أهمية هذه الدراسة :

- 1- أنها تلبي ضرورة علمية لقلّة البحوث التي تناولت موضوع التثاقف والهوية وعلاقتها باضطرابات الصحة النفسية لدى الأفراد المتثاقفين بصورة خاصة.
- 2- الدراسة ستسمح لنا بالوقوف على الواقع الثقافي للشباب الجزائري في تفاعلهم مع آثار العولمة والانفتاح الثقافي على الآخر المغربي و الغالب مما سيساعدنا على التحديد الدقيق للوضعية الثقافية لهؤلاء الشباب.
- 3- تتجاوز هذه الدراسة الطرح التقليدي لعملية التثاقف المحصورة في نطاق التفاعل المباشر بين المستعمر والمستعمر أو بين المهاجر و المجتمع المضيف، إلى الحديث عن عملية تثاقف الأفراد في بلادهم بفعل العولمة الثقافية في ظل التطور السريع و البركاني لوسائل الإعلام و الاتصال .
- 4- تعتبر هذه الدراسة مساهمة بسيطة في علم النفس ما بين الثقافات، نتائجها ستعطي ديناميكية و قدرة أكبر على استفزاز الباحثين كي يلجوا نطاق علم النفس ما بين الثقافات للوقوف على أثر الدينامية والتغير الثقافي على الجانب النفسي و الاجتماعي للفرد.
- 5- للدراسة الحالية عدة جوانب فهي سوف تتعامل مع الجانب الاجتماعي والثقافي والشخصي والمرضي وحتى الفلسفي، وفي كل جانب يتضح البعد النفسي بصورة عامة و البعد النفس ثقافي العيادي بوجه أخص
- 6- كذلك تمثل أهمية الدراسة في الفحص الامبريقي لفروق النوع في إستراتيجيات التثاقف والهوية ببعض المتغيرات الديموغرافية. فدراسة هذه المتغيرات المتعلقة بظاهرة التثاقف والهوية وعلاقة ذلك بالصحة النفسية لدى الشباب لها أهمية كبيرة بالنسبة للمعالجين النفسانيين للوقوف على الخلفية الثقافية لمرضاهم.
- 7- كما تتمثل أهمية الدراسة في الجانب الوقائي متمثلا في فحص العلاقة بين ظاهرة التثاقف وبناء الهوية وبعض اضطرابات الصحة النفسية حتى تلفت النظر إلى أهمية إعطاء هذا الموضوع حقه من الدراسة.
- 8- يعتبر موضوع نمو الهوية مهما في حد ذاته لانعكاسه على توافق الفرد و نموه، وأثناء مرحلة الشباب يبدأ الفرد بتعزيز هويته، فتحديد الهوية يعد من المطالب النمائية المهمة التي لا بد من إنجازها. إن نجاح الفرد في تحديد هويته يعني أنه فرد موجه بسلوكه نحو أهداف حددها لنفسه وفق مجموعة من المعايير والقيم و المسلمات التي تحدد انتماءه و موقعه في أسرته و بين أصدقائه و مجتمعه الذي يعيش فيه، في حين أن إخفاق الفرد في تحديد هويته يجعله مشتتا ضائعا ليس له هدف و لا دافع.

3. أهداف الدراسة: تتحدد أهداف الدراسة الحالية في :

- 1- بناء مقياس التثاقف للشباب الجزائري نابع من الثقافة والبيئة الجزائرية وفق منهجية دقيقة مع حساب خصائصه السيكومترية . بالإضافة إلى استخدام طريقة الدرجات الفاصلة ومصطلح استراتيجيات التثاقف المنخفضة التحديد التي تدل على أن الفرد لم يستطع تحديد إستراتيجية خاصة به ليتكيف مع التغيرات الثقافية المحيطة به.

- 2- الوقوف على مدى انتشار أزمة الهوية في أوساط الشباب الجزائري من خلال نسبة الأفراد ذوو رتبة تعليق الهوية (يتميزون بمعايشتهم للآزمة في ظل غياب التزام واضح لديهم بأي خيارات).
3. الوقوف على مختلف استراتيجيات التثاقف في أوساط الشباب الجزائري وكذا أثر بعض المتغيرات السوسيوديموغرافية في اختيار نمط و إستراتيجية التثاقف لدى الفرد .
- 3- فحص العلاقة بين الهوية واستراتيجيات التثاقف والحالة النفسية للأفراد.
- 4- الوقوف على أثر كل من رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف على ظهور حالات الشدة النفسية وخطر اضطراب الصحة لدى الشباب.

4. حدود الدراسة :

4-1 - المكان:

أجريت الدراسة الاستطلاعية في كل من جامعة باتنة و جامعة بسكرة. أما مكان جمع عينة الدراسة الأساسية فكان في كل من ولايات الجزائر العاصمة و باتنة وبسكرة على مستوى الجامعات بمختلف الكليات والأقسام وكذا على مستوى بعض مراكز التكوين المهني والتمهين.

4-2 - الزمان

امتدت فترة الإجراءات المختلفة لإنجاز هذه الدراسة من جانفي 2011 إلى غاية ديسمبر 2013.

4-3 - المجال البشري

اعتمدت الدراسة على أربع عينات للدراسة الاستطلاعية لحساب الخصائص السيكومترية من طلبة كليتي العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة باتنة وجامعة بسكرة . أما عينة الدراسة الأساسية فتكونت من مجموعة من الشباب الجزائري بمختلف الأعمار من (15-30 سنة) موزعين على الولايات السابق ذكرها. واختيرت العينة بطريقة عرضية من الشباب على مستوى المكتبات والأقسام بمختلف كليات جامعة باتنة وجامعة بسكرة وجامعة الجزائر، وكذا على مستوى بعض مراكز التكوين المهني والتمهين.

5. الدراسات السابقة:

1.5 التثاقف والصحة النفسية : توجد العديد من الدراسات السابقة خاصة على الصعيد الأجنبي، التي اهتمت بدراسة موضوع التثاقف لدى الأفراد في مختلف المجتمعات المعاصرة، وحتى العلاقة الكامنة بين عملية التثاقف و الصحة النفسية للأفراد سواء لدى عينات إكلينيكية أم عينات غير إكلينيكية . فيما يلي سوف نعرض بعض من هذه الدراسات بشيء من التفصيل:

1.1.5. دراسة موريس ريفي 1962 : في دراسته حول الازدواجية الثقافية و اللغوية في أوساط المراهقين في المجتمع التونسي سنة 1962 لغرض الوقوف على الصراعات على المستوى النفسي و الاجتماعي الناتجة عند هذه الازدواجية ومقارنة نتائج ذلك مع نتائج عينة من المراهقين من المجتمع الفرنسي.(M.RIGUET, 1972, P 23).

توصل الباحث إلى إقرار وجود اتجاه كبير نحو الثقافة الفرنسية لدى المراهقين التونسيين، وأكد ذلك من خلال نتائج دراسته التي أشارت:

- تزايد اتجاه المراهقين إلى التغيير من اللباس التقليدي لصالح العصري.
- الاتجاه نحو اختيار شريك الحياة ذو صفات و مميزات عصرية.
- الاختلاط بين الجنسين في الدراسة و مواقع العمل مستحب.
- اللغة الفرنسية مكسب و الرغبة في التعدد اللغوي أكثر (الزيادة).
- ازدواجية لغوية كلية لدى المراهقين مع تجاوز ذلك حتى في المنزل و العائلة.
- تطبيق الدين الإسلامي ضعف في أوساط المراهقين التونسيين بسبب تأثير الثقافة الفرنسية.

2.1.5. دراسة نورالدين طوالي 1982 : لقد أشار نورالدين طوالي من خلال دراسته : " في إشكالية المقدس" إلى أنه لاحظ من خلال ممارسته الطب النفسي بين سنوات 1974 و 1977 في أحد مراكز التأهيل النفسي الاجتماعي الواقع في ضواحي الجزائر العاصمة نمط خاص في الباتولوجيا الاكتئابية غير المألوفة إلى حد ما لدى أشخاص تتراوح أعمارهم بين 35 و 55 عاما، يتميز الجدول العيادي لهذه الحالات الاكتئابية "الاكتئاب الانعكاسي" بالإضافة إلى الوهن والأرق والقلق ومشاكل عدم التكيف مع الحياة الاجتماعية والمهنية، ميزتان أساسيتان أثارتا اهتمام الباحث هما:

- أن أكثر من 25 مريض من مجموعة ثلاثين كانوا من أصل ريفي لم يكن انتقالهم إلى الجزائر العاصمة إلا بعد الاستقلال بفترة وجيزة.

- كان التماس العلاج النفسي ثانويا بالنسبة للممارسة العميقة للوسائل العلاجية التقليدية التي كانت في السابق كافية لمعالجة الأمراض الجسدية والنفسية بمعنى أن هذا الانتقال ترافق ليس فقط مع مشاكل عديدة جعلت التكيف مع الحياة العصرية أمرا عسيرًا، بل رافق ذلك فقدان لفعالية العلاجات التقليدية عند إخراجها من وسطها الأصلي (نورالدين طوالي ، 1988 ، ص 73).

وقد أكد نور الدين طوالي أن عملية النزوح الريفي كانت العامل البارز في إطلاق هذه الاضطرابات بحيث أن تمدين هؤلاء الريفيين لا يشكل مجرد انتقال من إطار معيشي إلى آخر بل يتطلب في كل الحالات استنباطا إراديا متفاوتا للمعايير الجديدة، التي تدريجيا ستحل محل المعايير القديمة، حصيلة هذا الموقف عند طوالي هو شعور قوي بالذنب ينشئ صراعا لا واعيا بين القيم، يكون تأثيره على علاقات الأفراد بمحيطهم الاجتماعي هو الإطاحة بتوازنهم الداخلي والاجتماعي مما جعل الباحث يدعو إلى ضبط عملية النزوح الريفي ومساعدة الأفراد النازحين لتحقيق نوع من التوازن والتكيف النفسي والاجتماعي في ظل التخفيف من حدة صراع القيم. (نورالدين طوالي ، في إشكالية المقدس ، 1988 ، ص 173).

3.1.5. دراسة هورنيسستينا أماروه وآخرون 1982: التي كانت تهدف إلى دراسة العلاقة بين عملية التثاقف والإدمان على المحذرات باعتباره اضطراب في الصحة النفسية والجسدية للفرد، تمت الدراسة على عينة من الأفراد الأمريكيين ذوو أصول لاتينية، لغتهم الأم هي الإسبانية، بحيث قسمت هذه العينة إلى ثلاثة أقسام هي : "المكسيكيون الأمريكيون، البيروتوريكان و الكوبيون الأمريكيون"، تتراوح أعمارهم بين 12-72 سنة.

أسفرت هذه الدراسة على النتائج التالية:

- جميع أفراد الجماعات الإسبانية اللغة في المجتمع الأمريكي، والذين يستعملون اللغة الانجليزية في حياتهم اليومية كمظهر دال على ثقافتهم وتخليهم على الثقافة الأصلية ، يحصلون على نسبة عالية في الإدمان على المحذرات (الماريجوانا، و الكوكايين) بنسبة أكبر بـ 5 إلى 8 أضعاف بمقارنتهم مع نظرائهم الذين يستعملون اللغة الإسبانية في تعاملاتهم اليومية.

- كما خلصت الدراسة أيضا إلى إثارة نقطة حساسة في التناول العام لموضوع التثاقف، و هذا من خلال الإشارة إلى تفاعلات دالة إحصائيا بين عملية التثاقف و بعض المعايير الديموغرافية كالسن و الجنس والمستوى التعليمي و الحالة المدنية و مكان المولد في علاقتهما بالإدمان و تعاطي المحذرات.

دلت نتائج هذه الدراسة على أن عملية و خبرة التثاقف في علاقتهما بالإدمان على المحذرات تتأثر بشدة وتتدخل في تفاعل مع بعض العوامل الديمغرافية و الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بالفرد الاجتماعي، ويتحدد ذلك، و بدرجة كبيرة، من خلال نوعية و أثر هذه العملية على الفرد. وليسلط " أوماروه" الضوء

أكثر على هذه النقطة، استعمل تحليل التباين المتعدد للوقوف على العلاقة بين عملية التثاقف و الإدمان على المحذرات لدى هذه الجماعات في ظل التحكم الإحصائي في العوامل السوسيواقتصادية المحيطة بالفرد أي بمعنى تحديد التفاعل بين التثاقف و هذه المتغيرات في علاقتهما بالاضطرابات النفسية ليخلص

في النهاية إلى العلاقة المستقلة بين التثاقف والصحة النفسية بعد طرح أثر هذه العوامل المتمثلة في "الجنس، السن، الدخل، العمل، المستوى التعليمي، الحالة المدنية..." . أسفرت هذه العمليات الإحصائية إلى نتيجة مفادها أن الشباب اللاتيني المتثاقف هم الأكثر إدمانا على المحذرات ونسبة هذا الإدمان تتزايد

مع التقدم في السن، وعند الإناث أكثر من الذكور عكس ما نجده في المجتمع الأمريكي عامة من أن نسبة المدمنين على المحذرات هي عند الذكور أكثر من الإناث . أما فيما يخص التفاعل بين المستوى التعليمي و التثاقف في علاقتهما بالإدمان فقد كان دالا إحصائيا بمعنى أن تأثير عملية التثاقف على

عملية الإدمان تتعلق بالمستوى التعليمي للفرد بمعنى كلما زاد مستواه التعليمي كان ثقافته متوازنا مما يساعده على التكيف الاجتماعي و نقادي الإدمان أحيانا، كما دلت الدراسة على أن المتزوجين أكثر ثقافا وإصابة بالإدمان من غير المتزوجين، هذه النتائج تتطابق أيضا مع دراسات سابقة على إدمان الكحول والتي خلصت إلى أن عملية التثاقف في علاقتهما بالإدمان على الكحول ترتبط بالإناث أكثر من الذكور.

وباختصار فإن "أماروه" توصل من خلال دراسته هذه إلى أن العلاقة بين عملية التثاقف و الإدمان على المحذرات في أوساط الشباب ذو الأصول اللاتينية في الو م أ تتأثر بشدة بالعديد من المتغيرات الديموغرافية والسوسيواقتصادية التي نشأ فيها هذا الفرد خلال مراحل حياته السابقة. (HORTENSIA, 1990, P 55).

4.1.5. دراسة موريار وفورمان (1992): التي كانت تهدف إلى الكشف عن بعض العوامل التي تساعد على ظهور اضطرابات الصحة النفسية لدى الفرد المتثاقف في المجتمع الأمريكي، أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية موجبة بين عملية التثاقف و اضطرابات الصحة النفسية و بعض العوامل النفسواجتماعية كالإستراتيجية المتبعة من طرف الفرد في تثاقفه ومدة التعرض للتثاقف الأجنبية ومدى تمسك الفرد بثقافته الأصلية. خلصت الدراسة في الأخير إلى أن التمسك القوي بالتثاقف الأصلية واللجوء إلى إستراتيجية الانفصال في عملية التثاقف ترتبطان بدرجة عالية على مقياس الاكتئاب ومقياس القلق ودرجة منخفضة على مقياس تقدير الذات بالمقارنة مع استراتيجيات التثاقف الأخرى: كالاستيعاب والتشابه و الاندماج.

5.1.5. دراسة قافاريان (GHAFFARIAN, 1998) : التي كانت تهدف إلى الكشف عن العلاقة بين الاستعداد الفردي والاجتماعي للأفراد لتقبل عملية التثاقف والصحة النفسية لديهم. تمت الدراسة على عينة من الطلبة الإيرانيين المغتربين في و م أ، وأسفرت على أن الشباب الإيراني الذي كان لديهم استعداد نفسي واجتماعي أكبر لتقبل واستدخال ثقافة المجتمع الأمريكي من خلال عملية تثاقف ناجحة يتمتعون بدرجات منخفضة على مقياس الصحة النفسية بمعنى تمتعهم بصحة و اتزان نفسي بالمقارنة مع نظرائهم الذين وجدوا صعوبات في تقبل ثقافة أمريكا و تحقيق استيعاب مناسب (N-R DOH., 2001, P 5-7).

6.1.5. دراسة ناه ري دوه (N.R.DOOH, 1999) : لتحديد العلاقة بين عملية التثاقف والهوية مع الصحة النفسية ، مع التركيز على استعمال اللغة الانجليزية في الحياة العامة كمؤشر على عملية التثاقف. أجريت الدراسة على عينة مكونة من 120 طالب و طالبة من الطلبة الأجانب في جامعة ميامي بأوهايو في الو.م.أ من العينة الكلية المقدر بـ : 514723 طالب و طالبة يتميزون بصعوبات التكيف مع مقومات وثقافة المجتمع الأميركي والمتمثلة في: معيق اللغة ، غياب الدعم الاجتماعي و عدم القدرة على التكيف مع المعطيات الجديدة. خلصت هذه الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين درجة التثاقف والحالة النفسية المضطربة لدى أفراد العينة المدروسة. في نفس الدراسة أشار ناه إلى دراستي كل من سانغ قيما 1997 وتونغ وديون 1994 (SINGH GHUMAN AND TANG DION) اللتان اهتمتا بدراسة العلاقة بين جنس الفرد ودرجة تثاقفه ، أسفرت هاتين الدراستين على النتائج التالية:

- أن عملية التثاقف تأخذ وقت أطول لدى الذكور أكثر منه لدى الإناث.
- إن الشباب المسلمين الذكور في انجلترا هم أكثر نمط تقليدي مع تحصلهم على درجات منخفضة على مقياس التثاقف بالمقارنة مع الفتيات المسلمات.

- الفتيات الآسيويات في إنجلترا هن أكثر ثقافاً و أقل تمسكا بالتقاليد بالمقارنة مع الذكور، هذه النتائج أظهرت أن الفتيات أكثر مرونة وتقبل للثقاف و الثقافة الأجنبية بالمقارنة مع الذكور.
- 7.1.5. دراسة هوتي و كينغ "1996": تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين قلق الثقاف والاكتئاب و أفكار الانتحار لدى عينة من الشباب والمراهقين اللاتينيين المهاجرين إلى الو.م.أ من الجيل الثاني. أسفرت النتائج على أن الأفراد الذين يعانون من درجة عالية على مقياس قلق الثقاف لديهم ميول اكتئابية حادة وأفكار انتحار سائدة، وكانت العلاقة الارتباطية بين قلق الثقاف واضطراب الاكتئاب والميول الانتحارية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01 بمعنى أن عملية الثقاف (من خلال قلق الثقاف) مرتبطة ارتباطاً موجباً باضطرابات الاكتئاب و انتشار أفكار الانتحار لدى المهاجرين والمراهقين اللاتينيين من الجيل الثاني في الو م أ، فالزيادة في درجة قلق الثقاف تصاحبها زيادة في الميول الاكتئابية وأفكار الانتحار.
- 8.1.5. دراسة مارييلا لارا (M. LARA 2005): التي هدفت إلى دراسة العلاقة بين عملية الثقاف والصحة النفسية في أوساط الشباب ذو الأصول اللاتينية في الو م أ. أسفرت نتائج دراستها هذه على أن آثار عملية الثقاف على الصحة النفسية قد تكون:
- سلبية، و هذا بارتباط عملية الثقاف بنسب عالية من اضطرابات السلوك و مستويات منخفضة من الاتزان و الصحة النفسية لدى الأفراد المتثقفين.
- ايجابية، وهذا بارتباط عملية الثقاف بمستويات عالية من الصحة النفسية مع سلوكيات متوازنة وتوافق نفسي و اجتماعي عاليين.
- و قد يكون هذا التأثير مزدوج و مختلط النتائج على الفرد.
- وهذا الأثر يتوقف حسب "لارا" LARA على نوعية الدراسة و المجتمع الخاضع لها والحيثيات و العمليات الاجتماعية و الثقافية التي تحكم هذا المجتمع. كما أضافت أيضاً أنه في بعض الحالات نجد أن أثر الثقاف على الصحة النفسية يتعلق ببعض المتغيرات الخاصة بالأفراد وبالمجتمع: كاللغة الأم والبلد الأصلي والمستوى التعليمي والجنس والعمر. وأكدت على ذلك من خلال بعض الدراسات التي تناولتها، والتي ركزت على محاولة التحكم الإحصائي بالمتغيرات السابقة الذكر لاستخلاص الأثر المستقل لعملية الثقاف على الصحة النفسية للأفراد. كانت نتائج هذه الدراسات تتفق على أن هذا الأثر ينقص و يتضاءل إلى درجة أنه قد يختفي تماماً كلما كان التحكم في هذه المتغيرات دقيقاً و محكماً، و قد دعمت هذه الفكرة بالنتيجة التي أسفرت عنها دراسة "صولي" Soles و طلبته على أن الأفراد المتثقفين ذوو المكانة الاجتماعية الراقية و المستوى التعليمي العالي يتمتعون بصحة نفسية أكبر بالمقارنة بالأفراد المتثقفين ذوي مستوى تعليمي منخفض أو مكانة اجتماعية أقل. (LARA. M & al, 2005, P 376).

9.1.5. دراسة ج.د كروز وآخرون 2000: في دراستهم حول أثر الثقافة على التغذية الصحية عند الهايتيين المهاجرين إلى نيويورك على عينة من 425 فردا أعمارهم بين 18 و 59 سنة، توصلوا إلى أن درجة الثقافة هي معيار أساسي في تحديد مدى التقيد بمحددات الصحة الغذائية للمهاجرين في المجتمع الأمريكي، كما أن ارتفاع درجة الثقافة لدى الأفراد المهاجرين تصاحبه سلوكيات وقائية للحفاظ على الصحة الغذائية أكثر بكثير من الأفراد المهاجرين الغير متثقافتين (CRUZ, G.D & al, 2004, P 184).

10.1.5..ميفلودين حسنوفيتش و آخرون 1999: في دراستهم للعلاقة بين عملية الثقافة وبعض المشاكل النفسية والاجتماعية لدى عينة من المراهقين البوسنيين اللاجئين مكونة من 299 فردا وموزعة بالشكل التالي: 120 إناث و 119 ذكور مع متوسط عمر (15.2 + - 2.1) عام. كان أغلب هؤلاء المراهقين يعانون من أعراض اضطراب ما بعد الصدمة النفسية مع مشاكل سلوكية و أعراض صدمة الحرب بالإضافة إلى اضطرابات عدم التكيف و الانسجام مع بعض معايير المجتمع البوسني. قسمت هذه العينة إلى قسمين: قسم مكون من 120 مراهق يمثلون فئة اللاجئين إلى الخارج ثم عادوا من المنفى بعد الحرب، وآخر مكون من 119 يمثل عينة من المراهقين المشردين داخل المجتمع البوسني . خلصت نتائج الدراسة إلى أن المراهقين المشردين في الداخل والذين تعرضوا للمعاناة السوسيونفسية المصاحبة للحرب الأهلية و مخلفاتها، حافظوا على مستويات عالية من أعراض اضطرابات ما بعد الصدمة حتى بعد ثلاث سنوات بعد نهاية الحرب بالمقارنة مع المراهقين العائدين من المنفى مع وجود فروق جوهرية دالة إحصائية في ذلك، كما أشارت أيضا إلى أن المراهقين العائدين من المنفى تعرضوا لعمليات ثقافتهم خلال هجرتهم إلى الخارج مما خلق لديهم صعوبات علائقية و مشاكل في التوافق والتكيف الاجتماعي أكثر بالمقارنة مع المراهقين المشردين في الداخل، بمعنى أن هذه الفئة من المراهقين الذين استدخلوا قيم و معايير ثقافة أجنبية خلال تنشئتهم الاجتماعية في المنفى وجدوا صعوبات كبيرة للخضوع إلى قيم و معايير ثقافتهم الأصلية لدى عودتهم من المنفى. (M. HASANOVIAE & al, 2005, P 105).

11.1.5 . دراسة دونا تشيلي 2004 : في دراستها للعلاقة بين عملية الثقافة و الإدماج على التدخين في أوساط الأفراد ذو الأصول الصينية في المجتمع الأمريكي على عينة من 712 فردا يتراوح أعمارهم بين 19 و 74 سنة، جاءت نتائج دراستها مؤكدة و جود علاقة ارتباطية وثيقة بين الأفراد المتثقافتين و فكرة عدم التدخين مطلقا في السابق، بمعنى أن هؤلاء الأفراد لم يسبق لهم أن دخنوا سابقا إلا بعد أن تخلوا عن معايير و قيم ثقافتهم الأصلية في المجتمع الأمريكي. نفس النتيجة توصلت إليها دراسات أخرى ربطت بين النسبة العالية للتدخين في أوساط الجماعات الاسبانية والكورية في المجتمع الأمريكي و ارتفاع درجة الثقافة لدى هذه الجماعات. (SHELLEY & al, 2004, P 304).

12.1.5 . دراسة آرث جي مانيوس و آخرون 2008: في دراستهم للعلاقة بين عملية التثاقف وانتشار مرض السكري و بعض العادات غير الصحية في الجماعات اللاتينية المهاجرة إلى الو م أ انطلاقا من ملاحظتها لارتفاع نسبة الإصابة بمرض السكري في أوساط هذه الفئة خلال الفترة من 1999 إلى سنة 2002 على عينة من الأفراد تتجاوز أعمارهم 20 سنة كحد أدنى. خلصت الدراسة إلى أن عملية التثاقف لدى الجماعات اللاتينية في المجتمع الأمريكي جعلت الأفراد يستدخلون بعض السلوكات و العادات غير الصحية كالتدخين و عدم ممارسة الرياضة بالإضافة إلى عدم التقيد بالتغذية الصحية للمصابين بالسكري مع ظهور أن نتائج تحليل السكري لدى المتثاقفين غير مشجعة بالمقارنة مع نظرائهم في المجتمع الأمريكي الكلي. (A.G MAINOUS. & al, 2008, P 131)

13.1.5 . دراسة لورانت ليسغورقيس (L.Lesgourgues 1996) حول دور التثاقف في سيكوباتولوجية الإدمان لدى المغاربة المهاجرين في فرنسا. تمت الدراسة على عينة من المدمنين مكونة من 73 شاب وشابة من كلا الجنسين على مستوى ثلاث مؤسسات استشفائية لعلاج الإدمان بتولوز فرنسا. يمثل فيهم المهاجرون 20 فردا (18-35 سنة) . استعمل الباحث اختبار روشاخ الاسقاطي بالإضافة إلى قائمة لقياس تقدير الذات مع استبيان حر لتحديد اتجاهات الفرد حول علاقته وارتباطاته في المجتمع والدين والعائلة. خلصت الدراسة إلى أن الأفراد المهاجرين يتميزون بافتقارهم لخاصية حل الصراع الاوديبي "المميزة للثقافة المغاربية" وهذا نتيجة لتثاقفهم. أما على المستوى المرضي فان الدراسة خلصت إلى أن الإشكالية لدى الفرنسيين ذات طبيعة قبل أدوية و نرجسية مع صورة مضطربة للألم بينما لدى المغاربة المهاجرين فان الإشكالية لديهم ذات طبيعة أدبية مع صورة غير مضطربة للألم أما صورة الأب فهي غير واضحة تماما. يرجع الباحث ذلك إلى تأثير عملية التثاقف لدى المهاجرين على عمليات البناء الثقافي لديهم مما يزيد من صعوبة فهم الفرد المغاربي للتمثلات الأبوية المميزة للثقافة الأصلية في ظل غيابها في الثقافة الأجنبية المستقبلية التي يتواجد فيها حاليا. لقد كانت عملية التثاقف سببا مباشرا للاتجاه إلى الإدمان لأنها أحدثت اضطرابا في البناء النفسي للفرد خاصة في المرحلة الاوديبية . (L. Lesgourgues,1996, p 103.)

2.5 . تشكل الهوية وعلاقتها بالمتغيرات السوسوديموغرافية:

تمت العديد من الدراسات التي تناولت الهوية وكيفية تكوينها في ضوء الإطار الثقافي والاجتماعي الخاص بكل مجتمع . كر منها:

1.2.5 . دراسة ستارك و تراكسلر (Stark et Traxler (1974) : هدفت إلى دراسة هوية الأنا للتعرف على درجة نمو الهوية في المراهقة وذلك تبعا لمتغيري السن والجنس. تكونت عينة الدراسة من 193 طالب من طلاب السنوات النهائية بالجامعة تتراوح أعمارهم ما بين 21-24 عاما بالإضافة إلى 334 طالبا من طلاب السنوات الأولى بالجامعة تراوحت أعمارهم بين 17-20 عاما. خلصت الدراسة إلى أن طلاب السنة النهائية أقل تشتتا في هوية الأنا بصورة دالة بمقارنتهم بطلاب السنة الأولى مما يعني أن

هوية الأنا تتشكل في المراهقة المتأخرة. كما توصلت الدراسة إلى أن الإناث أكثر تحديدا للهوية من الذكور. (أبو بكر مرسي محمد مرسي، 1997، ص 328).

2.2.5 - دراسات عبد المعطي (1991،1993) : قام بدراسة لأثر التنشئة الأسرية على تشكيل الهوية لدى الشباب الجامعي على عينة من 265 فرادا من الجنسين. أشارت النتائج إلى وجود فروق بين رتب الهوية وأساليب المعاملة الوالدية، في حين لم تشر إلى فروق بين الجنسين في رتب الهوية. كما قام عام 1993 بدراسة أخرى عن بعض المتغيرات الأكاديمية المرتبطة بتشكيل الهوية لدى الشباب الجامعي وهي السنة الدراسية، التخصص، نظام الدراسة (وذلك على عينة قوامها 498 طالبا وطالبة)، ودلت النتائج على وجود نمط متتابع لرتب الهوية لدى طلاب الجامعة يسير من التشتت إلى الانغلاق في الاتجاه السلبي، ثم يتجه إلى تعليق الهوية وصولاً إلى الإنجاز أو تحقق الهوية في الاتجاه الإيجابي، ولم تجد الدراسة فروقا بين الجنسين في هذا الترتيب، ومع انتقال الطلاب من الفرقة الأولى إلى الرابعة تسير حال الهوية من التشتت إلى التحقق، كما لم تدل النتائج على وجود تأثيرات للتخصص الدراسي ونظام الدراسة. (عبير محمد حسين، 2003، ص 47).

3.2.5. دراسة ربيعة علاونة (2011): حول توزيع رتب الهوية لدى الشباب الجزائري، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة توزيع رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية لدى عينة من الشباب شملت العينة 310 فردا موزعين إلى ثلاث فئات اجتماعية عرقية من المجتمع الجزائري بنسب متقاربة (مجموعة العرب 124 فردا، القبائل 109 فردا، و مجموعة بني مزاب 77 فردا) ، جمعت بين الذكور و الإناث ويتراوح سنهم بين 25-30 سنة باعتبار هذه الفئة العمرية تندرج ضمن مرحلة الشباب. وهدفت كذلك إلى معرفة الفروق في رتب الهوية لديهم تبعا لمتغير السن. استخدمت في الدراسة المقياس الموضوعي لرتب الهوية (EOMEIS- 2). وأظهرت النتائج فيما يتعلق بتوزيع رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية أن نسب رتب الهوية منخفضة التحديد كانت الأعلى لدى كل أفراد الدراسة. كما أظهرت نتائج الدراسة أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير السن والذي قسم إلى فئتين (" 25-27، 28-30) على بعض أبعاد الهوية، فقد كانت هناك فروق فيما يتعلق بالهوية الإيديولوجية على مستوى رتبة التعليق لصالح مجموعة الأفراد الذي ن يتراوح أعمارهم ما بين 28 و 30 سنة أما بالنسبة للهوية الاجتماعية فكانت هناك فروق دالة على بعد التشتت لصالح المجموعة الأولى " 25-27 " في حين أنه لم توجد فروق دالة على مستوى باقي الأبعاد الإيديولوجية والاجتماعية. (ربيعة علاونة، 2011، ص 62 - 70).

4.2.5. دراسة خديجة بن فليس (2010) : هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أساليب تعامل المراهقين مع التدفق الإعلامي وأثرها على تشكل الهوية لديهم على عينة تم اختيارها بطريقة عرضية من بعض أقسام جامعة الحاج لخضر - باتنة - . بلغ حجم العينة 200 طالب جامعي موزعين على مختلف التخصصات العلمية والأدبية على مستوى كامل معاهد الجامعة. خلصت نتائج الدراسة إلى أن أغلب المراهقين

بغض النظر عن أساليب تعاملهم مع المحتوى الإعلامي المعروض مازالوا يتخبطون في أزمة هوية من خلال رتب الهوية لديهم إذ تراوحت بين التشتت والانغلاق والتعليق ، في حين أن نسبة قليلة تمكنت من الرقي إلى مرتبة إنجاز أو تحقيق الهوية وهي الفئة التي تتبنى أسلوب التحليل حسب ما أظهرته الفروق بين المتوسطات، مما يدل على فشل هؤلاء المراهقين في تحديد هوية معينة وذلك في غياب نموذج التوحد الذي يبدأ أساساً من الأسرة مع تعرض المراهق الدائم والمستمر لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها وكثرة المثيرات السمعية والبصرية من شأنه أن يشوش جهاز الاستقبال لديه فيصبح حساساً لكل ما له علاقة بهويته الحقيقية بما فيها من قيم واتجاهات ومضامين بمختلف أشكالها ويعتبرها ضرباً من ضروب الماضي الذي يجب تجاوزه وعدم الوقوف عنده وبالتالي يتعمق لديه مفهوم الإغتراب والشعور بعدم الإلتواء ما يدخله في الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية. (خديجة بن فليس، 2010، ص 70).

3.5. الهوية والصحة النفسية :

صبت بعض الدراسات اهتمامها على العلاقة بين مستويات الهوية لدى الفرد وبعض الاضطرابات النفسية في شكل القلق والاكتئاب مستخدمة مقاييس التوافق النفسي والاجتماعي أو الصحة النفسية. نذكر:

1.3.5 دراسة راسموسن Rasmussen (1961): والتي هدفت إلى الربط بين نظرية اريكسون للنمو النفسي الاجتماعي والاضطرابات السلوكية، و ذلك على عينة مؤلفة من 140 مجنأً 56 منهم يمتازون بالتكيف النفسي الاجتماعي، و 51 منهم كانوا أقل نجاحاً في الوصول إلى المحك الملائم للتكيف النفسي الاجتماعي، و 23 منهم فشلوا في التدريب وأنهيت خدمتهم بسبب الاضطرابات النفسية . ولقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن الأفراد الذين اتصفوا بالتكيف الاجتماعي أظهروا درجة مرضية من تشكل الهوية الذاتية بالمقارنة مع الأفراد الذين يعاون من اضطرابات سلوكية، بالإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الأفراد أظهروا درجة عالية من حل الأزمة المرتبطة بمرحلة الرشد المبكرة (الإحساس بالألفة مقابل الإحساس بالانعزال) بالمقارنة مع الأفراد الذين يعانون من أزمة في الهوية. (عبير محمد حسين، 2003، ص 52).

2.3.5 دراسة آدمز وآخرون: في دراسة لتشكل الهوية وعلاقتها بمراقبة الذات والتي تعني الاعتقاد بملاحظة الآخرين لفرد، وهي مؤشر للقلق الاجتماعي، أن الشباب المنجزين أقل مراقبة لذواتهم أي أقل تمركزاً حول الذات في المواقف الاجتماعية مما يعني تمتعهم بدرجات أعلى من الثقة في النفس ونضجا معرفياً اجتماعياً أكبر. (محمد السيد عبد الرحمن، 1998، ص 21).

3.3.5 في دراسة بوكين Bukin 1997: على عينة من 288 بين سن 35 و 55 من الأمهات القوقازيات المتعلّمات تعليماً جيداً من الطبقة المتوسطة وقد شملت العينة بعضاً من العاملات والغير عاملات، وذلك لمعرفة العلاقات بين رتب هوية الأنا والرضا عن الدور والصحة النفسية. وقد تبين من نتائج الدراسة أن الأمهات المحققات لرتب أكثر نضجا في هوية الأنا بهن أكثر صحة نفسية وأظهرت رضا عن أدوارهن بدرجة أكبر من الأمهات الأقل تحقيقاً لهوياتهن ممن في الترب الأخرى. وقد تبين كذلك

أن العمر المتقدم ونوعية الدور أكثر تأثيراً على الصحة النفسية من رتب هوية الأنا وذلك للمجموعتين العاملات والغير عاملات، إلا أن الوضع المهني لم يكن له علاقة بالصحة النفسية. (عبير محمد حسين، مرجع سابق، ص 53).

4.3.5. دراسة عبير محمد حسن عسيبي 2003: هدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين تشكل هوية الأنا ممثلة في الدرجات الخام لرتب الهوية (تحقيق، تعليق، انغلاق، تشتت) في مجالاتها المختلفة (الأبيولوجية، الاجتماعية، والكلية) والدرجات الخام لكل من مفهوم الذات والتوافق لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف. وللتحقق من ذلك قامت الباحثة بإجراء دراستها اعتماداً على المنهج الوصفي الارتباطي على عينة من 146 طالبة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف، وذلك باستخدام كل من مقياس الهوية الموضوعي و مقياس مفهوم أذات (الصيرفي، 1989) ومقياس التوافق. خلصت الدراسة إلى ارتباط درجات أبعاد التوافق بدرجات رتب هوية الأنا الأبيولوجية بطرق مختلفة، حيث ارتبطت أبعاد التوافق إيجاباً وبدلالة بتحقيق الهوية، وسلباً بدلالة في بعدين (التوافق الاجتماعي والعام) بدرجات تشتت هوية الأنا الأبيولوجية، واتجهت علاقة التوافق إلى الإيجابية وبدلالة في بعدين (الاجتماعي والعام) مع تعليق الهوية والى السلبية وبدلالة في بعد واحد التوافق الاجتماعي مع انغلاق الهوية. أما ارتباط درجات أبعاد التوافق مع درجات رتب الهوية الاجتماعية فتم كذلك بطرق مختلفة، حيث ارتبطت أبعاد التوافق إيجاباً وبدلالة بتحقيق الهوية وسلباً بدلالة في جميع الأبعاد بتشتت الهوية الاجتماعية. في حين اتجهت علاقة التوافق إلى الإيجابية وبدلالة في بعد التوافق الاجتماعي مع تعليق الهوية والى السلبية وبدلالة في بعدين (التوافق الاجتماعي والعام) مع انغلاق الهوية.

أما بالنسبة لدرجات الهوية الكلية فقد ارتبطت بدرجات أبعاد التوافق كذلك بطرق مختلفة، حيث ارتبطت أبعاد التوافق إيجاباً وبدلالة في بعدين و قريباً من الدلالة في البعد الثالث بتحقيق الهوية وسلباً بدلالة في بعدين (الاجتماعي والعام) بتشتت الهوية الكلية. في حين اتجهت علاقة التوافق إلى الإيجابية وبدلالة في بعدين (الاجتماعي والعام) مع تعليق الهوية والى السلبية وبدلالة في بعد واحد (التوافق الاجتماعي) مع انغلاق الهوية. (نفس المرجع، ص 86)

مما سبق يظهر بشكل عام اتجاه علاقة التوافق إلى الإيجابية بتحقيق الهوية والى السلبية بتشتت الهوية وذلك بدلالة في الغالب، وميلها إلى الضعف وعدم الدلالة بكل من تعليق وانغلاق الهوية .

5.3.5 . دراسة أبو بكر مرسي محمد مرسي 1988: هدفت إلى السعي للكشف عن القلق وعلاقته بتحديد الهوية لدى المراهقين المدخنين وغير المدخنين. تكونت العينة من 171 طالباً من الذكور ممن يدرسون بجامعة الزقازيق كان بينهم 64 مدخن و 125 غير مدخن. طبق عليهم مقياس القلق الصريح ل "تايلور" واستبيان هوية الأنا، و خلصت الدراسة إلى وجود ارتباط بين ارتفاع مستوى القلق وبين أزمة الهوية لدى الشباب. (أبو بكر مرسي محمد مرسي، مرجع سابق، ص 328).

6.3.5 . دراسة عبد الرقيب البحيري 1990: كانت تهدف إلى الكشف عن العلاقة بين هوية الأنا والقلق وتقدير الذات . تمت الدراسة على عينة من طلاب جامعة أسيوط مكونة من مجموعتين : الأولى ب 132 طالب طالبة من الصفوف الأولى والثانية ب 138 من الصفوف النهائية. خلصت الدراسة إلى وجود فروق في هوية الأنا وفقا للجنس والسن لصالح الفئة الأكبر سنا مع وجود ارتباط موجب مع درجات تقدير الذات وارتباط سالب مع درجات القلق.(ابو بكر مرسي محمد مرسي، نفس المرجع، ص 329).

7.3.5 . دراسة أبو بكر مرسي محمد مرسي 1997 : سعت هذه الدراسة لتبين إلى أي مدى تنتشر أزمة الهوية لدى الشباب من الجنسين وكذلك فحص العلاقة بين أزمة الهوية والاكئاب والفروق بين الجنسين في كل منهما. تكونت عينة الدراسة من 164 طالب وطالبة بجامعة الزقازيق تراوحت أعمارهم بين (21-24 عاما) بمتوسط عمري قدره (21.19 + 1.28). وباستخدام مقياس للاكتئاب واستبيان لهوية الأنا جاءت النتائج لتوضح أن نسبة 20.12 % من الطلبة يعانون من أزمة هوية . كما كشفت الدراسة عن وجود علاقة موجبة بين أزمة الهوية والاكئاب دالة عند مستوى دلالة 0.01 مع عدم وجود فروق بين الجنسين في درجة تحديد الهوية بينما توجد فروق لصالح الإناث في الاكتئاب.(أبو بكر مرسي محمد مرسي، نفس المرجع، ص 323).

4.5 التعليق على الدراسات السابقة:

أغلب الدراسات السابقة أوضحت أن كل من متغيري الدراسة الثقافة ورتب الهوية تؤثران على الجوانب النفسية و البدنية و الاجتماعية و أن عملية الثقافة لها علاقة بالإصابة ببعض الاضطرابات النفسية.

* التعليق على الدراسات المتعلقة بالثقافة:

- تعد ظاهرة الثقافة السمة المميزة للمجتمعات المعاصرة بامتياز في ظل اتجاه الأفراد في مجتمعات العالم الثالث إلى الارتباط بمثل ومعايير الثقافة الغربية. (مورفي 1962، طوالي 1982).
- أوضحت بعض الدراسات في المجتمع الغربي وجود فروق في عمليات الثقافة تعزى لمتغير السن ولصالح الإناث (سانغ قيمان 1997 وتونغ وديون 1994 SINGH GHUMAN AND TANG DION).
- بالرغم من اختلاف الأدوات المستعملة للحصول على البيانات والمعلومات، والاختلاف في عينات البحث من حيث الحجم ومن مختلف الأجناس البشرية في العالم. انفتحت جميع الدراسات التي تناولت عملية الثقافة في الأوساط الغربية على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين عملية الثقافة وظهور بعض الاضطرابات النفسية والاجتماعية كالقلق والاكئاب والإدمان والانحراف وحتى بعض الأمراض العضوية كاضطرابات القرحة وأمراض القلب.(طوالي 1982، هورنيسينا أماروه 1990 HORTENSIA, قافاريان (GHAFFARIAN, 1998)، دونا تشيلي (SHELLEY, 2004).

* على الدراسات المتعلقة بالهوية : تظهر نتائج الدراسات السابقة أهمية تشكل الهوية خلال مرحلة المراهقة ، وأن ذلك جانب محوري في النمو يؤثر ويتأثر بالعديد من جوانب الشخصية ويمكن تلخيص الاتجاه العام لما سبق عرضه فيما يلي:

1. تشير الدراسات السابقة إلى أن هوية الأنا تتطور في مرحلة المراهقة المتأخرة، فهي حصيللة تراكمية للمراحل الخمسة الأولى للنمو النفسي الاجتماعي.
 2. كما تشير الدراسات إجمالاً إلى ارتباط تشكل الهوية بمختلف المتغيرات فهي ثمرة لمتغيري النضج والعوامل الاجتماعية من جانب، وأيضاً لمتغير العوامل الشخصية والسلوكية وخاصة حل أزمتات النمو السابقة من جانب آخر، كما تشير إلى العلاقة القوية بينها وبين هذه المتغيرات. وقد أثبتت الدراسات أنه كلما تقدم الأفراد في مرحلة المراهقة فإنه ستنقل أعداد ذوي الهوية الأقل نضجاً (تشتت و انغلاق الهوية) وبالتالي يزيد عدد الأفراد ذوي الهوية الأكثر نضجاً (التعليق و الانجاز).
 3. هناك عدم اتساق في نتائج الدراسات بشأن الفروق بين الجنسين في هوية الأنا. فبينما أشارت دراسات إلى عدم وجود فروق بينهما في تحديد الهوية أشارت دراسات أخرى إلى أن الذكور أكثر تحديدا للهوية من الإناث وهذا ناتج عن لعناصر ثقافية متباينة من مجتمع إلى آخر نظراً لتنوع المعايير الثقافية والايديولوجية (ستارك و تراكسلر (1974) ، عبد المعطي (1991 ، 1993).
 4. تشير الدراسات على البيئة المحلية أن الشباب الجزائري يجد صعوبات بالغة في بناء هويته وتحقيق رتبة الانجاز نظراً لظروف التغير الاجتماعي التي يتخبط فيها. وهذا ما أشارت إليه كل من دراسة خديجة بن فليس (2010) وربيعة علاونة (2011).
 5. يرتبط تشكل الهوية تحديداً بمظاهر التوافق ومن ذلك مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي. وما يتبعه من مخرجات سلوكية حيث يميل المحققون إلى تحقيق ذواتهم وتكوين مشاعر ايجابية عنها وتحقيق درجة أعلى من التوافق على المستويات الشخصية والاجتماعية والعامية. في حين يميل المشتتون إلى التمركز في المراتب الدنيا و هي الانغلاق والتشتت، وخاصة هذه الأخيرة ، والى تكوين مفاهيم أكثر سلبية عن ذواتهم، كما يعانون من مستويات أعلى من الاضطرابات والقلق وسوء التوافق. وهذا ما تم تأكيديه في دراسات (، آدمز وجونز (1984) ، آدمز و آخرون (1979) ، ابو بكر مرسي محمد مرسي (1988 . 1997) ، عبد الرقيب البحيري (1990). عبير محمد حسن عسييري (2003). راسموسن Rasmussen (1961) ، بوكن Bukin (1997).
- الوسائل الإحصائية المستخدمة في الدراسات السابقة تتلاءم مع طبيعة بيانات الدراسة، أغلبها استخدم كل من الوسط الحسابي والتكرارات و النسب المئوية و معامل الارتباط لبيرسون و اختبار "ت" وقيم "ف" كما في دراسة (ربيعة علاونة 2011، عبير محمد حسن 2003) .

وعليه فإنه يمكن الانتهاء من الاستعراض السابق إلى القول بأن الاتجاه العام لنتائج الدراسات في مجال العلاقة بين تشكل الهوية والصحة النفسية يؤكد وجود علاقة بين المتغيرين وذلك في الاتجاه المتوقع حيث ترتبط الصحة النفسية إيجابا بتحقيق الهوية وسلبا بتشتت الهوية في حين يميل الأفراد في رتبتي التعليق والانغلاق إلى الوقوع في حالة وسط.

في ضوء ما سبق عرضه من الدراسات السابقة و مناقشة نتائجها، و استنادا إلى الإشكالية التي تمت صياغتها و التساؤلات التي حاول الباحث من خلالها الإجابة عليها فإنه تم اقتراح الفرضيات التي سيتم فحصها و التأكد من مدى تحققها.

6. فرضيات الدراسة:

في ضوء إشكالية الدراسة والإطار النظري للبحث واستنادا إلى أعمال كل من "كاميليري" و "جون بييري" و "نورالدين طوالي" وكذا ما أسفرت عنه العديد من الدراسات السابقة ونتائج الدراسة الاستطلاعية ، نسعى من خلال هذه الدراسة إلى التحقق من صحة الفرضيات التالية:

• الفرضية الأولى:

" تتوزع رتب الهوية الإيديولوجية والهوية الاجتماعية في أوساط الشباب الجزائري مع نسبة عالية لرتب معقلي الهوية (الخالصة و المنخفضة التحديد)".

• الفرضية الثانية :

" تتوزع استراتيجيات التثاقف في أوساط الشباب الجزائري مع نسبة عالية لاستراتيجيات التثاقف المنخفضة التحديد".

• الفرضية الثالثة:

"توجد علاقات ذات دلالة إحصائية بين كل من رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات التثاقف والشدة النفسية لدى الشباب الجزائري".

• الفرضية الرابعة:

"لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لكل من متغير الجنس أو السن أو المستوى التعليمي أو موقع السكن أو لغة الدراسة في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات التثاقف لدى الشباب الجزائري".

• الفرضية الخامسة:

"يوجد أثر دال إحصائيا لكل من استراتيجيات التثاقف ورتب الهوية الكلية على درجات الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري".

7. المفاهيم الإجرائية:

• 1.7 الثقافة :

الثقافة هو مجموعة الظواهر الناتجة عن التفاعل المباشر وغير مباشر، المستمر أو المتقطع بين مجموعتين من الأفراد ذوو ثقافات مختلفة ، الشيء الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات على الأنماط الثقافية البدائية لأحدى المجموعتين أو لكل يهما. هذا التعريف يتماشى مع التعريف الكلاسيكي لعملية الثقافة ويأخذ بعين الاعتبار ملاحظات "كاميليري" بالإشارة إلى عملية التفاعل غير مباشرة. نعرف الثقافة إجرائيا في هذه الدراسة على أنه: " مقدار الدرجة التي يحصل عليها الفرد بعد إجابته على فقرات مقياس استراتيجيات الثقافة علما إننا نحكم على الفرد أنه يتبع إستراتيجية ثقافية ما إذا كانت درجته أكبر من الدرجة الفاصلة على إحدى استراتيجيات الثقافة الأربعة التي يحددها المقياس على الأقل".

• 2.7 الهوية:

يقصد بهوية الأنا تحديد الفرد من يكون وما سيكونه في المستقبل. وهي صورة ذاتية معقدة تتطور من خلال التفاعل الاجتماعي، وينطوي تكوين الهوية على الإحساس باستمرار الكيان الداخلي (الذات) مضافا إلى ذلك التوحد مع المحددات الاجتماعية لجماعة الانتماء ، وهذا يعني أن الفرد يعيش ليحقق توقعاته لنفسه وتوقعات المجتمع أيضا .

إجرائيا وبناء على ذلك دليل المقياس الموضوعي للهوية الذي أعده آدمز ومعاونيه، فإننا نشير إلى أن الأنا تشمل مجالين هما هوية الأنا الأيدولوجية وهوية الأنا الاجتماعية أو العلاقات المتبادلة. ويتحدد تشكل هوية الأنا في المجالين السابقين من خلال تحديد أربع رتب للهوية تعتمد على ظهور أو غياب معيارين هما أزمة هوية الأنا من جانب والالتزام من جانب آخر. هذه الرتب هي: رتبة الإنجاز ، التعليق ، الانغلاق ، التشتت . نعرف الهوية إجرائيا في هذه الدراسة على أنها: " مقدار الدرجة التي يحصل عليها الفرد بعد إجابته على كل فقرات المقياس الموضوعي للهوية علما إننا نحكم على الفرد أنه يصنف ضمن رتبة ما من رتب الهوية إذا كانت درجته أكبر من الدرجة الفاصلة على إحدى رتب الهوية الأيدولوجية أو الاجتماعية التي يحددها المقياس على الأقل".

• 3.7 الشدة النفسية أو خطر اضطراب الصحة النفسية:

يلجأ الفرد في وضعيات الشدة النفسية إلى أسلوب من أساليب التكيف لإزالة توتره وحل صراعاته ، لكن إذا فشلت في حل الصراع يصبح الفرد عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية التي قد تصل إلى مستوى المرض النفسي أو العقلي إذا أصبحت حادة ومزمنة ومركبة لدى الشخص. نعرف الشدة النفسية إجرائيا في هذه الدراسة على أنها: "تمثل الدرجات العالية التي يحصل عليها الفرد بعد إجابته على بنود مقياس الشدة النفسية لكيسلر (k10) علما أن الدرجة الكلية للمقياس تساوي مجموع الدرجات على جميع بنود المقياس".

• 4.7 فتوة الشباب:

الشباب هي الفترة الزمنية بين مرحلة الطفولة والرشد، من خلالها يتحقق النضج الجسمي والنفسي والانفعالي والاجتماعي للفرد ، تمتد من بدء البلوغ وظهور أولى علاماته إلى زواج الشخص وتحمله المسؤولية كفرد راشد وناضج ، يحددها الباحث المصري إقبال الأمير السمالوطي في أبحاثه ما بين 15 و30 سنة ، يتفق هذا التحديد مع أهداف هذا البحث الذي سنأخذ فيه التحديد الزمني لفترة الشباب من 15 إلى 30 سنة كتحديد إجرائي لهذه المرحلة.

الفصل الثاني:

أسس مفاهيمية

1. الثقافة، التثقيف، تداخل الثقافات، علم النفس ما بين الثقافات:

1.1 مفهوم الثقافة

2.1 التثقيف والتنشئة الاجتماعية

3.1 ظاهرة تداخل وتفاعل الثقافات

4.1 الثقافة، علم النفس وعلم النفس ما بين الثقافات

2. المقاربات المفاهيمية والنظرية للهوية

1.2 المقاربات المفاهيمية للهوية

2.2 مفاهيم متعلقة بالهوية

3.2 النظريات المفسرة للهوية

4.2 بناء الهوية

5.2 إشكالية الهوية والثقافة

3. العولمة والثقافة وإشكالية الهوية والآخر

1.3 مفهوم العولمة

2.3 العولمة والمشكلة الثقافية

3.3 العولمة وإشكالية الهوية والآخر

4.3 العولمة والدولة

4. الشباب في ظل العولمة

1.4 مفهوم مرحلة الشباب

2.4 النمو الانفعالي والاجتماعي للشباب

3.4 بيئة الشباب العربي والجزائري

4.4 المراهقة، الشباب والاضطرابات النفسية

لا أحد يجادل في قيمة المفاهيم الإجرائية بالنسبة لتحليل الوقائع النفسية والاجتماعية، فهي التي تسمح بإعطاء معنى لهاته الوقائع والعلاقات القائمة في إطارها. غير أن هذه المفاهيم ، ورغم ضرورتها بالنسبة لمقاربة النظريات النفسية والوقائع الاجتماعية ، يمكنها أن تكون سلبية حينما تعمل على حصر هذا الواقع ضمن تمثلات تهدف إلى تجميده وجعله ساكنا. لذلك سننطلق من حقيقة علمية مفادها أن المفاهيم المؤقتة ودلالاتها تظل نسبية لأنه ليس بإمكانها في الحقيقة أن تشمل أو تختزل التجربة النفسية اللامتناهية والمتنوعة.

وسنعمل في هذا الفصل على تحديد بعض المفاهيم التي سنعتمد عليها في هذه الدراسة والمتعلقة بكل من الثقافة والهوية والعولمة بالإضافة إلى مرحلة الشباب وخصائصها .

1. الثقافة:

تعتبر الثقافة من أكثر الموضوعات الإنسانية تعددا وثراء من حيث التناول، فلقد كانت موضوع اهتمام السوسيولوجيين والانثربولوجيين منذ القرن الثامن عشرة مما سمح بتراكم معلومات غزيرة وتعريفات متنوعة ساعدت على فهم الواقع الاجتماعي بعاداته ونظمه وتقاليده فهما مميذا. هذا ما مهد لنا الطريق للفهم الجيد للتركيبية النفسية للفرد من خلال فهم تنشئته الاجتماعية والثقافية، لذلك يظل مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم عرضة للمساءلة والتقصي لما يكتسبه من أهمية كموضوع حيوي للدراسات العلمية والنفسية والاجتماعية عموما وفي الانثربولوجيا خصوصا.

1.1 مفهوم الثقافة:

يشير كلود ليفي ستروس 1974 C.L. STRAUSS بهذا الصدد إلى أن مصطلح "ثقافة" أثار جدلا حاميا بين الانثربولوجيين الأمريكيين والانجليز، وأن هذا الجدل لم يحسم بعد : فلقد تساءل "راد كليف براون" عما إذا لم يكن ارتكاز الانثربولوجيين الأمريكيين على دراسة الثقافة نوعا من تشيء ما هو مجرد؟ إذ لا توجد كائنات أخرى خارج الكائنات البشرية مرتبطة في ما بينها بسلسلة من العلاقات الاجتماعية في إطار نظام ثقافي موحد. هذا وقد اعتبر لوي 1974 LOWIE: "أن هذه المسألة مغلوطة من أساسها، وهو ما لا يمكن تدعيمه ما دام الجدل في هذه القضية مستمر". وبالفعل ما زال هذا المصطلح يثير ردود أفعال متباينة ضمن هذه اللغة أو تلك، حيث يشير جي روشي Guy Rocher 1970 إلى أن المعنى الذي اكتسبه مفهوم الثقافة حاليا لم يجد بعد القبول والاعتراف الكافيين في اللغة الفرنسية، نفس الملاحظة تنطبق على لغتنا العربية التي ترتبط فيها لفظة "ثقافة" بشؤون الفكر عامة، فمعناها عند العرب قديما : الحدق والذكاء وسرعة الفهم ، فهي بهذا خصلة عقلية وليست مفهوما مجردا، الشيء الذي يؤكد المعنى الاشتقائي للكلمة حيث يقال ثقف الولد أي بمعنى أصبح حاذقا. لقد كان من اللازم انتظار احتكاك اللغة العربية باللغات الأخرى، وخاصة اللغتين الفرنسية والانجليزية، لتأخذ كلمة الثقافة في عصرنا الحالي معنى موسعا تشير من خلاله إلى مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن الفرد من تنمية روح النقد والقدرة على

الحكم وكذا إلى مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وأعراف وأخلاق مع ما قد يضاف إلى ذلك كله أدوات العمل والإنتاج (عزالدين الخطابي 2001، ص 20).

أولى الصياغات العلمية لتعريف الثقافة هي التي أوردها الانثربولوجي الأمريكي تايلور الذي عرفها بأنها: "ذلك الكل المركب المشتمل على المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والعادات وكل القدرات والخصال التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع" (توبسن ميشال وآخرون، 1998، ص 37)، يعتبر هذا التعريف بمثابة القاعدة التي اعتمد عليها الباحثون اللاحقون في تحديدهم لمعنى الثقافة بعناصرها ومظاهرها، فبدلوا وعدلوا وأضافوا عناصر جديدة لهذا التعريف. يعرفها مالينوسكي B.MALINOWSKI (1884-1942) بأنها: "تمثل نظاماً تكون عناصره متضامنة ومرتبطة فيما بينها، حيث يكون لكل عنصر دوراً معين في السير العام لهذا النظام مما يتطلب دراسة جميع العناصر المتفاعلة لمحاولة فهم ومعرفة دلالاتها الثقافية" (السويدي محمد، 1991، ص 50)، كما تعرفها زهرة قراوي وتروداك Z. GUERRAOUI et B.TROADEC 2000: «بأنها العناية المقدمة لروح الإنسان ليتطور ويرتقي بواسطة التعليم والمعرفة المقدمة من طرف العديد من الأوساط التي ينمو فيها: العائلة والمدرسة والمجتمع" (Z. GUERRAOUI, B.TROADEC, 2000, p 10). فالثقافة إذن هي ذلك المكسب الإنساني وهي ظاهرة عامة وشاملة فلا وجود لشعب متقف وآخر غير متقف غير أن هذا لا يعني نفي الخصوصية الثقافية (MAGHREBLA, 1986, p32).

كما يشير عزالدين الخطابي إلى أنه يمكننا أن نعرف الثقافة بكونها مجموع الإنتاج الفكري بالمعنى الواسع لكلمة فكر، وهو ما يسمح لنا بالنظر إلى الثقافة من ثلاث زوايا مختلفة هي الزاوية الفردية والمجتمعية والإنسانية العامة. فعلى المستوى الفردي تعني الثقافة تمثل الفرد للإنتاج الفكري المتداول أو لأي جزء من أجزائه والمشاركة في أغنائه وإثرائه، أما على المستوى المجتمعي ينظر إليها على أنها ظاهرة تعكس واقع المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد وتعبّر عن وضعيته وحركيته وعن العلاقات القائمة بين أفرادها والجماعات المكون له، أما على المستوى الإنساني فهي تعني مجموع الأعمال الفكرية والفنية الخالدة التي تعبّر عن مواقف الإنسان إزاء نفسه ومصيره وإزاء مجتمعه والآخرين، لهذا فإن مثل هذه الأعمال تتجاوز الإطار المحلي لتصبح شاملة وعالمية. (عزالدين الخطابي، مرجع سابق، ص 21).

وللربط بين الثقافة والحضارة نجد العالم الألماني ألفرد فيبر يشير إلى أن: " مفهوم الحضارة يشمل كل المعارف التقنية والعلمية والإمكانيات التي تقدم من أجل السيطرة على قوى الطبيعة، أما الثقافة فتتضمن المكتسبات الفنية والدينية والفلسفية وكل ما يرتبط بها داخل مجتمع معين". هذا التمييز لم يحظ باتفاق كل الباحثين في هذا المجال، بل رفض العديد منهم إقرار هذا الحد الفاصل بينهما لأن معناهما متداخلان ومتلازمين، فكلمة حضارة يمكن أن تشير إلى مجموعة ثقافات قائمة بذاتها وترتبطها عوامل أو أصول مشتركة، فنحن لما نتكلم عن الحضارة الإسلامية كمثال ندرك أننا بصدد تناول حضارة تتضمن العديد من

الثقافات المحلية الخاصة بكل جماعة من الجماعات المكونة لها : كالثقافة الجزائرية أو المغربية أو العراقية... الخ. (نفس المرجع، ص 24).

ونخلص في الأخير إلى القول بأن الثقافة هي ذلك المجال الذهني والأخلاقي والرمزي المشترك بين أعضاء الجماعة، والذي تحصل بفضل عمليات التواصل والتعارف والترابط وتبادل المصالح وكذا عمليات التعارض والاختلاف . فمن خلال الثقافة يشعر الأفراد فرادى وجماعات بأنهم منتمون إلى وحدة تتجاوزهم وتأخذ اسم مجموعة رجعية أو جماعة أو مجتمع ما . فالثقافة إذن هي نتاج إنساني بفضلها يستفيد الإنسان من المكتسبات المتراكمة عبر الأجيال في شكل قيم ورموز وأنماط حياة اجتماعية، فهي فعل مكتسب تحصل بالتعلم ويتداول أفراد الجماعة لها. وإذا كان مفهوم الثقافة تعرض لكل هذا الجدل لتحديد أبعاده ومحدداته، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو: كيف يتم ضبط عملية الانتقال الثقافي إلى الأجيال الصاعدة؟ وكيف يحصل إدماج أو رفض عنصر أو عناصر ثقافية جديدة؟ للإجابة على هذه التساؤلات نؤكد على أهمية الإشارة إلى بعض المفاهيم المرتبطة بالثقافة وعملية اكتسابها كعملية التنقيف و التنشئة الاجتماعية و ظاهرة تبادل الثقافات.

2.1 التنقيف والتنشئة الاجتماعية:

نقصد بالتنقيف عملية التهذيب الذي تخص سنوات التنقيف الأولى للطفل مع معايير وقيم مجتمعه بهدف نقل ثقافة الراشدين إلى الأجيال اللاحقة، يعرف قيلارد A GAILLARD عملية التنقيف على أنها: "العملية التي بواسطتها تتم عملية نقل القيم والمعايير الثقافية في مجتمع ما من البالغين إلى أطفالهم ، هذه القيم والمعايير هي التي ستسمح لهم بالعيش والتطور بشكل جيد وصحي في المجتمع المحلي" (A GAILLARD, 2006, P 16). كما يرى داسن 1993 Dasen أن هذه العملية: "تعبّر عن كل ما تعلمه الفرد خلال حياته من خلال ما هو متاح في محيطه البيئي والجماعي والثقافي". Z. GUERRAOU, (B.TROADEC, 2000, p 12)

أما بالنسبة لسبيندler Spindler وهويسكوفيتش Herskovits فإن عملية التنقيف تتضمن معنيين أحدهما موسع والآخر مقصور، المعنى الأول وهو من اقتراح سبيندler يشير إلى أنها: "عملية يحصل الفرد من خلالها على ثقافة مجموعته أو طبقتة أو مجتمعه، هذه العملية محددة باكتساب نماذج السلوك بما فيها اللغة وما وراء اللغة والعادات والتقاليد والقيم والأدوار وكل الظواهر الأخرى من هذا القبيل" ، أما المعنى الثاني وهو من اقتراح هرسكوفيتش مفاده: " أن تنقيف الفرد في السنوات الأولى من حياته عملية أولية تساهم في خلق الاستقرار الثقافي في حين أن تأثير هذه العملية على الكبار يشكل عنصرا هاما في تغيير مواقفهم وسلوكياتهم ، لهذا فإن عملية التنقيف بالنسبة للراشد تعتبر منتهية اللهم في الحالات التي يكون فيها هذا الأخير مطالبا بردود أفعال تجاه أوضاع جديدة" (عزالدين الخطابي ، مرجع سابق، ص28). إن هذه التعريفات تتقاطع من حيث دلالاتها مع مفهوم التنشئة الاجتماعية التي ليست شيئا آخر سوى تلك العملية التي يكتسب من خلالها الفرد قيم ورموز ومعارف وعادات اجتماعية بحيث تصبح في مجملها

جزءاً لا يتجزأ من شخصيته وتسمح له بالتكيف الاجتماعي، ولرسم حدود فاصلة بين هذين المفهومين يرى هيرسكوفيتش أن عملية التنقيف أو التنشئة الثقافية تعني التجربة التعليمية التي تفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى والتي تجعل الإنسان، عن طريق التعلم والمران، حاملاً للثقافة التي يعيش فيها بينما تستخدم التنشئة الاجتماعية للدلالة على العمليات النفسية والاجتماعية التي تكتنف عملية التنشئة الاجتماعية بمعنى عملية مران الفرد على السلوك الاجتماعي وتمرنه عليه. لهذا تكون عملية التنشئة الاجتماعية محصورة على الأطفال وتمرينهم على السلوكات السائدة في المجتمع في حين أن عملية التنقيف قد تمس الراشدين أيضاً بالإضافة إلى الأطفال أي تشمل كل الذين يطمحون إلى التمرن على أنماط ثقافية جديدة أو يريدون تعلمها وممارستها بشكل من الأشكال. (بن نعمان أحمد، 1998، ص 57) من الممكن طرح ظاهرة التنقيف كموضوع في إطار "ديناميكية الشخصية" مما يسمح بإعطاء حيز أكبر للاختيارات الواعية للفرد الواقع تحت تأثيرات العوامل الخارجية عليه بموازاة تأثير التعلم والعناصر البنائية لشخصيته: "هذه الديناميكية تسمح بانفتاح الشخصية على الآخرين بدل عزلتها مما يساعد الفرد على التغيير والتطور والاختيار بدل التعامل بسلبية مع معطيات واقعه ومع النماذج الثقافية السائدة، ويمكن لهذه الحالة أن تمتد حتى إلى داخل المجتمعات التقليدية نفسها حيث تكون عملية التنقيف موجهة نحو الداخل ومرتكزة على فكرة المحافظة والتكرار، إذ أن باستطاعة الفرد التوجه نحو الآخرين واستلهاهم نماذجها الثقافية من العالم الخارجي وليس من الدائرة المغلقة والضيقة للأسرة (عزالدين الخطابي، مرجع سابق، ص 29)، فالتنقيف إذن هو تلك العملية التي تنتقل من خلالها ثقافة المجتمع من الأصول إلى الأبناء من أجل الحفاظ على استمرارية المجتمع وعلى نماذجها الثقافية.

3.1 ظاهرة تداخل وتفاعل الثقافات:

إن ديناميكية العلاقة بين الثقافات تسمح لنا بالحديث عن ظاهرة تداخل الثقافات التي ساهمت بسهولة انتشار وسائل الاتصال الجماهيري والتزاوج بين العديد من الأنماط الثقافية المتنوعة والمختلفة بظهورها سواء تم هذا الاتصال عن طريق التفاعل المباشر والمتواصل بين ثقافات مختلفة كحال المجتمعات المستعمرة سابقاً وحال المهاجرين إلى الدول الأجنبية: مثل الطلبة و اللاجئين إلى البلدان الأوروبية وأمريكا الشمالية في الزمن الحالي، بحيث قد يكون هذا الاتصال محدوداً وجزئياً في شكل عملية تبادل عفوي لبعض العادات والتقاليد والأفكار التي تميز الثقافتين أو يكون شاملاً بحيث يغطي معظم جوانب الحياة مما يحدث نوعاً من التداخل العميق بين الثقافتين يصل في درجة تفاعله إلى حد إحداث نوع من التغيير في البناء الثقافي العام لهذا المجتمع. (بن نعمان أحمد، مرجع سابق، ص 45)، أو عن طريق الاتصال الغير مباشر تحت تأثير وسائل الإعلام والاتصال والانترنت وما توفره من سهولة بث وانتشار رموز وقيم ثقافات مختلفة في مقابل ثقافة الأفراد الأصلية، هذا الاتصال والالتقاء يخلق وضعية تداخل بين معايير وقيم ثقافات متعددة في آن واحد مما يسمح بإثارة الصراع بين النموذجين التقليدي الموروث والنموذج الحديث المنافس. يشير جان بوري J. Poirier إلى أن هذا التداخل هو عملية نتجت عن

مصدرين متناقضين، أحدهما محلي ويمثل التقاليد والآخر خارجي ويمثل الحداثة . لهذا فان نسق القيم سيتميز بطابع ثنائي كما أن اختيار أحد النموذجين دون الآخر يبدو من الأمور المستحيلة، ويؤكد عزالدين الخطابي هذا الأمر عندما يشير إلى أن عملية الاندماج الاجتماعي لا يمكن أن تتم بدون اصطدام قائلًا: "كلما كان شكل ثقافة ما غريبًا كلما كان قبوله صعبًا، لكن هذا لا يعني رفضه بالمرّة، كل ما هنالك أنه يقبل كحاكاة أو إضافة وليس كتعويض أو بديل". (عزالدين الخطابي ، مرجع سابق، ص 26). وباختصار فإن هذا الشكل الثقافي يبقى عائمًا فوق السطح ومتواجداً بالمحيط فقط، ويمكننا النظر إلى هذا التعارض بين الأنساق الثقافية عبر زاويتين: زاوية التكيف والاندماج وزاوية المقاومة والثورة مما يسمح لنا ، حسب، بفهم كيفية تمكن نموذج ثقافي تقليدي مثلاً امتلاك عناصر جديدة بعد إعادة تأويلها أو إعادة تشكيلها حسب معاييرها الثقافية الخاصة، فهذه التحولات تخضع للضبط على مستوى العناصر الداخلية للثقافة المتلقية للتخفيف من حدة التغيير على مستوى الممارسة الاجتماعية في إطار عمليات تكيف اجتماعية وخلق نوع من التناسق بين مختلف العناصر المادية والغير مادية لثقافة ما وتحقيق عملية إدماج ناجحة للعناصر الوافدة .

هذا التداخل والاندماج الثقافي أو بعبارة أوسع تداخل الحضارات يفرض عملية ديناميكية ومستمرة بين رموز مختلف هذه الثقافات المتنافسة في إطار عملية التفاعل الثقافي، الذي يشير إليه الباحث الجزائري نورالدين طوالي في كتابه: (الدين ، الطقوس والتغيرات) عندما يتطرق إلى التشابك المستمر والدينامي بين ثقافتين متنافستين يجابه فيها الفرد منهجين متناقضين من القيم والمعايير المتفاعلة تدفع به إلى ولوج أولى الخطوات على طريق عملية التثاقف (نورالدين طوالي ، 1988، ص30).

4.1 الثقافة وعلم النفس: علم النفس ما بين الثقافات

عرف مصطلح ما بين الثقافات انتشارا واسعا في العشرينين الأخيرتين في حين مازال تحديد مفهومه غامضا ومبهما، فتحديد مفهوم علم النفس ما بين الثقافات ونظرياته ومنهجيته هي مغامرة ابيستيمولوجية غير بعيدة عن الخطورة لان التغيرات التي تحدث في الوضعيات الثقافية تلزم الفرد الاجتماعي على إعادة النظر في كل المبادئ والايديولوجيات المطلقة وحتى في الطرق الكلاسيكية للبحث العلمي. لذلك نجد أن هذا الميدان يدعو جميع علماء النفس إلى إعادة النظر في إشكالية الاختلاف الثقافي بعيدا عن المقاربات أحادية البعد والاتجاه.

تعود جذور ظهوره إلى النجاح الكبير لمسرحية الكاتب الانجليزي العالمي إسرائيل زنقويل 1908 المعنونة بعنوان: " le melting- pot " التي كانت تهدف إلى إظهار ايجابيات التعدد الاثني والعرق في المجتمع الأمريكي، هذه الاثنيات العرقية التي توحدت وأعطت ميلاد عرق جديد هو "الفرد الأمريكي الجديد" الذي يعرف على أنه ذلك المهاجر الذي استطاع أن يحقق الاستيعاب والتشابه والتماثل الأمتل في المجتمع الأمريكي، إن مصطلح "le melting- pot" مع العديد من الأبحاث في هذا المجال، مهد الطريق لظهور مفردات جديدة في علم النفس كمفهوم التعدد الثقافي " multiculturalism " الذي يشير إلى

مجتمعات تحوي بداخلها هجين من الثقافات المتعددة وهذا هو حال العديد من المجتمعات الأمريكية والأوروبية في العصر الحاضر، نتيجة لهذا الثراء في المفردات و للانتشار الصارخ للعولمة خاصة في شرقها الثقافي انتشر مصطلح ما بين الثقافات كمفهوم يرفض كل أشكال الخطاب والتفكير الأحادي . (S.HIJAZI, 2005, P103).

ترجع أولى المحاولات الجادة للربط بين علم النفس والثقافة إلى سنوات الثلاثينات أين اتجه الأنثربولوجيون الأمريكيون إلى خلق مقاربة بين الثقافة والنفس ، ولتحقيق ذلك ركزوا على مدرسة " الثقافة والشخصية" التي كانت تهدف إلى تحديد الآثار النفسية للثقافة في صقل وتكوين الأفراد الاجتماعيين بعد إرثهم لهذه المدرسة بمبادئ وأسس علم النفس ومدرسة التحليل النفسي، لقد أكد علماء هذه المدرسة في أبحاثهم على حقيقة الارتباط بين الثقافة ونمط الشخصية أين أشاروا في بداية الأمر على أنه ارتباط أحادي الجانب بمعنى أن الشخصية هي نتاج الصقل والتكوين الثقافي فقط إلى أن ظهر الاتجاه النسبي مع مجموعة من الباحثين الذين أثبتوا عكس ذلك بمعنى أن الفرد الاجتماعي يتفاعل مع محيطه الخارجي ويساهم في تطور ثقافته أثناء عملية الانتقال الثقافي من جيل لآخر.

خلصت مارغريت ماد 1901- 1978 من خلال أبحاثها حول الثقافة والشخصية إلى ربط بعض الخصائص النفسية للأفراد بالمجال الثقافي، كما أكدت على أهمية معرفة الثقافات الإنسانية من داخلها لتحقيق فهم أكبر لمنطق هذه الثقافات ولسلوكات أفرادها في ظل استحالة دراسة شخصياتهم بعيدا عن تناولها في السياق الثقافي والاجتماعي لجماعاتهم المرجعية (Ibid, P 113) ، ويؤكد بينديك ذلك من خلال قوله: "كل ثقافة تحتوي نمط شخصية سائد وخاص يتميز بخصائص هذه الثقافة"، فكل فرد يملك عند ولادته إمكانيات وقدرات مختلفة يقوم المحيط الخارجي بتنمية بعض منها وتقديم أنماط سلوكية ومعايير يتحتم على الفرد أن يتقيد بها لكي يتكيف مع نمط معيشة جماعته، وفي تحليله لأنماط الثقافة يضيف: "أن الفرد خلال حياته يخضع للأنماط والقواعد السائدة في مجتمعه والتي توجه إلى حد بعيد خبراته وسلوكاته"، فهذه العملية تترك بصمات عميقة في شخصية الفرد ودليل ذلك أن الفرد الأجنبي عن مجتمع ما لا يحقق نفس الفهم لقيم ومعايير مجتمع ما مثل الأفراد الأصليين (GAILLARD.A, op.cit, P 14). نفس الشيء أكده دونيس جود لفي في كتابه: " الثقافة والممارسة الصحية" من خلال تأكيده على أهمية البعد الثقافي في فهم الأبعاد الاجتماعية للصحة النفسية . هذا البعد ؛ الذي يعتبر قلب الدراسات الانثربولوجية والاجتماعية والنفسية؛ تركزت حوله أولى الأبحاث الإنسانية حول ثنائية " الصحة والمرض" والتي تهدف إلى رفع الغموض الذي يكتنف هذه الثنائية والمساهمة في فهم المعوقات المرتبطة بالوقاية والحفاظ على التوازن الصحي والنفسي للأفراد. (D.JODELET, 2006, P 226)

وعلى العموم نجد أن الثقافة تشكل مصدرا هاما من مصادر احترام الذات وعاملا مهما من العوامل المحددة للهوية الفردية والجماعية ، لهذا السبب فان كل تهديد للتوازن الثقافي هو تهديد للأمن النفسي والتوازن الشخصي لأفراد تلك الثقافة، بمعنى أن تجاوز قيم ومعايير ثقافة ما يمثل اعتداء على عامل هام

من عوامل التوازن النفسي والاجتماعي للفرد وللجماعات التي تتخذ من هذه الثقافة عنوانا لهويتها ولكيانها. وهذا ما يؤكد تاريخ الحركات الاجتماعية من أن المجموعات الإنسانية تنتفض ضد العدوان على الثقافة والهوية الوطنية أكثر مما تنتفض ضد الظلم الاجتماعي والقهر الاقتصادي لأن هذا العدوان على الثقافة يولد صراعات نفسية عند الفرد تتحول مع الزمن إلى اتجاهات من التعصب والعدوان (حماني أفلي، 2006، ص 56) ، هذه الانحرافات، نضيف إليها بعض الاضطرابات النفسية لا يمكننا فهمها إلا في إطار محيطها الاجتماعي العام ومن خلال الثقافة السائدة في هذا المحيط، ويؤكد مورفي ذلك قائلا: " إن الفهم الحقيقي للاضطرابات النفسية لا يتم إلا من خلال الثقافة وهذا بفهم المعاني السسيوتقافية للأعراض المرضية بالإضافة إلى إدراك أثر بعض العوامل الثقافية والاجتماعية في ظهورها". (TOUSIGNANT.M, 1992, P 203)

تعددت المقاربات النظرية التي تناولت العلاقة بين النفس والثقافة بتعدد أهدافها ومنهجياتها، يحددها كاميليري وفينسونو 1996 وداسن 2000 في ثلاث مجموعات . وهي:

- 1 -الدراسات التي تدرس العلاقة بين النفس والثقافة في نفس الثقافة بالتركيز على تأثير الثقافة على النفس، يطلق عليها تسمية علم النفس الثقافي الأحادي (psychologie monoculturelle)
- 2 -الدراسات التي تركز على عملية التثاقف بين عدة ثقافات، يطلق عليها اسم علم النفس المتعدد الثقافات المقارن psychologie pluriculturelle comparative تركز على العمليات النفسية للفرد عندما يواجه أنظمة ثقافية متعددة من خلال الهجرة والاستعمار . في هذه الدراسات يشير العديد من الباحثين (بيري وكاميليري وتروداك وقرأوي...) إلى وجوب الاعتماد على المنهجية المقارنة لدراسة هذه الوضعية المتعددة الثقافات وآثارها النفسية.
- 3 - الدراسات التي تتحدد من خلال المقارنات بين عدة ثقافات: علم النفس ما بين الثقافات ، وهي تركز على دراسة عمليات التفاعل ونتائجها بين أفراد وجماعات ينهلون من ثقافات مختلفة في آن واحد " التعدد الثقافي في المجتمعات المعاصرة"، بمعنى دراسة نفسية الفرد الذي يواجه عدة أنظمة ورموز ثقافية في آن واحد. (A. JUMAGELDINOV, 2009, p 71).

في النهاية فان جميع هذه المقاربات تهدف بالأساس إلى معرفة العلاقة بين النفس والثقافة سواء في شكلها الأحادي أو المتعدد (بالمقارنة بين الثقافات) للوصول إلى نتائج عامة يمكننا من خلالها معرفة الحقيقة الفعلية لطبيعة هذه العلاقة ونتائجها.

ولكي نكون متابعين لحركية العولمة والتغيرات السسيوتقافية الناتجة عنها، نجد أن علم النفس الكلاسيكي كعلم يهتم بدراسة العمليات النفسية الداخلية لدى الأفراد شهد ظهور مقاربة جديدة تركز على مفهومي التعدد الثقافي وما بين الثقافات لفهم السلوك العام، تتمثل في: "علم النفس ما بين الثقافات"، هذه المقاربة توفر للباحثين في علم النفس ميدان خصب وفضاء خاص فيه تلتقي مختلف وجهات النظر

النفسية مع مثيلاتها الاجتماعية والانثروبولوجية والاثنية، لتحقيق فهم أحسن وأشمل للمعاني الضمنية لسلوكات الأفراد الاجتماعيين ولأنماط تفكيرهم.

ظهر مصطلح " ما بين الثقافات " بالشكل الحديث لأول مرة في مقال ل مبودج Mbodj 1982 بحيث عرفه بأنه : " التوازن الديناميكي بين التنقيف الثقافي " إذن أن ظاهرة ما بين الثقافات تنتج من العمليتين التعليميتين التنقيف والثقاف. (Z. GUERRAOU, B.TROADEC, op.cit , p 18)

من أعلام هذا العلم في فرنسا نذكر كل من (كليني وكاميليري وفينسونو ودينوي...)، ويهتم هذا العلم بدراسة العلاقة بين الثقافة وعلم النفس، بالفردانية أو الاختلاف للنوع الإنساني، بالعالمية أو النسبية للبنية النفسية وكذا إشكالية العلاقة مع الآخر. كما يدرس علم النفس ما بين الثقافات العمليات النفسية في سياقها الثقافي، فهو يجمع بين ما أطلق عليه جون بيري J.Berry 1994 علم النفس الثقافي الذي يهتم بدراسة الارتباط بين التماسك الثقافي الوطني والمتغيرات النفسية، وعلم النفس الاتني الذي بدوره يهتم بدراسة العلاقة بين المتغيرات النفسية والانتماء إلى جماعة أثنية ثقافية خاصة في دولة ما. يعرفها جون بيري وكول J.Berry et Coll 1997 بأنها : "الدراسة المنظمة للعلاقات بين السياقات الثقافية للنمو الإنساني والسلوكات المحينة بالتدرج لدى الفرد الذي يعيش في ثقافة خاصة به" . (A. JUMAGELDINOV, op.cit , p 72).

2. الهوية : مقارنة مفاهيمية ونظرية

يعتبر موضوع الهوية من المواضيع الهامة والقديمة تناول في علم النفس، يعود الاهتمام بدراسته في الأساس إلى مختلف الاتجاهات في التحليل النفسي (فرويد Freud، يونغ Jung، وبينكيوت Winnicott، سبيتز Spitz، واريكسون Erikson....) وإلى أعمال وليام جيمس W. James في نهاية القرن التاسع عشرة بالإضافة إلى أعمال العديد من الباحثين الذين ركزوا على البعد الاجتماعي والثقافي للشعور بالهوية (بالدوين Baldwin، ماد Mead، وكولي Cooley).

أما في أوروبا: خاصة فرنسا؛ فقد برز علم النفس الوراثي الاجتماعي الذي اهتم بمسألة الهوية وبناء الذات (زازو Zazzo، فالون Wallon، تاب Tap، كاميليري Camilleri...) إلى أن ظهر علم النفس ما بين الثقافات الذي دفع بموضوع الهوية واستراتيجياتها إلى أن يصبح مفهوما مركزيا في علم النفس تساهم جميع ميادين علم النفس الأخرى في تناوله ودراسته.

تعتبر أبحاث اريكسون في سنوات الستينات من الأعمال الدقيقة والمرجعية التي تناولت موضوع الهوية بالتركيز أولا على مراحل النمو النفسي الاجتماعي للفرد وتناول قضية أزمة الهوية لدى المراهق وثانيا على الجانب المرضي عندما تكلم عن الخلط في الهوية (confusion d'identité). كما أن هذه الأبحاث دفعت بموضوع الهوية من التناول الأحادي المختص إلى الصيغة المتعددة الاتجاهات بالتقريب بين وجهات النظر التحليلية ثم النفس الاجتماعية والانثروبولوجيا الثقافية.

1.2 المقاربات المفاهيمية للهوية :

تناولت معظم الدراسات الحديثة مفهوم الهوية من خلال ثلاث اتجاهات مختلفة، فالهوية ظاهرة متعددة ميادين التناول ومتعددة المفاهيم ومتعددة الأبعاد.

* تبعا لتعدد ميادين التناول، نجد أن الهوية تعتبر ملتقى العديد من الحقول النظرية التي تساهم في تناولها مثل علم النفس الوراثةي (بياجي و زازو) وعلم النفس الاجتماعي (ميد، تاجفل وتورنر) وعلم الاجتماع (دوركايم وبيير ودوبار) والانثربولوجية التحليلية عند اريكسون ، والانثربولوجيا عند لوفيس سترويس وعلم الظواهر (هيجل وسارتر)... الخ. وبسبب هذا التعدد نشير إلى أن تحديد تعريف شامل لمفهوم الهوية هو عملية صعبة ومعقدة، لذلك فان إشكالية الهوية تتعلق دائما بمنطلق الدراسة عند الباحث بحيث نجد أن مصطلح الهوية يغير من شكله بحسب ميدان الدراسة الذي يتناول الهوية.

* أما بالنسبة لتعدد المفاهيم فهو ناتج عن تعدد ميادين التناول. كما نلاحظ أنه وفي نفس المقاربة النظرية يتم تناول الهوية بطريقة مختلفة، فمثلا في علم النفس الاجتماعي يمكن تعريف الهوية من زاوية المكانة والنوعية الاجتماعية أو من زاوية الأدوار أو من زاوية التفاعل بين مختلف الأفراد في الجماعة.

* أما بالنسبة لتعدد الأبعاد، نشير إلى وجود ثلاث أبعاد للهوية وهي: الهوية الفردية أو الاجتماعية أو الجماعية (فوق تركيبية المتعلقة بالأمة والوطن والثقافة)، فالهوية الفردية يتم دراستها من وجهة إكلينيكية تحليلية، بينما تتم دراسة الهوية الاجتماعية من خلال مصطلحات الأدوار والعلاقات بين الجماعات أما الهوية الجماعية فتتم في ديناميكية جماعية من خلال دراسة الهوية الثقافية أو الاثنية أو الوطنية ...) . تستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء المعنى اللغوي لكلمة *Identité* التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقة لمثيله، أما في المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. (سلطان بلغيت، 2010، ص 349). كما أن كلمة الهوية ليست عربية في أصلها، وإنما استدخلها بعض المترجمين بمعنى الذات والأصل والانتماء والمرجعية. وهي مأخوذة من كلمة " هو " أي جوهر الشيء وحقيقته ، فهوية الشيء تعني ثوابته وأيضا مبادئه، ويكفي طرح السؤال التالي لبيان ذلك: من أنا؟ من نحن؟ من هو؟ وهكذا. (زغو محمد، 2010، ص 94).

1.1.2 في علم النفس:

يعتبر اريكسون 1968 من الأوائل الذين نظروا لتحليل مصطلح الهوية من خلال مقاربة متعددة الاتجاهات ، فلقد تناول موضوع الهوية من خلال مقاربة تحليلية مصححة بحيث أعطى لهذا المنهج التحليلي صبغة اجتماعية وثقافية وتاريخية أيضا بالإضافة إلى اهتمامه بنمو الأنا . بالاستناد إلى ذلك فقد ساق اريكسون عدة تعاريف للهوية بحيث أشار إلى أن الأنا أبعد من أن يحاول التوسط بين الهو الغريزية والانا الأعلى التأديبي والبيئة المحيطة كما يعتقد فرويد ، ولكن قدرته تمتد بوضوح لأبعد من مجرد مقاومة الغرائز المحرمة والقلق ، والسبب القاطع لذلك هو أن الوظيفة البنائية للأنا السوية هو

الشعور بالهوية لتحقيق هوية الأنا . (محمد السيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 13) . على هذا الأساس نجده يعرف هوية الأنا على أنها: (عملية بناء للشخصية تستمر طوال حياة الفرد المتفاعل باستمرار مع محيطه بهدف الإجابة على سؤال: " من أنا؟ " qui suis je). تتميز هذه العملية بالاستمرارية والتفاعل المستمر وهذا ما يؤكد مالو سكايبير في قوله: " الهوية هي عملية دينامية تقوم على التوفيق بين الاستمرارية والتغير في عملية تفاعل مستمر بين الأنا والمحيط الاجتماعي" (GAILLARD.A, op.cit, P 10) . بهذا فهو يعني أن مصطلح الهوية يتضمن كل من استمرارية التماثل والاتساق مع النفس من جهة واستمرارية التشارك في بعض الصفات الجوهرية مع الآخرين من جهة أخرى. هذه الاستمرارية يتم التعبير عنها من خلال الإحساس الشعوري بالهوية الفردية والكفاح مع معايير الهوية للمجموعة التي ينتمي إليها بغرض استمرارية الخصائص الشخصية .

وبالاعتماد على المقاربة التحليلية لتحديد مفهوم الهوية ، أشار لوقاسي Lugassy إلى أنه يمكننا اعتبار الهوية؛ بالإضافة إلى أنها بنية عقلية من خلال إدراك الذات؛ على أنها عملية ديناميكية وعلائقية تتدخل فيها ميكانيزمات لا شعورية وسلوكات تشابه واختلاف ونماذج ثقافية واجتماعية ووظائف معرفية ، فالهوية هي مجموعة من التصورات العقلية في الشعور أو ما قبل الشعور نابعة من التقمصات.

(S.HIJAZI, op.cit, p 14) . أما في علم النفس الميداني، تم التركيز في دراسة الهوية على جانب الاضطراب النفسي بمعنى تناول الهوية من وجهة النظر المرضية كما هو الحال عند عميد التحليل النفسي فرويد في أبحاثه حول ضياع الهوية عند الهستيرى (كوسة فاطمة الزهراء، 2001، ص 40) .

من منظور استراتيجيات الهوية ، يعرف كاميليري الهوية على أنها : " شعور واعي لخصوصية الشخصية الصادرة من خلال استراتيجيات الهوية مع بذل جهد غير واعي؛ انطلاقاً من التشبيهات؛ بهدف الاستمرارية في التجربة المعاشة ، كما تتمثل أيضاً في مشاركة الفرد في المثاليات والأنماط الثقافية التي يعتبرها ايجابية « (C.CAMELLERI, 1990, P338) . فالهوية من خلال الاستراتيجيات هي :

"مجموع العمليات المنظمة شعوريا ولا شعوريا من طرف الفاعل الاجتماعي-الفرد أو الجماعة- ليحقق هدفاً أو مجموعة من الأهداف المحددة مسبقاً بين مختلف المكونات لوضعية ما مثل: الاجتماعية أو الثقافية أو النفسية... الخ". فالهوية بهذا المفهوم هي نتاج العمليات النفسية التي تحدث على المستوى الفردي ليحقق من خلالها الفرد التوازن النفسي الداخلي والتكيف الاجتماعي مع محيطه الثقافي.

إذن نشير إلى أنه من خلال الهوية يكتسب الفرد معايير وقيم مجتمعه ويستدخلها لتصبح جزء من كيانه النفسي والأيدولوجي حتى تصبغ بصفة الاتساق والتكامل تجمع بين طياتها خاصية التشابه الثقافي والتفرد النفسي. هذا ما يؤكد عادل عبد الله محمد في تعريفه للهوية في كتابه " دراسات في الصحة النفسية " على أنها: "تنظيم داخلي معين للحاجات والدوافع والقدرات والادراكات الذاتية بالإضافة إلى الصبغ الاجتماعي والسياسي للفرد ، فكلما كان هذا التنظيم على درجة جيدة كلما كان الفرد أكثر وعياً بتفرده وتشابهه مع الآخرين وأكثر إدراكاً لنقاط قوته وضعفه". (عادل عبد الله محمد، 2000، ص 16) .

2.1.2 في علم النفس الاجتماعي:

تعرف الهوية في علم النفس الاجتماعي عموماً من خلال التفاعل الديناميكي بين النفسي والاجتماعي لدى الفرد بمعنى أن الهوية هي نتاج التفاعل النفسي والاجتماعي (من جهة الخصائص الفردية المرتبطة بالشخصية ومن جهة أخرى المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بمفهوم الدور الاجتماعي والانتماء إلى الجماعة) ، هذه الثنائية بين النفسي والاجتماعي وبين الشخصي والجماعي تمثل النواة المركزية لإشكالية الهوية في علم النفس الاجتماعي. يؤكد ليبينسكي ذلك Libiansky فيقول: "إن الفرد في تفاعله مع الآخر يقوم ببناء ووتحيين وتوكيد هويته". (A. JUMAGELDINOV, op.cit, p 15). أما بالنسبة ل زافلوني 1984 صاحب الفكرة التفاعلية والديناميكية للهوية يعرف الهوية على أنها: " تمثلات الفرد لمحيطه الاجتماعي" (Ibid, p 18) بمعنى لجميع الجماعات الاجتماعية المرجعية في مجتمعه، فهو بهذا أدخل مصطلح التمثلات الاجتماعية في دراسة الهوية. في سنوات الثمانينات، شهد مفهوم الهوية تطوراً ملحوظاً بظهور مصطلح الهوية الاجتماعية اعتماداً على الارتباط بين الهوية والانتماء الاجتماعي. فمن خلال أعمال تاجفل 1979 و تورنر 1986 Tajfel et Turner على النظرية الاجتماعية للهوية ، عرفا الهوية على أنها: " مظهر للذات ناتج عن العمليات المعرفية للفرد المتعلقة بانتمائه الاجتماعي ، ويعبر عنها من خلال الرفع من قيمتها وإعطاء معنى عاطفي لهذا الانتماء ، هذا الانتماء يعتمد على التصنيف الاجتماعي والتجانس للتمثلات الاجتماعية للذات التي ينتج عنها". (S. HIJAZI, op.cit , p 82) . إن هذه النظرية تعبر عن نقطة الالتقاء بين المقاربة النفسية الاجتماعية والمقاربة المعرفية أو المعرفية الاجتماعية.

3.1.2 أما في علم الاجتماع:

انتقل علم الاجتماع في دراسته للهوية من وحدة التحليل الكلية إلى الفرد المتعدد ، لأن الفرد المتعدد أصبح منتج مجالات التفاعل المتعددة والمتنوعة وحتى المتناقضة ، وبالتالي الانسجام في هذه الوحدة لا يأتي من خارج الفرد (خارج الهوية) بل يأتي من قدرة الفرد على اختيار المعاني والتفاعلات التي تحقق له هذه الوحدة وهذا الانسجام في الذات. يولي ميد G.H.MEAD (من رواد التفاعلية الرمزية، وهو توجه علمي يركز على دراسة وتحليل العلاقات الموجودة بين الفرد والمجتمع) اهتماماً كبيراً إلى التفاعل الاجتماعي في تكوين الهوية بحيث يرى أن الهوية وحدة أو كتلة ذات علاقة ضيقة مع حالات اجتماعية حيث يجد الفرد نفسه في حالة اندماج وسط هذا المجتمع الذي ينتمي إليه. فبالنسبة إليه فإن الفرد يؤثر في نفسه بنفسه، ليس بطريقة مباشرة ولكن يأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الآخرين والمجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها. كما أنه لا ينظر إلى ذاته إلا إذا جرد نفسه ونظر إليها كأنها شيء معدوم القيمة مستندا في ذلك إلى تصرفات ومواقف الآخرين داخل إطار اجتماعي خاص بالفرد نفسه من جهة وبذلك التصرفات اتجاهاً من جهة أخرى ، وهذا ما يساعده على أن يعرف نفسه أو يقيّمها. (بن عيسى المهدي، 2010، ص 522).

لقد اقترح ميد تعريفاً آخر للهوية انطلاقاً من العلاقات الموجودة بين الروح والذات والمجتمع، حيث عرفها بارتباطاتها بالذات بمعنى أن الفرد يعرف من خلال شعوره الخاص الناتج عن التفاعل الاجتماعي الذي يعيشه وكذا من خلال القيم والمعايير التي يشارك فيها ، إذن فمن خلال التفاعل بين *je et moi* اعتماداً على الحقيقة الاجتماعية يتكون الذات: فالذات إذن ناتج عن كل هذه الحركية الاجتماعية. (S. HIJAZI, op.cit , p 83).

يشير قوفمان 1974 E. Goffman إلى أن الفرد في وضعيات التفاعل يظهر مجموعة من العمليات الرمزية التي تسمح له بلعب أدوار مقبولة في عيون الآخرين. فهو يرى أن الفرد يملك العديد من الهويات التي يستدعيها بحسب الظروف المحيطة به وكذا بحسب رغباته ومصالحه. A. JUMAGELDINOV, (op.cit, p 17). فللفرد عنصر أساسي اجتماعي يتميز بلعبه لأدوار اجتماعية خاصة تحددتها مؤسسات المجتمع المختلفة من خلال التنشئة الاجتماعية التي تهدف إلى إدماج الشخص في الحياة الاجتماعية. والتي تعتمد على التعليم بواسطة استدخال المعايير والقيم بهدف جعل هذه المعايير والقيم داخلية وجزء من ذات الفرد والزيادة من التضامن بين أفراد الجماعة ، فالهوية لا تبني إلا من خلال الآخر. يعرف فيشر 1996 وآخرون معنيين أساسيين في الهوية:

- 1- الهوية من خلال التساؤل: هل أنا مشابه لشيء ما أو لشخص ما؟ باستعمال عمليات التقمص للآخر.
 - 2- الهوية كخاصية فردانية موحدة : الهوية هي ما يجعلني فريد بالمقارنة مع الآخر. (Ibid., p 21).
- يوجد بين هذين المعنيين للهوية نوع من الضغط والغموض والتعارض لكن لا يمكن التفريق بينهما في بناء الهوية أو التخلي عن أحدهما لصالح الآخر. فالتوازن بين المعنيين في الهوية هو الذي يخلق التناسق الداخلي والخارجي للهوية في المعنى، فبناء الهوية يتم بواسطة عملية تفاعلية بين التشابه والاختلاف التي من خلالها يكتسب الفرد تمثلاته الاجتماعية ويبني هوية متينة البناء.

في الأخير يمكننا أن نعرف الهوية على أنها عملية بناء للشخصية تستمر طوال حياة الفرد تقوم على التوفيق بين الاستمرارية والتغير في عملية تفاعل مستمر بين الأنا والمحيط الاجتماعي. تتميز بالشعور التقاطبي لدى الفرد من خلال إحساسه بتفرده وتشابهه مع الآخر في أن واحد ، فهي نتاج التفاعل النفسي والاجتماعي والطريقة التي يبني بها الفرد روابطه مع محيطه من خلال علاقته بالآخر منذ الميلاد (حتى قبله) وهذا لتلبية حاجاته الإنمائية والتطورية . كما أنها عموماً تفهم وتترجم على أنها ماض متأصل في تاريخ الفرد تشمل كل مراحل حياته من تقاليد وصفات وطباع وعادات وثقافة مستتبطة ومأخوذة من المجتمع، فهي عملية صقل للفرد تمتد طوال الحياة بسبب تفاعله المستمر مع محيطه الخارجي، وهذا ما يمكنه من التوقع وأخذ مكانته في مجتمعه وفي العالم برمته.

سنقف عند هذا الحد لان المقاربات المفاهيمية التي تناولت مفهوم الهوية غير منتهية، فكل واحدة تختلف عن الأخرى من خلال فرضياتها ومنهجيات البحث التي تحكم باحثها. ولأن هذا المبحث خاص بالهوية، نرى أنه من الواجب الإشارة إلى بعض المفاهيم المتعلقة بالهوية التي تساعد في تبسيط إشكالية

الهوية ومنهجيات البحث فيها. فإشكالية الهوية في دراستنا هذا ستعتمد على البعد الفردي و أثر الأبعاد الاجتماعية والثقافية عليه.

2.2 بعض المفاهيم المتعلقة بالهوية:

1.2.2 الشعور بالهوية:

يعرف الشعور بالهوية عموماً على أنه الشعور الفردي بالمشاركة في هوية أو مجموعة من الهويات الجماعية وبالانتماء إلى جماعة أو جماعات مرجعية التي من خلالها يستدخل الفرد مجموعة من سمات الهوية (القيم والنماذج السلوكية والتفسيرية والتصورات الجماعية والمعرفة المشتركة) بمعنى آخر هذا الشعور يربط الفرد بجماعة أو بمجموعة من الجماعات. يجعل الشعور بالهوية الفرد يشعر بشيء من التجانس الداخلي والخارجي في شكل هوية ايجابية تعبر عن درجة عالية من الصحة والتكيف النفسي. يرى اريكسون أن الشعور بالهوية: "ناتج عن عملية تطويرية تميز بالخصوص الطفولة ، لا تتم هذه العملية بدون أزمات وانقطاعات لأنه لكي يحقق الطفل الشعور بالتوازن يجب أن يتكيف بثبات مع التحولات التي تحدث إن على المستوى الجسدي البيولوجي والحسي أو النفسي والاجتماعي". (Ibid., p 16). إذن فعلمية الشعور بالهوية عملية نمائية مستمرة وتدرجية تمتد من المراحل الأولى لنمو الطفل إلى المراحل المتقدمة في حياته.

تتعلق عملية الشعور بالهوية بمجموعة من الأحاسيس المختصة بالفرد وذاته، إذ لا وجود للهوية، كما يعتقد اريكسون (1968)، إلا من خلال مجموعة من الأحاسيس ذات صلة عميقة بالهوية وهي:

-الشعور الذاتي بوحدة الشخصية.

-الشعور بالوحدة والاستمرارية الزمنية

-الشعور بالمشاركة العاطفية

-الشعور بالاختلاف

-الشعور بلتقة الوجودية

-الشعور بالاستقلال

-الشعور بالمراقبة الذاتية

-الشعور بالتقدير وذلك بالقياس بالآخرين

-الشعور بعمليات التفاعل والتكامل وقيم التقمص والتوحد. (اليكس ميكشلي ، 1993، ص 72).

ترتبط هذه الأحاسيس مع ضرورات أساسية وحاجات تضرب جذورها في عمق الطبيعة الإنسانية، كحاجة الفرد إلى التفاعل وتكوين علاقات اجتماعية تكافلية والى الاحترام والتقدير والحاجة إلى الاستقلالية والاختلاف عن الآخر.

يشير كودول 1981 في دراسته لمفهوم الشعور بالهوية إلى أنه مركب من أربع مكونات أساسية هي:

* الإحساس بالوجود كفرد فردي مميز ومختلف عن الآخرين من إحساس بالتناسق والوحدة ما يميزه عن الآخر، لا يمكن الشعور بهذا الإحساس إلا من خلال المقارنات مع الآخر.

* الإحساس بالثبات والاستمرارية في الزمن من خلال بعض القواعد الثابتة التي لا تتغير. فهي إدراك للذات بأنها ثابتة بالرغم من تنوع تمثيلات الذات في إطار تعدد الأدوار والانتماءات والتغير الذي يمس الفرد في مختلف جوانب حياته: النفسية والجسدية والاجتماعية. تلعب القيم الاجتماعية والأخلاقية دورا هاما في الإحساس باستمرارية الشعور بالهوية .

* الإحساس بالتناسق: تمثل عملية معرفية تهدف إلى تجاوز التناظر المعرفي بين قيم المجتمع و بين سلوكيات الفرد وحاجاته وحوافزه ومصالحه وقيمه .

* إعطاء قيمة للهوية الشخصية : فالفرد يتواجد بمعنى وقيم تحدد بالأساس علاقة الفرد مع نفسه ومع

الآخر ، فصورته عن ذاته يجب أن تكون ايجابية بالأساس. (A. JUMAGELDINOV, op.cit ,p 22)

لذلك فإننا نشير إلى أن الشعور بالهوية يمكن أن يشمل أيضا صورة الذات والشعور بالذات والشعور

بالاختلاف وبالوحدة وبالذات الايجابية... كما يمكننا القول انطلاقا من النظرة التكاملية لمختلف

الاتجاهات أنه يمكن للشعور بالهوية أن يتفرع إلى سلسلة من الشعور الذي يركز على استمرارية عمليات التقييم وعمليات التكامل والتطور.

2.2.2 الشعور بالانتماء:

يعرف قاي روشر 1970 GUY Rocher الشعور بالانتماء على: "إن الانتماء إلى الجماعة يعتمد على

التشارك مع الآخرين في مجموعة من الأفكار والسمات المشتركة لكي يعرف الفرد في مفردة "نحن" .

(Ibid., p 24). وكي يتشارك الفرد الأفكار مع أفراد جماعة أخرى يجب في البداية أن يلقى قبولا بينهم ثم

يدخل في تفاعل معهم، ومن خلال هذا التشارك والنظرة الايجابية التي يتلقاها منهم يتكون لديه الشعور

بالانتماء لهذه الجماعة لما تحققه له من شعور بالتجانس والتقدير وتحقق له من مصالح وأهداف.

إن الشعور بالانتماء هو مظهر من المظاهر الجماعية للهوية، فهو ينبع من العلاقة الأولية للرضيع مع

أمه، لأننا نعلم أن الطفل في حالاته الأولى ليس منفصلا عن أمه . أما بالنسبة للراشد فالشعور بالانتماء

يتعلق بالصورة التي يسقطها الفرد على المجتمع. فالشعور بالانتماء ؛ بحسب اليكس مكشيليلي ؛ يتمثل

على المستوى الفردي في صيغة الأنا ويتمثل على المستوى الجمعي في روح الجماعة أو في شعور

التضامن الاجتماعي. (الكيس ميكشلي ، مرجع سابق، ص 75).

يتعلق الشعور بالانتماء إلى جماعة ما والتشارك مع أفرادها في أفكارهم واتجاهاتهم بمدى تماسكها

وتماهيها مع طموحاتهم وآمالهم ، فإحساس الفرد بأن جماعته الأولى تتعارض مع مشاريعه المستقبلية أو

طموحاته ولا تحقق له التناسق والتقدير قد يجعل من الشعور بالانتماء يتناقص وقد يصل مع الزمن إلى

أدنى مستوياته من خلال التحاق الفرد بجماعة ما أخرى، فمن خلال المقارنة بين سمات وخصائص

جماعته الأولى وجماعته الجديدة يجد أن هذه الثانية هي التي تحقق له الخاصية التشاركية في الأفكار

والقيم فيحاول الانتماء إليها. وبالعكس ، نجد الفرد في المجتمعات الحديثة و المتعددة الثقافات يتجه إلى تنويع مشاعر الانتماء باختلاف الجماعات التي يتواجد فيها بدون فقدان الانتماءات السابقة وهذا ما يطلق عليه اسم الانتماءات المتعددة في مقابل الهويات المتعددة في هذه المجتمعات.

3.2.2. الهوية وتمثلات الذات:

يعتقد الكثير من الباحثين في علم النفس الاجتماعي أن الهوية هي بناء لتمثلات الذات، يؤكد قوفمان 1974 ذلك في نظريته حول الأدوار التي يقوم بها الفرد في الجماعة من خلال دراسته للنماذج التي تساعد الفرد في لعب دور ما وعلى تمثلات الذات بمعنى الصورة التي نعطيها للآخر حول ذاتنا. بعد ذلك اقترح ماركوس 1977 اعتبار الذات كبنية معرفية من خلال الارتباط بين الهوية وتمثلات الذات. أما كاميليري فقد أشار إلى أنه لا يتحقق التوازن لدى الفرد إلا عندما تتماثل التمثلات والقيم التي استدخلها في هويته مع تمثلات محيطه الاجتماعي، بمعنى أن يحقق الفرد التناسق بين الوظيفة الانطولوجية والوظيفة البراغماتية في الهوية. (A. JUMAGELDINOV, op.cit, p 35)

إن تمثلات الذات تلعب دورا هاما وأساسيا في الشعور بالهوية لأنه من خلال هذه التمثلات يستطيع الفرد فهم تشابهه واختلافه مع الآخر فالهوية إذن تمثل المكان الذي تتجذر فيه التمثلات الاجتماعية في الشعور الفردي. تندمج هذه التمثلات وتتحول وتصنف ويعاد تقديمها من جديد في المجتمع على شكل خطاب وسلوك.

4.2.2. التشابه والاختلاف:

ينفق جميع الباحثين على أن الفرد في تكوين هويته يعتمد على فعل التشابه مع أفراد مجتمع ما لكي يكون مقبولا من طرفهم وعلى التفرد والاختلاف عن الآخرين. فهو بهذا لا يقبل أن يكون صورة طبق الأصل لأفراد جماعته ولكن يحاول تحقيق نوع من التفرد والاستقلال لكي يحس بوجوده. يشير اليكس ميكشيلي إلى أن: "الشخص الذي يمتلك هوية شخصية لا يستطيع أن يفكر بطريقة متطابقة تماما للآخرين، حيث لا يمكن للمحاكاة أو التقارب بين الأفراد أن يكونا مطلقين . وعندما يحدث ذلك فإنه يعني فقدان للهوية يكون لصالح هوية أخرى". (اليكس ميكشيلي ، مرجع سابق، ص 82).

فالشعور بالاختلاف يعد أساس الوعي بالهوية ونموها، فالرضيع لا يستطيع أن يجد هويته وذلك لنقص في قدرته على التمايز وخاصة في إطار العلاقة اللاتمايزية التي تربطه بأمه، لكن عندما يبدأ بتعلم الأدوار الاجتماعية فإنه لا يكتفي بتمثل أدوار الآخرين وإنما يحاول أن يؤديها بطريقة الخاصة المختلفة، فهو بهذا يدرك الاختلاف القائم بين الأدوار التي يحاكيها وأدائه الخالص بهذه الأدوار.

فالهوية إذن هي نقطة الالتقاء بين فعلي التشابه والاختلاف ، فهي تتكون من خلال الديناميكية التي تجمع هذين الفعلين اللذان يتميزان بصيغة تعاضدية وتقاطبية. ومن خلال محاولة الفرد التخفيف من هذا التعارض يظهر الإحساس بالهوية الذي يجعل كل فرد يحس بأنه يملك أنا خاص به ومنفصل عن الآخرين. (Z. GUERRAOU, B. TROADEC, op.cit, p 73).

5.2.2 التوحد والتقمصات:

ينطوي مفهوم التوحد أو التقمص بحسب ميكشلي على دالتين أساسيتين ، فهو يشير إلى فعل التعرف وذلك يعني تحديد شيء ما بالاستناد إلى بعض المؤشرات والدلالات من أجل تصنيفه في إطار فئة من المعارف المحددة من جهة ، ويشير من جهة أخرى إلى فعل التوحد مع شخص آخر أو شيء ما ، ويعني ذلك تمثل الفرد لعدد من السمات فرد آخر أو خاصية من خواصه. (الكس ميكشلي ، مرجع سابق، ص 52). فالتقمص هو عملية نفسية يتمثل الفرد بواسطتها جانباً أو خاصية أو سمة من جوانب الآخر أو خواصه أو سماته. وقد يأخذ التقمص صيغة التوحد الكلي أو الجزئي مع الآخر ، فالشخصية تتكون وتتباين في سياق سلسلة من عمليات التوحد والتقمص.

فمن خلال التقمص يعرف اريكسون الهوية بأنها : " بنية ديناميكية من النزوات والقدرات والمعتقدات والتقمصات ، فهي نتاج مختلف تقمصات الفرد ، تتعلق بالعمليات التي من خلالها تطبع المجتمعات هويتها على أفرادها الشباب وبذلك تعتبرهم جزء منها ومقبولون من طرفها". (S. HIJAZI, op.cit, p83). ويضيف بأنها : " نتاج التقمصات المتواصلة التي تتحول إلى وحدة متناسقة خاصة لدى الفرد. هذا التكوين يعتمد على العموم على التمسك بما يتوقعه المحيط من الفرد (الواجب) ثم قبول الفرد في الجماعة كثن لهذا التكوين". (Z. GUERRAOU, B. TROADEC, op.cit, p 72)

وتؤكد الزهرة قراوي ذلك من خلال إشارتها إلى إن عملية تكوين الهوية تعتمد على التقمصات المتواصلة في شكل التتابع بين عمليتي الهدم وإعادة البناء اللتين تعبران عن الصراعات التي يعيشها الفرد ، هذه الديناميكية تجعل من الهوية ناتج غير نهائي ومتغير كعملية تطويرية ومستمرة من التقمصات المتواصلة كما بينها تاب واريكسون في مختلف أعمالهما . . (Ibid., p 73). كما أن بناء هوية الجماعة يقوم على أساس عملية التقمص مع جماعة مرجعية أخرى وذلك ينسحب على مستوى البناءات والتقمصات الثقافية، تشكل هذه الجماعة المرجعية نموذجاً ينطوي على المعايير والقيم والآراء ونماذج السلوك المرغوبة، ويمكن لهذه الجماعة أن تكون جماعة خيالية أو واقعية أو تاريخية.

قد يتبنى الفرد أحياناً معايير وقيم جماعة أخرى غير جماعته بوصفها نموذجاً مرجعياً له، وبالتالي يسعى إلى تحقيق التكامل مع ذلك النظام الثقافي المرغوب، وتنسحب هذه العملية الخاصة بالتقمص الثقافي على مستوى الجماعات والمجتمعات الإنسانية.

تتم عملية التقمص الثقافي نتيجة إيديولوجية الجماعة ، والتي تسيّر وفقاً لأنظمة الرأي العام للأفراد، فالمشاركة في النشاطات الجمعية والإيديولوجية للجماعة نشاط يتوافق مع الهوية الجماعية ويعزز الإحساس بالقوة والوضوح كما يسمح بإبعاد الشك الذي ينشأ تحت تأثير أفعال تثير القلق والخوف عند أفراد الجماعة، فالإيديولوجيا تنطلق من معطيات هوية ثقافية أو جماعية ، وهي تتوافق مع عملية التوحد الجمعي.

نسجل ارتباطاً عضوياً بين تكون هوية الجماعة عبر عملية تمثل مستمرة لتاريخها، وبالتالي فإن عملية التحويل الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة، وتبعاً لذلك فإن التهديدات الموجهة للهوية تعتمد بالأساس على تفرغ تاريخ الجماعة من محتواه الحقيقي، أو تزييفه لطرح بدائل دخيلة للنماذج السلوكية والقيمية التي تنتبها الجماعة. (إسماعيل رابحي ، 2013 ، ص ص 54-55).

6.2.2. الذات والآخر:

يعرف أبو زيد (1987) مفهوم الذات بأنه: " فكرة الشخص عن نفسه كفرد وأنه تنظيم إدراكي انفعالي معرفي متعلم موحد يتضمن استجابات الفرد نحو نفسه ككل ". (عبيد محمد حسن عسيري، مرجع سابق، ص 7) وتشمل الأبعاد التالية: الذات النفسية الذات الاجتماعية الذات الأسرية والذات التعاملية. تطور مصطلح الذات انطلاقاً من سنوات الستينيات في المدرسة الإنجليزية من خلال مصطلح الذات النفسية حيث تم الاهتمام بدراسة العديد من المفاهيم:

* تكوين نظرية حول الذاتية من خلال أعمال التحليل النفسي.

* الاهتمام ببناء الهوية الشخصية واضطرابات التي يمكن أن تحدث، الشيء الذي يساعد على التكفل بالاضطرابات الجديدة التي تحدث نتيجة للاختلال على مستوى الشعور بالذات أكثر منه عن الصراع الابدائي الكلاسيكي.

تعتمد نظرية التحليل النفسي في دراسة الهوية على تمثيلات الأفراد حول أنفسهم وأجسامهم، فالهوية في نظرهم ليست ناتجة عن العمليات الشعورية التي تحدث لنا فقط وإنما يضاف إليها العمليات الانفعالية وبالأخص الاستثمارات النزوية والنرجسية. تظهر هذه التمثيلات بالأساس من خلال التفاعلات التي يكونها الرضيع مع محيطه الداخلي. باختصار فتكوين الذات ينتج من ثلاث عمليات:

- عملية نفسو جسدية أو صورة الذات وتمتد على صورة الجسم.
 - عملية نزوية ونرجسية من خلالها يتم استثمار هذه الصور انفعاليا وتوجيه مشاعر الحب وتقدير الذات.
 - عملية علائقية من خلالها يتم تكوين صورة الذات بالتعامل مع الآخر. (E. MARC, 2005, p 29).
- إن عملية تعيين هذا الآخر تمثل عملية أساسية في بناء الهوية، فهي تشمل ؛ بوصفها شبكة تفسير وإدراك، نواة الهوية الأساسية ممثلة في العناصر الأولية التي يمكن للفرد من خلالها أن يحدد الآخر ويتعرف عليه. فإذا كانت الهوية تتحدد في ثلاث مستويات : ثقافية واجتماعية وفردية فإن ذلك يقضي وجود ثلاث مستويات ممكنة لتحديد الآخر، بمعنى تحديده على أساس ثقافي أو اجتماعي أو فردي حيث تتداخل هذه المستويات وتؤدي عملها في آن واحد مهما كانت الوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد. تتم عملية تحديد الآخر سواء كان فرداً أو جماعة بطريقة آلية وعلى نحو لا شعوري، فإدراك الآخر بحسب ستوزل STOOZEL يعني تصنيفه في فئات ثقافية دالة تحدد مركزه الاجتماعي ودوره. ولكن عندما تكون العلاقة شخصية فذلك يعني تصنيفاً آخر انطلاقاً من الصيغة السيكلوجية الكامنة في داخلنا. (الكيس ميكشلي ، مرجع سابق ، ص ص 54-59).

بهذا المفهوم نقول أن التعرف على الآخر ينطلق من نماذج الهوية الثقافية والاجتماعية والفردية التي توجد في بيانات مرجعية تكونت عبر التجارب المتواترة للفرد، فإذا كانت المخططات المرجعية تكشف عن حقيقة الآخر فإنها تتدخل أيضا لترسم حدود سلوكنا الاجتماعي.

عموما نجد أن الهوية تظهر كبناء مفتوح في حركية دائمة ومع اتصال مع الآخر بحيث تكون وجهة نظرها حول الفرد بناءة. فأهمية الآخر تتبع من الاهتمام الكبير الذي يوليه معظم الباحثين لعمليات بناء الهوية، لكن هذا المفهوم لا يكفي وحده لبنائها بل يجب أن تتصافر آثار التفاعل بين العالم الخارجي والداخلي للفرد لتشكيل هوية متناسقة ومتكاملة ومنتزعة لدى الفرد. فالهوية يجب أن تكون إذن كما يراها زافالوني: " هي نتاج التفاعل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي للفرد، في علاقة تفاوض بين ما يريد أن يكون وما يجب أن يكون" (Z. GUERRAUI, B. TROADEC, op.cit, p 73).

3.2 المقاربات المفسرة للهوية:

بالمفهوم العام يلبس مصطلح الهوية لباس التنوع والتعقيد بسبب طبيعتها متعددة المجالات. فهي تشير إلى مجموعة من الخصائص الفردية والجماعية تهدف إلى التعريف بموضوع ما بطريقة واضحة. فالهوية لا تقتصر فقط على البعد التكويني لذواتنا بل تمثل كذلك البعد الثقافي والاجتماعي لذلك فإن إشكالية الهوية لا يمكن تناولها بعيد عن موضوع الثقافة والمجتمع. يمكننا الإشارة في هذه الفقرة إلى العديد من المقاربات والاتجاهات النظرية حول الهوية. نذكر منها:

1.3.2 المقاربة التحليلية:

لم يسر رواد الاتجاه التحليلي على خطى اريكسون الذي حاول دراسة الهوية في البداية من خلال وجهة النظر التحليلية بشكل كامل. بل اتجهوا إلى إعطاء اهتمام أكثر إلى العمليات الثانوية والميكانيزمات المعرفية والتكيفية ووظائف الأنا في دراساتهم للهوية. فاتجاه مقاربة الأنا وجد نفسه في تناغم مع اتجاهات فرويديين الجدد الثقافيين (K.Horney, H.Sullivan....) الذين تعمقوا في دراسة أثر السياق الاجتماعي على إشكالية الهوية. لقد حاولت مدرسة التحليل النفسي تسليط الضوء على المراحل المبكرة لتكوين الهوية بالتركيز على الجانب الجسدي والعاطفي للذات من خلال مصطلح الذات النفسوفيزيولوجية ل جاكوبسن Jacobson أو الذات الأولية ل أرياتي Arieti 1967 .

كما تجدر بنا الإشارة إلى أعمال طبيب الأطفال والمحلل النفسي الشهير الانجليزي وينكوت winnicott التي خلصت إلى التأكيد على الأهمية العلية للمحيط وبالأخص العناية الأمومية في نمو الهوية لدى الطفل الصغير حيث أشار إلى أن الرضيع لا يمكن أن يتواجد مستقلا عن علاقته مع أمه. كما أنه قلل من أهمية ديناميكية الغرائز والدفاعات في النمو لدى الطفل في مقابل اندماج الشخصية والمشاعر الوجودية والهوية. في شرحه للانفصال بين الذات الحقيقية والذات المخادعة أو الخاطئة، أشار وينكوت إلى أن الذات الحقيقية تتكون عندما تحقق العناية الأمومية اندماجا متناسقا بين الجسم والنفس أما الذات الخاطئة فتتكون عندما تكون الأم غير قادرة على الإحساس بحاجات الرضيع والتصرف

بطريقة مثالية. في هذه الحالة تتكون لدى الفرد هوية غير مكتملة وهشة لأنه في الأصل لا يمكن الإحساس أو بناء الهوية إلا من خلال الذات الحقيقية، بالعكس فإن الهوية الخاطئة تؤدي إلى ظهور إحساس غي واقعي. (E. MARC, op. cit , pp 30-31).

أما في المجال الباتولوجي في الهوية، فلقد حاولت مدرسة التحليل النفسي تفسير الاضطرابات التي تصيب الإحساس بالهوية وتكوين الذات، فالاضطرابات العظمى في هذا المجال تنتمي إلى حقل الذهانات (تفكك الشخصية الهويات المتعددة، جنون العظمة، اضطراب إدراك الجسم...) لكن هذا لا يعني أن اضطرابات الإحساس بالهوية لا تظهر في مجال العصاب أو الحالات الحدية. لقد أكد ادلر 1937 A. Adler على أهمية حب الذات وعقدة النقص (التي يحاول من خلالها الجهاز النفسي تعويضها بالخيال) في ظهور الاضطرابات النفسية. وكما سبق وأشرنا يفسر وينكوت ظهور اضطرابات الهوية من خلال مصطلح الهوية الخاطئة التي تظهر لدى الفرد مستقبلاً نتيجة للعناية الخاطئة للرضيع من طرف الأم ، هذا المفهوم جعل وينكوت يتكلم عن وحدة مرضية جديدة نابعة من اضطرابات الهوية سماها الشخصية النرجسية أو الحالات الحدية. (Ibid, p 32).

2.3.2 المقاربة الانثربولوجية التحليلية والثقافية:

تميزت بأعمال اريكسون 1959 ، وهي نتاج تأثيرين أساسيين هما: أثر علم النفس الثقافي على الشخصية القاعدية وأثر التحليل النفسي الموسع الذي يرى أنه لا يمكن اقتصار الشخصية على وظيفتها الدفاعية ولكن يتعدى ذلك إلى الوظيفة التوازنية. بالنسبة إلى اريكسون، فالهوية هي بنية ديناميكية من النزوات والقدرات والمعتقدات والتقمصات ، فهي نتاج مختلف تقمصات الفرد ، تتعلق بالعمليات التي من خلالها تطبع المجتمعات هويتها على أفرادها الشباب وبذلك تعتبرهم جزء منها ومقبولون من طرفها. وليوضح ذلك أكثر أشار إلى مراحل نمو وتطور الهوية باعتماد على ثلاث عناصر مركزية هي:

-الشعور بالتميز الفردي الناتج عن مختلف التقمصات السابقة.

-الشعور بالاستمرارية الناتجة عن مختلف الخبرات.

-التشابه للقيم ومطالب المجتمع الراشد التي تعتبر ايجابية. (S. HIJAZI, op.cit, p83)

كما اهتمت الانثربولوجية الثقافية بدراسة الهوية وبالأخص في بعدها الجماعي باستعمال صيغة تحليلية نفسية . يظهر ذلك من خلال أعمال العديد من الباحثين نذكر منهم: كاردينر Kardiner 1969 وأعماله حول الشخصية القاعدية حيث درس الميكانيزمات التي من خلالها تنتج وتنقل كل ثقافة أنماط الهوية الخاصة بها إلى الأفراد المكونين لهذه الجماعة. وكذلك أعمال اريكسون حول الطفولة في مختلف الثقافات 1960 وكذا أعمال فروم E.From على الخاصية الاجتماعية للمجتمعات الصناعية.

ظهر هذا الاتجاه في فرنسا من خلال أعمال كل من ديفرو G. Devereux 1972 والعديد من الأبحاث التي تناولت إشكالية الهوية المرتبطة بالهجرة والتفاعل ما بين الثقافات. كما أشار جيرار مندل

G. Mendel إلى أهمية الاتجاهات الثقافية في تكوين الهوية حيث أكد على أن المجتمعات الحديثة جعلت من بناء الهوية للأفراد عملية صعبة ومعقدة. لقد حاولت مختلف هذه الدراسات الربط بين مختلف المؤسسات التي تكون الثقافة مع الهويات الفردية والجماعية بحيث خلصت إلى أن كل ثقافة تحمل في طياتها مفاهيم وأنماط هوية فريدة ومختلفة. (E.MARC, op. cit , p 32).

تطورت هذه المقاربة بعد ذلك إلى ثلاث اتجاهات:

- دراسة الهوية من خلال دراسة المراهقة مارشيا Marcia 1982.
 - اتجاه اجتماعي إكلينيكي: زافالوني ولويس قيران 1984 كيستال فونو 1997 K. Fonno التي تركز على دراسة ديناميكيات التمثلات والتصورات للعلاقة التي يربطها الفرد مع جماعته المرجعية.
 - الاتجاه الثالث: التحق بالاتجاه الاتي النفسي لباستيد Bastide 1968 الذي يبين أن المكانة والدور وعلاقات السلطة بين الجماعات يمكن أن تفسر الاختلافات النفسية بين الأفراد. (HIJAZI, op.cit, p83)
- 3.3.2 المقاربة الوراثة:**

نبعت هذه المقاربة من خلال العديد من الأعمال السابقة حول ظهور ونمو الشعور والإحساس بالهوية خاصة لدى المراهق والطفل، فهي تعتبر الهوية على أنها وحدة بيولوجية ونفسية واجتماعية . وترتكز على التطور المعرفي للطفل من خلال ردات الفعل الحسية الحركية للرضيع التي تعبر في الحقيقية عن مظهر التواصل الأولي للطفل مع الخارج ما يجعل الآخر يشاركه في انفعالاته . انطلاقا من هذه التنشئة التجزئية ينتج معنى الذات والانتاجات المعرفية الأولى في إطار ما يسمى بوحدة المعنى . بعد ذلك ؛ ومن خلال الجماعات المتعددة والمتنوعة في أهدافها وسلوكاتها ؛ تتكون الهوية الاجتماعية بالاعتماد على القيم والمتطلبات ذات القيمة لدى الفرد . ففي كل مرحلة من التطور تظهر مجموعة من الصراعات والأزمات تساهم في بناء الهوية. (Ibid, p82)

لقد اتجه المجدون في هذه المقاربة إلى الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية ومعرفة الذات. نذكر على سبيل المثال أعمال والون H. Wallon التي من خلالها أكد على أهمية العلاقة بين الذات والآخر في تكوين الشعور بالذات ومحاولة تحديد مختلف المراحل التي يتبعها الطفل من خلال التفريق بين الذات والآخر. وكذا أعمال زازو Z.Zazzo التي من خلالها تناول بالتفصيل مرحلة المرأة في نمو الطفل والتي تمثل مرحلة هامة في التعريف بالذات لدى الطفل وكذا إشكالية الذات لدى التوائم. كما أضاف لوكيير R. L'Ecuyer ملاحظة هامة وهي أن بناء الهوية لا يتوقف في سن الرشد ولكن تستمر في النمو حتى مرحلة الشيخوخة. (E.MARC, op. cit , p 32).

4.3.2 الاتجاه النفسي اجتماعي:

يركز على الاتجاه التفاعلي بحيث تعتمد من جهة على الخصائص الفردية المرتبطة بالشخصية والذات ومن جهة أخرى على المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بمفهوم الدور الاجتماعي والانتماء إلى الجماعة .

من أعلام هذا الاتجاه العالم المنظر ميد G. Mead الذي أكد وطور الاتجاه الذي يقول بأن الذات في الحقيقة هي بنية اجتماعية تتبع من التفاعلات اليومية ، فالفرد يشعر بهويته من خلال الأخذ بآراء الآخرين وبالأخص بآراء الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

بالنسبة لساربين T.Sarbin في نظريته الأدوار 1954 أكد على أن الذات هي مجموع الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الفرد مما يجعل هوية الأفراد متعددة بتعدد الأدوار التي يقومون بها، كما أنها قد تكون صراعية في حال التعارض بين هذه الأدوار. يتقاطع مع قوردون C.Gordon 1968 في هذه الفكرة ، والذي يركز على خاصية تعدد الأبعاد للهوية، فالذات بالنسبة إليه ليست ظاهرة ساكنة بل عملية معقدة من النشاطات التفسيرية المتواصلة. إذن فالهوية نظام منظم من الإدراكات والتمثلات، وتركيبية مرتبة من المعاني الناتجة من التنشئة الاجتماعية. (Ibid, p33).

في سنة 1973 أشار زيلر ziller إلى الخاصية الاجتماعية لمصطلح الذات ، فاقترح نظرية الذات-الأخر من خلال افتراضه بأن الفرد يعرف في علاقته مع الآخر ومع الجماعات الداخلة في نظريته. فالهوية الفردية بحسبه، تمثل نوع من الاستجابة الاجتماعية للتبسيهات الناتجة عن التفاعل مع الآخرين بهدف تحديد الحدود في كل علاقاته. من خلال هذه النظرية اقترح زيلر نموذج للهوية متكون بالأساس من المكونات التالية: تقدير الذات ، المصالح الاجتماعية، الإحساس بالتمهيش، التركيز على الذات ، التعقيد في الذات (تعدد الأوجه التي يدركها الفرد حول ذاته)، التقمصات (إدراك التشابه بين الذات والأخر)، السلطة (إدراك الذات كاملة أو بالنقص)، والتفتح على الآخر. (Ibid, p33).

ومن الأعلام الذين أثروا هذا الاتجاه بالبحث والأفكار التجريبية، نجد تاجفل Tajfel في تحليله للهوية الاجتماعية انطلاقاً من نظريته للتصنيفات الاجتماعية يشير إلى أن الهوية الاجتماعية للفرد ترتبط بمعرفته لانتمائه إلى جماعة ما وبالمعنى العاطفي والتقديرية الناتج عن هذا الانتماء. كما أشار إلى أن الفرد يتفاوض على انتمائه للجماعة من خلال القيمة الاجتماعية التي يرى أنه يحققها من خلال هذا الانتماء. فالهوية تعبر عن مظهر للذات ناتج عن العمليات المعرفية للفرد المتعلقة بانتمائه الاجتماعي ، ويعبر عنها من خلال الرفع من قيمتها وإعطاء معنى عاطفي لهذا الانتماء الذي يعتمد على التصنيف الاجتماعي والتجانس للتمثلات الاجتماعية للذات التي ينتج عنها.

إن نظرية تاجفل للهوية الاجتماعية تشرح الهوية من خلال ثلاثة أقطاب أساسية هي:

*قطب معرفي: تمثلات الانتماء نحن/هم.

*قطب اجتماعي معرفي: عن طريق المقارنات.

*قطب انفعالي: تقدير الذات وإعطاء قيمة لها. (A. JUMAGELDINOV, op.cit, p 18)

هذه النظرية تعبر عن نقطة الالتقاء بين المقاربة النفسية الاجتماعية والمقاربة المعرفية أو المعرفية الاجتماعية.

5.3.2 المقاربة المعرفية والمعرفية الاجتماعية:

شهدت سنوات الثمانينيات في الولايات المتحدة الأمريكية تزايد اهتمام الباحثين بموضوع الذات خاصة في علم النفس التجريبي. ما يميز هذا الاتجاه عن المقاربات الأخرى الإكلينيكية والوراثية هو اعتماده على نماذج علاج المعلومات . بحيث يرى بأن الذات هي عبارة عن بنية معرفية من تفسيرات متعددة للمعلومات بهدف تنظيم الخبرة الاجتماعية للفرد.(E. MARC, op.cit, p 37) يشير كيهلستوم J. Kihlstrom 1992 بلأن الذات هي التمثيل العقلي الذي يحدده كل فرد لشخصيته ، تختزن هذه التمثيلات بالأساس في مجموع الذكريات وتتكون من شبكة متداخلة من المعلومات سواء المجردة المتعلقة بمكتسبات الفرد والأخرى المتعلقة بخبرات الفرد وأفكاره. أما بالنسبة لماركوس H. Markus فانه يرى أن الذات تتكون من بنيات متعددة سماها مخططات الذات التي تتعلق بمختلف الأبعاد التي يوصف بها الفرد. تظهر هذه المخططات من خلال تعميم المعارف الخاصة بالذات التي تنتج من خلال الخبرات السابقة والتي تنظم وتوجه علاج المعلومات المتعلقة بالذات وكذا السلوكات المصاحبة.(Ibid, pp 37-38)

إن بناء الهوية للفرد على شكل شخصي أو فاعل اجتماعي تعتمد على ميكانيزم مركزي هو المقارنات الاجتماعية ما بين الأفراد أو ما بين الجماعات . وازدادت حركية هذه البحوث في ضوء الاتجاه الثقافي. فمن خلال التفسيرات الثقافية اتجه العديد من الباحثين إلى تبيان أن المعاني والتنظيمات ومحتوى الهوية يتغير عندما تنتقل من ثقافة إلى أخرى.

تميزت هذه المقاربة أيضا بأعمال زافالوني 1984 Zavalloni الذي اعتبر أن الهوية كبنية معرفية مرتبطة بالتفكير التمثلي ، فهي تظهر كبنية منتظمة من تمثلات الذات والآخرين. اقترح هذا الباحث مصطلح *éco-égologie* كمقاربة نظرية للهوية الاجتماعية لدراسة الذات من خلال علاقتها المعقدة مع المحيط وتمثلاته "للصور والذكريات والخبرات....". (HIJAZI, op.cit, p83).

6.3.2 المقاربة التفاعلية:

يعتبر ميد الأب الروحي لهذه المقاربة لأنه من الأوائل الذين أشاروا إلى أن الذات هي نتاج التفاعلات الاجتماعية وبخاصة تلك المتعلقة باللغة واللعب. تجدر بنا الإشارة إلى أن هذه النظرة حول الهوية والذات يتقاسمها العديد من الباحثين الذين عملوا حول هذين المفهومين حتى لو لم يشيروا مباشرة إلى مصطلح التفاعل . نذكر منهم: W.Jemes, Gordon, Ziller... . تواصلت أعمال الباحثين في هذا الاتجاه، ففي سنة 2000 حاول شيلتون سترىكر S.Stryker دراسة العلاقات بين الذات ومختلف البنى الاجتماعية، في حين أكد بيستون G.Bateson على أهمية وتأثير التواصل مع الآخر على إدراك الذات لدى الفرد.

اتجه رواد هذه المقاربة في فرنسا إلى التركيز على مصطلح استراتيجيات الهوية (كاميليري 1990 وليبينسكي 1992) والتي تعني السلوكيات والميكانيزمات (المعرفية والانفعالية والدفاعية) التي يستعملها الفرد بهدف معرفة الآخر والدفاع عن الاتساق في الهوية والصورة الايجابية حول ذاته.

تمت دراسة هذه الاستراتيجيات بالأساس في وضعيات الثقافات أين نجد الفرد في وضعية تقاطبية بين مختلف مرجعيات الهوية لديه. قد تكون هذه الاستراتيجيات شعورية أو لا شعورية ، فهذا المصطلح يركز على البعد الديناميكي والمنظم لهذه العمليات وعلى الخاصية النهائية لهذه العمليات (البحث عن المكانة، الاندماج، القيمة...)(E. MARC, op.cit, p 40).

من خلال جميع هذه المقاربات نخلص إلى أن الاتجاه التفاعلي يبدو على أنه الاتجاه الأكثر إقناعاً وشمولية والأكثر إحاطة ودقة في تناول ظاهرة الهوية كفعل نفسي اجتماعي.

4.2 بناء الهوية:

1.4.2 المحددات الأساسية لبناء الهوية:

تبدأ عملية تكوين الهوية عموماً بالموازاة مع عمليات التنقيف والتنشئة الاجتماعية، وهي العملية التي من خلالها يقوم الفرد - منذ الطفولة - ليس فقط المساهمة في تكوين شخصيته، ولكن يتعدى ذلك خلال مختلف مراحل حياته إلى إعادة النظر في بعض أفكاره وعاداته بواسطة قدراته التفريقية المكتسبة والفهم والاستقلالية.

تتم عمليات التنقيف والتنشئة الاجتماعية وفقاً لمجموعة من المحددات الاجتماعية والثقافية والمادية والتاريخية التي تحدد هوية المجتمع ومن خلاله هوية أفرادها. يمكن تصنيفها بحسب اليكس مكشيللي في مجموعات العناصر التالية:

أ. عناصر مادية وفيزيائية: وتشتمل على:

* الحيازات: الآلات/ الموضوعات/ الأموال/ السكن/ الملابس.

* القدرات: القوة الاقتصادية/ المالية / العقلية.

* التنظيمات المادية: التنظيم الإقليمي/ نظام السكن/ نظام الاتصالات الإنسانية.

* الانتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي/ التوزيعات الاجتماعية/ السمات المرفولوجية.

ب. عناصر تاريخية: وتتضمن :

* الأصول التاريخية: الولادة/ الاسم/ المبدعون/ الاتحاد/ القرابة/ الأبطال / الأسلاف

* الأحداث التاريخية الهامة: المراحل الهامة في التطور / التحولات الأساسية/ الآثار الفارقة / التربية

والتنشئة الاجتماعية

* الآثار التاريخية: العقائد والعادات والتقاليد/ العقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي

وجدت في المرحلة السابقة.

ج. عناصر ثقافية نفسية: وتشمل:

* النظام الثقافي: المنطلقات الثقافية/ العقائد الدينية/الايولوجيا / نظام القيم الثقافية/ أشكال التعبير المختلفة (فنون و آداب)

*العناصر العقلية: النظرة إلى العالم/ نقاط التقاطع الثقافية/ الاتجاهات المغلقة/ المعايير الجمعية/ العادات الاجتماعية

* النظام المعرفي: السمات النفسية الخاصة/اتجاهات نظام القيم.

د. عناصر نفسية اجتماعية: وتتضمن

*-أسس اجتماعية: اسم/مركز/عمر/جنس/مهنة/سلطة/واجبات/أدوار اجتماعية/انتماءات اجتماعية.

*-القيم الاجتماعية: الكفاءة/النوعية /التقديرات المختلفة.

*-القدرات الخاصة بالمستقبل: الإمكانيات / الإستراتيجيات / التكيف/ نمط السلوك.

فعندما يريد فرد أن يعرف نفسه، أو الجماعة التي ينتمي إليها، أو هوية شخص آخر، أو جماعة ما يجب عليه أن يختار بعض السمات الموجودة في الفئات السابقة. ويلاحظ في سياق ذلك أن التعريفات التي تشتمل على السمات السابقة كافة هي تعريفات غير موجودة. ويعود ذلك إلى عدم توفر جميع المعلومات الضرورية الخاصة بموضوع التعريف. (اليكس ميكشيللي ، مرجع سابق، ص 20)

كما نلاحظ أن تعريف هوية موضوع ما يجب أن ينطلق من المعايير المذكورة سابقا، وتعد هذه المعايير كافية لتحديد هوية جماعة أو فرد وذلك بالقياس إلى جماعة أو فرد آخر، وذلك يعني أنه يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار عندما يراد تعريف موضوع ما السمات الأساسية المتجانسة من جهة، والسمات الخاصة التي يمكنها التأكيد على خاصة التمايز من جهة أخرى.

2.4.2 خطوات بناء الهوية:

يتفق علماء النفس والمحللين النفسيين على أن عملية بناء الهوية تبدأ انطلاقا من الشهور الأولى في حياة الفرد من خلال تفاعلات الفرد مع محيطه ، فعملية النمو النفسي للأفراد متشابهة في كل الثقافات، بحيث أن الرضيع في بدايات حياته يمر بمرحلة التعلق بالآخر واللجوء إليه لقضاء أي حاجة، وهذا ما يؤكد المحلل النفسي سبيتر من خلال قوله ب أن العلاقة العاطفية أم-طفل هي أساس أول بناء للهوية في حياة الفرد. لقد ركز سبيتر على أهمية التفاعلات المبكرة للطفل مع أمه لتكوين الإحساس بالهوية، يحددها في ثلاث محددات هي الضحك كردة فعل حول ضحك وتنبهات الآخرين، ثم قلق الشهر الثامن في مقابل الشخص الغريب، ثم مصطلح"لا": الذي يظهر استعماله في حوالي العام الثاني مما يسمح للطفل بمعارضة الآخرين وبالتالي الشعور بالاختلاف عن محيطه. (E.MARC, op.cit, p 46)

شيئا فشيئا يكتسب الطفل استقلالية جزئية وهذا بالمرور على مرحلة توكيد الأنا بالاعتراض والرفض، ثم يدخل مرحلة ثالثة هي مرحلة بناء الذات " SOI " التي تساعده في التفريق بين الذات والآخر إلى أن يصل إلى مرحلة الاستقلالية في المرحلة الرابعة باكتساب وسائل رمزية كاللغة والثقافة وهذا بتضافر جهود

كلا من المدرسة والأسرة، فيتعلم الفرد هنا الاستقلالية في معيشته والتفاعل مع الآخرين في نطاق الجماعة والمجتمع ، وبهذا خطوة بعد أخرى يطور الفرد شخصيته وبطريقة مستمرة حتى وفاته.

يولي الاتجاه التحليلي في علم النفس أهمية بالغة للجسم لأنه يعتبره القاعدة التي يبنى عليها كل إحساس بالهوية، وهذا عندما يصبح الرضيع قادرا على تحديد الأحاسيس والتوترات والانفعالات على مستوى جسده ما يمكنه من تحديد ما هو ذاتي وما هو غير ذاتي. بحيث اتجهت العديد من الأبحاث خاصة في مدرسة التحليل النفسي من خلال أعمال بول شيلدر 1986 P.Schilder طبيب أعصاب ومحلل نفساني إلى الإقرار بوجود صور للجسم متعلقة بالغرائز والانفعالات التي تستثمرها، فصورة الجسم ليست معطى ثابت ولكنها تمثلات تتطور وتتكون من خلال التطور الزمني وأحاسيس اللذة واللذذة المصاحبة لهذا التطور. يؤكد ذلك بقوله: (يرتبط البيبدو النرجسي بالتتابع بأماكن مختلفة من صورة الجسم وباختلاف مراحل النمو الليبيدي ، فتمودج الجسم متغير باستمرار). (Ibid, p 42)

لقد أكد فرويد ذلك في كتابه: الأنا والهو (le moi et le ça) على الدور الأساسي للجسم وخاصة الجلد في رسم حدود بين الذات والعالم الخارجي. أما والون wallon 1942 وبياجي j. Piaget 1964 فلقد اتجها إلى تفسير النمو الإدراكي والمعرفي للطفل الصغير من خلال الأحاسيس والحركات الجسمية. لقد شرح بياجي كيف للطفل؛ بعد شعوره بمختلف الأحاسيس 6 أشهر إلى عامين؛ أن يتعلم بالتدريج أن يحس، أن يفهم، وأن يكتشف وجود عالم خارجي يختلف عن ذاته، لذلك نجده يؤكد على ضرورة اكتساب الطفل لأربعة مفاهيم أساسية مكونة للواقع هي: الفضاء والزمن والموضوع والسببية. (Ibid, p 44)

إن تفسير تكوين الهوية من خلال التغيرات الجسدية فقط يبقى غير كافيا لذلك أكد معظم الباحثين على أهمية استخدام اللغة في بناء الهوية، فاللغة هي التي تعطي معنى للهوية ولوجود الفرد. فهي نظام رمزي من خلالها تحقق الهوية معنى لها ومكانة في الأسرة والمجتمع والثقافة، كما أنها وبالتتابع مع اللعب والتقليد تساعد الفرد على لعب مختلف الأدوار الاجتماعية الحقيقية والمتخيلة ما يساعده على تحقيق هويته مع الزمن.

لقد طور اريكسون نظرية كاملة حول بناء الهوية من خلال أعماله حول النمو النفسي والاجتماعي للفرد ، وعرف هذه العملية في قوله: "الهوية تولد من خلال التفاعل بين الميكانيزمات السيكولوجية والعوامل الاجتماعية ، فالإحساس بالهوية ينتج بميل لاشعوري للفرد يكون امتدادا لتجاربه الذاتية أو ناتجا في البحث عن الإحساس بالنكامل والوحدة والانتماء من خلال تنويع عمليات التشبه والتقليد لنمط معين خلال طفولته"، (كوسة فاطمة الزهراء، مرجع سابق ، ص 49) وبما أن الفرد يعتمد إلى تكوين الهوية من خلال الجماعة فإنه يتجه إلى استعمال استراتيجيات الهوية (التشابه والاختلاف) ليحقق مكانته ويعرف نفسه في مقابل الآخرين، مع التركيز على العلاقات بينهم وعلى ادراكات بعضهم لبعض في ديناميكية تفاعلية يزيد من عمقها العوائق والصعوبات التي تعترض العلاقة بين الذات والآخر. وبحسبه فإن عملية بناء الهوية تتبع مراحل التطور الشخصي كما أن المرور من مرحلة إلى أخرى يمثل أزمة من أزمات الهوية.

- (سنتناولها بالتفصيل في الفصل الرابع) كما قام بتحديد أربعة أبعاد للهوية يكتسب من خلالها السمات الخاصة بشخصيته سواء بالملاحظة وبتقليد البالغين أو بطريقة التعلم بالملاحظة والخطأ التي تساعد الفرد على التكيف وتعديل سلوكياته حسب متطلبات المجتمع، يحددها اريكسون في: Gaillard. A, 2006, p 12
- الإحساس بالفردية وهو شعور ايجابي لجميع أنواع الذات.
 - استقرار الصفات الشخصية طوال حياة الفرد، ولو حدثت تغيرات فإنها تكون بسيطة لبعض السلوكيات.
 - تحليل وجمع مختلف أنواع التقمصات، فالفرد من خلال تقمصاته يركز على بعض السمات التي تتناسب مع إمكانياته النفسية لبناء هويته الفردية الخاصة.
 - التناسق المثالي للهوية في الجماعة بحيث يكون النمط الذي يكون عليه الأفراد البالغين هو النمط المثالي.

تتغير وتطور الهوية من خلال مختلف مراحل الحياة لدى الفرد ، هذا التطور لا يتم بدون انقطاعات وأزمات بعيد عن كل الإرهاصات المرضية (أزمة الهوية عند اريكسون).

3.4.2 خاصية الثبات والاستمرارية في الهوية :

قد نتساءل أحيانا: كيف يمكن للفرد ؛ بالرغم من التغيرات التي تحدث له خلال مختلف مراحل حياته وتمس مختلف العناصر المشكلة لنظام الهوية لديه ؛ أن يدرك أنه هو نفسه مع الزمن؟ وكيف ؛ بالرغم من مختلف التقمصات التي تؤدي إلى تحولات جديدة في بناء الهوية ، نجد الفرد يحيى في شكل وحدة متوازنة مع الزمن؟ . للإجابة عن ذلك تشير الزهرة قراوي إلى ثلاث مفاهيم أساسية تشرح خاصية الفرد والاستمرارية في الهوية وهي:

* **نواة الهوية المتوازنة:** يؤكد كارتسزين Kastersztein وجود نواة صلبة تمثل البنية العميقة في الفرد تسمح له بالعيش كوحدة متشابهة وتسمح له كذلك بالتغير باستمرار . تظهر الهوية بحسب تبودا ليونيتي Taboada-Leoneti بمظهر بينية متوازنة عبر الزمن، ولكنها تتميز بنوع من المرونة التي تسمح بتغير جزء من العناصر التي تكونها أو تستدخل عناصر أخرى بحسب التغيرات الموضوعية المتعاقبة .

* **قيمة صورة الذات:** عند تشكيل الهوية تظهر لدى الفرد الحاجة للتقدير من طرف الآخر من خلال تشكيل صورة ايجابية حول ذاته حيث يقوم بسلوكيات ترفع من تقديره وتسمح له ب أن يكون معترفا به ومحبويا ومقبولا ومقدرا من الآخرين ومن نفسه أيضا ويحتل مكانة في الجماعة. فمن خلال المقارنات التي يقوم بها مع الآخرين يشكل الفرد صورة لذاته يسعى لأن تكون متطابقة مع الصورة المثلى للذات.

* **العلاقة بين الهوية والتوازن وقيمة الذات:** إن الهدف الأساسي من عملية بناء الهوية هو الحفاظ على المعنى والقيم بالتفاوض مع التغير في مختلف الوضعيات . تظهر هذه العملية في صورتها الصراعية في وضعيات الالتقاء الثقافي لثقافتين مختلفتين أو أكثر مما يجعل الفرد يعيش ثقافته بشكل صراعي وتقاطبي ينعكس ذلك على هويته وتوازنه النفسي. فيركز على تحقيق التوازن في نواة الهوية وقيمة الذات لإعادة التوازن في الهوية. (Z. GUERRAOU, B. TROADEC, op.cit, p 74).

و لتحليل خاصية الاستمرارية للشخصية ، يشير كاميليري 1990 إلى وجود قطب انطولوجي ومحوري (pole anthologique ou axiologique) يمثل الثبات (للأفكار والسلوكيات) في مقابل قطب براغماتي (pole pragmatique) تكون وظيفته هي التكيف مع مختلف الوضعيات. و ذهب مالوسكا h. Malewaka في نفس اتجاه اريكسون بالتأكيد على خاصية الاستمرارية في الهوية حتى لا تكون الهوية بنية صلبة وثابتة ولكن كنظام ديناميكي ينظم التغيير للحفاظ على التناسق الداخلي والخارجي للشخصية. (A. JUMAGELDINOV, op. cit ,p 20).

إن النظائر بين هذه المفاهيم والخصائص يجعل الفرد يحافظ على خاصية الاستمرارية والتغيير في هويته ويساعده على تحقيق وحدة المعنى والتناسق بين مختلف مكونات هويته الفردية والاجتماعية والجماعية مما يسمح له بالتطور وفق المتغيرات المحيط به في تناسق مع المحددات الثقافية والنفسية والاجتماعية التي اكتسبها سابقا في هويته من خلال عمليات التنقيف والتنشئة الاجتماعية السابقة.

5.2 إشكالية الهوية والثقافة:

يشير برهان غليون في كتابه "مجتمع النخبة" على ضرورة التأكيد في تناول موضوع الثقافة على الطبيعة الاجتماعية والفردية لهذا المفهوم وعلى مكانة ودور الثقافة في بناء شخصية متوازنة ونظام اجتماعي متكامل، وهذا لكي نستطيع أن نفهم معنى التغيرات الثقافية ودوافعها وعقباتها والمقاومات المختلفة التي تجابه التحديثات الثقافية هنا وهناك ، وليوضح ذلك نجده يركز على الوظيفة والحركة الذاتية الخاصة بالثقافة التي تجعل لوجودها ولتطورها وفعاليتها معنى محددًا، هذه الوظيفة تتمثل في تحقيق التوازن العام للجماعة من خلال جملة من المعايير المختلفة التي تسمح بدمج الأفراد بعضهم ببعض وخلق هوية خاصة بهم تميزهم عن أفراد الجماعات الأخرى.

قبل أن يعني بناء الشخصية والهوية عمليات تمايز جماعة ما عن الجماعات الأخرى ، أي الأصالة، يجب فهم أن بناء الهوية في ظل العملية الثقافية يهدف إلى بناء علاقات داخلية وذاتية بين الفئات السائدة والنافذة في مجتمع ما مع الطبقات المنتجة بمعنى تأسيس المعايير التي تساهم في حل الصراع الاجتماعي والتناقضات الاجتماعية المنتشرة في المجتمع المحلي (برهان غليون، 1989، ص 65).

فالثقافة والاعتناء بها مطلب شرعي والانفراد بالقيم التي تكونها وتتصف بها لا يكون بالسهولة المتصورة، كما أن الهوية تستوجب من الآخر تغيير الصور الأولية الخاطئة التي كونها مما يبعده عن الإحساس بالقلق ويساعده على تثبيت التصورات الصحيحة.

في دراسته للطلبة المهاجرين إلى فرنسا، يشير كاميليري إلى أن مفهوم الذات الغير ناضج لديهم يعود إلى اختلاف المحيط الثقافي الأصلي لدى أغليبيتهم عن ثقافة البلد المستقبل لهم، مما أدى إلى عدم ثبات التصورات الاجتماعية في أذهانهم بالرغم من الصدى الذي تحمله، يفقد هؤلاء الطلبة إلى تنوع الهوية مما يجعل تشبههم بالمجموعة الأصلية والتمسك بها صعبا للغاية خارج ذلك الإطار ، وينعكس ذلك خلال التقائهم بالجماعة الأصلية أين تظهر للسطح الجوانب المشتركة التي تجمعهم مما يمكنهم من إيجاد منبع

لهويتهم، يؤكد كاميليري ذلك من خلال قوله: "إن للثقافة دور في تكوين تصور للهوية" CAMELLERI, (1984, P 290).

وإذا كانت مسألة الهوية قد طفحت إلى السطح في العالم العربي المعاصر فهذا نابع من إخفاق السياسات الثقافية المتبعة في العقود الماضية في استيعاب قيم وعناصر الحضارة الحديثة والتي جعلت الامتثال بها وتقليدها الهدف الأول لهذه السياسات، هذا الإخفاق يعود إلى الفهم الخاطئ والمغالي فيه للثقافة والحضارة معا بعيدا عن الفهم العميق لجوهر عملية التطور الثقافي لذلك أخفقت في الوقوف على طبيعة التحديات الحضارية والمشكلات الثقافية التي تطرحها فعاليات العالم المعاصر.

يحمل مصطلحي الهوية والثقافة الكثير من المعاني الرمزية المشبعة وجدانيا ، فبإمكانهما إعطاء العديد من الشرح عن الوجود وعن سلوكياتنا وعلاقتنا الداخلية والخارجية مع الآخرين، فمن خلالهما يعرف الفرد نفسه في مقابل الآخر ويكتسب مكانة في المجتمع وبعض العلاقات الاجتماعية " الحقيقية أو الرمزية" التي لها القوة لتوجيه فكره وسلوكه. إن الكلام عن الثقافة والهوية يقودنا إلى نوع من العلاقة والتداخل بين الميدان النفسي والفضاء الثقافي و بين الحقيقة النفسية والأبعاد الثقافية. فالنفس والثقافة مصطلحين مختلفين كلية ولكنها يتواجدان في تفاعل مستمرة بينهما على شكل علاقة تكاملية.

تظهر أهمية دراسة العلاقة بين الهوية والثقافة إلى الاتجاه المعاصر الذي يفسر الكثير من الانحرافات الاجتماعية والنفسية من خلال بعض المحددات الثقافية كالدين مثلا بحيث نجد العديد من الباحثين المعاصرين يربطون بين العنف باسم الدين والحفاظ على الهوية الدينية من خلال بروز هذا العنف في العديد من المجتمعات. لذلك فإن دراسة هذه العلاقة تساعد على تسليط الضوء على العلاقة الديناميكية بين الفرد ودينه وثقافته والتي تقترح لنا حقيقة جديدة هي: " أن هوية الفرد ترتبط ارتباطا موجبا بزيادة قيمة دينه وثقافته " (HIJAZI, op.cit , p 89). وبعيدا عن هذا الطرح نلاحظ ظهور حقيقة جديدة تنتشر سريعا وهي: " الهوية الثقافية في وعاء الدين" حيث كانت سابقا الدراسات تتناول الدين في وعاء الهوية مما يجعل دراسة الهوية فعل مرتبطة بشدة بالدين. لكن هذا لا يعني أن فعل الهوية مقتصر فقط على الدين الذي يجعل الأفراد عناصر دينية فقط ولكنه يتعدى ذلك فالهوية ليست مادة دينية راکدة ولكنها وحدة رمزية وبنية نفسية واجتماعية وثقافية وديناميكية تتميز بالتجدد والاستمرارية والنمو والتطور. عموما فإن السلوك الإنساني لا يفسر فقط من خلال استدخال المعايير الثقافية والدينية فقط بل يتعدى ذلك إلى معايير أخرى لكن تبقى الثقافة والدين ومعاييرهما الدعامة الأساسية لهذا البناء .

بهذا يمكننا أن نؤكد على أهمية الثقافة في إنتاج الهوية من خلال إنتاج القيم والرموز السابقة والطقوس التي تقاوم خطر الاختفاء والاضمحلال في عالم النسيان ، فهي بهذا تحافظ على حياتها واستمراريتها في الزمان. فالثقافة إذن هي الضامن الأساسي لعدم اضمحلال هوية الأفراد، فهي فعل اجتماعي مرتبط بشدة بالديناميكية النفسية للأفراد وحاجاتهم وطموحاتهم ، كما أن استمراريتها متعلقة بوظائفها التي من خلالها تحافظ على هذه الاستمرارية وعلى فعاليتها الاجتماعية.

3. العولمة والثقافة وإشكالية الهوية والآخر:

1.3 مفهوم العولمة:

لا أحد بعيد عن تأثيراتها ، العولمة هي حدث شامل يمس جميع المجتمعات الإنسانية مما يجعلها متعددة الثقافات نتيجة للثورة التكنولوجية لوسائل الإعلام والاتصال والنقل، هذه الثورة لم تكن وليدة الصدفة بل هي نتاج مئات السنين من تلاحق الأفكار والثقافات بين مختلف شعوب المعمورة . فمنذ عشرات السنين حدثت طفرة حضارية سريعة جدا قلبت العالم رأسا على عقب في ظل التحول والتطور السريع الذي أحدثته العولمة في ظرف قياسي وما صاحب ذلك من تحولات اجتماعية عميقة وشاملة لجميع المستويات أضعاف ما أنتجته الثورتين الزراعية والصناعية معا من تطور وتحول عبر العشرات من السنين .

فهي بهذا المفهوم تعني اندماج متدرج لمختلف أجزاء المعمورة بفعل تسارع التبادلات الثقافية والاجتماعية بين الشعوب نتيجة ثورة تكنولوجيا الاتصال وسهولة التواصل العالمي، وهي أيضا: " عملية تفاعل ناتجة عن التبادلات في مختلف الميادين وفي مختلف أنحاء المعمورة" (Ipid, P 90)، يعرفها جون بييري على أنها: " تشير إلى تعدد الروابط والعلاقات المتشابكة التي تتجاوز الدولة القومية ، وتتحدد بعملية من خلالها يكون حدوث قرارات أو إحداث أمر ما في جزء من العالم يمكن أن تمتد عواقبه إلى أفراد ومجتمعات محلية في مناطق أخرى بعيدة". (Berry, 2008, P 6) ، ويضيف جيمس روزو على أن مفهومها يتحدد من خلال مجموع العلاقات التي نقيمها بين مستويات متعددة كالاقتصاد والسياسة والثقافة، كما تظهر آثارها بوضوح على مستوى نتائج الصراعات القائمة بين مختلف المجموعات المكونة للمجتمع سواء المقيمة فيها أو المهاجرة إليها . أما من ناحية الخطاب الثقافي الأيديولوجي يمكننا تعريف العولمة على أنها تعبير لانتصار الحضارة الغربية الرأسمالية، فهي ظاهرة لا مفر منها من شأنها تحويل العالم إلى قرية كونية وعلى المجتمعات التي تريد الاستمرار في هذا العالم أن تعيد هيكلة واقعها ليتكيف مع متطلبات الاندماج العالمي وهذا هو الهدف الاستراتيجي للعولمة. (برهان غليون، 2005، ص 11).

في هذا الحاضر المتحرك والدينامي قامت العولمة بمسح الحدود الجغرافية والجيوسياسية وجعلتها عبارة عن حدود رمزية فقط لماضي ينهار شيئا فشيئا تاركا مكانه لحاضر بركاني يحوي ملايين التغيرات والتحولات، متجها نحو مستقبل غامض ومجهول مليء بالمخاطر وجميع الاحتمالات المحتملة الحدوث وحتى الغير المحتملة، وهذا يمس مختلف جوانب الحياة فالجميع مشترك ومؤثر في الحياة اليومية وبوتيرة سريعة جدا. فللعولمة بحسب بن عبد الله محمد دور مزدوج ومتناقض ، فهي من ناحية تساهم في إثراء الثقافات وتقريبها من بعضها البعض ومن ناحية أخرى تعمل على مضاعفة المخاطر المرتبطة بالتبادلات غير المتوازنة التي تشارك في تكريسها الوسائل الإعلامية الثقيلة. إذ تفضي بصفة فعالة إلى فرض منطق صناعي يهدف إلى إيثار المردودية الإنتاجية والانغماس في الليبرالية على حساب المنتجات الثقافية الأخرى. كما تشارك من خلال صناعة الأخبار والترفيه في سحق علاقات التقارب والتمايز الثقافي

بترويجها لصورة عن العالم تجعل شباب الثقافات المستضعفة التي لا تنتج إلا نسبة قليلة من المواد الإعلامية المحلية يعيشون في فضاء مملوء بالأحلام ويتطلعون إلى أبطال وهميين وينتمون إلى مجتمعات مفككة الأوصال ومهددة بالزوال. (بن عبد الله محمد، 2010، ص 127).

من أجل التصدي لخطرا العولمة ترتفع الكثير من الأصوات في الآونة الأخيرة تدعو إلى تبني التعدد الثقافي وتريد أن تجعل منه مشروعا أساسيا ووسيلة للتحكم في سلبيات العولمة ولمد جسور التعاون والتعارف والتحاور وتجفيف منابع الصراع والخصومات وبناء عالم متعدد الأقطاب.

2.3 العولمة والمشكلة الثقافية:

نتيجة للعولمة وعملية التبادلات الناتجة عن وسائل الاتصال ظهرت ظاهرة التلامس السوسيوثقافي التي لفتت أنظارنا نحو إشكالية الحركة الثقافية في زمن العولمة، لهذا فإننا عندما نتكلم عن العولمة فإننا نتكلم عن هذا التلامس والتلاقي بين الثقافات المختلفة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، مما يجعلنا نقر أن معظم المجتمعات الإنسانية في العصر الحالي أصبحت مجتمعات متعددة الثقافات مع التسليم بفكرة أن كل جماعة تملك حق التفتح على الثقافات الأخرى، السؤال المطروح هنا هو: "إلى أي مدى تحترم العولمة حق الشعوب في الحفاظ على ثقافتهم الأصلية وإلى أي مدى تحترم حق حرية التعبير الثقافي لديهم؟".

عموما ، ومنذ أمد بعيد كانت الثقافة تشير إلى مجموع التراث والعادات وطرق التفكير والسلوكيات الموروثة من جيل إلى آخر، فهي تمثل هوية مجتمع ما وكذا هوية أفراده ، اليوم أصبح هذا المفهوم غير كافي في ظل العولمة وتحدياتها، فالخلائط الثقافية التي ظهرت وتظهر كل يوم جعلت من فكرة الثقافة تأخذ أبعادا أخرى في ظل هذه التحولات الزمانية والمكانية التي جعلت جميع أفراد المعمورة في اتصال ببعضهم البعض. يقول ديمورقون: "إن التحولات الزمانية والمكانية تؤدي إلى تحولات في المفاهيم ، فالثقافات تدخل في دينامية تطويرية مختلفة بهدف خلق حالات جديدة انطلاقا من منطلقات أولية مختلفة" (HIJAZI, op.cit , p 93 ، فالثقافة تعاش من خلال استراتيجياتها وتشكيلاتها الجديدة كما تعاش من خلال تشكيلاتها السابقة، هذه التغيرات المستمرة تجعل الفرد مستقبلا لأفكار وأنماط سلوكية كثيرة ومتعددة مما يوسع من إدراكاته للأشياء ويفرض عليه تطوير معارفه وتغيير أنظمة تفسير وإدراك العالم الخارجي اعتمادا على التعدد والثراء الثقافي الذي يميزه. تظهر هذه الإشكالية بشدة وعنق في بلدان العالم الثالث وبالخصوص البلدان السائرة في طريق النمو أكثر مما تظهر في البلدان المتقدمة لأن العولمة فيها لا تهدد الثقافة والهوية الغربية بصفة عميقة لأنها أساسها ومنبعها عكس ما تخلفه في البلدان المتخلفة عن الركب الحضاري بعد مرحلة الإعجاب والانبهار من شعور عميق بالفراغ والإحساس بالدونية وشعور بالذنب مع خوف من التخلي عن الموروث الثقافي المحلي. تبعا لهذه الظروف، ظهرت ارتباطات قوية بين العولمة وما بين الثقافات ، بحيث تمثل هذه الأخيرة ثمرة وهدف أساسي من أهداف العولمة، مما يلزمنا بتغيير طريقة تناول الكثير من المواضيع المتعلقة بهما كالهوية والآخر وهذا بالتركيز على أثر التعدد الثقافي في

المجتمعات الحالية وما يخلفه من تغيرات واضطرابات على مختلف مستويات البناء الشخصي والاجتماعي.

تبعاً لهذه الظروف ظهرت التحولات والتغيرات الثقافية بشدة في المجتمعات المعاصرة مع ظهور نماذج جديدة من التفاعلات بين الثقافات في عالم مفتوح على مصراعيه وبدون حدود ومعوقات تواصلية. هذا ما أنتج مصطلحات جديدة نذكر منها : ما بين الثقافات . فالعلاقة بين هذا المصطلح والعولمة علاقة قوية لأن هذا المصطلح في حقيقة الأمر هو نتاج وهدف من أهداف العولمة . إن العولمة وما بين الثقافات كفعل كانا منتشرين سابقاً ولكن بطبيعة مختلفة لذلك وجب تغيير طرق تناول هذا الموضوع والهوية باقتراح إمكانية تواجد عدة ثقافات في أن واحد لتجنب الآثار السلبية للعولمة.

3.3 العولمة وإشكالية الهوية والآخر:

لقد ساهمت العولمة من خلال التغيرات الثقافية والاجتماعية التي صاحبته في طرح قضية أزمة الهوية ونسبيتها في خضم هذا التنوع الثقافي وتعدد التمثلات الاجتماعية في المجتمعات السائرة في طريق النمو والتطور. تعود هذه النسبية بالأساس إلى التدفق الهائل للمعلومات القادمة من الآخر والتي تجعل انتماء الفرد واستقراره في مجاله الاجتماعي معطى صعب المنال في ظل الصراع بين متطلبات الحفاظ على الهوية الوطنية وبين الحاجة إلى التفتح والنهل من مغريات الحضارة الغربية وميزاتها. شهد مفهوم الآخر تطوراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة ، فبعدما كان بالأمس القريب يرمز إلى الشخص المختلف في عاداته وثقافته مع صعوبة الوصول إليه في الأغلب لبعده الجغرافي ، أصبح اليوم يعنى المختلف في عاداته وثقافته ولكنه يفرض حضوره الدائم في التلفزة وفي جميع وسائل الاتصال مما يفرض على الفرد القيام بمجهودات معتبرة لفهمه ولما لا تفهمه. بهذا تحول البعد الفيزيائي للآخر في المفاهيم السابقة إلى بعد اجتماعي ثقافي فقط في ظل تلاشي الحدود الجغرافية والسياسية في ظل العولمة وثورة التكنولوجيا.

نفس الشيء بالنسبة لمسألة الهوية ، فقد تعرضت لأزمات حادة في ظل الإشكالية الثقافية الحالية مع تمزقات عميقة في بناءها واستمراريتها ، الشيء الذي جعل هذا المفهوم الجوهرى لاستقرار الفرد والجماعة والمجتمع متشعباً حتى أصبحنا الآن لا نتكلم عن هوية فردية خاصة لكن عن مجموعة من الهويات والتقمصات التي تفرض نفسها على الفرد . من العادي أنه مع ظاهرة العولمة، التي يمكن اعتبارها كأزمة في بعض دول العالم الثالث، نجد أن الهوية الفردية وحتى الجماعية تكتسب أبعاداً جديدة مع خطر اندثار واضمحلال أشكال وتمثلات الهوية السابقة، فمن خلال أبحاث العديد من الباحثين أمثال: ماكس وبر وكلود دوبار نجد أن مصطلح الهوية تطور من الصيغة المحلية الفردية أين نجد الفرد متمسكاً بشدة بالجماعة والمجتمع المحلي إلى الصيغة الجماعية أو المجتمعية المتعددة، فالفرد هنا يتمسك بمتغيرات مختلفة ولفترات زمنية محددة ، تمده هذه المتغيرات بوسائل هوية يستعملها بطريقة مؤقتة ليساير بها الوضعيات الحرجة الناتجة عن التغيرات السريعة والفجائية التي تمثل التعبير الصريح لمحاولات الآخر

المستمرة لفرض نموذجة الثقافي المتعارض مع قيم وثوابت الفرد مما يخلق لديه صراعا يأخذ صبغة جديدة مع العولمة سواء عن طريق المقاومات الوطنية لصالح هوية جماعية بعد وضعيات ضغط شديدة وتهديدات مستمرة، أو عن طريق المقاومات الإقليمية نتيجة لاتجاهات محلية مسيطرة ومنتشرة بقوة كردة فعل للعولمة، كما لا ننسى الحركات المنادية بالعودة إلى الماضي كالحركات الإسلامية التي ترى أن العودة إلى الإسلام هي السلاح الفعال والوحيد ضد العولمة والغزو الثقافي الغربي المهدد للثقافة المحلية، وهذا بالتركيز على حال الخلافة العربية الإسلامية في الماضي أين كانت الهوية الفردية تنهل أسسها ومبادئها من الإسلام في عملية يطلق عليها اسم نكوص الهوية.

تجدد بنا الإشارة إلى أن الانترنت أثرت بشدة في موضوع "الهوية والآخر"، فمع جانبها الايجابي المتمثل في جعل الفرد على دراية متواصلة بما يحدث في العالم الخارجي، يمكن أن تكون السبب المباشر في رفض الآخر وثقافته ما يمثل منبع تهديد للهوية، هذا بالإضافة إلى ظهور مفاهيم جديدة أكثر تجريد وشمولية من المفاهيم المتداولة عموما مما زاد من تعقد وضعية الفرد وجعل من عملية تكيفه مع مختلف هذه الاتجاهات والقيم أكثر صعوبة وتعقيدا، فالانترنت بهذا تفرض على الفرد إعادة دراسة مفاهيمه القديمة لصالح اكتساب واستدخال مفاهيم جديدة قد تحول معتقداته وحتى معاني بعض المفاهيم لديه كالوطنية والديانة والعائلة، بمعنى أن دور الفرد الاجتماعي في ظل العولمة أصبح مقتصر على دور المستهلك لمختلف الرسائل والسلع المعروضة عليه في إطار سوق تتميز بصفة المحلية والوطنية والعالمية في آن واحد (HIJAZI, op.cit, p 94)

4.3 العولمة والدولة:

لعبت العولمة عموما، ومن خلال الانترنت بالخصوص، دورا هاما في التقليل من سلطة ودور الدولة الإقليمية في توجيه وحكم ثقافة وسلوكيات أفرادها، فالمفاهيم التي تقوم عليها الدولة تتعرض للتعديل والتطور حسب مقتضيات العصر وشدة التدفق الثقافي في ظل ثورة المعلومات والاتصال، فالدولة الحديثة في علاقاتها مع العالم الخارجي تتعرض إلى أزمات عميقة متعلقة بأنظمتها الداخلية كالأنظمة الثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية منها مما يلزمها بإعادة النظر في هذه الأنظمة في سبيل جعلها تتماشى وتتناسب مع متطلبات العصر ومطالب الهوية الفردية والجماعية، ومما زاد من تعقيد هذه الوضعية ظهور شبكات عالمية عابرة للأوطان تمارس سلطة غير مرئية وغير مباشرة على الفرد من خلال العلاقات الاجتماعية والتبادلات المتنوعة التي تتم في إطارها، الشيء الذي خلف تقليصا كبيرا في سلطة الدولة الإقليمية على أفرادها بحيث أصبحت عملية فرض السلطة بطريقة مطلقة شيئا من الماضي، كما أنها في العديد من الأحيان تعجز في مراقبة الجماعات والأفراد المنتمين إليها وعن وضع سياسات واستراتيجيات وطنية ثقافية واقتصادية على المدى البعيد، لقد أصبحت الدول الآن عامل من العوامل المختلفة المتحركة في تسيير الأوطان بعدما كانت بالأمس القريب العامل الوحيد في ذلك، لكن هذا لا يعني أن دور الدولة غائب كلية عن مسرح الحياة العامة فهي في مقاومة مستمرة لإعادة تنظيم وفرض

سيطرتها على المجتمع من جديد ولو بصورة نسبية، ولتحقيق ذلك نجد أنها تركز على حاجة الفرد ، في ظل هذه الحركية الثقافية العنيفة ، إلى نوع من الاتزان والأمن النفسي والعودة إلى الجذور والتمسك بالهوية الفردية والإقليمية ، فالدولة تمثل القيمة الرمزية لحاجة أفرادها المتفتحون على الثقافات العالمية إلى الهوية والانتماء بغرض تحقيق اشباعات محلية ثقافية. إن للحضور الرمزي للدولة أهمية كبيرة في تحقيق السلام الفردي والوطني وحتى العالمي في إطار التعايش الثقافي بين مختلف هذه الثقافات العالمية ، هذا التعايش ، إذا تحقق بصورة جيدة ، سيمنع تحول العولمة إلى قنبلة موقوتة من خلال التخفيف من شدة الوضعيات الحرجة التي تقع فيها الدول الإقليمية في ظل تلاشي مفهوم الحدود الجغرافية وتجاوزها إلى نمط جديد من الحدود ذات البعد الثقافي والاجتماعي (HIJAZI, op.cit, p 96) .

4. الشباب في ظل العولمة:

إن عنصر الشباب في أي أمة يعتبر معقد نهضتها وآمالها، فهو كالمراة العاكسة لواقع هذا المجتمع من صحة واضطراب ، لهذا تتجه اهتمامات المجتمعات الحديثة إلى الاهتمام أكثر بهذه الفئة وتوفير رعاية خاصة بها في هذه المرحلة الحرجة من النمو والتي من خلالها يسعى الفرد الشاب إلى إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية ، علما أن عدم تحقيق هذه الاشباعات قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية تعود على الفرد والمجتمع بعواقب كبيرة.

1.4 مفهوم مرحلة الشباب:

نعني بمرحلة الشباب المرحلة الانتقالية بين الطفولة ومرحلة الرشد والتي تسمح للفرد باكتشاف قدراته وحدودها وكذا قدرات محيطه، كما تمثل مرحلة الشباب فترة التحول العضوي والنفسي والاجتماعي في حياة الفرد من مرحلة أولية إلى مرحلة أرقى منها ، من مرحلة الطفولة التي تتميز باعتماد الطفل على الغير في قضاء حاجاته وإشباع رغباته إلى مرحلة ينتقل فيها إلى الاعتماد على النفس ويكتمل فيها النمو الجسمي والفكري والوجداني، بحسب ايريكسون 1972 : " في مرحلة الشباب يقوم المجتمع بتشجيع الفرد في تقمص وممارسة كل الأدوار التي يمنحها له بكل حرية ، فهي مرحلة أساسية وجوهرية لأنها تسمح للشباب والمراهق بإثراء رصيده الحياتي بالتجارب لتحضيره لتحمل المسؤولية في مرحلة الرشد " (BÉLANGER, 1997, p 19).

تبدأ هذه المرحلة بالأساس بمرحلة أولية هي مرحلة المراهقة التي تمتد عموما من 12 إلى 18 سنة يمكن اعتبارها خطوة الفرد الأولى للخروج من الطفولة ، تتميز بالنمو الجسمي والبدني السريع والذي يتصاحب مع التطور النفسي والانفعالي والسلوكي مما يهيئ الأرضية المناسبة لمرحلة لاحقة هي مرحلة الشباب الحقيقية الممتدة من 18 إلى 25 سنة كعملية امتداد وتواصل لعمليات النمو السابقة بهدف بلوغ المرحلة التالية في النمو وهي مرحلة الرشد، يؤكد محمد التومي الشيباني ذلك من خلال قوله: " الشباب هي الفترة الزمنية بين مرحلة الطفولة والرشد، من خلالها يتحقق النضج الجسمي والنفسي والانفعالي والاجتماعي للفرد ، تمتد من بدء البلوغ وظهور أولى علاماته إلى زواج الشخص وتحمله المسؤولية كفرد

راشد وناضج" (الشيباني محمد التومي، ص 39) ، لقد تعدد وجهات النظر حول التحديد الزمني الدقيق لهذه الفترة وإن ركزت في العموم على العمر البيولوجي في ذلك، يقول قالوند 1993 : " مرحلة الشباب هي نتاج البناء السسيوتاريخي للفرد ، فهي تمثل في المجتمع الحديث فترة زمنية تمتد بين الطفولة والرشد " (S ROY.,1998, p7). والمسلم به أن هذا التحديد لا يعدوا أن يكون إلا أمراً نسبياً يغلب عليه الطابع الذاتي لأنه من الصعب بما كان تحديد بدايتها ونهايتها بشكل دقيق ونهائي انطلاقاً من كون أن لكل مجتمع خصوصياته في تحديد هذا المجال الزمني لفترة الشباب. في بحث لمؤسسة الأبحاث الأوروبية حددت فترة الشباب من 15 إلى 25 سنة (Commission européenne, 2000, p 10) ، بينما يحددها الباحث المصري إقبال الأمير السمالوطي في أبحاثه ما بين 15 و30 سنة ، تمثل هذه الفترة عموماً السن التي تتيح الفرصة لتحديد الفئة التي تنفق في العديد من الخصائص والميزات التي تمثل الركائز الأساسية المتحركة في نمو الفرد في هذه المرحلة مثل : القابلية للتعلم والتعليم والنمو والقدرة على الابتكار والتكيف (كوسيت صليحة، مرجع سابق، ص 78) ، يتفق هذا التحديد مع أهداف هذا البحث الذي سنأخذ فيه التحديد الزمني لفترة الشباب عند السمالوطي من 15 إلى 30 سنة كتحديد إجرائي لهذه المرحلة.

2.4 النمو الانفعالي والاجتماعي للشباب:

كلما زاد النضج الجسدي والاجتماعي للفرد الشاب زاد تبعاً لذلك نضجه الانفعالي ، فدرجة التطور والنمو المعرفي والعقلي وحتى الاجتماعي للشباب تحدد بنسبة كبيرة بنوعية الاستجابة الانفعالية لديه ومدى اتزانها، ونقصد بالنمو الاجتماعي مجموع التغيرات التي تطرأ على عادات الفرد وقيمه واتجاهاته الاجتماعية وعلى علاقاته مع الآخر في هذه المرحلة التي لا تعدو إلا أن تكون نتاج تفاعل بين خصائصه النفسية والوجدانية مع مؤثرات المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الفرد، من أبرز هذه العوامل:

- الأسرة: هي أولى حلقات المحيط الاجتماعي التي يتعامل معها الفرد ويكتسب من خلالها الكثير من مقوماته الشخصية واتجاهاته وعاداته النفسية والاجتماعية ، فهي التي تحدد إلى حد بعيد صفات ومميزات الشاب التي من خلالها يمكننا الحكم على حالته النفسية انطلاقاً من خبرات طفولته الماضية ومروراً بمختلف مراحل نموه، فالنمو الاجتماعي والانفعالي للشباب يتأثر عموماً بالجو النفسي السائد في أسرته والمعايير والقيم الاجتماعية السائدة فيها كما لا ننسى أثر المستوى الاقتصادي والثقافي لهذه الأسرة.
- المدرسة: تمثل الحلقة الثانية في عملية التنشئة الاجتماعية بعد الأسرة، يظهر تأثيرها في مجموع الخبرات التي يختبرها الفرد من خلال المدرسة ومن خلال العلاقات السائدة فيها، بالإضافة إلى الجو النفسي والاجتماعي المسيطر على سيرها العام، هذه العوامل يمكن أن تكون مساعدة على النمو الاجتماعي السليم والتوافق النفسي إذا كانت سليمة البناء ومتكاملة المقاصد والأهداف والعكس وارد.

- **المجتمع:** يتمثل دور المجتمع في أثر جماعة الأقران ورفاق السن في تعديل وتغيير بعض معايير واتجاهات الفرد من خلال تفاعله معهم في إطار العلاقات الاجتماعية، إن الانتماء إلى هذه الجماعات يدرّب الفرد على اكتساب مهارات التكيف الاجتماعي مع مختلف الوضعيات والظروف بالاعتماد على عمليات التفاعل والحوار الاجتماعي التي تهدف إلى مساعدة الفرد على تحقيق إشباع للكثير من حاجاته النفسية الأساسية كالحاجة إلى الأمن والتقدير الاجتماعي وتحقيق الذات والتعبير عن رأيه بكل حرية ، هذه الإشباعات لا يمكن تحقيقها لو بقي هذا الفرد متوقفاً في إطار الأسرة منعزلاً عن هذه الجماعات، وباختصار فإن النمو الاجتماعي للشباب يتأثر كثيراً بجماعة الأقران التي تحدد إلى حد بعيد مدى تكيف الفرد مع متطلبات مجتمعه وعلاقاته الاجتماعية. (الشيباني محمد التومي، ص 104/105).

3.4 بيئة الشباب العربي والجزائري:

يمثل الشباب العربي أكثر من 40 % من مجموع سكان الوطن العربي البالغ عددهم أكثر من 200 مليون نسمة، هذا الشاب ، وهو يعيد اكتشاف ذاته في ظل العولمة ليتحقق موضوعياً من حقائق الوجود الاجتماعي والكوني في رحلة البحث عن أدوار فاعلة له في الحياة يتسع حيزها لعطائاته الحيوية، يقع في وضعيات صراع عنيف بين موروث ثقافي وديني طابعه السائد يميل إلى الثبات والجمود وحاجات التطور والعصرنة تحت مظلة عمليات العولمة، هذا الموروث الثقافي والديني ؛ من منطلق النموذج الأبوي الذكوري الذي يقوم على فكرة أن المثل الأعلى للوجود الاجتماعي ؛ قد حقق في الماضي الإسلامي مجداً ونجاحاً منقطع النظير مما يوجب تمجيده وتجسيده على مستوى السلوك والتفكير في المؤسسات الاجتماعية المختلفة من أسرة وجامع ومدرسة ومجتمع ، خاصة وأن هذه المؤسسات الاجتماعية باهتة في ميولها التنويرية ساطعة في اتجاهاتها المحافظة.

يعيش الشباب العربي عموماً والشباب الجزائري خصوصاً في تنظيم مجتمعي يحمل بذور وأد الحرية في طياته، إذ يمكننا تشبيه هيكل التنظيم المجتمعي في البلدان العربية على شدة تنوعه وتعقد تركيبته بسلسلة متشابكة من الحلقات بدءاً من التنشئة في الأسرة مروراً بمعاهد التعليم وعالم الشغل ومؤسسات المجتمع المدني وانتهاءً بالسياسة في الداخل والخارج، أين يفقد الفرد في كل حلقة منها قسطاً معتبراً من حريته وتسلمه مسلوباً من هذا القسط إلى الحلقة اللاحقة، كما تركز المؤسسات التعليمية قيم التلقي والخضوع ولا تفتح أبواب التفكير والنقد أبداً يغذيها في ذلك المؤسسات الإعلامية الوطنية التي تعزز هذه القيم وتوطدها، هذا بالإضافة إلى سياسات التمييز السائدة على نطاق واسع في تقسيم المزايا والموارد الوطنية فالرجل أولى من المرأة والغني أسبق من الفقير في ظل استبداد سياسي تحت قناع الشرعيات الثورية وسيادة القانون وشرعية التقاليد التي تتيح لجماعات قليلة التحكم في مقاليد البلاد وفقاً لإرادة الحاكم، الشيء الذي سبب ضعف وهشاشة المواطنة في عقول الشباب مما جعلهم فريسة سهلة لعمليات التثاقف في ظل العولمة وثورة الاتصالات.

يمكن تقسيم الشباب العربي إلى ثلاث فئات رئيسية تبعا لتأثرهم بأدوات العولمة، وهو نفس التقسيم للشباب الجزائري:

* الفئة الأولى: تشمل الشباب الذي حصل على فرص تعليم جيد وأمتلك مهارات متعددة و يتقن أكثر من لغة، ينتمي اقتصاديا إلى الأثرياء القادرين على شراء خدمات تعليمية أرقى من المتاحة وفرص تكوين وتطور معرفي أفضل، مما يوفر لهم كل فرص النجاح الاجتماعي بصورة واسعة في ظل تحكمهم في استخدام تكنولوجيا الاتصال واستفادتهم منها في انجاز أعمالهم. هذه الفئة لا تصطدم كثيرا بالقيم المنبثقة عن العولمة وإن كانت تنعكس على مظهرهم وسلوكياتهم وموسيقاهم وطبيعة علاقاتهم مع الجنس الآخر وحتى بمجموعاتهم وأسرههم، فهم شباب يتمتعون بقدر كبير من الحرية مقارنة بنظرائهم في الفئات الأخرى تحكمهم علاقات أسرية أكثر مرونة وأقل عبئا.

* الفئة الثانية: هم الشباب الذين يتعاطون الإمكانيات الوطنية المتاحة التي غالبا ما تكون محددة العطاء تسمح لهم بالحصول على شهادات دراسية متنوعة إلا أنها لا ترتقي إلى أن تمدهم بالمهارات والمعارف التي تفتح لهم سوق العمل ، وهذا ما يفسر أن أكثر من 53 % من طالبي العمل في الوطن العربي شباب. تتلقى هذه الفئة قيم العولمة عبر القنوات الفضائية وعبر تقليد الفئة الأولى سلوكيا غالبا، كما تبقى هذه الفئة على خط وسطي في علاقاتهم مع أسرهم فهم في سعي دائم للوصول إلى حالة من التوازن بين الثقافة الوافدة من الغرب والثقافة المحلية المغلفة بالكثير من القيود. شباب هذه الفئة هم أبناء الطبقات الوسطى ، يصفها نادر فرجاني : " أنها فئة اجتماعية ملتبسة تقوم بدور وسيط بين القمة والقاعدة ، فهي فئة يسكنها التوتر الاجتماعي وتعاني من الظهور النسبي نتيجة الفقر الذي صاحب الاقتصادات العربية الحديثة"، هذه الفئة من الشباب هي في الغالب القوة الشبانية الفاعلة في منظمات المجتمع المدني العربي وهي القوة التي يقع عليها عبء التطور والتقدم.

* الفئة الثالثة : هي فئة الشباب الأميين الذين لم يسعفهم الحظ أن يتعلموا أو الحاصلين على مؤهلات علمية متوسطة والخارجين من عمق الفقر والإهمال القادمين من القرى الفقيرة أو من مناطق العشوائيات ، يكون هؤلاء الشباب محرومين كلية من تكنولوجيا العولمة والاتصال في بادئ الأمر ، لذلك فإن التعرض الكثيف إلى التقليد بدون الاستناد إلى بناء فكري ونقدي مرجعي، مع الشعور بالدونية والحرمان الذي تكرسه العولمة، يؤدي بهم إلى عدم التوافق النفسي والاجتماعي فيندفعون إلى العنف واليأس والمحذرات كردة فعل ضد المجتمع لعدم قدرتهم على التكيف مع هذه المعطيات الجديدة (جيهان أبو زيد ، 2007، ص11/10).

عموما فإن الشباب المعاصر يعيش في محيط متغير يتميز بقيم ومعايير مختلفة تصل إلى حد التناقض أحيانا، ويترجم ذلك من خلال سلوكيات مشوشة ورسائل غير مترابطة تنقل إليه بدء من العائلة ثم من خلال المدرسة ووسائل الإعلام، وتتعدد هذه الوضعية إذا أضفنا إليها سرعة هذه التغيرات وغياب وسائل المساندة الاجتماعية في ظل غياب أنماط هوية واضحة المعالم مع سيادة نمط الاستقلالية في

اختيار المعايير عند الشباب، لقد ساهمت هذه الظروف في خلق أزمة حرجة في عملية التنشئة الاجتماعية ، تتميز بفراغ انقالي على مستوى القيم والمفاهيم مع إبهام وغموض في عمليات الاختيار للمعايير مما يعرض الشباب إلى أن يكون فريسة سهلة للأمراض الاجتماعية : كالسرقة والانحرافات الاجتماعية وتعاطي المحذرات والعنف النفسي والجسدي الذي يصل إلى حد الانتحار والتعدي على العادات والتقاليد مما يخلق ردة فعل عنيفة من المجتمع الذي قد يجنح إلى معاقبة هذا الشاب بعزله وتهميشه اجتماعيا مما سيعقد من وضعيته أكثر فأكثر .

التساؤل الذي يطرح نفسه هنا : كيف يتعامل الشباب الجزائري بمختلف فئاته مع التغيرات الاجتماعية والثقافية السريعة التي تمس جميع جوانب حياته في ظل العولمة وضعف المؤسسات الاجتماعية المساندة له مع الانتشار الواسع للفقر ومختلف مظاهر التهميش في المجتمع ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال تناولنا لموضوع التنافس والهوية في دراستنا هذه.

4.4 المراهقة، الشباب والاضطرابات النفسية:

حتى وقتنا الحاضر نحن بعيدون كل البعد عن المرحلة التي يتم فيها اعتبار المعاناة النفسية عند الأطفال والمراهقين والشباب على أنها وضعيات وحالات نفسية واجبة الوقوع حالها كحال الأمراض الانتانية والمعدية في الطب : كالزكام والتهاب الحلق عند الفرد...، هذه المعاناة تكون ذات طبيعة انتقالية مؤقتة ولا تترك آثارا على الحالة النفسية للشباب في المستقبل إلا نادرا ، ومثال ذلك ما أشار إليه كلا من روث و فونجي في كتابهما الشهير "ماذا نفع لأجلهم" على أن الاضطرابات النفسية للمراهقين ؛ على اعتبار أن المراهقة هي المرحلة الأولى لفترة الشباب ؛ أصبحت في السنوات الأخيرة تمثل مشكلة للصحة العامة وهذا راجع إلى ارتفاع نسبة هذه الاضطرابات في المجتمع من جهة ومن جهة أخرى إلى ضعف الاهتمام بهذه الحالات والنقص في العمليات العلاجية للأفراد المصابين مع عدم فعاليتها في معظم الحالات إن وجدت وما ينتج عن ذلك من تبعات عميقة على مستوى الصحة النفسية للشباب.

خلصت الكثير من الدراسات الوبائية في العديد من الدول إلى أن نسبة انتشار الاضطرابات النفسية في أوساط المراهقين تمثل 20 % من المجتمع العام، وهذا ما يعني أنه في أي لحظة مراهق من أصل خمسة مراهقين يعاني من اضطراب نفسي يمكن تشخيصه، تمثل اضطرابات القلق والحصر النفسي النسبة الأعلى في انتشار هذه الاضطرابات بنسبة 12 % من مجموع هذه الاضطرابات تليها الاضطرابات السلوكية بنسبة 10 % ثم الاكتئاب وتعاطي المحذرات بنسبة 6 % . كما أشارت دراسة أمريكية أخرى إلى أن نسبة 2 إلى 3 % فقط من مجموع المراهقين المصابين باضطرابات نفسية زاروا مختصا نفسيا أو طبيبا عقليا في هذه المرحلة، هذا في الولايات المتحدة الأمريكية في ظل غياب كلي للدراسات في هذا الموضوع في بلادنا، ويعود سبب هذا الإحجام عن طلب المساعدة النفسية والعلاج عند الأخصائي النفسي حسب هذه الدراسة إلى مجموعة من العوامل السسيوثقافية والعاطفية لدى الآباء الذين لا يدعمون فكرة زيارة المختص النفسي في هذه المرحلة اعتقادا منهم بأن هذه المعاناة داخلية في التطور

الطبيعي للفرد في هذه المرحلة ، ويتم هذا في ظل التعلق الكلي للمراهقين بآراء آبائهم حول الموضوع، هذا بالإضافة إلى التمثيلات الاجتماعية لهذه الاضطرابات النفسية في المجتمع بحيث نجد أن خطورة وآثار هذه الاضطرابات على مستقبل هؤلاء الشباب ما زالت غير محاطة بالأهمية اللازمة سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى المختصين والأطباء ، فالكثير من الأعراض والمعاناة النفسية التي تظهر عنده ينظر إليها على أنها أعراض مؤقتة ستختفي مع الوقت خاصة إذا لم تؤثر بشدة على التكيف الاجتماعي والعلاقات العامة لهذا الشاب، هذه المعاناة والاضطرابات في هذه المرحلة إن لم يتم التكفل بها بجدية فإنها ستستمر مع هذا الشاب خلال مختلف مراحل شبابه وقد تتطور إلى اضطراب نفسي مزمن في مرحلة الرشد (ABELLA et MANZANO, 2006, p 30) .

يشير أبيل ومونزانو إلى أن اضطرابات القلق والحصر والاضطرابات السلوكية والعلائق تعاطي وتعاطي المحذرات تمثل الأسباب السائدة لطلب المساعدة العلاجية عند الشباب، وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات النفسية في هذا الاتجاه، مثل دراسة روبين التي خلصت إلى أن الشباب الذين يتميزون باضطرابات سلوكية ضد المجتمع أغلبهم كانوا يتميزون في مراهقتهم المبكرة بسلوكات ضد اجتماعية مع تعاطي المحذرات والكحول واستعمال العنف. كما أكدت دراسة أخرى إلى أن اضطرابات القلق والحصر النفسي والاكتئاب هي الاضطرابات الأكثر عرضة إلى الازمان في المرحلة الرشد المقبلة ، فالإكتئاب النفسي قد يتطور إلى حصر عام وعنيف في مرحلة الشباب المتأخر ومرحلة الرشد، نفس الشيء بالنسبة للوسواس القهري ، فقد أكدت دراسة حديثة أن نسبة 2 % على 3 % من الحالات المشخصة عند المراهقين ظهر عندها نفس الاضطراب في مرحلة الرشد مع عدم تكيف اجتماعي عام وظهور اضطرابات نفسية مصاحبة لها (Ibid, p 32) .

خلاصة الفصل:

نخلص في هذا الفصل إلى الارتباط العميق بين الثقافة والهوية و النفس ، فالثقافة تمثل النموذج المرجعي الذي يلجأ إليه الفرد لبناء هويته التي تعبر عن فردانيته وعن انتمائه الاجتماعي . لكن لكي تحقق الثقافة النموذج الموحد لبناء الهوية تعترضها في عصرنا هذا حتمية العولمة والانفتاح الثقافي على الآخر المغربي والغالب، ويصاحب ذلك تهديد للخصوصيات الثقافية لمختلف شعوب العالم وزوال للحدود الوطنية والإقليمية لصالح عالم أحادي القطب. وبالتالي أصبح تحقيق هذا النموذج الموحد ضرباً من المستحيل مما يعيق نمو الهوية للأفراد خاصة في مرحلة الشباب التي تعتبر مرحلة فارقية في النمو والتوازن النفسي والاجتماعي للأفراد.

الفصل الثالث

التثاقف

1. مفهوم التثاقف

2. خصائص عملية التثاقف

1.2 شروط حدوث التثاقف

2.2 ميكانيزمات حدوث التفاعل

3.2 الميزة الارتدادية الانعكاسية لعملية التثاقف

3. استراتيجيات التثاقف

1.3 نموذج استراتيجيات التثاقف ل لومبارت وآخرون Lambert et al 1972

2.3 نموذج استراتيجيات التثاقف النفسي ل جون بيرى J.Berry 1996

3.3 نموذج استراتيجيات التثاقف التفاعلي (MAI): Bouhris et al 1997

4. قلق التثاقف: أثر استراتيجيات التثاقف

5. قياس التثاقف

1. مقاييس التثاقف الذي يعتمد على دراسة السلوك

2. مقاييس التثاقف الذي يعتمد على القيم

3. مقاييس التثاقف الذي يعتمد على السلوك و القيم معا

4. مقاييس التثاقف الموجه للعديد من الجماعات الاثنية

5. مقاييس التثاقف للعادات والاهتمامات المتعددة الثقافات للمراهقين

6. آثار عملية التثاقف

1.6 على المستوى الفردي

2.6 على المستوى الجماعي

3.6 التثاقف ومشكلات التكيف

4.6 التثاقف والصحة النفسية والجسدية

في ما يلي سنتطرق إلى دراسة بعض المفاهيم المصطلحات المتعلقة بموضوع البحث لإلقاء الضوء على مختلف الجوانب التي لها علاقة ببحثنا هذا، لقد أكد الكثير من الباحثين على تعدد تعاريف الثقافة بحيث ربطه الكثير منه بمفاهيم الثقافة والتنقيف وعمليات التغيير والتحول الاجتماعي.

1. مفهوم الثقافة:

إن الأصل اللاتيني لمفردة الثقافة (Acculturation)، مستمد من كلمة aculturer والتي تعني تمثّل فريق بشري، كلياً أو جزئياً، لفريق بشري آخر وتأقلمه مع ثقافة أجنبية متصل بها، أي بمعنى المثاقفة والانسلاخ الثقافي، كما تعني أيضاً انتقال سمات ثقافية من حضارة إلى أخرى مع شعور ذاتي وواقعي بالنقص الثقافي فالحرف a هنا ليس مانعاً. تشترك الكلمة الإنجليزية والفرنسية في أصل الاشتقاق، هذه الكلمة ليست موجودة في الكثير من المعاجم الحديثة عكس كلمة (deculturation) التي ظهرت قبل ذلك في القواميس بمختلف اللغات.

ظهر لأول مرة مصطلح الثقافة على يد الأنثروبولوجيين الأمريكيين الشماليين للدلالة على التغييرات في صورتها الثقافية في المجتمعات الحديثة، فالثقافة كمفهوم مستقل تناوله العديد من الباحثين من مختلف الاتجاهات العلمية والخلفيات النظرية. لقد تناوله الأنثروبولوجيون من خلال الدراسات التي تناولت الأوضاع الثقافية عند الشعوب المستعمرة وهذا بالتركيز على التحليل الأنثروبولوجي لآثار المعتقدات والمنتجات والتقنيات الأوروبية والشمال الأمريكية على المجتمعات الغير التابعة لها، أثارت هذه الدراسات ظاهرة التغيير الاجتماعي في هذه المجتمعات من خلال التركيز على دراسة تاريخ الثقافات البدائية والتقليدية، حيث خلصت في الأخير إلى أنه لا يوجد في الوقت الحاضر مجتمع أو فرد ما بمنى عن تبعات الثقافة والمثاقفة (Colloque établi par Unesco, 1980, p 7) ، بينما علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي فينظرون إلى هذا المصطلح على أنه عملية ديناميكية وعامل أساسي من عوامل صقل وتكوين الشخصية العصرية من خلال التفاعل والتواصل مع الآخر ، أما بالنسبة لعلماء النفس الميداني والإكلينيكي فيركزون على الجانب السلبي من هذا المفهوم في صورة قلق الثقافة الذي يصاحب هذا المصطلح وأثره على مستوى الصحة النفسية والجسدية والاجتماعية للأفراد والمجتمع (طوالي نورالدين، 1988، ص 25).

هذا التعدد في تناول من مختلف الاتجاهات، مع تعدد المفاهيم المتصلة بموضوع الثقافة، أثرى البحث في مفهوم الثقافة بالعديد من التعاريف التي سنستعرض البعض منها في العرض التالي:

1. التعريف الكلاسيكي للثقافة من طرف كلا من موسكوفيتش ورييتوفي وريديفيلد 1936 : " الثقافة هو مجموعة الظواهر الناتجة عن التفاعل المباشر والمستمر بين مجموعتين من الأفراد ذوو ثقافات مختلفة ، الشيء الذي يؤدي إلى حدوث تغييرات على الأنماط الثقافية البدائية لأحدى المجموعتين أو لكلاهما".

- (BRAMI, 2000, p 54)، على هذا التعريف تحفظ الباحث الفرنسي العالمي كاميليري ، الذي يعتبر من رواد علم النفس مابين الثقافات في العالم المعاصر، حيث أشار إلى أنه لا يأخذ بعين الاعتبار التلامس والتفاعل الغير المباشر بين الثقافات عن بعد بالإضافة إلى عدم الإشارة إلى نوعية الثقافة التي يحدد كاميليري حدودها بين قطبين هما: الانفصال من جهة والتشابه والاستيعاب من جهة أخرى (S.HIJAZI, op.cit , p 28) .
2. يعرف آن فيلارد عملية الثقافة على أنها : " عملية الالتقاء والتبادل الثقافي الناتج عن التفاعل بين ثقافتين مختلفتين، هذا التبادل يؤدي إلى إحداث تغييرات في نمط معيشة أفراد الثقافة المتأثرة بواسطة إعادة تفسير واستدخال السمات الثقافية لإحدى أو لكلا الثقافتين" (A. Gaillard, op.cit, p 21) .
3. تعرف منظمة اليونسكو (Unesco, 1980) عملية الثقافة على أنها: "عملية اكتساب وتحول ، بدون الحكم على ذلك في ميزان الربح و الخسارة ، في تكوين الشخصية الثقافية للفرد أو الجماعة وهذا نتيجة للاحتكاك مع ثقافة أجنبية" (Colloque établie par Unesco, op.cit, p 5) .
4. يعرفها ترومبلي (TREMBLAY, 1979) : "نقصد بالثقافة نوعية التغييرات التي تسجل في التركيبة الثقافية لجماعة أو لمجموعة من الجماعات التي تدخل في اتصال وتفاعل مباشر ومستمر فيما بينها ، تظهر هذه التحولات عندما تطبع أحد هذه المجتمعات عناصر من ثقافتها في ثقافة أخرى بهدف إثراءها بهذه العناصر" (TREMBLAY, 1979, p 74) .
- تجدد بنا الإشارة إلى أنه لا يمكننا الحديث عن الثقافة بعيدا عن مفهوم التفاعل الثقافي الدال على وضع يجابه فيه الفرد منهجين ثقافيين متناقضين ، وغير بعيدا عن الصراعات التي تنتج عن هذه الوضعية سواء صراعات المعايير والقيم وحتى الصراعات البيثقافية ، ففي حالة بروزها للسطح سوف تدل على نسق من الثقافة المخترق لهذه الجماعات عل نطاق واسع ، وبهذا فان هذه الصراعات تعطي لمفهوم الثقافة معنى مميذا إلى حد ما بحيث نتلمس تأثيرات التفاعل الثقافي عندما يبرز تحسس كبيرا من جانب الفرد تجاه رموز الثقافة الجديدة، سوف نقول مثلا أن هذا الشخص منسلخ ثقافيا أو متناقف أكثر من غيره بسبب انقياده للقيم الغربية بطريقة مطلقة ، هذا الانقياد يكون عموما ثمرة لمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية كالمكانة الاجتماعية ومستوى التعليم... الخ، إن الزيادة من هذه العوامل قد يقابل برغبة سيكولوجية شديدة لدى الفرد تجاه القيم الجديدة ، أما في حال تراجعها فيقابلها الفرد بتعلق كبير بالقيم التقليدية.(نورا لدين طوالي ، مرجع سابق،ص31).
5. ريتشل 1960 في أبحاثه الرائعة حول موضوع الثقافة وانطلاقا من أعمال كلا من رديفيلد ولينتون وهرسكوفيتش يعرف الثقافة على أنه : " يدل على نسق من التبادل الثقافي الجاري ، وأنه يتميز عن التمثل الذي يشير إلى المرحلة النهائية التي يفرض إليها في بعض الحالات." (عزالدين الخطابي ، مرجع سابق،ص24) .

6. روجي باستيد قدم التعريف التالي : " يشير الثقافة إلى مجموع الظواهر الناتجة عن الاحتكاك المستمر والمباشر بين جماعات وأفراد منتمين إلى ثقافات مختلفة وإلى التغيرات التي تبدوا آثارها على النماذج الثقافية الأصلية لهاته الجماعة أو تلك" (نفس المرجع ، ص 24). يسمح لنا هذا التعريف باستخلاص مجموعة من الحقائق منها أن الثقافة هو بمثابة احتكاك بين جماعات ذات ثقافات متباينة، ومن خلال هذا الاحتكاك تتبادل العناصر الثقافية المنتمية لهذا الطرف أو ذلك التأثير فيما بينها مما قد يساهم في تحقيق نوع من الاندماج الاجتماعي ، بينما تظهر الصفة الصراعية ظاهرة في هذه العملية عندما تكون عملية الاندماج قائمة على الإكراه والضغط بمعنى ممارسة أحد الطرفين السلطة والهيمنة على الآخر ، مما يؤدي إلى بروز ونمو آليات دفاعية لمواجهة خطر وضغط النسق الثقافي المهيمن والسائد. كما ركز على ضرورة تجاوز فكرة تجاهل الأثر المتبادل بين الثقافتين لصالح الثقافة السائدة أين نجده يركز على التداخل بين الثقافات مع وجود لا تناظر في الأثر لنتائج هذه العملية، ولقد ذهب إلى حد تقسيم الثقافة إلى نوعين:

- **الثقافة المادي** : والذي يمس محتوى الشعور النفسي ويقوم بتغييره، لكن يترك طريقة التفكير والشعور سليمة، وهذا مثال المهاجرين البالغين الذين يحافظون على طريقة تفكيرهم على الرغم من استدخالهم لقيم ومعايير العمل والمجتمع للثقافة المستقبلية.

- **الثقافة العقلي أو الرسمي** : يمس بطريقة لا شعورية طرق التفكير والإحساس ، وهذا حال الأطفال المهاجرين الذين استدخلوا قيم ومعايير كلا الثقافتين في نفس الوقت، فنجدهم يعيشون ازدواجية ثقافية بحيث يستعملون القيم التقليدية في المنزل وفي المجتمع المحلي التقليدي، بينما يتمثلون بالقيم العصرية في المدرسة وحياتهم الاجتماعية.

7. يرى ر. بيلس : أن الثقافة هو سلسلة من العمليات المتمثلة في التقبل والرفض وإعادة التنظيم ، تتميز بميزة صراعية بين جماعات ذات ثقافات مختلفة ناتجة عن التفاعل فيما بينها ، هنا يأخذ الثقافة صيغة نمو متواصل لصراع بين قوى معيشية وأنماط تفكير وشعور متناقضة تظهر على شكل تناقضات على مستويات مختلفة".

المتمعن لهذه التعاريف يرى أن هناك إغفال للجانب السلبي لعملية الثقافة ، والذي يتمثل في حدوث حالة من التوتر واللاتوازن على مستوى الهوية الثقافية للفرد المتثقاف مع ضمور وضياح للذاكرة الجماعية للجماعات الاجتماعية التي تعتبر حجر الزاوية في استقرار الجماعة . هذا الجانب السلبي يمس الفرد في ثقافته الأصلية وحتى في شخصيته القاعدية ، فهو في معظم الأحوال يستعمل بمفهوم الاستلاب أو التهميش الثقافي مما يجعله يتجاوز التعبير عن التغيير إلى الاختلال والاضطراب، يقول شيخ أنت ديوب: "إن الثقافة والاستلاب الثقافي بين الثقافات الأوروبية نقصت حدته لأنه يحدث في نفس الحضارة تقريبا...عكس استلاب وثقافة الفرد الإفريقي الذي يتواجد في نفس الوضعية"

(Colloque établi par Unesco, op.cit , p 7). يمس الثقافة معظم الميادين الثقافية كاللغة والدين وال عمران والمؤسسات... كما قد يمس مناطق محددة أو حضارات أو أزمان كاملة. إن جميع هذه التعاريف لم تسلم من الانتقاد ، ويعود ذلك إلى صعوبة تحديد زمان ومكان ظاهرة الثقافة بدقة والتحديد الزمني للمستوى صفر للثقافة وكذا درجة ثقافت الفرد عبر الزمن ، بالإضافة إلى الصعوبة البالغة في تحديد الأفراد المنسلخين من غير المنسلخين في مجتمع ما من خلال الجماعات المتفاعلة.

في مقال نشرته منظمة اليونسكو حول الدراسة التحليلية لمفهوم الثقافة أشارت إلى تحديد بعض العمليات المرتبطة بصيرورة هذه العملية :

- مبدأ الاختيار بين معايير الثقافة الأصلية والأجنبية، وكذا الاختيار بين معايير الثقافات الأجنبية في حد ذاتها.

- إعادة التفسير واستخدام معايير الثقافتين بمفاهيم جديدة.

- التفاعل في حلقات على شكل سلاسل وبشكل مستمر مما يؤدي شيئا فشيئا إلى استبدال مفاهيم جديدة على الثقافة الأصلية تصل إلى حد التحول الاجتماعي.

- عصاب الثقافة واستعمال الطب العقلي والنفسي لدراسة الآثار النفسية للثقافة.

كما أشارت إلى أن مفهوم الثقافة فقط يمكنه أن يشرح التحولات على المستوى الفردي وما بين الأفراد التي تحدث نتيجة للتلاقي والتفاعل الحاصل بين مجموعة من الثقافات ، فعلماء النفس والاجتماع أشاروا إلى هذه التغيرات المعقدة المصاحبة لعملية الثقافة على مستوى القيم والمعايير في شكل زيادة التمسك أو الانفصال الكلي عن الثقافة الأصلية وكذا على مستوى نمو وتطور الشخصية القاعدية لدى الأفراد.

8. الباحث الجزائري نورالدين طوالي في تناوله لهذا الموضوع أشار إلى الغموض الذي يكتنف مفهوم

الثقافة من قبل علماء النفس عندما حددوا أن هذا المفهوم يتكافئ مع مفهومي التمثل والتكامل ، حيث

نجده يقترح إعطاء مفهوم مؤقت إيضاحي ناتج عن وضعية التلاحق بين ثقافتين مختلفتين مما يقربه أو يماثله مع المفهوم الذي يمنح للتعبير عن التفاعل الثقافي . كما أشار إلى مدلول آخر للثقافة على أنه

يستطيع: " أن يعبر عن معاش لا واع في الثقافة يسيطر فيه غالبا شعور مذب بتمثل القيم الغربية ،

وبسبب سمته الشديدة في إثارة القلق لا يوجد هذا الشعور دون أن يبعث شعورا كالذي نشاهده في الحالات

الانفصالية" ، من هنا نجده يربط هذا المفهوم مع ما ذهب إليه ج.برك 1962 عندما يكتب: " الثقافة خرج

عن ذاته لحساب التخلي عن ذاته أو تدميرها فهو متجه نحو الغير وضد الغير " ، أو مع ج.سيلوس

1963 الذي يؤكد بدوره: " أن الثقافة يماحك أعماق شخصية الإنسان المغربي " (نورالدين طوالي ،

مرجع سابق، ص 31).

ولمزيد من الإحاطة بهذا المفهوم ، ارتأينا الربط بين الثقافة وبعض المفاهيم المتعلقة به، والتي

يمكننا اعتبارها مفاتيح للولوج إلى فهم أعمق وأوضح لهذا المصطلح ، أولاها مصطلح التثقيف أو ما

يسمى بالتنشئة الثقافية و هي عملية سابقة لعملية التنقيف، والتي من خلالها يكتسب الفرد ثقافة مجتمعه الأصلية والتي تتعرض لاحقا بفعل التأثيرات الخارجية إلى عملية انسلاخ وثقاف، وتتميز عن عملية الثقاف حسب روجي باستيد : " كون الثقاف يمس الكبار الذين هذبوا من طرف آبائهم ، ويخص أشخاصا سبق تنقيفهم مما يطرح مشاكل وصراعات على مستوى نفسية الفرد، لهذا فمن النادر أن نتوج هذه العملية باستيعاب تام وحقيقي للثقافة المفروضة" (عز لدين الخطابي ،مرجع سابق،ص 27). (لمزيد من الشرح أنظر في الفصل الأول).

مفهوم آخر متعلق بالثقاف هو ظاهرة تداخل وتفاعل الثقافات، هذا التداخل والتدامج الثقافي أو بعبارة أخرى تداخل الحضارات ؛ وكما وضحنا في الفصل الأول؛ يفرض عملية ديناميكية ومستمرة بين رموز مختلف هذه الثقافات المتنافسة في إطار ما يسمى بالتفاعل الثقافي ، الذي أشار إليه نورالدين طواليبي عندما تطرق إلى التشابك المستمر والديناميكي بين ثقافتين مختلفتين ومتنافستين بحيث تتمكن تأثيراتهما المتبادلة من تحديد عملية الثقاف بالمعنى الكلاسيكي للكلمة كما يقترحه ر.كونيچ 1972 : "في هذه الوضعية يجابه الفرد من قبل منهجين ثقافيين متناقضين مما يجعل الفرد يعيش ثقافته بشكل ثقافبي تتجاذبه في ذلك متطلبات العصرية وإغراءاتها والتي تتقاطع مع الحاجة إلى الحفاظ على العادات والتقاليد وشرعة الأسلاف، هذا المعاش يبرز إلى السطح صراعات على مستوى المعايير السيكولوجية والقيم والرموز الثقافية والتي تدفع بالفرد إلى ولوج أولى الخطوات على طريق عملية الثقاف" (نفس المرجع ،ص 30).

وفي نفس السياق ، ولمزيد من الإحاطة بمفهوم الثقاف ارتأينا أيضا تناول مفهومين أساسيين في علم النفس هما مفهومي التقاطب والصراع الذين من خلالهما يمكننا الوقوف على دينامية عمليات التقاطب الثقافي وصراعات القيم والمعايير والأدوار التي تطبع معاش الفرد المتثقاف: يعود الفضل في توضيح المعنى الديناميكي لمفهوم الصراع في علم النفس إلى التحليل النفسي، حيث نجد أن المفهوم الفرويدي للصراع يفترض تلاقي قوتين أو تمثيلين غير متوافقين عند الشخص نفسه، أطلق عليها فرويد في بدايات كتاباته تسمية " الإرادة المعكوسة" والتي تظهر كرجبة لا واعية ومكبوتة هي أساس الصراع داخل النفس، يسلم فرويد في نظرياته بأن الصراع النفسي هو أساس العصاب بحيث يصفه بأنه نتيجة الاختلال الوظيفي في التفاعل الديناميكي بين الثلاثية المكونة للجهاز النفسي : " الهو والأنا والأنا الأعلى"، هذا على المستوى الشخصي بينما على المستوى البينشخصي فإنه لا يوجد اختلاف جوهري مع الصراع داخل الشخصية فثمة بين هذين التعبيرين علاقة تبادلية وتمايزا رتبويا فقط . وهذا ما يعزز تماما المبدأ السيكولوجي القائل بأنه لا يمكن تقليص الصراع النفسي إلى مجرد العصاب فقط بل هو بالعكس من ذلك يرافق كل تفاعل بشري لإن العلاقات مع الغير لا تحدث بتاتا تبعا لأسلوب ليبيدي فقط ، ففي الواقع يشكل كل فرد عائقا أمام وجود الآخرين مع شعوره بأنه محبط في محيطه لهذا السبب

ولدى اجتيافه لعلاقات شخصية يجتاف المرء من هنا بالذات علاقات صراعية، على هذا الأساس نجد أن أي علاقة سيئة مع الغير تعد ظرفا مناسباً لظهور الصراع إلى السطح كما يحدث في العلاقة السببية مع الذات ، ويؤثر كلا الموقفين في الآخر تبادلياً لإثارة الصراع داخل الذات حيناً والصراع البيئشخصي حيناً آخر. هذه الصراعات مع بنية الأنا للفرد تحدد الإمكانيات الحقيقية لهذا الفرد في مواجهة العوائق ومصاعب الحياة في اتجاه التكيف والتوافق أو في ظهور أعراض عدم التكيف والاضطرابات النفسية.

يرتبط مفهوم الصراع في علم النفس بمفهوم **التقاطب** بشدة ، ويؤكد روسلاف سبيلني ذلك في دراسته للصراع أين نجده يشير إلى أنه: " لا وجود لصراع حقيقي لا يتضمن العمل على مفهوم التقاطب، إذ يبرز هذا الأخير على أنه داخلي في الفرد وهو مدعو أيضاً أن يكون معاشاً ومنجزاً بين البشر " (نورا لدين طوالي ، مرجع سابق ، ص 19). **لابلاش وبونتايس** في تعريفهما للتقاطب أشارا إلى أن التقاطب: " هو الوجود المتزامن ؛ في العلاقة مع ذات الموضوع ؛ لميول ومواقف وقيم ومشاعر متناقضة وخصوصاً الحب والكره"، أول من أشار إلى هذا المصطلح هو **بلوليه** في دراسته لانقسام الشخصية ، وجدد فيه فرويد في ربطه بين الصراع التقاطبي والصراع الأوديبي في صورة محبة راسخة للوالد وكراهية مثبطة على الأقل متجهتان نحو نفس الشخص وفي نفس الوقت. على هذا الأساس يبرز التقاطب بالضرورة موقفاً انفعالياً تكون فيه المكونات السلبية والإيجابية موجودة في نفس الوقت بحيث لا يمكن تصريفها وتشكل تعارضاً جدلياً لا يمكن تجاوزه بالنسبة للفرد الذي يقول نعم ولا في نفس الوقت . يؤكد ج. بوتونييه 1972 ذلك حين يشير إلى أن التقاطب: " تعبير متقل بالمدلولات كما هو غني بالمفاهيم " ، فهو يحدده بوجود ميلين متناقضين في الذات ، ينبعان من مصدرين أساسيين هما علم النفس الطبيعي في صورته الجنسية وثنائيهما بنية الشخصية التي تعكس جزئياً ما يكتسبه الفرد بتأثير التربية. لهذا فإنه في وسط مليء بتداخل للقيم والمعايير الثقافية، وهو حال الجزائر، ستكون هذه التربية التي تعتمد في أغلب الأوقات على الاستبطان لهذه المعايير المتناقضة الأكثر عرضة لهذا التقاطب، من هنا تتجسد الأهمية الكبيرة لمفهوم التقاطب في الكثير من العلوم كعلم النفس الاجتماعي والطب العيادي وحتى في علم الاجتماع. يرى م. ريتشل 1960 في التقاطب: " الصفة المشتركة بين كل مظاهر الثقافة، سواء كان القصد هو العلاقات مع الماضي أو مع النهج التربوي أو في التحديد الباتولوجي فإننا نصطدم دون شك، في عمق كل مشكلة، بصراع بين نماذج قديمة من الثقافة مع نماذج جديدة" . يضيف روجي باستيد لما سبق أن التقاطب: "بالكاد هو معاش الكائن الذي يتموضع في حدود ثقافتين و الذي يجابه فيه قيم عالمين، ويختبر على هذا الأساس صراع القيم الدائم والمقلق أحياناً في وضعية من التداخل الثقافي، والذي تحدده طبيعة التفاعل الثقافي الذي بواسطة التناقضات العديدة التي يدخلها في الحقل الاجتماعي والمعاش السيكولوجي للأفراد يعزز ما يمكن تسميته عند باستيد بـ"هامشية الوضع الثقافي" (نفس المرجع، ص 20). هذا الوضع الهامشي يشير بشكل طبيعي جداً إلى الميول التقاطبية ويقود إلى أفعال

وسلوكات قد تكون غير مفهومة دون معرفة وإحاطة حقيقية لمحدداتها النفساجتماعية. فالنقاطب بهذا الشكل سواء كان على المستوى الفردي الإنساني أو الاجتماعي العالمي، يمثل البعد النفسي للجانب المخبي والمبهم لعملية الثقافة، فهو الذي يحدد الانتقال الغير محسوس للنفسي نحو الثقافي لتحديد، وبطريقة لا شعورية، ارتباطات الفرد مع ثقافته، أطلق الباحث نور الدين طوالي على هذه الوضعية النفسية المميزة للمجتمعات المعاصرة الواقعة تحت طائل التغيير الاجتماعي السريع اسم النقاطب الثقافي (N.TOUALBI, 1985, P 11). لقد وسع نورالدين طوالي من مفهوم النقاطب ليشمل هذا الأخير محددات على أرضية علم النفس الاجتماعي مجال تطبيقه الذي كان محصورا بالأساس في تفسير عارض غريب في علم النفس المرضي، والتفسير الذي قدمه لنا في شرحه لهذا المفهوم يجعلنا نقتنع بدون أدنى شك بأن الوقائع التي نلاحظها مصاحبة للنقاطب في الواقع الجزائري مرتبطة بالأساس بالنقاطب البشري. يشير في دراسته الرائعة المعنونة: "في إشكالية المقدس" إلى أن الفرد الجزائري: "يعيش ثقافته بشكل تقاطبي تتجاذبه في ذلك الرغبة ببلوغ الشمولية والحدثة، وهي رغبة أثارها تصنيع البلاد المتسارع، مع قلقه من فقدان الأصالة أي تلك القيم التقليدية التي تشكل الكائن الانطولوجي". بهذا المفهوم يركز على أنه يمكن اعتبار النقاطب كقالب نظري مفسر للعديد من السلوكات الاجتماعية الفوضوية من بينها الاستثمار السيكولوجي للطقوس، في سبيل غايات غير معلنة باعتبارها وجدانية غالبا (نورالدين طوالي، إشكالية المقدس، 1988، ص 10).

هذا الطرح الموجز لهذين المفهومين يسمح لنا بالربط بينهما بحيث نجد أن الصراع يبرز غالبا على شكلين متكاملين: صراع داخل الذات عندما يستجيب الفرد لشعور لاواعي بالذنب الذي يتم إدراكه من خلال اضطرابات قديمة لعلاقات الفرد مع اقتصاده الليبيدي، هذا التهيؤ الباطني للصراع يفترض إثارة النقاطب الذي، وإن يكن منخرطا في الإنسان، يكون قادرا على تزييف العلاقات مع الآخرين إلى درجة تحييد الصراع البينشخصي الذي يشكل نشوء الآخر وبالعكس يمكن لصراعات بينشخصية متكررة أن تتحول إلى صراعات داخل الذات وأن تدل على باتولوجية طويلة الأمد، فهذه الصراعات تتميز بأنها تعاش على شكل معاشات تقاطبية انطلاقا من حقيقة أن الصراع والنقاطب يتشكلان عموما من تناقضات الأنا.

وكمثال للارتباط بين مختلف المفاهيم السالفة الذكر من ثقافة وتداخل في الثقافات وتفاعل ثقافي وصولا إلى عمليات الصراع والنقاطب، نأخذ معاش الفرد الجزائري كما يصوره نورالدين طوالي في دراسته 1982 أين يشير إلى كون معاش الفرد الجزائري يتخذ صيغة تقاطبية بنفس المقدار الذي يعكس فيه نسقا ثقافيا يكون هو بالذات تقاطبيا، هذا النقاطب على المستوى البينشخصي هو ثمرة وقوع الفرد الجزائري بين ثقافتين متناقضتين ومتنافستين تدخلان في تفاعل وتبادل مستمر للتأثيرات فيما بينهما، هنا تظهر أول أوليات الثقافة والانسلاخ الثقافي التي يمكن اعتبارها، بالإضافة إلى كونها منظمة للتوترات التي يولدها هذا الوضع، دالة على واقع اجتماعي ثقافي صراعي لأنه تقاطبي تماما. نفس ما أشار إليه كاميليري في

كتابه "شباب عائلة تطور" 1973 من خلال دراسته لنتائج التغيير الاجتماعي في تونس، حيث برهن على أن الوضع البيئي الثقافي الصراع في المجتمع التونسي يمكن أن يعاش بشكل مأس و تمزقات ثقافية تفرض على الفرد الاتجاه إلى وسائل دفاعية لتقليل التوترات الداخلية الناتجة عن هذا الوضع من المواجهات الثقافية، هذه الوسائل قد تسمح بظهور حالة من التسوية تتميز بنوع من الانتقائية الثقافية السليمة تؤدي إلى عقود حول الوجود المشترك بين الثقافة الجديدة والثقافة الأصلية (نورالدين طوالي ، مرجع سابق، ص 26).

2. خصائص عملية الثقافة:

1.2 شروط حدوث الثقافة:

يقول روجر باستيد : " إطلاقا ليست الثقافات هي التي تدخل في تفاعل لكن هم الأفراد ، أفراد مؤثرون والذين يظهرون جزء من ثقافتهم وخاصة المتعلقة بموقعهم وأدوارهم في المجتمع الكلي وأفراد متأثرون منسلخون عن جزء من ثقافتهم الأصلية " ، هذا التفاعل من خلال ميزاته الأساسية يحدد إلى مدى بعيد وبدقة درجة واستراتيجيات الثقافة ، لذلك سوف نتناوله من خلال التعرض لنوعية التفاعل ومن ثم طبيعة هذا التفاعل وأثر كل خاصية في حدوث عملية الثقافة:

1.1.2 نوعية التفاعل: بالاعتماد على الخصائص الأساسية التي توضح الفارق بين الفئات المجتمعية : الفرد والجماعة ثم المجتمع، نستطيع تحديد نوعية المجتمعات والثقافات التي تدخل في عمليات تفاعل، فالتفاعل يمكن أن يحدث بين مجتمعات وجماعات غير متساوية في العدد والامتداد، كما قد يحدث بين مجتمعات وجماعات متجانسة نسبيا أو غير متجانسة كليا، وكذا قد يتم هذا التفاعل بين مجتمعات منغلقة على ذاتها وأخرى منفتحة على العالم الخارجي:

أ . حسب العدد والامتداد: " بين جماعات أو مجتمعات غير متساوية العدد"

مثال ذلك الدراسة التي قام بها وليام فوت وايت تحت عنوان "street corner society" في عام 1943 أين تتناول بالدراسة سكان شارع فقير في شمال بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، أكثر من 95 % من سكانه ايطاليون وأغلبهم شباب ، ذو أصول فلاحية وحرفيون ، بينما في باقي سكان المدينة نجد أن الايرلنديين هم الأغلبية ، توصل وايت في ختام دراسته هذه إلى نتيجة مفادها أنه كلما كانت الجماعات غير متساوية في العدد كلما كان اختراق معايير الثقافة الغالبة لرموز الثقافة المغلوبة سهلا ومحظما لهذه الأخيرة.

ب . حسب التجانس: " بين مجتمعات وجماعات متجانسة أو غير متجانسة نسبيا"

مثال ذلك حالة "Papao" في المجتمع الفرنسي ، والذي هو خليط حسب برينو صورا من أربعة جماعات أثنية مختلفة لكنها متجانسة بعض الشيء، نذكر منها جماعة "Maohi" التي كانت تمثل في عام 1988 نسبة 65 % من المجتمع الفرنسي وهي جماعات بدائية قليلة الاختلاط بالجماعات الأخرى ، وجماعة

"Papao" أفرادها ذو أصول فرنسية بنسبة 98 % وهي تمثل نسبة 10.5 % من المجتمع الكلي ثم تليها جماعة الصينيين بنسبة تقدر ب 4.6 % من المجتمع الكلي وهما جماعتين قليلتا العدد ولكنهما قليلتا التفتح والاتصال بالعالم الخارجي، وفي الأخير الجماعة الناتجة عن التفاعل بين الجماعات السابقة التي تمثل نسبة 16.4 % من المجتمع الكلي . ركز الباحث في هذه الدراسة على تحليل نمو ونوعية التبادلات الثقافية بين هذه الجماعات خاصة بين الأولى والثانية، وكذا على عملية الاندماج للجماعات الصينية في هذا المجتمع المتعدد الأعراق والثقافات. لقد توصل في الأخير إلى أن ثقافتهم أفراد جماعة الفرنسيين في تفاعلهم مع جماعة "Maohi" يبقى محدودا جدا بالمقارنة مع الثقافة في المجتمع الصيني أين نجد لدى الأفراد شعور قوي بالانتماء، ويعود ذلك للتجانس الكبير بين أفراد هذه الجماعة.

ج . حسب درجة الانفتاح والانغلاق: "بين مجتمعات منغلقة أو منفتحة على العالم الخارجي"

مثال على هذا التفاعل الدراسة التي قدمها كريستوف رويار الذي تناول المجتمع "Gitane" المنغلق على ذاته ، يقع هذا المجتمع في المقاطعة الباريسية منذ زمن بعيد لكنه لم يحافظ على الأنماط الثقافية السائدة في فرنسا . ولتحديد السبب وراء هذه الحالة التي تتم عن تناقض صارخ، أشار الباحث إلى "مشكل الحماية واستراتيجيات الابتعاد عن العالم الخارجي" التي فشلت في تحقيق أهدافها مما جعلها لا تحافظ على ثقافتها. ولفهم كيفية حدوث الثقافة أكثر يجب الاعتماد على تحديد درجة التجانس وعدد الأفراد المشاركين في العملية وكذا درجة انفتاح المجتمع على العالم الخارجي بالإضافة إلى وضعية الفرد في هذا المجتمع، بحيث نستطيع انطلاقا من هذا تحديد شدة التبادلات الثقافية التي تتحدد أيضا بمنطق التبادلات الاقتصادية والرمزية والاجتماعية السائدة المحددة من طرف الأفراد ذو المكانة المرموقة في التركيبة الاجتماعية. بعيدا عن هذه الحالة الصراعية عند برينو صورا ، نستطيع أن نقول أن الأفراد المختلطون في المجتمع الفرنسي هم الأكثر اندماجا في المجتمع الغربي، وبأن الثقافة يتحدد في الكثير من الأحيان بطبيعة التبادلات الثقافية بين الفئات المتفاعلة وهذا تبعا لدرجة انفتاح أو انغلاق هذه المجتمعات على العالم الخارجي (A.BRAMI, op. cit, p 55).

2.1.2 طبيعة التفاعل:

أ . حسب إمكانية الاختيار لدى الأفراد:

تتغير طبيعة التفاعل الثقافي في الجماعة حسب المكانة الاجتماعية للفرد وكذا طبيعة ودرجة التفاعل بين الثقافتين، يمكننا من خلال ذلك أن نحدد ثلاث أنواع من التفاعل بين الثقافات:

- التفاعل الحر: وهو حال التفاعل بدون قيود والتزاوج المختلط بين ثقافات مجتمعات مختلفة ، ويظهر ذلك مثلا في الاتحادات بين الفلاحين والعمال في شوارع بورغ الفرنسية، وكذا التزاوج بين الطلبة الايطاليين والفتيات الايرلنديات في بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا حال التكنولوجيا عبر مختلف دول العالم.

- **التفاعل المفروض والمحتم والمسلط**: وهذه هي حالة الشعوب المستعمرة ، وتتميز برفض لغة وديانة المستعمر وكذا نظامه الاجتماعي وتمثيلاته الثقافية والاجتماعية من خلال الالتفاف حول الثقافة الأصلية، مثال ذلك شعوب دول المغرب العربي أثناء المرحلة الاستعمارية.

- **التفاعل الموجه أو المخطط له**: ويمثل عملية انسلاخية عن الثقافة الأصلية بطريقة عقلانية ومقننة، حسب خطة موجهة لتحقيق تآقف محدد بإتباع مراحل وميكانيزمات مدروسة، مثال ذلك مشاريع مساعدة الشباب لتحقيق اندماج اجتماعي جيد في ظل عمليات العولمة الثقافية والاجتماعية.

ب . حسب نوعية التفاعل: نميز هنا نوعين من التفاعل هما:

- **التفاعل المباشر**: مع ثقافة البلد المستقبل، مثال ذلك حال المهاجرين الايطاليين إلى بوسطن أو حال المهاجرين المغاربة في فرنسا والذين دخلوا في عملية احتكاك مباشرة مع الثقافات المستقبلية لهم، وكذا التفاعل المباشر مع ثقافة البلد المستعمر كحال الجزائر المستعمرة، وحتى أثر المبعوثين والشركات والسياح في البلدان المستقبلية يمكن اعتباره نوع من التفاعل المباشر.

- **التفاعل الغير مباشر**: مع الثقافة الأجنبية ، ويتم ذلك من خلال أثر الثقافة المنتشرة بقوة وسائل الإعلام السمعية والبصرية وبخاصة الانترنت والفضائيات ، يتم هذا التفاعل بصورة واسعة في عصرنا الحالي نتيجة التطور الكبير للتكنولوجيا مما دعم انتشار الثقافة الشفوية بشكل كبير، وهذه هي الحالات الملاحظة بشدة في المناطق التي مازالت الثقافة الشفوية محافظة على مكانة أساسية فيها وتعتمد عليها بقوة في انتقال المعارف والمعايير من جيل إلى آخر.

ج . حسب مدة التفاعل: نميز هنا نوعين من التفاعل هما:

- **التفاعل المستمر والممتد**: وهو التفاعل الأكثر دراسة في مجمل الدراسات الحديثة حول الموضوع، مثال ذلك التفاعل المستمر بين الثقافة الكولونيالية وثقافة الأهالي في البلدان المستعمرة سابقا، وكذا حال الضغط الرهيب لوسائل العولمة الثقافية على الثقافات المحلية في عصرنا هذا.

- **التفاعل الغير مستمر**: قد يكون أحيانا مفاجئا ومتجدد، مثال ذلك حال السياح والمبعوثين إلى مختلف بقاع العالم ، وأحسن دليل على ذلك أثر هذه الحركات الإنسانية عند الانتقال الثقافي من مجتمع إلى آخر في بروز آثار هذا التفاعل واضحة للعيان حتى بعد نهايته (Ibid, p 56) .

2.2 ميكانيزمات حدوث التفاعل:

كيف تتم عملية التآقف وما هي ميكانيزوماتها؟ على أي مستويات يحدث ذلك؟ في أي من شروط التآقف المسلط المحتم أو الحر أو المخطط لحدوثه تحدث هذه التغيرات ؟ لماذا يحدث تقبل معيار ثقافي ما ويرفض آخر؟ هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها بالاعتماد على دراسات تمت في هذا الموضوع، فعلى الرغم من تعقد هذه الظاهرة وتشعبها إلا أن الباحث الفرنسي الكسندر برامي حدد ميكانيزمات وقوعها في وحدتين أساسيتين هما : أولا برفض الثقافة الأجنبية ومعاييرها، وثانيا بمجموعة من ميكانيزمات

التبادل والتحويل بين الثقافات المتفاعلة التي تؤدي إلى الثقافة في صورتها المتناقضتين التشابه والاستيعاب من جهة أو بالانفصال والانطواء من جهة أخرى:

1.2.2 برفض الثقافة الأجنبية:

يشير جان بورابي في كتابه " الاستلاب الثقافي وتعدد الثقافات " إلى أن فشل التنمية في العالم الثالث قد دفعت بمجتمعاته إلى البحث عن تعويض في مجال آخر من خلال محاولات تقوية إرادة استقلالها الثقافي مع رفض تام للعناصر الثقافية الدخيلة ورغبة عارمة للرجوع إلى الأصول، وانبثاق لردود أفعال تلقائية ضد التحولات الحاصلة في البنى التحتية للمجتمع والهادفة إلى تفكيك وهدم القيم الثقافية الأساسية ، الشيء الذي أدى إلى ظهور ردود أفعال تعتمد على اللجوء إلى الأصالة كآلية دفاعية ضد التحديات الآتية من الخارج بهدف تأكيد الشخصية والهوية الثقافيتين (عزالدين الخطابي ،مرجع سابق ،ص 30). ويؤكد روجي باستيد ذلك من خلال قوله بلبن رفض الثقافة الأجنبية يحدد بواسطة الثقافة الأصلية لأفراد المجتمع وحيثيات تلاقي الثقافتين والتفاعل الناتج عن ذلك . إن رفض الثقافة الأجنبية " ثقافة الآخر " يمكن أن تكون بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية أو الذاتية، يحددها الكسندر برامي في ثلاث مجموعات:

أ . تبدو الثقافة الأجنبية بعيدة كل البعد عن الثقافة الأصلية : في هذه الحالة نقف على وضعية

من ثقافتين مختلفتين تماما ومتباعدتين كل البعد، مثال ذلك المجتمعات العربية في تفاعلها مع الثقافة الأوروبية ، والتي تختلف تماما على مستوى السلوكيات اليومية والتمثيلات الاجتماعية معها إلى درجة التناقض أحيانا. (A. BRAMI, op. cit , p 57)، مثال ثاني حول هذه المقاومة الناتجة عن التباعد بين هاتين الثقافتين مقاومة الشعب الجزائري لسياسات التغريب الاستعمارية، يلخص الجنرال بيجو ذلك عند تقديم استقالته وتعبيرا عن فشله في إخضاع الجزائريين : " كلما بالغت في الترشيح كلما تمسك الشعب بدينهم وتراثهم وكلما جوعناهم كلما ازدادوا إيمانا" ، من هنا نخلص إلى أن هذا الرفض لثقافة المستعمر هي عملية تحصيل حاصل للتباعد العميق بين الثقافتين خاصة على مستوى الرموز الأساسية للثقافة والهوية كالدين واللغة والعادات والقيم الاجتماعية والأخلاقية المتوارثة (طايبي مريم، 2007، ص 91).

ب . الثقافة قد يؤدي إلى تهديد الاستقرار الاجتماعي ومهدم له:

وهذا التهديد يمس بالدرجة الأولى الهوية الثقافية للجماعة من خلال ضياع المبادئ والأسس التي تقوم عليها عملية بناء الهوية لدى الأفراد، والتي تتكون لديهم في المراحل الأولى من حياتهم وتكوينهم النفسي والاجتماعي، وهذا ما يفسر حسب كاميليري تخوف عائلات المجتمع التونسي من بعث الفتيات إلى المدرسة وكذا معارضة بعض الآباء تعليم بناتهم في المجتمعات الريفية المحافظة خوفا من أثر هذه المدارس على تكوين هؤلاء الفتيات، وخوفا من فساد أخلاقهن و ضياع دورهن في المجتمع التقليدي، وهذا ما أشار إليه في كتابه : " شباب ، تطور ، عائلة في بلاد المغرب العربي". ومن خلال الوقوف على

المقاومة الشديدة التي أظهرها المجتمع الجزائري إزاء السياسات التغريبية للمستعمر التي كانت تهدف إلى طمس معالم الشخصية والهوية الوطنية نجد أن هذه المقاومة، كما يفسرها الجابري، هي: "رد فعل طبيعي للمجتمع الجزائري لما يكتسيه هذا التهديد الخارجي من تحد للذات المغلوبة في مقومات وجودها وشخصيتها مما يجعل هذه الأخيرة تحتمي بالماضي لتدافع عن نفسها ضد هذا الخطر الخارجي" (نفس المرجع، ص 93).

ج . تبدو الثقافة الأجنبية مهددة للتوازن النفسي:

هذا ما أشار إليه وايت في كتابه " التركيبات الاجتماعية والحركية الاجتماعية" في دراسته السابقة الذكر ، حيث يشير إلى أن معظم الشباب الإيطالي في بوسطن لهم طموح النجاح في حياتهم سواء كانوا شباب الجامعة أو شباب الشارع ، لكنه لاحظ، على النقيض من شباب الجامعة، فإن شباب الشارع هم الأكثر ارتباطا بجماعتهم بواسطة سلسلة من الواجبات الاجتماعية الضمنية التي لا يريدون أو لا يستطيعون تجاوزها ، لأن هذه الارتباطات بالجماعة هي جزء من هويتهم تعزز لديهم روح الانتماء للجماعة وبالتالي تساهم في تحقيق توازنهم النفسي والاجتماعي، فالثقافة الأجنبية هنا تعتبر عامل من العوامل المهددة للتوازن النفسي للفرد ، فهي، خاصة إذا كانت ذات طابع مغربي وتستجيب لأهواء الفرد، تولد لديه صراعا تقاطبيا وثقافيا بين الأخذ بمعايير هذه الثقافة أو التمسك بثقافته الأصلية (A.BRAMI, opcit, p 57)، هذا التوتر المستمر يفسر من طرف الكثير من الباحثين على أنه سبب مباشر للكثير من الاضطرابات النفسية والانحرافات الاجتماعية لدى الأفراد المتناقلين، لذلك يتجه العديد منهم للتخفيف من هذا التوتر إلى رفض الثقافة الأجنبية كوسيلة دفاعية للحفاظ على توازنهم النفسي والاجتماعي.

كما أن مظاهر رفض الثقافة الأجنبية تختلف باختلاف الزمان والمكان الذي تتم فيه، وكذا حسب مكانة الفرد أو الجماعة المعرضة لخطر الثقافة، نذكر من هذه المظاهر:

- العودة إلى التقاليد والسحر: كعملية لا شعورية للتخفيف من آثار عملية الثقافة يتجه العديد من الأفراد إلى عملية إحياء بعض التقاليد والطقوس السحرية ، مثال ذلك ما حدث في الجزائر بعد الاستقلال الوطني من خلال أعمال نورالدين طوالي حيث يشير إلى أنه منذ الستينيات ظهرت في الجزائر حركة كبيرة في اتجاه إحياء المقدس في نوع من المقاومة والتخفيف من شدة الصراع البينشخصي والنفسي الناتج عن المحاولات المستمرة للثقافة في مظهر من المظاهر اللاواعية لرفض الثقافة الأجنبية (طايبي مريم، مرجع سابق، ص 11).

- ظهور حركات عنيفة ضد الثقافة : لقد أشار مدارس إلى هذه الردود حينما تكلم عن التوجه العنيف بعد الحرب العالمية الثانية إلى التصنيع وعقلنة المعايير الاجتماعية في أوروبا كعملية ثقاف جزئي مس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الأوروبي آنذاك، وما صاحب ذلك، بخاصة في المجتمعات الريفية، من رفض عنيف لهذه السياسات في شكل مقاومات سلبية أدت إلى ارتفاع نسبة تعاطي الكحول

لدى الأفراد وزيادة في عدد العاطلين عن العمل والطلابين للمساعدة الاجتماعية والنفسية في الأوساط الريفية مع إحساسهم بشعور عنيف بالذنب لتدهور نمط المعيشة التقليدي لديهم ، ويرجع ذلك حسب مدارس إلى حدوث نوع من التثبيط النفسي في أوساط الفلاحين ناتج عن التخلي عن شرعة الأسلاف، الشيء الذي يفسر اندثار الحماس الفردي والجماعي اللازم للاستمرار في الحياة وفي التقدم الذاتي. يمكننا أن نسلط الضوء على الكثير من الحركات العنيفة في الجزائر والتي يمكن تفسيرها من خلال التناول الثقافي على أنها ردات فعل طبيعية لعملية الثقافة التي صبغت المجال الثقافي الجزائري لسنوات عديدة، وهي حالة الأفراد الجزائريين بعد الاستقلال حين اتجهوا إلى إحياء الثقافة والهوية الوطنية من خلال التركيز على إحياء الممارسات الدينية بقوة وفرض اللغة العربية لغة رسمية وحيدة في البلاد... الخ، كرد فعل سريع وعنيف ضد السياسات التغريبية للمستعمر إبان الاستعمار، بهذا المفهوم يمكننا أن نفسر التطرف الإسلامي في وقتنا الحاضر كرد فعل عنيف ضد التأثيرات الثقافية لحركة العولمة الثقافية.

2.2.2 بميكانيزمات التبادل الثقافي:

إن عملية التفاعل والتبادل بين الثقافات، وكما أشرنا سابقا من خلال دراسة نوعية وطبيعة التفاعل بين الثقافات، تتحدد في إطار نوع وطبيعة هذا التفاعل والظروف التاريخية والاجتماعية والخارجية المحيطة بالمجتمعات الخاضعة لهذه العملية، في البداية سنلجأ إلى الإشارة إلى مجموعة من العموميات قبل الحديث عن قوالب نظرية لمختلف ميكانيزمات الثقافة، إن أثر معيار أو عدة معايير ثقافية على الثقافة الأصلية في إطار تفاعل حر وبدون ضغط يكون تقبله سهلا وسريعا، عكس حالة التفاعل المسلط والمحتم في إطار ضغط ثقافة الجماعة السائدة على الثقافة الأصلية كحالة المستعمرات مثلا أين نجد هذا التقبل يكون صعبا وبطيئا في مقابل حركات مقاومة مستمرة وعنيفة. هذا التعقيد في المفهوم ليس مرده إلى اختلاف العناصر الداخلة في عملية الثقافة فقط ولكن كذلك إلى ريثم الثقافة أيضا ، يشير باستيد إلى ذلك من خلال تأكيده على أن سرعة الثقافة تختلف باختلاف المستوى التي تمسه عملية الثقافة فعندما تمس الجانب المادي تكون سريعة وفعالة بينما تكون بطيئة وصعبة عندما تمس الجانب العقلي والرمزي.

يمس الثقافة عموما كلا الثقافتين بمعنى الثقافة المأثرة أو السائدة وكذا الثقافة المتأثرة أو المستقبلية، ويعود ذلك إلى أن عملية الثقافة يمكن أن تمس الجانب العقلي أكثر منه الجانب المادي . فالثقافة العقلية يمس كل تغيير في الأفكار والقيم والمعتقدات والديانة واللغة وهذا نتيجة الالتقاء المتواصل والممتد بين جماعتين أو مجتمعين ذو ثقافات مختلفة، بينما الثقافة المادي فهو يمس الجانب المادي في حياة الأفراد من خلال الملابس ووسائل المعيشة والسكن والآلات الموسيقية والحمية الغذائية لصالح ثقافة أخرى وفي اتجاه مناسف، تجدر بنا الإشارة إلى أن الثقافة نادرا ما يحدث في اتجاه واحد بل يمس كلا الجانبين مع وضوح الرؤية أكثر في الجانب المادي لأنه مرئي وواضح للعيان مباشرة، كما أننا نلاحظ وجود

ارتباطات متبادلة بين هذين النوعين من الثقافتين بحيث أنه إذا حدث وأن تم تغيير في قيمة من القيم الأصلية لدى الفرد "الديانة مثلا" يؤدي ذلك بالضرورة إلى تغييرات على مستوى سلوكه الحياتي : التغذية والملبس وتحديد النسل من عدمه... ، ونفس الشيء يحدث إذا تم تغيير في الجانب المادي من حياته كالهجرة إلى المدينة مثلا سيصاحب ذلك تطور في المعايير والسلوكيات مع ازدياد الحاجة إلى الرفاهية والدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة... الخ.

تتم عملية الثقافتين عموما بطريقة متدرجة في ظل مجموعة من الميكانيزمات التي نتناولها فيما يلي:

1. الاستيعاب والتشابه والتمثل: (assimilation) يتمثل في اندثار كلي وتام للثقافة الأصلية لصالح الثقافة الوافدة ، وهذا من خلال استدخال الفرد بطريقة كلية وتامة لمعايير ومعتقدات ثقافة أجنبية في مقابل تخليه الكلي عن معايير ثقافته الأصلية، حيث نجد أن هذه الجماعات تعرف نفسها بمعايير الثقافة السائدة ومميزاتها حتى أنها تصل إلى حد التنازل الكلي عن خصوصياتها الثقافية. يشير الكسندر برامي إلى أن اندثار الحضارة الريفية التي أشار إليها مدارس سنة 1964 تجسدت على الواقع سنة 1984 من خلال بحث نشره تحت عنوان " عشرون سنة بعد" حيث أشار إلى تبديل مصطلح الريفي بالفلاحي والزراعي مع اندثار كلي لنظام التعاملات والمعايير والتمثيلات الاجتماعية للمجتمع الريفي واستدخال كلي لرؤى العالم الصناعي في هذه المجتمعات.

2. الازدواجية الثقافية: (la dualite culturelle) تشير إلى عملية نفسية واجتماعية تتميز بمعاش وضغط متواصل بين ثقافتين مختلفتين، هذا المعاش يتميز بكون أفرادهم يعيشون ازدواجية تطبع على مستوى سلوكياتهم الاجتماعية ، فتجدهم يخضعون إلى قواعد ومعايير الثقافة السائدة عندما يتواجدون في جماعة يغلب عليها طابع الثقافة السائدة ثم يعودون إلى معايير وقواعد ثقافتهم الأصلية عندما يكونون في مجتمعهم الأصلي وبيئتهم الأولى (A.BRAMI, op.cit, p 58) ، لقد أعطت راضية طواليبي 1979 أحسن مثال على هذه الازدواجية الثقافية في المجتمع الجزائري من خلال موظفة الإدارة العامة التي ما أن تعود إلى منزلها حتى يتوجب عليها الرجوع إلى الأدوار التقليدية للمرأة بينما تسلك سلوك امرأة متحررة في العمل وخارج المنزل في إطار ما أسمته " تعاقب السلوك " وهذا لتحقيق نوع من " التوفيق بين الثقافة الحديثة والثقافة التقليدية وترجمة هذا التوفيق في العلاقات بين الأدوار المتلائمة اجتماعيا " (نورالديني طواليبي ، مرجع سابق، ص 30).

3. الأثر الثقافي: (emprunt culturel) يعتمد هذا الميكانيزم بالأساس على مبدأ الاختيار أي إمكانية الفرد اكتساب معيار ثقافي ما من الثقافة الأجنبية مع حذف وإقصاء لمعايير أخرى من الأثر، إذ أنه تقليد بسيط وعادي مع استيعاب وإعادة تفسير جزئي لهذا المعيار إلى يصل به إلى درجة الانفصال الجزئي، هذا الانفصال يشير إلى انسلاخ وثقافت محدود في مجال خاص . لقد أشار مدارس 1964 إلى ذلك عندما تناول ميكانيزمات العصرية في المجتمع ، حيث أكد على أن انتشار التكنولوجيا يتم بواسطة عملية

تقليد جماعية ومحددة في مجالات معينة مع المحافظة على الجوانب الأخرى، فهي بهذا عملية جزئية تمس جانبا جزئيا.

4. **إعادة التفسير:** (reinterpretation) يركز هذا الميكانيزم على إعادة صياغة عناصر ومعايير من الثقافة الوافدة حسب أنماط الثقافة المحلية ، فهي العملية التي يتم من خلالها تغير معاني ومفاهيم معايير ثقافية تقليدية بواسطة قيام الفرد باستدخال معيار اجتماعي مختار من الثقافة السائدة ثم تكيفه على حسب المعايير التقليدية ونمط معيشة الأفراد في هذا المجتمع. نأخذ مثال على ذلك عمل المرأة، ففي المجتمعات الريفية تقوم المرأة بالعمل في الفلاحة والرعي، فيقوم الفرد هنا بإعادة تفسير هذا المعيار في صالح عمل المرأة في المجتمع المدني انطلاقا من أن عمل المرأة حق مشروع ومستمد من الثقافة التقليدية. إن الاستعمال المفرط لميكانيزم إعادة التفسير يمكن أن يؤدي إلى الربط بين مجموعة من عناصر ومعايير ثقافات متعددة ومختلفة للوصول إلى بروز نظام جديد قائم على مبادئ مختلفة عن المبادئ الأصلية ، هنا نتكلم عن الاحتواء الثقافي أو عن الثقافات المختلطة culture metisse التي قد تكون متجانسة كما هو الحال في المجتمع الأمريكي في عمومها. (A.BRAMI, op.cit, p 58)

لقد كانت هذه الأبحاث تهدف في الأساس إلى دراسة أثر العصرية والتصنيع السريع للدول على مختلف المجتمعات والثقافات خلال القرنين 19 و 20 ميلادي . ففي بدايات القرن 20 كانت كلمة الثقافة مرادفة لكلمة التشابه والاستيعاب للثقافة المستقبلية والسائدة بمعنى ضياع الثقافة الأصلية لصالح استدخال معايير وقيم الثقافة السائدة. تطور هذا المفهوم حتى أصبحت عملية الثقافة تعتبر كعملية ديناميكية تمس مختلف الأبعاد الحياتية للأفراد ، ونلمس آثارها من خلال تحولهم من ثقافتهم الأصلية والمحلية نحو الثقافة المستقبلية والسائدة.

3.2 الميزة الارتدادية الانعكاسية لعملية الثقافة:

كما سبقت الإشارة فإن عملية الثقافة قد تتم في اتجاه واحد لصالح الثقافة السائدة ، أو في اتجاهين في عملية تبادل تفاعلي بين الثقافتين وهذا بحسب طبيعة ونوعية عملية التفاعل والمجموعات المتفاعلة مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الخارجية المحيطة بهذا التفاعل.

1.3.2 **الثقافة في اتجاه واحد:** ويتمثل في أثر الثقافة السائدة من خلال أفرادها الذين ينقلون صورة من صور التفوق والاستعلاء لهذه الثقافة على الثقافات المحلية وهذا حال ثقافات الشعوب المستعمرة وحال المهاجرين في المجتمعات الأوروبية والأمريكية الشمالية ، تمس كل فئات المجتمع وبخاصة الشباب الذين يتعرضون إلى عمليات إعادة إدماج اجتماعي من جديد في الثقافة الجديدة . مثال آخر هي عملية الثقافة التي أصابت المجتمعات الريفية بعد الثورة الصناعية في أوروبا ، فتتأقف هذه المجتمعات ظهر على شكل ثقافت أحادي الجانب والاتجاه لصالح الثقافة الصناعية والحضرية على حساب الحضارة والثقافة الريفية التقليدية .

2.3.2 **الثقافة في الاتجاهين " التفاعلي "** : يحدث عموماً في المجتمعات المتجاورة والمنفتحة على بعضها البعض في إطار سياسة التعايش بين الثقافات ، وهذا حال الثقافات الأوروبية فيما بينها كالايطالية والفرنسية والانجليزية مثلا، فعند الحديث هنا عن اتجاه عملية التفاعل نتكلم على عملية تبادلية بحيث تكون إحدى الجماعتين متأثرة من خلال معيار ما ، ثم تتحول إلى جماعة متأثرة من خلال معيار آخر حتى أنه يصعب علينا تحديد الثقافة المأثرة من الثقافة المتأثرة خلال العملية التفاعلية. هنا نجد روجر باسفيد يشير إلى عملية التقاطع والتداخل بين الثقافات في إطار عملية عكسية التأثير بينهما مما يلزم إعادة تعريف الهوية الثقافية، وكذلك نجد كلا من **مادراس وبيرنو** صورا في محاولتهما المقارنة عبر الزمن بين مجموعة من الثقافات توصلنا إلى أن الثقافة تظهر على أنها مجموع مركب موضوعي ونهائي على العكس من الهوية التي هي ذاتية ودينامية ودائمة التفاوض عليها، وهذا ما لمسها كاتب المقال في كتابات **واين وكريستوف روبر** الذين أشارا إلى تعقد وغموض عملية إعادة تعريف الهويات الثقافية بعد التفاعلات المتعددة مع المحيط الخارجي (Ibid, p 59) .

3. **أنماط واستراتيجيات الثقافة :**

انطلاقاً من الأبحاث ما بين الثقافات، نجد أن سلوكيات وردود أفعال الفرد تجاه نفس وضعيات التلامس والتفاعل الثقافي ليست نفسها في المجتمع المحلي وحتى في المجتمع الخارجي. **جون بييري** أستاذ علم النفس جامعة أوتاريو في كندا تكلم عن نظرية الأنماط الثقافية سنة 1986 التي تظهر لدى الأفراد المتناقضين ، تقوم هذه النظرية على رفض الاتجاه الذي يعتبر الهوية هدف محتم وأساسي والتأكيد على الميزة الدينامية لعملية بناء الهوية مع تحديد الذات في مقابل التغيير الثقافي الذي يمس المجتمع الأصلي تحت تأثير التلامس مع ثقافات أخرى . اعتمد **بييري** في نظريته على مبدأ اختيار الفرد لنمط وإستراتيجية الثقافة الذي تساعده على تحقيق توازنه الفردي والاجتماعي، فهو بهذا يعتبر أن الفرد مشارك في عملية الثقافة التي تلمس مجتمعه المحلي وهو حر في اختيار أحد النموذجين الثقافيين الذي يراه مناسباً لظروفه سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي.

تعددت النماذج التي حاولت تحديد استراتيجيات وأنماط الثقافة لكن تتفق جميعاً على أن الفرد يحاول من خلالها تسيير وضعيات التعدد والصراع الثقافي لإعادة التوازن الداخلي لثقافته ولذاته. نذكر منها:

1.3 **نموذج استراتيجيات الثقافة ل لومبارت وآخرون Lambert et al 1972 :**

يرى **لومبارت** وآخرون 1972 بأن الثقافة عملية نفسية واجتماعية تركز على دراسة وضعيات الالتقاء بين اللغات والجماعات اللغوية مثال ذلك : الحالة الكندية. لقد ركز نموذج **لومبارت** الثقافي على العلاقة بين اللغات والثقافات المتفاعلة ، فاقترح نموذج تفاعلي بين الجماعات يتكون من العلاقات التفاعلية الأربعة المحتملة . وهي:

-وضعية تتميز بالثنائية اللغوية والثنائية الثقافية : تتميز هذه الوضعية بالتعدد الثقافي واللغوي ، وهي حالة المجتمعات الحديثة الأوروبية والأمريكية الشمالية.

-وضعية تتميز بالأحادية اللغوية والثنائية الثقافية : تتميز هذه الوضعية بضياع لغة الجماعة المسودة مثال ذلك حالة المهاجرين.

-وضعية تتميز بالثنائية اللغوية والأحادية الثقافية : ناتجة عن التقاء ثقافي محدود بين الجماعات لوجود حدود فيزيائية ونفسواجتماعية مثل الجزائر والقبائل.

-وضعية تتميز بالأحادية اللغوية والأحادية الثقافية : ناتجة عن التشابه الكلي مع الثقافة السائدة أو الانفصال الكلي عنها نتيجة لتقلص الالتقاء بين الثقافات (H. ECHEPETELECUCU, 2010,p 75).

يعاب على هذه النظرية أنها لا تتناسب مع العصر الحالي مع ظهور الانترنت والإعلام السمعي البصري ما جعل الحديث عن الأحادية الثقافية الخالصة أمر صعب تحقيقه.

2.3. نموذج استراتيجيات الثقافة النفسي ل جون بيرى 1996 J. Berry :

اقترح مصطلح استراتيجيات الثقافة في سنوات الستينيات من القرن الماضي من طرف جون بيرى للتعبير عن الاستراتيجيات التي يتبناها أفراد جماعة ثقافية غير سائدة لكي يتقمصوا خصائص ثقافية جديدة من خلال الثقافة السائدة في حياتهم اليومية الجديدة.

في عرضه لمشروعه النظري، بدأ بيرى بتحديد مفهوم الثقافة والجماعات المتناقفة ، ثم أشار بعد ذلك إلى أن الأفراد الواقعيين تحت ضغط التفاعل بين الثقافات يظهرون تغيرات على المستوى النفسي في ظل الارتباط المتين بين المظهرين النفسي والثقافي أين نجد أن الثقافة تمثل روح الجانب النفسي والنفس تدعم الجانب الثقافي .

قبل أن يشير بيرى إلى أنماط الثقافة عند الفرد ، أشار إلى الجماعات المتناقفة انتقادا منه للدراسات التي تتناول الثقافة على جماعة واحدة ، أهم هذه الجماعات التي تناولها بالدراسة والتي حددها من خلال ثلاث أبعاد أساسية (الحركية الاجتماعية، الإرادة في عملية الثقافة، استمرارية التلاقي والتلامس) موضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم (1) يوضح : الجماعات المتناقفة بحسب بيرى (S. HIJAZI, op.cit, p 39)

الحركية	إرادية	لاإرادية
المستقرين	المجموعات العرقية	السكان الأصليين
المهاجرين	المهاجرين نهائيا المهاجرين مؤقتا	المنفيين واللاجئين

استعمل بييري 1996 مفهوم استراتيجيات وأنماط الثقافة لدراسة كيفية تحقيق الفرد للتكيف مع تعدد الثقافات في مجتمع ما . يقول بييري أن اختيار إستراتيجية الهوية يتم بالإجابة عن سؤالين أساسيين يطرحان على الفرد الذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات:

- هل من المهم الحفاظ على الثقافة والهوية الأصلية ؟
- هل من المهم البحث عن ربط علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية مع الجماعات الأخرى والمشاركة معهم في الحياة الاجتماعية ؟

وعموما فإن هذين السؤالين والإجابة عنهما تسمح لنا باستخراج أربعة استراتيجيات تأخذ تسميات متعددة حسب نوع الجماعات المتفاعلة أو بحسب الرغبة في الحفاظ على الثقافة الأصلية أو الالتحاق بالثقافة الجديدة وكذا حسب ربط الاتصال أو لا مع الثقافة السائدة ، انطلاقا من هذه التساؤلات حدد بييري أربعة أنماط واستراتيجيات ثقافية يوضحها في الجدول الآتي: (A.Gaillard, op.cit , p 24).

الجدول رقم (2) : يحدد أنماط واستراتيجيات الثقافة عند بييري:

هل من المهم الحفاظ على الهوية الثقافية الأصلية ؟			
لا	نعم		
الاستيعاب والتشابه	الاندماج	نعم	هل من المهم البحث عن ربط علاقات اجتماعية مع الجماعات الأخرى ؟
التهميش	الانفصال	لا	

تتم عملية الثقافة عبر أربعة مراحل يحددها بييري كما يلي هي:

- مرحلة الالتقاء والتفاعل
- مرحلة الصراع
- مرحلة الأزمات
- مرحلة التكيف : هي النتيجة النهائية لأحد استراتيجيات الثقافة التي يشرحها بييري كما يلي:
- **الاندماج**: يرى بييري أن الاندماج يعني أن الفرد يعمل على الحفاظ على خصائصه الثقافية وهويته الشخصية الأصلية المتمثلة في (اللغة والديانة والعادات والتقاليد والعرف والأعياد.....) مع استدخال لبعض القيم الحديثة لإشباع حاجات ومتطلبات التحديث والعصرنة والاقتصاد، فهو يمثل الجانب الإيجابي في عملية الثقافة لأننا نلمس الحفاظ على الثقافة المحلية وظهور ارتباط وثيق مع بعض خصائص الثقافة الأجنبية .

- **الاستيعاب والتشابه**: في حين يرى أن نمط الاستيعاب والتشابه يعني تخلي الفرد عن هويته الثقافية المحلية لصالح الهوية والثقافة الأجنبية مع تشبعه بالكثير من قيم ومعاييرها (Yo Jackson, 2006, p 27).

- **الانفصال:** يعني أن الفرد يحاول قطع الطريق عن أي محاولات ربط علاقات مع الجماعة السائدة في المجتمع رغبة منه في الحفاظ على ثقافته المحلية في عملية مضادة للثقافة، في هذا النمط أشار بيري إلى عملية التمييز وهي الوضعية التي ترفض فيها الجماعة المستقبلية اندماج أفراد الجماعة الوافدة، وتفرض عليهم نوعاً من العزل الاجتماعي مما يشجعهم على الالتفاف حول ثقافتهم المحلية في عملية دفاعية بحثاً عن تحقيق المكانة الاجتماعية في هذه المجتمع، هذا ما يساعدهم على الحفاظ على ثقافتهم الأصلية.

- **التهميش:** فهي ردة فعل الأفراد عندما يضيعون هويتهم الثقافية قبل أن يحققوا اندماجاً كلياً في ثقافة المجتمع السائد، في الغالب قد يكون سبب ذلك التمييز العنصري الذي يمارسه أفراد المجتمع السائد على هذه الجاليات (A. Gaillard, op.cit, p 25).

إن اختيار الفرد لإستراتيجية ثقافية واحدة من هذه الاستراتيجيات يعود، كما تظهر الأبحاث الإمبريقية لبيري 1992 المتعلقة باتجاهات الأفراد تجاه هذه الاستراتيجيات الثقافية، إلى وجود العديد من العوامل المحددة لكل إستراتيجية، نذكر على سبيل المثال: خصائص المجتمع الأصلي على المستوى السياسي والاقتصادي والديموغرافي والخصائص الشخصية للأفراد الوافدين: أسباب هجرتهم، مستواهم التعليمي وطموحاتهم وموقفهم المبدئي من الثقافة المستقبلية. بالإضافة إلى الاتجاهات السائدة في المجتمع المستقبل وتكوينه الاجتماعي والإيديولوجي لها دور كبير في تحديد صيرورة حدوث عملية ثقافت الأفراد وخلق محيط محفز للاندماج للمهاجرين وللوافدين الجدد. (S. HIJAZI, op.cit, p 41).

وفي إطار تطوير نموذج السابق، حاول جون بيري سنة 2003 التعمق في نموده الخاص بالثقافة باقتراح نموذج تفاعلي بين الجماعات الثقافية الاثنية ممثلة في المهاجرين والمجتمع الواسع المستقبل. يتميز أفراد المجتمعات الأصلية بإتباع العديد من الاستراتيجيات النفسية في مواجهة عملية الثقافة وهي: الاندماج والاستيعاب والانفصال والتهميش بينما أفراد المجتمع المستقبل يكونون استراتيجيات أخرى تتمثل في التمييز والإقصاء.

ثم أضاف بيري مستوى تحليل إضافي للمستويين السابقين الفردي والجماعي. فأصبح هذا النموذج يتكون من ثلاث مستويات تحليلية هي: النفسي أو الفردي، الثقافي أو الجماعي ثم الاجتماعي. وهي موضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم (03): استعمال استراتيجيات الثقافة في الجماعة الاثنية والمجتمع الواسع بيري 2003:

المستوى	الجماعة الاثنية غير السائدة	المجتمع الواسع السائد
الوطني	أهداف الجماعة	السياسات الوطنية
الفردي	استراتيجيات الثقافة	أيديولوجية تعدد الثقافات
المؤسسي	التنوع والمساواة	الأحادية أو التعدد

بحسب بييري و سباتيني فان جميع الدراسات المعتمدة على هذا النموذج أشارت إلى أن معظم المجتمعات تتجه نحو إستراتيجية الاندماج وتبتعد عن إستراتيجية التهميش . كما أن كل جماعة اثنية تحدد اتجاهها نحو الانفصال أو الاستيعاب من خلال مجموع المحددات الخاصة بها: الثقافة والتاريخ الاجتماعي للهجرة (رغبة أو قسرية)، كما أن الخصائص الشخصية لكل فرد من هذه الجماعة تحدد طبيعة ثقافته: (السن، زمن الهجرة، المستوى التعليمي، معرفة اللغة السائدة...) (H. ECHEPETELECUCU, op.cit , p 79).

3.3. نموذج استراتيجيات الثقافة التفاعلي (MAI): ل بورهيس وآخرون Bouhris et al 1997

لقد طور بورهيس ومعاونوه 1997 هذا النموذج من خلال نماذج بييري للثقافة النفسي ، وأضافوا إليها أربعة خصائص جديدة وهي :

1-دراسة اتجاهات الثقافة لأفراد المجتمع المستقبل لأول مرة في حين أن النماذج السابقة تركز على دراسة الثقافة في الجماعات الاثنية، بمعنى دراسة العلاقات التفاعلية بين الأفراد في كلا الجماعتين وفي كلى الاتجاهين.

2-دراسة العلاقات اللامتساوية بين الجماعات باستخدام المؤشر الحياتي الاثني اللغوي النسبي (VELS)الذي تحده ثلاث عوامل أساسية هي : الاجتماعية والديموغرافية ، ثم الدعائم والمراقبة المؤسساتية للجماعة وأخيرا المكانة التي يكتسبها الفرد من خلال ثقافته ولغته. هذه العوامل الثلاثة هي من تحدد قوة المؤشر الحياتي الاثنو لغوي لثقافة ما، والتي تساعد في تحديد استراتيجيات الفرد والجماعة في مواقف التعدد الثقافي.

3-التمييز بين الاستراتيجيات الثقافية بين الجماعات أو بين الأفراد.

4-اقتراح نموذج اختياري من طرف بورهيس وآخرون لأنه من خلال التفاعل بين استراتيجيات الثقافة لكلى الجماعتين حصلوا على 25 وضعية تفاعلية اجتماعية ونفسية اجتماعية . (Ibid, p82) باختصار ، فان هذا النموذج الثقافي التفاعلي يدمج العناصر الأربعة التالية:

- الاتجاهات الثقافية للجماعات المهاجرة في المجتمعات المستقبلية.
- الاتجاهات الثقافية للجماعات المستقبلية نحو جماعات مهاجرة خاصة.
- مختلف العلاقات بين الأفراد والجماعات الناتجة عن مختلف الاتجاهات الثقافية .
- المؤشر الحياتي الاثني اللغوي النسبي الذي يدرس العلاقة الغير متساوية بين جماعة المهاجرين والمجتمع الأصلي.

1. *بالنسبة للاتجاهات الثقافية للمهاجرين : قام بورهيس وآخرون 1997 بالتغيير في نموذج الثقافة النفسي ل جون بييري من خلال تغيير التساؤل الثاني عند بييري بحث يصبح : هل من المهم اكتساب وإعطاء قيمة لثقافة المجتمع المستقبل؟ إن الإجابة على هذين التساؤلين يمكن أن تكون من أربعة استراتيجيات

ثقافية (مثل نموذج بييري) يضيف إليها إستراتيجية الفردانية عندما يجيب الفرد بالسلب عن كلا التساولين بمعنى رفضه للثقافة الأصلية والثقافة الأجنبية عنه. هذا ما يمكن أن يوجهنا نحو:

- الاغتراب على المستوى الجماعي

-الفردانية على المستوى الفردي: تعبر الفردانية ؛بالإضافة إلى رفض الفرد لكلا الثقافتين ؛ عن اتجاه الفرد إلى اعتبار نفسه فردي وليس كفرد في جماعة.

الجدول (04): يوضح الاتجاهات الثقافية الثنائية الأبعاد المعدلة بورهيس وآخرون 1997 (Ibid, p82)

هل من المهم الحفاظ على الهوية الثقافية الأصلية ؟			
لا	نعم		
الاستيعاب	الاندماج	نعم	هل من المهم اكتساب واعطاء قيمة لثقافة المجتمع المستقبل
الاغتراب الفردانية	الانفصال	لا	

2.* الاتجاهات الثقافية للمجتمع المستقبل : لتحديد هذه الاتجاهات الثقافية يعتمد هذا النموذج على الإجابة على التساولين التاليين:

- هل تقبل أن يحافظ المهاجرون على ميراثهم الثقافي؟

- هل تقبل أن يكتسب المهاجرون ثقافة المجتمع المستقبل؟ والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول (05): يوضح الاتجاهات الثقافية الثنائية الأبعاد للمجتمع المستقبل : بورهيس وآخرون 1997 (Ibid, p83)

هل تقبل أن يحافظ المهاجرون على ميراثهم الثقافي؟			
لا	نعم		
الاستيعاب	الاندماج	نعم	هل تقبل أن يكتسب المهاجرون ثقافة المجتمع المستقبل؟
الإقصاء الفردانية	التمييز الغريزة	لا	

بحيث قدم بورهيس التعريفات التالية لهذه الاستراتيجيات:

*الاندماج: هذه الإستراتيجية تسمح لأفراد المجتمع المستقبل بقبول اِحفاظ أفراد المجتمع المهاجر لثقافتهم الأصلية واكتسابهم لثقافة المجتمع المستقبل، يفضلون التعدد الثقافي في المجتمع.

*الاستيعاب: هنا تنتظر الجماعة المستقبلية من الفرد التخلي عن ثقافته الأصلية وأن يستدخل قيم الثقافة المستقبلية.

*التمييز: تتميز هذه الإستراتيجية بكون أفراد الثقافة المستقبلية لا يرغبون في اكتساب المهاجر لثقافتهم خوفاً عليها من أن تتحول وتتأثر. نجدهم يدعون إلى التقليل قدر الإمكان من العلاقات بين كلا الجماعتين.

*الإقصاء: يرفض أفراد الجماعة المستقبلية اكتساب المهاجر لثقافتهم ويرفضون حفاظه على ثقافته الأصلية لوجود اختلاف كبير بين الثقافتين: التاريخ، الديانة واللغة..... نجد هؤلاء الأفراد يفضلون عودة المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية.

*الفردانية: يتميز هنا الأفراد بنظرتهم لان ما يهم هو الخصائص الشخصية للفرد وليس انتمائه الاثني. فبالنسبة إليهم لا يهم حفاظ المهاجر على ثقافته أو التخلي عنها.

أضاف بورهيس وآخرون سنة 2001 اتجاه ثقافي آخر بالإضافة إلى ما سبق وهو الاتجاه " الاندماج التحولي" الذي يتميز بمحاولة أفراد المجتمع المستقبل بتغيير بعض من خصائصهم الثقافية وقبول بعض خصائص الثقافة الأصلية للمهاجر لمساعدته على الاندماج . (Ibid, p84)

3.* إذا انتقلنا إلى المستوى الجماعي لنموذج الثقافة التفاعلي ل بورهيس ، وربطنا بين الاتجاهات الثقافية لكل من أفراد الجماعة المهاجرة والمستقبلية باستعمال المؤشر الحياتي الاثني اللغوي النسبي لكلي الجماعتين . نجد ثلاث وضعيات تفاعلية ، وهي :

*- الوضعية التوافقية: بين الاتجاهات الثقافية لكلي الجماعتين.

*- الوضعية الصراعية: بحيث تكون الاتجاهات الثقافية لجماعة ما متعارضة مع الاتجاهات الثقافية للجماعة الأخرى.

*- الوضعية الإشكالية: وهي حالات غير توافقية وغير تعاضدية صراعية. والجدول التالي يوضح ذلك: الجدول رقم (06) : يوضح العلاقات الناتجة عن التفاعل بين الاتجاهات الثقافية للمهاجرين والمجتمع المستقبل : بورهيس وآخرون 1997 (Ibid, p85)

المهاجرين: المؤشر الحياتي الاثني اللغوي منخفض أو متوسط						
الاندماج	الاستيعاب	الانفصال	الاغتراب	الفردانية		
توافقية	إشكالية	صراعية	إشكالية	إشكالية	المجتمع المستقبل المؤشر الحياتي الاثني اللغوي عالي	
اشكالية	توافقي	صراعية	إشكالية	إشكالية		
صراعية	صراعية	صراعية	صراعية	صراعية		
صراعية	صراعية	صراعية	صراعية	صراعية		
إشكالية	إشكالية	إشكالية	إشكالية	توافقية		

في الختام يمكن أن نقول أن نظريات بييري وبورهيس في علم النفس ما بين الثقافات أوضحت بدقة أن السلوكات والمميزات النفسية للأفراد متأثرة بشدة بعملية التثقيف بمعنى عملية اكتساب الفرد لثقافته المحلية خلال مراحل حياته الأولى و بعملية الثقاف من خلال استدخاله لمعايير وقيم جديدة لثقافات أجنبية عنه. إن أهمية نظرية بييري تكمن في توضيحه أن التغيرات التي تصاحب عملية الثقاف ليست فيزيائية فقط كتغيير المحيط والمسكن والبلد، ولكنها تتعدى ذلك إلى الجانب البيولوجي في شكل برامج غذائية وسياسات صحة جديدة ، والسياسي كضياح الاستقلالية و الاقتصادي في شكل المكانة الاجتماعية والعمل والأجر..... وأخيرا في شكل تغيرات ثقافية واجتماعية كاللغة والديانة والتربية، لأن الفرد يدخل في علاقات جديدة مع الأفراد والجماعات المكونة لمجتمعه الجديد. وأكثر من ذلك عندما نجده يركز في معظم أعماله على دور الفرد في تحديد إستراتيجية الثقاف التي يعتمد عليها بحيث أكد على أن الفرد عامل ايجابي في عملية الثقاف لأنه هو من يقرر الطريقة والإستراتيجية التي بها يتثقف وينسلخ عن ثقافته . في حين أن بورهيس تمس في دراسته لعملية الثقاف حيث تناول عملية ثقاف أفراد المجتمعات المستقبلية ليؤكد على خاصية التبادلات في الاتجاهين المميزة لعمليات الثقاف المعاصرة. **وكنقد لهذه النظرية:** نجد أن بييري اختصر عملية الثقاف في شكل سلوكات واتجاهات على الرغم من أن الحقيقة الاجتماعية تبين أنها عملية معقدة تشمل الكثير من الأبعاد السياسية والاجتماعية والتاريخية والقانونية والتربوية والنفسية، كما أنه على الرغم من الدور الايجابي الذي أعطاه للفرد في اختيار إستراتيجية الثقاف التي يجذبها إلى أنه لم يتناول بالتدقيق أثر الاتصال بين الثقافات على المستوى النفسي للفرد ، بمعنى على مستوى الهوية، فييري لم يتعرض إلى عمليات المد والجزر التي تحدث للفرد في محاولاته تحقيق التوازن على مستوى هويته وهذا قبل أن يقع اختياره على إستراتيجية الثقاف التي تتاسبه، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن بييري في نظريته هذه يكاد يعتبر الاندماج نوعا من المحافظة على الثقافة المحلية، لكننا نؤكد على أن هذه الإستراتيجية ليست عبارة عن عملية تكيفية بسيطة فقط مرتبطة بنشاط اجتماعي لكنها قبل كل شيء مرتبطة بتوازن نفسي، مما يجعل الأخذ بفرادانية الفرد الاجتماعي في اختيار الإستراتيجية المناسبة له أمر ملح للغاية، فالاندماج إذن يمثل عملية خلق لنظام جديد يتعلق بالمتطلبات النفسية والاجتماعية لكل فرد.

4. قلق الثقاف:

يعرف الثقاف على أنه عملية التغير الثقافي الناتجة عن التقاء ثقافتين أو أكثر في تفاعل مستمر ومتواصل لمدة زمنية ممتدة خاصة عندما يكون هذا التفاعل غير متوازن بين ثقافة جماعة أقلية في مقابل ثقافة سائدة وغالبة، هذه التغيرات الديناميكية والمعقدة تهدف إلى تحقيق نوع من التكيف والاندماج في الوضعية الجديدة للفرد سواء بتقبل المعايير الجديدة أو بتجنبها ورفضها. هذه العملية تخلق لدى الفرد صراعا في القيم والمعايير يصاحب بنوع من الضغط والتوتر الذي يمثل الاتجاه السلبي في عملية الثقاف ويسمى بقلق الثقاف ، يعرفه **يو جاكسون** على أنه: " القلق الذي يصاحب الفرد الذي يتعرض لعملية

ثقافة وانسلاخ ثقافي مع تخليه عن بعض معاييره الثقافية الأصلية لصالح معايير الثقافة الأجنبية السائدة" (Yo Jackson, op.cit , p 39)، ويضيف على أنه: "ضغط وتوتر سلبي مرتبط مباشرة بالصراعات والأزمات التي تظهر على مستوى الهوية الثقافية والقيم والأعراف والمعايير والممارسات الموروثة والأنماط المعيشية، واستمرار هذا القلق طوال الوقت لدى الأفراد يؤدي بالضرورة إلى مجموعة من الأعراض المرضية كالاكتئاب والحصر" (Ibid, p 27). يعرفه بييري على أنه: " عبارة عن حالة استثارة فيزيولوجية للعضوية تتعلق رداً الفعل فيها بالظروف المحيطة بالفرد للتوصل إلى حالات تكيف كاملة مع الوضعية الاجتماعية السائدة ، يتبع هذا القلق الثقافي عموماً بمشاكل في الصحة النفسية والعقلية للأفراد في شكل حصر دائم واكتئاب وأزمات في الهوية واضطرابات في السلوك مع شعور الفرد بالتهميش والاستلاب"، ويضيف أن هذا القلق هو مظهر مصاحب لعملية الثقافة لكنه ليس بالضرورة حتمي الحدوث إذ يتعلق ظهوره بمجموعة من العناصر التي تتحكم في مختلف مراحل هذه العملية وهي:

- خصائص المجتمع السائد.
- خصائص الجماعات المتناقفة.
- نمط وإستراتيجية الثقافة المتبعة من طرف الفرد.
- الوضعية السوسيوديمغرافية للفرد المتناقف.

- الخصائص الشخصية للفرد. يوضح بييري هذه الفكرة في الجدول التالي: (S. HIJAZI, op. cit, p 42)

الجدول رقم(07) : يوضح العلاقة بين درجة الثقافة وقلق الثقافة بحسب بييري

درجة الثقافة	مسببات القلق (العوامل المحيطة)	قلق الثقافة
درجة عالية	الكثير من العوامل المسببة للقلق	درجة عالية من القلق
درجة منخفضة	القليل من العوامل المسببة للقلق	درجة منخفضة من القلق

في بداية الأمر لاحظ بييري أن المفاهيم الثلاثة : الثقافة ، مسببات القلق ، وقلق الثقافة مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً أحادي الاتجاه، حيث يقول: " في السابق كنا نعتقد أن خبرة الثقافة هي حتمياً منبع مسبب للقلق وأن هذا القلق هو المنبع الأساسي لقلق الثقافة". لكن، ومن خلال دراسة قام بها عام 1987، لاحظ أن الروابط بين هذه المفاهيم الثلاثة تتأثر بالعوامل السابقة الذكر، فإذا كان تأثير هذه العوامل ايجابياً فإننا سنقف على عملية ثقافة واسعة الانتشار بينما إذا كان تأثيرها سلبي وغير محفز فان الاتجاه إلى الثقافة يصاحب بدرجات عالية من القلق والحصر. يركز بييري بقوة على أهمية هذه العوامل الخمسة للتكيف النفسي:

- بالنسبة للعامل الأول خصائص المجتمع السائد: اتفقت نتائج دراساته مع نتائج دراسة مورفي 1965 ، التي خلصت إلى أن ارتفاع درجة القلق تكون أكبر في المجتمعات أحادية الثقافة أكثر منها في المجتمعات متعددة الثقافات والمتقبلة للآخر .
- بالنسبة للعامل الثاني نوعية الجماعة المعرضة للانسلاخ: يؤكد بيرري على أن جماعات المنفيين قسرا من بلدانهم والأهالي هم من يظهرون نسبة قلق ثقافي أكثر بالمقارنة مع الأفراد المهاجرين والمتقبلين لثقافة الآخر اختياريا.
- بالنسبة للعامل الثالث نمط واستراتيجية الثقافة: يشير بيرري في حديثه عن أثر هذا العامل إلى أن درجة القلق الثقافي تكون أعلى عند الأفراد المهشمين والذين يعيشون وضعيات صراعية مستمرة وشديدة في محاولاتهم الانفصالية، على العكس من ذلك، الأفراد الذين يحاولون تحقيق اندماج متوازن مع ثقافة الآخر لديهم درجات قلق أقل، في حين نجد أن الأفراد الذين يستعينون باستراتيجية التشابه والاستيعاب في ثقافتهم تكون درجاتهم وسطية بين هذين الحدين.
- بالنسبة للعامل الرابع الوضعية السوسيوديمغرافية للفرد : إن الكثير من العوامل الاجتماعية والديموغرافية يمكن أن تزيد من درجة القلق مثل الخبرات المؤلمة : الحروب ، المجاعات ، النفي والتهديد بالقتل.....، وكذا فإن لمتغير الجنس والعمر والحالة المدنية وكذا المكانة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي أثر كبير في عملية الثقافة ومن خلال ذلك التأثير على درجة القلق الثقافي.
- بالنسبة للعامل الخامس الخصائص الشخصية للأفراد : يشير بيرري إلى أن نوعية الضغط الناتج عن عملية الثقافة واستراتيجيات التعامل معه والاتجاهات الشخصية للأفراد وخصائصهم النفسية والشخصية لها دور كبير في تحديد درجة الثقافة، ومن خلال ذلك درجة القلق الثقافي.

5. قياس الثقافة:

ركزا كل من مويارمن وفرمان (MORYERMAN AND FIRMAN) في دراستهما لعملية الثقافة على المجالات التي تمسها التغييرات التي تصاحب هذه العملية وهي : الاتجاهات والسلوكيات والقيم و المعايير....الخ، نفس ما ذهب إليه لي LEE عندما يصف الثقافة على أنه العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد قيم و اتجاهات وسلوكيات مختلفة عن قيم وسلوكيات ثقافته الأصلية . مرت عملية قياس الثقافة بمراحل عدة ، انطلاقا من الاستبيانات أحادية البعد إلى الاستبيانات الثنائية البعد حتى أصبحت حاليا استبيانات متعددة الأبعاد هذا من جهة، و من جهة أخرى ظهرت خلال تطور وسائل قياس الثقافة استبيانات تعتمد على المعيار الذي مسته عملية الثقافة حيث نجد : NHI-HA & al, 2009, P 7-9

1.5 مقاييس الثقافة التي تعتمد على دراسة السلوك :

وهي مقاييس تعتمد على تحديد درجة الثقافة بواسطة الاعتماد على دراسة التغييرات السلوكية للأفراد، نذكر من هذه المقاييس المقياس الآسيوي للثقافة SL-ASIA الذي يتكون من 21 بند، لكل بند 05

درجات على المقياس (تمتد من الدرجة 0 غير موافق إلى الدرجة 5 موافق جدا)، وكل بند يمثل سلوك إنساني محدد سواء كان لغويا أو اختيار الأصدقاء أو سلوكات غذائية أو تحديد وسائل الإعلام والاتصال المفضلة لدى الفرد أو المشاركة في النشاطات الثقافية، بالإضافة إلى تناول الهوية الاثنية والتاريخ الجغرافي ومحددات صراع الأجيال.

2.5 مقاييس الثقافة التي تعتمد على القيم :

مثال ذلك مقياس القيم الآسيوي للثقافة AVS ، يحوى هذا المقياس على 36 بندا ، تتناول هذا البنود مختلف القيم الثقافية الآسيوية المتمثلة في الخضوع للمعايير الاجتماعية والشعور بروح الجماعة و الاعتراف بسلطة العائلة والمراقبة الذاتية العاطفية، لكل بند 07 درجات على المقياس (تمتد من 0 عدم القبول بشدة إلى الدرجة 07 الموافقة لقبول المعيار بشدة).

3.5 مقاييس الثقافة التي تعتمد على السلوك و القيم معا:

مثال ذلك مقياس الثقافة الفيتنامي للمراهقين ASVA ، يحتوي هذا المقياس على 76 بندا تمثل مختلف السلوكات و المعايير و القيم المتعلقة بالحياة اليومية للأفراد وبالجماعات الداخلة في تفاعل وكذا الاتجاهات العائلية و التقاليد السائدة في المجتمع ، لكل بند 05 درجات على المقياس (تمتد من الدرجة 0 غير موافق إلى الدرجة 5 موافق جدا) ، بحيث تمثل كل درجة مدى تقبل الفرد لهذا السلوك أو المعيار، تتمثل البنود الخاصة بدراسة السلوك في هذا المقياس في البنود التي تتناول اللغة و جماعة الرفاق و كذا الإعلام المفضل للفرد، بينما البنود الخاصة بالقيم تشمل البنود التي تتناول الشعور بالجماعة والأدوار الاجتماعية للفرد في المجتمع...

4.5 مقاييس الثقافة الموجهة للعديد من الجماعات الاثنية :

مثال ذلك مقياس الثقافة المتعدد الأبعاد الأمريكي الآسيوي AAMAS الذي أعتمد في بنائه على مقياس الثقافة السلوكي SL-ASIA مع تعديله ليصبح موافقا لمختلف الجماعات الاثنية، يطلب من الفرد في هذه النسخة المعدلة الربط بين كل بند والثقافة المناسبة له سواء كانت ثقافة أصلية أو الثقافة الآسيوامريكية أو الثقافة الأوروبية الأمريكية، قسم هذا المقياس إلى 03 مجموعات جزئية : مجموعة الثقافة الأصلية ثم مجموعة الثقافة الآسيوامريكية وأخيرا مجموعة الثقافة الأوروبية الأمريكية، في كل مجموعة 15 بندا يقيس السلوكات والمعارف والهوية الثقافية، ولكل بند 06 درجات على المقياس (تمتد من 0 غير موافق إلى الدرجة 6 موافق جدا).

5.5 مقاييس الثقافة للعادات والاهتمامات المتعددة الثقافات للمراهقين: AHIMSA

يستعمل على المراهقين من مختلف الجماعات الاثنية ، يحتوي على ثمانية بنود تقيس درجة ثقافة الفرد، وهي متعلقة بالهوية ووسائل الإعلام وبالتفاعلات الاجتماعية، تتم الإجابة على هذه البنود باختيار

- أحد العبارات التالية : 1 الولايات المتحدة، 2 من البلد الأصلي لعائلتي، 3 من كلاهما، 4 لا أحد ، ومن خلال هذه الإجابات يمكننا استخلاص أربعة وضعيات ثقافية لدى الأفراد هي:
- الاستيعاب والتشابه: حيث تكون أكثر الإجابات هي من الولايات المتحدة الأمريكية.
 - الانفصال: حيث تكون أكثر الإجابات هي من البلد الأصلي لعائلتي.
 - الاندماج: حيث تكون أكثر الإجابات هي من كلاهما.
 - التهميش: حيث تكون أكثر الإجابات هي لا أحد منهما

الشكل رقم (1) :مخطط قدمه أندريه توه سنة 2000 للمساعدة على تطوير وسائل قياس الثقافة بالاعتماد على الشروط السابقة للعملية و اتجاهات الفرد المتخالف وكذا نتائج عملية الثقافة:		
الشروط السابقة لعملية الثقافة	الاتجاهات في عملية الثقافة	نتائج الثقافة
خصائص المجتمع المستقبل وأهدافه المتصورة	اعتماد الثقافة السائدة	المعاش النفسي ويتحدد ب: - نمط المعيشة لدى الفرد - الإحساس بالتقبل و بالثقافة - الاضطرابات النفسية
خصائص المجتمع الأصلي و أهدافه المتصورة		
خصائص جماعة المهاجرين في المجتمع المستقبل و أهدافهم المتصورة	الحفاظ على تراث الثقافة العرقية	المميزات السوسيو ثقافية في الثقافة العرقية : "يتم التفاعل مع الآخر من خلال الخصائص المشتركة، مع الحفاظ على المهارات العرقية والسلوكيات المتوارثة
التصور الخاص للعلاقات ما بين الجماعات		
الخصائص الشخصية للأفراد المتخالفين من تقبل للتغيير و المكانة في المجتمع والمعاش الاجتماعي و الفردي للفرد وكذا مميزات شخصيته القاعدية.		
		المميزات السوسيو ثقافية في الثقافة السائدة : دور التفاعل مع الثقافة الوافدة واكتساب المهارات والخصائص الثقافية الغالبة و كذا القدرات الأكاديمية و مهارات العمل.

[http://student.ucr.edu/~qhuyn002/Berry%20\(2003\)%20conceptual%20approaches%20to%20acc.pdf](http://student.ucr.edu/~qhuyn002/Berry%20(2003)%20conceptual%20approaches%20to%20acc.pdf)

6. آثار عملية الثقافة:

نهدف في هذه العجالة إلى تحديد إلى أي مدى تأثر عملية الثقافة على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي في العائلة والفئات العمرية المختلفة وجماعات العمل وحتى على مستوى المجتمع الكلي. يتم لنا ذلك من خلال تحديد كل الجوانب التي يمسه الثقافة وكذا تحديد السرعة والشدة التي تظهر بها مختلف مظاهر التغيير الثقافي والاجتماعي لديهم سواء كان ذلك على المستوى المادي أو العقلي أو الاجتماعي ، فمن خلال تركيزنا الناقد على مختلف الآراء حول الآثار البناءة والهدامة للثقافة نستطيع تكوين رؤية كاملة وصحيحة حول هذه الظاهرة وآثارها:

1.6 على المستوى الفردي:

للتثقافة آثار عديدة على المستوى الفردي ، فهو يلعب دور البناء للهوية الفردية والمهدد لتوازنها في نفس الوقت من خلال مجموع الصراعات التي تصاحب حدوثه، تتعلق هذه الصراعات بطبيعة ونوعية التفاعل والتبادلات التي ينتج عنها الثقافة وكذا بأهداف الفرد من هذه العملية " الاندماج أو الانفصال " بالإضافة إلى وجود أو عدم وجود رغبة في تقبل الآخر وثقافته، يمكننا تحديد هذه الآثار في:

1.1.6 الآثار البناءة للثقافة : يشير عبد الله بريثساي 1996 إلى أن عملية الثقافة تترجم بالتطور

العادي والطبيعي لجميع المجتمعات والجماعات والأفراد، فالاختلاف والتغيير هما القاعدة من خلال الاستدخال والأخذ بالمعايير السائدة وذات القيمة في هذه المرحلة.(N. BELKAID, 2000, p 60). إن عملية الثقافة تفتح مجال اختيار كبير للأفراد على أنماط الحياة والعمل وعلى المكانة الاجتماعية والقيم التعليمية بهدف إعادة التكوين الاجتماعي للفرد على مفاهيم الثقافة الجديدة. يشير بيرونو صورا في أعماله على المجتمع الصيني في تاهيتي إلى هذا الأثر الايجابي للثقافة الذي يساهم في تحرير الفرد من التعقيدات التقليدية بحيث قسم بهذا المفهوم المجتمع إلى جيلين: الأفراد الذين لديهم أكثر من ثلاثين سنة وهم الذين مازال لديهم شعور قوي بالانتماء إلى الثقافة المحلية الأصلية يتميزون بانطواء على المعايير والقيم التقليدية، وجيل من الشباب الأقل من ثلاثين سنة يحكمون على هذه العادات والتقاليد بأنها عادات رجعية وتخلفية ويتميزون بتشبعهم التام بالثقافة الغربية مع اندماج حقيقي فيها، وهذا بالاعتماد على استراتيجيات ناجحة على مستوى الحركة الاجتماعية. كما يمكن أن تشجع عملية الثقافة على التمكن من تجاوز العوائق البيئية، فالأفراد الذين حققوا الاندماج في ثقافة المجتمع المستقبل بالتشرب بقيمه ومعاييره وبتقافته نجدهم بعيدين كل البعد عن التوتر والصراع النفسي وعن اختلال التنظيم الداخلي لديهم نتيجة عن ثقافتهم وتخليبهم عن جذورهم، عن هذه الفئة تحدث مدارس في كتاباته عن الشباب الجديد في المجتمع الفرنسي الذين تشربوا بقوة بالثقافة الغربية ونجحوا إلى حد ما في بناء مشاريعهم الخاصة في مختلف المجالات والتي تتطلب قدر كبيرا من التمكن من الثقافة الغربية وهذا كجانب ايجابي لعملية الثقافة (BRAMI, op.cit , p 59) .

2.1.6 الآثار الهدامة للثقافة: الصراع والانطواء والانحراف:

يظهر الصراع الداخلي و البيئشخصي بين أفراد المجتمع الواقع تحت رحمة عمليات الثقافة عندما تكون معايير وقيم الثقافتين المحلية والأجنبية مختلفتين إلى حد التناقض الكلي، هذه الوضعية تخلق صراعا حادا داخل شخصية الفرد وتجعله في حالة دائمة من الارتباك والشك في تحديد خياراته الاجتماعية والثقافية، ويقابل ذلك من طرف المجتمع بردات فعل مناقضة ومناهضة لاختيارات الفرد مما يخلق صراعات ذات طبيعة بينشخصية تزيد من التوتر والارتباك الحاصل لديه. كما تولد عملية الثقافة شعورا باللامن عند الأفراد ذوي الشخصية النفسية الضعيفة والذين يتميزون بالانطواء على أنفسهم في عملية دفاعية تتميز بانتشار كبير لميكانيزمات الإنكار والنكوص، من هذا المنطلق يبين مدارس كيف أن الشك والحصر والقلق لدى بعض الفلاحين المسنين، الناتج عن التحول السريع والعميق على المستوى الاقتصادي والاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية، يظهر على شكل شعور بالتهميش واللاعادلة مما يدفعهم إلى البحث عن متنفسات لتفريغ هذا التوتر والحصر المهدد لاستقرارهم وتوازنهم النفسي والداخلي، فاندثار معايير الجماعات البدائية بواسطة الاندماج في ثقافة الآخر يؤدي إلى ضياع هذه المعايير التي تساعد الأفراد في الارتباط والتعايش الاجتماعي مع ثقافتهم الأم وإلى ظهور العديد من اختلالات تكيف الفرد على المستوى الاجتماعي في شكل مجموعة من السلوكات المنحرفة: كالإدمان على المحذرات والكحول وظهور الأعصاب واضطراب العلاقات الزوجية والعائلية، وخير مثال على ذلك المثال الذي ساقه الكسندر برامي في دراسته عندما أشار إلى زيادة عدد المنحرفين في الريف الفرنسي في سنوات الثمانينات حيث تجاوزت نسبة المنحرفين في الريف عددهم في المدينة نتيجة لعمليات الثقافة الحادة والشاملة التي انتشرت في الأوساط الريفية في تلك الفترة (Ibid, p 61).

2.6 على المستوى الجماعي:

أجمع معظم الباحثين في موضوع الثقافة وآثاره على أن الثقافة هو السبب في ظهور العديد من الأنماط الثقافية الجديدة خاصة إذا كان ناتجا عن التفاعل الحر، على العموم يؤدي الثقافة على المستوى الاجتماعي إلى:

- ظهور قيم ومعايير جديد كعملية تعويضية للمعايير السابقة أو كمزيج معها، مما يؤدي إلى حدوث تغيرات على مستوى التنظيم الاجتماعي والثقافي للمجتمع .
- ظهور أنماط معيشية جديدة نتيجة للثقافة، مثال ذلك ما لاحظته مدارس من أن التغيرات في نمط ونوعية المعيشة الاجتماعية في الريف الفرنسي بعد الحرب هي نوع من الثورة التي تمت لهذا الفرد كمنعكس تطور وتفتح بالمقارنة مع الأزمان السابقة.
- ظهور أنواع جديدة من التكوين الاجتماعي والتربوي : ويمثل مجموع العمليات اليومية التي تتم من خلال دور المدرسة عموما وإرادة الأسرة في الاندماج في المجتمع المستقبل في حالة المهاجرين، أعطى

وايت مثال على ذلك عملية التكوين الاجتماعي الجديد الذي لجأ إليها الأطفال الإيطاليون المهاجرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تشربهم مع جماعة الرفاق بمعايير الثقافة المستقبلية، لهذا فإن هذه العملية من البناء والتكوين الاجتماعي الجديد ما هي إلا عملية داخلية تكون نتائجها أكثر أهمية وتأثيراً من التكوين الاجتماعي المدرسي الأولي لأن هذه الأخيرة تفرض معايير وأنماط سلوك بواسطة عمليات خارجية.

إذا كان كريستوفر و وايت توقعاً على المستوى الوصفي لهذه الحالات ، فإن مدارس وبرينو صوراً ركزا على الجانب التهديدي للثقافة السائدة في تفاعلها مع الثقافات الأخرى في عملية الثقافة التي يعتبرانها كعملية هدم أكثر منها عملية بناء ، كما أنها تنمي حاجات جديدة لا يمكن إشباعها بمعايير الثقافة المحلية الشيء الذي يزيد من نسبة الانحرافات في المجتمع كالسرقة والانحراف والحرقة... ، مع انتشار واسع لاغتراب اجتماعي عام في المجتمع مع ما يصاحب ذلك من اضطرابات على المستوى الفردي والبيئشخصي والاجتماعي ، بالإضافة إلى ميكانيزم الانطواء كعملية دفاعية تؤدي إلى اغتراب يمكن اعتباره منبعاً للتوتر والضغوط مما قد يؤدي إلى زيادة في العنف والعوانية لدى الأفراد الاجتماعيين ، هذه الظواهر السلبية تدعم موقف المتشائمين من عملية الثقافة والذين يصرون على أنها عملية اندثار وضياع أكثر منها عملية اكتساب وريح للجماعة المتناقفة ، يقول مدارس في حديثه عن اندثار الحضارة الريفية في المجتمع الفرنسي: " لقد قتلت الحياة الريفية بواسطة الحضارة التي نسميها صناعية مع 50 سنة من التأخر " ، هذه النهاية ليست تشخيص علمي فقط وإنما هي عملية اندثار وخسارة واضمحلال لمجموعة من القيم والمعايير والقوانين الضاربة في التاريخ مع ضياع للروح الريفية. (Ibid, p 62).

3.6 الثقافة ومشكلات التكيف:

إن الغرض الأساسي من الدراسات المختلفة والعديدة حول موضوع الثقافة هو تسليط الضوء على أثر هذه العملية وصعوبات التكيف التي تصاحبها مع ظهور أعراض الاضطرابات النفسية والعقلية والجسدية كالاكتئاب والحصر وتعاطي الكحول والمخدرات والتدخين وكذا الوهن ومختلف الأمراض الجسدية لدى الأفراد المتناقفين، لقد توصلت مختلف الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع خاصة لدى الجاليات الآسيوية في و م أ إلى أن العلاقة بين عملية الثقافة والتكيف علاقة معقدة وشديدة التداخل ، أين أشارت إلى أن المهاجرين الجدد يكونون أكثر استعداداً وعرضة لظهور اضطرابات التكيف أكثر من غيرهم نتيجة للدرجة العالية من قلق الثقافة التي تظهر لديهم ، وأشارت أيضاً إلى أن لمتغيرات الجنس والسن والمستوى الاجتماعي والتعليمي أثر كبير على تحديد درجة ومستوى قلق الثقافة لدى الأفراد. كما أسفرت دراسات أخرى على التأكيد على الارتباط الوثيق بين الدرجة العالية على مقياس الثقافة وارتفاع نسبة الاضطرابات النفسية والعقلية واضطرابات الصحة الجسدية في أوساط الأفراد المتناقفين، مثال ذلك: أن المهاجر الذي عاش لفترة طويلة في و م أ تكون بنيته النفسية أكثر هشاشة وأكثر عرضة للاضطرابات

النفسية من غيره من المهاجرين ، وهذا نتيجة لتضييعه لمقومات هويته الشخصية ولمعتقداته الثقافية وقيمه ولممارساته التقليدية التي من خلالها كان يحقق الشعور بالأمن وبالانتماء ضد مشاعر القلق والحصر ، هذا بالإضافة إلى أن عمليات الرفض والتمييز العنصري والعزلة الاجتماعية التي يتعرض لها الأفراد المتنافقون في المجتمعات المستقبلية لهم تدفعهم إلى الانحراف وتعاطي المواد المهلوسة والمخدرات. وعلى العموم يجب علينا النظر إلى أن العلاقة بين عملية الثقافة والتكيف النفسي والاجتماعي لدى الأفراد على أنها عملية معقدة من التفاعلات بين العوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية مع الخصائص النفسية للفرد واتجاهاته الشخصية (Yo Jackson, op.cit, p 28).

4.6 الثقافة والصحة النفسية والجسدية:

تمت في السنوات الأخيرة دراسات عديدة وقيمة حول موضوع الثقافة وعلاقته المباشرة أو الغير مباشرة بالعديد من المتغيرات، كان من نتائج ذلك أنه وجد أن درجة واتجاه عملية الثقافة لهما علاقة وطيدة بالتكيف العائلي السليم وبالعلاقات الزوجية الناجحة وكذا مع النجاح الدراسي والتوازن النفسي والعقلي والبدني للأفراد، ويظهر هذا الأثر بوضوح في العديد من البروتوكولات الإرشادية والعمليات العلاجية الحديثة في علم النفس التي استدخلت بقوة الاهتمام بالتصورات والتمثيلات الاجتماعية والثقافية لسلوكيات الفرد وقراءتها من خلال الصيرورة التاريخية لتطورهم الثقافي، وهذا لتحقيق فهم أكبر لمشاكلهم النفسية وصعوبات التكيف لديهم.

في هذه الفقرة سنحاول عرض العلاقة بين عملية الثقافة وبعض اضطرابات الصحة النفسية والجسدية من خلال نتائج بعض الدراسات التي تناولتها للوقوف على أهمية الدراسات حول هذا الموضوع:

1.4.6 العلاقة بين عملية الثقافة وبعض الأمراض النفسية والعقلية:

أ. الاضطرابات النفسية :

أشار بييري إلى أن عملية الثقافة يمكن أن تكون ناجحة لدى الأفراد الذين يحاولون التكيف مع المحيط الثقافي الجديد ، في حين أن عدم نجاحها يصاحب بالكثير من التوتر والصراع والقلق نتيجة خضوع الفرد لصراع عميق في القيم وحتمية الفهم والاندماج في النظام الجديد مع الأخذ بقيمه وعاداته ولغته ومعايير السلوكية ، وما يصاحب ذلك من الإحساس بالكثير من التهميش والعزلة في الثقافة المستقبلية.

اهتمت الكثير من الدراسات التي تناولت موضوع الثقافة بدراسة العلاقة بين الثقافة والقلق . قام كل من سودوويسكي ولي (SODOWSKY AND LAI) بدراسة على عينة من 200 مهاجر آسيوي في

الولايات المتحدة الأمريكية مكونة من مختلف الأعراق : هنود وصينيون فلبينيون ويابانيون وكوريون وفيتناميون، أسفرت دراستهما على وجود علاقة ارتباطية موجبة وذات دلالة إحصائية بين درجة الثقافة والقلق بمعنى أنه كلما زادت درجة الثقافة حدة كلما كانت الدرجات التي يتحصل عليها الفرد على مقياس القلق عالية والعكس صحيح. كما لاحظ ونع ومالينكروت (WANG AND MALLINKROOT) في

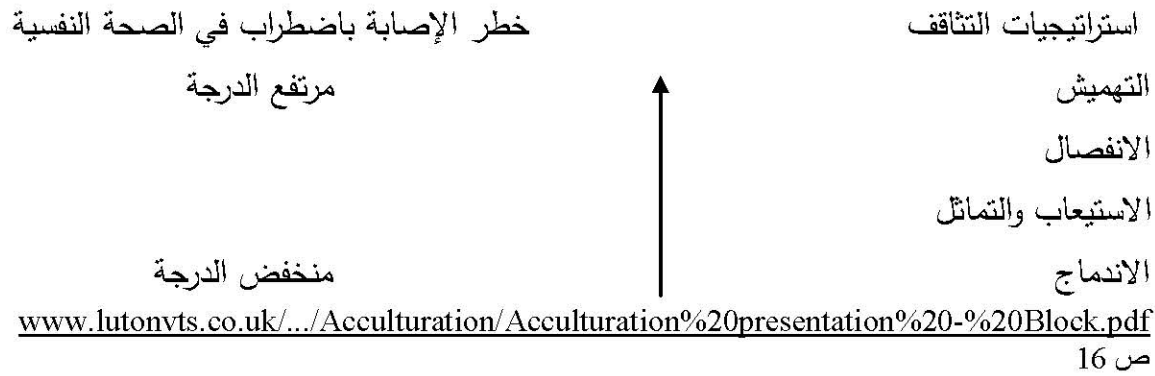
دراسة أخرى على عينة من الطلبة الصينيين المتناقصين في الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت تهدف إلى دراسة العلاقة بين عملية التناقص وبعض الاضطرابات النفسية لدى أفراد هذه العينة عكس ذلك بوجود ارتباط ذو دلالة إحصائية بين الدرجة المنخفضة على مقياس التناقص مع الدرجات العالية من الحصر ، كما خلصت دراسته إلى التأكيد على وجود علاقة ارتباطية بين الدرجات العالية للحصر وبعض الأعراض والاضطرابات النفسية المدروسة.

في دراسة أخرى قام بها لي LEE وآخرون لتحديد العلاقة بين عملية التناقص وقلق التناقص واضطرابات الصحة النفسية والعقلية على عينة مكونة من 319 طالب وطالبة ذو أصول آسيوية في الولايات المتحدة الأمريكية، أسفرت هذه الدراسة على التأكيد على وجود علاقة ارتباطية موجبة وذات دلالة إحصائية بين الدرجة العالية في قلق التناقص وظهور بعض الاضطرابات النفسية والعقلية لدى أفراد العينة، كما أكدت على أن نسبة ظهور أعراض المرض النفسي لدى الشباب الآسيوي الحاصل على درجات عالية على مقياس التناقص لصالح التمسك بالهوية الآسيوية كانت عالية بمقارنتها مع نسبة ظهور هذه الأعراض لدى الشباب الحاصل على درجات عالية على مقياس التناقص لصالح الهوية الأمريكية. وهي نفس النتيجة التي أقرها ريدير RYDER وآخرون في دراستهم على عينة من الطلبة الصينيين في الجامعات الأمريكية حيث أسفرت دراساتهم على أن الطلبة الأمريكيين ذوو الأصول الصينية ممن تحصلوا على درجات عالية على إستراتيجية التشابه والاستيعاب للثقافة الأمريكية يتمتعون بدرجات أقل على مقياس الاكتئاب مع نسبة منخفضة من أعراض الاضطرابات النفسية وعدم التكيف الاجتماعي بالمقارنة مع الطلبة المنفصلين أو المهمشين. لقد حاول كلا من لي LEE وآخرون إثبات هذا الارتباط بين قلق التناقص وظهور أعراض بعض الأمراض العقلية بدراستهم لهذه العلاقة على عينة من 74 طالب وطالبة كورية بجامعة بنسلفانيا في و م أ ، حيث توصلوا إلى أن الدعم الاجتماعي للمغتربين يساعد في التخفيف من حدة أعراض المرض النفسي ومن شدة قلق التناقص لديهم، وبعبارة أدق فإن الدرجة العالية على مقياس التناقص لصالح الثقافة المستقبلية تقابلها درجة منخفضة من قلق التناقص والقليل من أعراض الاضطرابات النفسية وصعوبات التكيف الاجتماعي (NHI-HA & al, op. cit, P 24).

ب. الاكتئاب والانتحار: إن العلاقة التي تربط بين مستوى ودرجة التناقص بالاكتئاب لدى الأفراد معقدة جدا، شان و تكوشي (SHEN AND TAKEUCHI) في معالجتهم لأثر عملية التناقص في ظهور الاكتئاب لدى الأفراد المتناقصين قاما بدراسة هذه العلاقة على عينة مكونة من 983 عامل أمريكي ذوو أصول صينية أغلبهم مهاجرون ، أسفرت هذه الدراسة على أن الدرجة العالية على مقياس التناقص مرتبطة ارتباطا موجبا بزيادة أعراض الإصابة بمرض الاكتئاب، وقد فسرا ذلك على أن هذه الدرجات العالية على مقياس التناقص ترتبط بدرجات عالية من قلق التناقص مما يزيد من خطر الإصابة بالاكتئاب، وقد أضافا إلى أن هذه العلاقة بين عملية التناقص والإصابة بمرض الاكتئاب تتأثر بشدة بمجموعة من المتغيرات

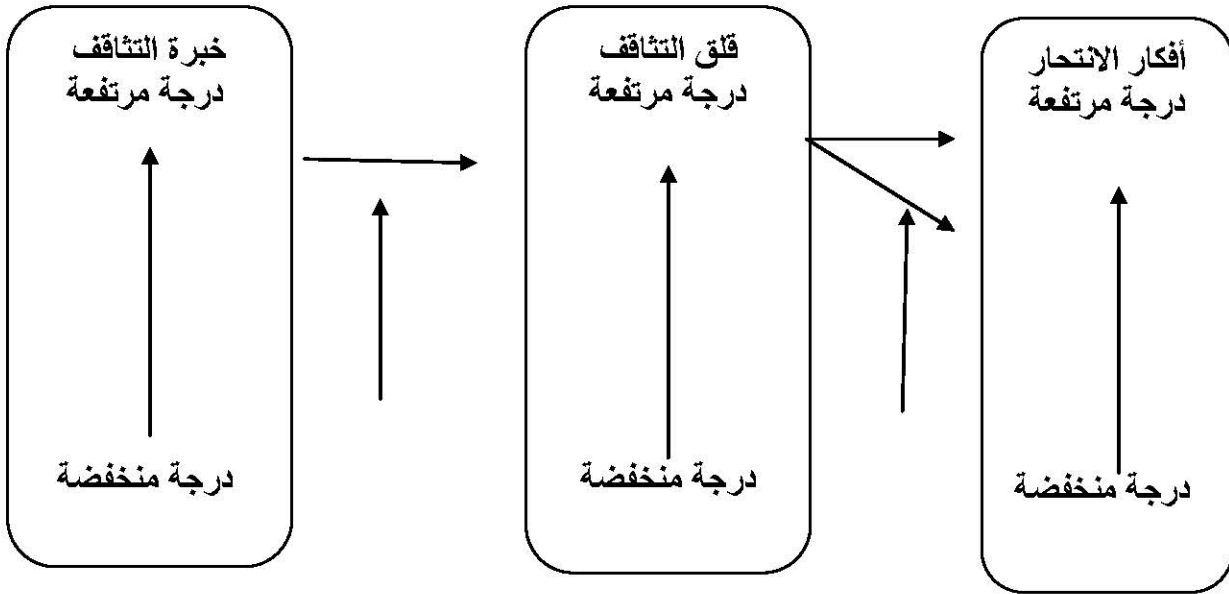
الاجتماعية والديموغرافية، وكمثال على ذلك العمال ذو مستوى اقتصادي عالي مع دعم اجتماعي كبير يظهرون درجات منخفضة من القلق ومستوى عالي من الثقافة مع درجات منخفضة على مقياس الاكتئاب.

دراسة أخرى مهمة هي دراسة كيم KIM وآخرون حول هذه العلاقة، اعتمدوا فيها على نظرية الاستراتيجيات الثقافية لبيري والتي تشير إلى وجود أربعة اتجاهات ثقافية هي : الاستيعاب والتشابه، الاندماج، الانفصال، والتمهيش . تمت هذه الدراسة على عينة قوامها 60 مراهقا أمريكيا ذو أصول صينية ، كورية و يابانية مع عينة أخرى من 116 راشد مهاجر إلى و م أ ، أسفرت النتائج إلى أن الراشدين والمراهقين الذين يتحصلون على درجات عالية على إستراتيجية التمهيش على مقياس الثقافة والذين يعانون من العزلة الاجتماعية في المجتمع المستقبل يظهرون نسبة عالية من الأعراض الاكتئابية العنيفة.



أما بالنسبة للعلاقة بين عملية الثقافة ومحاولات الانتحار كاضطراب نفسي، قام لو LAU وآخرون بدراسة العلاقة بين مستوى الثقافة وخطر الانتحار عند مجموعة من الشباب الآسيوي الأمريكي مكونة من 280 فردا ذكورا وإناث في كاليفورنيا ، أسفرت الدراسة على أن الدرجات المرتفعة على مقياس الثقافة تكون عموما مصاحبة لدرجات عالية من خطر وقوع الفعل الانتحاري وهذا كرد فعل للصراعات الشخصية والبيئشخصية عند الفرد خلال عملية ثقافته ومحاولاته التكيف مع معطيات المجتمع الجديد NHI-HA (2009 P 25) & al

الشكل رقم (2): العلاقة بين عملية الثقافة كخبرة و قلق الثقافة و الاكتئاب و أفكار الانتحار:



www.lutonvts.co.uk/.../Acculturation/Acculturation%20presentation%20-%20Block.pdf
ص15

2.4.6 العلاقة بين عملية الثقافة والصحة الجسدية:

أ. الأمراض الوعائية والقلبية:

لقد ساهمت الدراسات الوبائية بقوة في فهم العلاقة بين الثقافة والاضطرابات النفسية والأمراض الجسدية ، ففي دراسة تناولت مدى انتشار الأمراض الوعائية والقلبية على مجموعة من الأفراد اليابانيين المقيمين في اليابان وهاواي وكاليفورنيا ، أسفرت نتائجها على أن نسبة انتشار هذا المرض لدى الأفراد المقيمين في اليابان هي 25.4 % بينما تصل نسبة انتشارها لدى اليابانيين المقيمين في هاواي 34.7 % ، في حين تتجاوز نسبة انتشارها لدى الأفراد اليابانيين المقيمين في كاليفورنيا نسبة 44 % من مجتمعهم الكلي، نفس النتائج تحققت لمتغير آلام الصدر وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم بمعنى ارتفاع نسبة الإصابة بهذه الأمراض لدى الأفراد المهاجرين إلى وم أ ، في دراسات أخرى قام بها مركز البحث الكندي الوطني للصحة العمومية على عينة مكونة من 1972 فردا من المهاجرين إلى كندا لدراسة متغير ارتفاع الضغط الدموي في هذه العينة بتحقيق تحكم تجريبي دقيق في معظم العوامل التي قد تؤدي إلى ظهور هذا المرض كالتدخين وشرب الكحول والقلق والمستوى الاقتصادي والاجتماعي لأفراد الدراسة، أسفرت نتائجها إلى أن التعرض العنيف إلى الثقافة الغربية واستدخال نمط المعيشة الغربي مرتبط بشدة بزيادة نسبة ظهور مرض ارتفاع الضغط الدموي لدى أفراد العينة.

ب. اضطرابات الأكل وزيادة الوزن:

في دراسة MAU على مجموعة من الطلبة مكونة من 396 طالبة في جامعة هونغ كونغ بهدف دراسة العلاقة بين مستوى ودرجة الثقافة والتشبع بالثقافة الغربية ونسبة انتشار اضطرابات الأكل وزيادة الوزن لديهم ، أسفرت الدراسة إلى أن الفتيات اللواتي حصلن على درجات عالية على مقياس الثقافة يعانون من اضطرابات في الشهية مع زيادة في نسبة الإصابة باضطراب الشره الغذائي.

ج. سلوك التدخين:

في دراسة لـ ما وآخرون MA على عينة مكونة من 1374 مهاجر آسيوي في و م أ بهدف دراسة العلاقة بين مستوى ودرجة الثقافة لدى الأفراد ونسبة انتشار سلوك التدخين في أوساطهم، أسفرت الدراسة على وجود ارتباط وثيق بين الدرجة المنخفضة في مقياس الثقافة لصالح الثقافة الأجنبية وزيادة انتشار سلوك التدخين لدى أفراد العينة وبالتالي نقص في الصحة الجسدية لديهم، وفي نفس الاتجاه خلصت الكثير من الدراسات إلى الربط بين أثر الوضعية الثقافية للأفراد على ظهور سلوك التدخين لديهم، في حين نجد في دراسة شاو CHEW عكس ذلك من خلال الدراسة التي قام بها على عينة من 16 ألف شاب مهاجر إلى الو م أ، حيث توصل في دراسته إلى الربط بين ارتفاع مستوى ودرجة الثقافة بالزيادة في نسبة انتشار سلوك التدخين في العينة ، وأرجع ذلك إلى أثر بعض العوامل الاجتماعية والديموغرافية على العلاقة بين عملية الثقافة وانتشار سلوك التدخين في أوساط هذه العينة.

د. تعاطي الكحول: إن تعاطي الكحول من أكثر السلوكات المضرة بالصحة الجسدية والنفسية للفرد مثلها مثل سلوك التدخين ، الكثير من الدراسات حاولت الربط بين متغير تعاطي الكحول ودرجة ثقافة الفرد ، منها دراسة هاهم HAHAM وآخرون على عينة مكونة من 714 مراهقا آسيوي أمريكي ، أسفرت الدراسة على أن عينة المراهقين الذين تحصلوا على درجات عالية على مقياس الثقافة هي العينة المعرضة أكثر إلى خطر تعاطي الكحول والمخدرات ، كما أضاف إلى أن للمحيط الاجتماعي والعائلي دور كبير ومؤثر في ظهور هذا السلوك من عدمه (NHI-HA & al,op.cit, P 11).

هـ. تعاطي المخدرات: كأثر سلبي للثقافة، دلت العديد من الدراسات حول هذا الموضوع لدى الجماعات اللاتينية في المجتمع الأمريكي على أن نسبة المدمنين على المخدرات في أوساط المكسيكيين المتناقصين لصالح ثقافة المجتمع الأمريكي فاقت 40 % من نسبة المدمنين على المخدرات في المجتمع العام، كما أكدت دراسة كل من ماركس وآخرون هذه النتيجة وخاصة في صفوف الإناث التي تزيد نسبة تعاطيهم للمخدرات أكثر من ثلاثة أضعاف النسبة العامة في المجتمع الكلي (LARA & al, 2005, P 379).

خلاصة الفصل:

نخلص في هذا الفصل إلى أن ظاهرة الثقافة أصبحت حتمية تاريخية لا أحد بمنى عنها في ظل العولمة وثورة التكنولوجيا. فهي تعبر عن محاولة إنتاج نظام ثقافي جديد للمجتمعات المتناقفة مكون من خليط بين الثقافة المحلية لهذا المجتمع والثقافات الوافدة إليه بتفاعل مباشر أو غير مباشر مما قد يؤدي ببعض الأفراد إلى انسلاخ كلي لصالح الثقافة الوافدة.

تتم عملية الثقافة وفقا لشروط خاصة تحددها طبيعة المجتمع المتناقف والثقافة والوافدة ونوعية التفاعل (مباشر أو غير مباشر) وطبيعته (حر أو إجباري) وتصاحبها مجموعة من الاستراتيجيات الثقافية التي تعبر عن عمليات نفسية شعورية أو لا شعورية يلجأ إليها الفرد للتكيف مع وضعيات الصراع الثقافي التي تميز مجتمعه وجماعة انتمائه. أشار العديد من الباحثين (بيري، لومبارت، بوهريس) إلى أن هذه الاستراتيجيات تمثل ردات فعل الأفراد في إجابتهم حول تساؤلات عن الحفاظ على ثقافتهم الأصلية أو التخلي عنها واللجوء إلى الثقافة الغربية، ويعبر عنها عموما من خلال أربعة استراتيجيات ثقافية هي: الاندماج، الاستيعاب، الانفصال، التهميش. لكن هذه الاستراتيجيات لا تنتهي عند هذا الحد لأن الفرد إذا لم يستطع التوفيق بين قطبي الصراع الثقافي لديه باستعمال هذه الاستراتيجيات يضطرب توازنه النفسي ويصبح عرضة للكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية.

تتغير السلوكات الإنسانية حسب الإطار الثقافي وبحسب الوضعية الثقافية المحيطة بالفرد والصنف الاجتماعي الذي ينتمي إليه، مما يؤثر في سلوكاته ويدفعه إلى معاشة صراعات هوية على المستوى النفسي لهذا نجد أن عملية الثقافة تمثل فرصة كبيرة للفرد للتفاعل مع محيطه الاجتماعي والثقافي خاصة في وضعيات النقاء وتقاطع الثقافات والتي هي حجر الزاوية في دراستنا الحالية.

الفصل الرابع

إشكالية الهوية وبناءها في المجتمعات المعاصرة

1. الإطار النظري لمتغير الهوية في الدراسة: هوية الأنا

1.1 نظرية اريكسون في النمو النفسي والاجتماعي وبناء الهوية

2.1 تشكل هوية الأنا عند المراهق

3.1 مجالات الهوية

4.1 رتب الهوية

2. استراتيجيات بناء الهوية

1.2 استراتيجيات الهوية عند كاميليري

2.2 استراتيجيات الهوية عند بونني L. Bougnet

3.2 استراتيجيات الهوية عند طواليبي

4.2 التغيير الاجتماعي من خلال استراتيجيات الهوية

3. تصنيفات وأنواع الهوية

1.3 تصنيف الكيس ميكشييلي Mucchielli

2.3 تصنيف اريك اريكسون Erikson

3.3 التصنيف المقترح في الدراسة.

4- أزمات الهوية ومشكلاتها

1.4 تعاريف

2.4 أزمة الهوية كأزمة نفسية واجتماعية

3.4 أزمة الهوية كأزمة سياسية

4.4 مشكلات واضطرابات الهوية

1. الإطار النظري لمتغير الهوية في الدراسة: هوية الأنا

1.1. نظرية اريكسون في النمو النفسي والاجتماعي وبناء الهوية:

تعتبر نظرية اريكسون Erikson في النمو النفسي الاجتماعي développement psychosociale امتداداً لما قدمه فرويد Freud في نظريته عن النمو النفسي الجنسي، إلا أن اريكسون ركز منذ 1968 وما بعدها في نظريته على نمو الأنا وفاعليتها لتفسير أثر التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية والنمائية في تكوين الشخصية. ربما لا يوجد من المنظرين من بذل جهداً كبيراً واهتماماً بالغاً بمظاهر نمو الشخصية في مرحلة المراهقة مثلما فعل اريكسون، فإلى حد ما إن كتابه الهوية " الشباب والأزمة" الذي نشر عام 1968 يعد إطاراً مناسباً للتظير حول تكوين الهوية وقياسها.

يرى اريكسون إن مفهوم الهوية يعتمد بالأساس على الشعور الذاتي لدى الفرد بالوحدة الشخصية وبالاستمرارية في الزمن لهذا الشعور، ينتج هذا الشعور بالأساس عن عمليتين أساسيتين أحدهما تحدث على مستوى الفرد والأخرى على مستوى ثقافة مجتمعه. فتكوين الهوية يعتمد بحسب اريكسون في علم النفس على عمليتي: الإدراك والملاحظة في آن واحد. تتم هذه العملية الديناميكية في مختلف مستويات العمليات العقلية أين نجد الفرد يحكم على ذاته من خلال حكم الآخرين عليه وبواسطة نظرية الانتماء في المجتمع، وفي نفس الوقت يحكم على طريقة حكمهم عليه من خلال طريقته الخاصة بالشعور بالذات بواسطة المقارنة معهم ومع الأنماط السائدة. تكون هذه العمليات في عمومها لاشعورية إلا في حالات تقاطع الظروف الداخلية مع الظروف الخارجية لكي تقوي الشعور بالهوية لدى الفرد في الوضعيات المؤلمة والمتأزمة. (E. MARC, op. cit , p 20) نلاحظ من خلال هذه الفقرة بأن اريكسون يحاول تسليط الضوء على التفاعل الضيق بين الهوية للذات والهوية للآخر بمعنى آخر بين تقدير الذات والمقارنة الاجتماعية أو بين الأفكار الشخصية والأنماط الثقافية، أو بين العمليات الشعورية واللاشعورية في عملية تكوين الهوية لدى الفرد.

يقسم اريكسون دورة حياة الإنسان إلى ثمان مراحل، تبدأ كل منها بظهور أزمة نفس/اجتماعية (crise) وتسعى الأنا جاهدة لحل هذه الأزمة، وكسب فعاليات جديدة تزيدها قوة وتجعلها قادرة على مواجهة مصاعب الحياة. فالأزمة هنا تعني وجود مطالب ملحة بحاجة إلى مواجهة وإشباع، ومع ذلك فإن هناك احتمالين لحل الأزمة، فهي إما أن تحل إيجاباً مما يعني استمرارية النمو وكسب الأنا لفاعلية جديدة أو سلباً مما يعني إعاقة النمو وفشل الأنا في كسب فاعلية متوقعة مع إمكانية ظهور الاضطراب النفسي والسلوكي المتمثل في السلوك المضاد كعدم الثقة في المرحلة الأولى والخجل والشك في المرحلة الثانية وهكذا في بقية المراحل. هذا ما وضعه اريكسون حين أشار إلى أن تحقق مطالب الأنا والإحساس بالاستمرارية عبر مراحل النمو النفسي الاجتماعي وخلال عملية التنشئة هو الذي يحقق الصحة النفسية والتوازن للفرد. ويؤكد ذلك من خلال قوله: " لمعايشة خبرة مماثلة من التوازن يجب على الشاب

الإحساس بالاستمرارية بالتدرج بين ما كان يطمح أن يكونه في المستقبل خلال طفولته وما يمكنه أن يكون الآن أو مستقبلاً، بمعنى بين ما يطمح هو أن يكون وما يلاحظه من توقعات الآخرين لمستقبله وما ينتظرونه منه (Ibid., p 21).

ويؤثر حل الأزمات في كل مرحلة سواء بشكل إيجابي أو سلبي على حل الأزمات في المراحل التالية، فهي مراحل متعاقبة ومتسلسلة تتأثر كل منها بما يسبقها من مراحل، وتشمل هذه المراحل ما يلي:

أ. المرحلة الأولى: الثقة مقابل عدم الثقة: يمثل حل أزمة الثقة المطلب الأساسي للنمو خلال العام الأول، كما أنها البذرة الأولى للإحساس بهوية الأنا *identité du moi*. يعتمد اكتساب الطفل الرضيع للثقة على نوعية العلاقة مع أمه، حيث تؤدي الرعاية السليمة إلى الحل الناجح لأزمة هذه المرحلة والمتمثلة في اكتساب الرضيع لإحساس قوي بالثقة في أمه أو من يرعاه وبالتالي في محيطه و ذاته مستقبلاً، وعلى هذا الأساس تكسب الأنا قوة جديدة متمثلة في الأمل. وعلى العكس من ذلك يؤدي الحل السلبي إلى إحساس الطفل بعدم الثقة والنتيجة أساساً من إهمال الأم للرضيع، مما يترتب عليه الشعور بالإحباط، ليس في هذه المرحلة فقط ولكن طوال حياته، ذلك أن المراحل التالية تتأثر بهذا الحل السلبي وتترك بصماتها على شخصية الفرد في المستقبل.

ب. المرحلة الثانية: الاستقلالية مقابل الخجل والشك: تبدأ هذه الأزمة مع دخول الطفل عامه الثاني كنتيجة لنموه واكتسابه لقدرات بدنية تمكنه من البعد والاستقلال نسبياً عن أمه. ويرى اريسون أن الحل الناجح لهذه الأزمة يعتمد على طبيعة علاقة الأم بالطفل، وخاصة تشجيعها لاستقلاليتها وتشجيعها له أثناء التدريب وخاصة على عمليات مثل الأكل والإخراج. حيث يمثل التشجيع والحب عاملاً إيجابياً يساعد على الحل الناجح للأزمة ممثلاً في اكتساب الطفل لمشاعر الاستقلالية وكسب الأنا لفاعلية جديدة تتمثل في الإحساس بالإرادة. أما الحل السلبي لهذه الأزمة فيتمثل سلوكياً في عدم القدرة على تحقيق الاستقلال الذاتي، والمعاناة من مشاعر الخجل والشك وقد يحدث له نكوص للمراحل السابقة.

ج. المرحلة الثالثة: المبادرة مقابل الشعور بالذنب: يتزامن ظهور الأزمة مع دخول الطفل عامه الثالث، وتستمر كمحور للنمو خلال مرحلة الطفولة المبكرة. ويتأثر حل الأزمة إلى درجة كبيرة بطبيعة تعامل الأسرة مع الطفل وطبيعة تشجيع أو عدم تشجيع مشاركاته إضافة إلى طبيعة حل الأزميتين السابقتين. ويؤدي الحل الناجح لأزمة المرحلة الثالثة إلى قدرة الطفل على المبادرة لتحقيق أهدافه، وهو ما يفضي إلى اكتساب الأنا قوة جديدة تعرف بالغرضية، والتي تعني بدء الطفل تحديد أهداف وغايات يسعى لتحقيقها. هذا بطبيعة الحال يؤثر في النمو المستقبلي للفرد حيث يستمر ميل الفرد للمبادرة وتحديد الأهداف الغائية خلال المراحل اللاحقة، كما يؤثر ذلك إيجاباً في الحل الإيجابي أو السلبي لآزمات النمو اللاحقة. وعلى العكس يؤدي الحل السلبي إلى شعور الطفل بالذنب. ولا شك في أن ذلك يمكن أن يحدث من خلال إعاقة الوالدين لروح المبادرة لدى الطفل والحماية الزائدة غير المبررة التي قد تحول بينه وبين التجريب.

د. المرحلة الرابعة: المثابرة مقابل الشعور بالنقص: يتزامن ظهور الأزمة مع دخول الطفل لمرحلة الطفولة المتوسطة، وتمثل المطلب الأساسي للنمو خلال هذه المرحلة. ويتأثر حل الأزمة إلى درجة كبيرة بالظروف السيئة المحيطة بالطفل ومن ذلك الأسرة والمدرسة والرفاق ومدى تشجيع هذه البيئة لإحساس الطفل بقدراته إضافة إلى حل الأزمات السابقة. و يؤدي الحل الناجح لأزمة المرحلة الرابعة إلى إحساس الطفل بالقدرة والمثابرة لتحقيق الانجاز، ويساعده على ذلك ميله للاستطلاع واستعداده للمنافسة. وإذا يتحقق هذا الإحساس يكسب الأنا فاعلية جديدة تتمثل في الشعور بالقدرة والمنافسة مما يساعده على النمو السوي وأيضاً على حل أزمات النمو اللاحقة. وعلى العكس من ذلك فإن الحل السلبي للأزمة والنتائج عن المعوقات المختلفة ومن أهمها الحل السلبي للالتزام السابقة وسوء الأنظمة التربوية في المنزل أو المدرسة تؤدي إلى إبراز مشاعر النقص لدى الطفل بدرجة يمكن أن تعيق نجاحه ونموه وتعرضه إلى مزيد من الاضطرابات النفسية.

هـ. المرحلة الخامسة: هوية الأنا مقابل اضطراب الدور: تمثل أزمة النمو في المراهقة، حيث يرى اريكسون أن المراهقة من أكثر المراحل التي تؤثر على حياة الشخص المستقبلية، فهي فترة انتقالية بين الطفولة والرشد. وحيث أن المراهق يبدأ مرحلة نضج جسمي أسرع كنتيجة للبلوغ وما يرتبط به من تغيرات نفسية وأيضاً ما يرتبط بهذا التغير من توقعات اجتماعية فإن المراهق يواجه أزمة الإحساس بالهوية مقابل اضطراب الدور. ولا شك في أن حل هذه الأزمة يتأثر بطبيعة حل الأزمات السابقة وطبيعة الظروف الاجتماعية المحيطة بالمراهق ومدى تشجيعها لاستقلالته. وتعتبر قدرة المراهق على تحديد أدواره في المجتمع وإحساسه بالهوية عن الحل الإيجابي لأزمة الهوية، وتكتسب الأنا في حالة الحل الإيجابي لأزمة هذه المرحلة قوة جديدة تتمثل في التقاني. فالمراهق مستعد لتعلم التقاني والإخلاص والولاء لوجهات النظر الأيدلوجية. ويمثل حلها بشكل إيجابي مطلباً أساسياً لاستمرارية النمو السوي وتحقيق الاستقلالية. أما الحل السلبي لهوية الأنا سوف يؤدي إلى تشتت الهوية في شكل تبني هوية سائبة واضطراب للدور عند المراهق.

و. المرحلة السادسة: الألفة مقابل الإحساس بالعزلة: يتزامن ظهور هذه المرحلة مع بدايات الشباب، حيث تبدأ مع بدء الحاجة إلى شريك. وكما هو الحال في المراحل السابقة، فإن حل الأزمة يتأثر بطبيعة نمو الأنا وحل أزمات النمو السابقة إضافة إلى الظروف الاجتماعية المحيطة بالشباب. يتمثل الحل الناجح لأزمة المرحلة السادسة في تحقيق إحساس الفرد بالألفة أو العلاقة الحميمة مع الآخرين، وبدعم هذا الإحساس حل الأزمات في المراحل السابقة، فالألفة هي القدرة على الالتزام بالعلاقات والصدقات المحسوسة والتضحيات المعنوية التي يقدمها الفرد للآخرين، بحيث يدمج هويته مع هوية شخص آخر بدون الخوف من فقد الأنا. ويرتبط حل الأزمة بنجاح إلى حل الأزمات السابقة وخاصة حل أزمة الهوية والظروف المناسبة. ويرتبط الحل الناجح لأزمة هذه المرحلة باكتساب الأنا لفاعلية جديدة متمثلة في

الحب ويرتبط بإحساس الفرد بمسئوليته تجاه الآخرين، حيث يميل إلى العطاء لهم والتضحية من أجلهم واحترامهم. وعلى العكس من ذلك يؤدي الفشل في حل الأزمات السابقة والظروف غير المناسبة إلى الفشل في حل الأزمة وفي هذه الحالة يعني إحساس الفرد بالعزلة عن الآخرين والتمركز حول ذاته أو انكفائه عليها.

ز. المرحلة السابعة: الإنتاجية مقابل الركود: يتزامن ظهور الأزمة مع دخول الفرد إلى مرحلة أواسط العمر، حيث يتميز الفرد فيها بالاستعداد للإنتاجية والتي تمثل محور النمو في هذه المرحلة وتعني اهتمام الجيل القديم ببناء وتوجيه الجيل القادم أو الجديد والمساهمة في مساعدته على الحياة بفاعلية وإبداعية، إلا أن ذلك يعتمد إلى درجة كبيرة على طبيعة حل الأزمات السابقة وطبيعة الظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد. وفي حالة الحل الايجابي لأزمة هذه المرحل تكتسب الأنا قوة جديدة تتمثل في الاهتمام وتعني قدرة الفرد على التوسع في رعاية الآخرين. أما الحل السلبي فيتمثل في عدم قدرة الفرد على الإنتاجية وتوجيه الجيل الجديد مما يؤدي إلى الإحساس بالركود والسأم من الحياة.

ح. المرحلة الثامنة: تكامل الأنا مقابل الشعور باليأس: يتزامن ظهور هذه الأزمة مع انتهاء مرحلة أواسط العمر ودخول الفرد للمرحلة الأخيرة من الحياة الكهولة. وتعتمد طبيعة النمو النفس اجتماعي وطبيعة حل أزمة النمو في هذه المرحلة على التاريخ السابق للفرد ممثلا في طبيعة حل أزمات النمو السابقة وأيضا ما يحيط به من ظروف اجتماعية وصحية. يؤدي الحل الناجح لأزمة المرحلة الثامنة إلى شعور الفرد بتكامل الأنا مما يعني تقبله لدورة حياته وحياة الآخرين، الذين لهم معنى بالنسبة له، وكننتيجة لمثل هذا الحل الناجح تكتسب الأنا فاعلية جديدة تمثل في الحكمة والتي تدل على الحكم الناضج والفهم الشامل، أما الجانب السلبي لهذه الأزمة فيظهر في صورة إحساس الفرد باليأس والإحباط. (عبير محمد حسين، مرجع سابق، ص ص 12 - 14).

الجدول رقم(08) : يوضح الأزمات النفسية خلال المراحل النمائية للفرد وفق نظريو النمو النفسي الاجتماعي لاريكسون (محمد سليمان بني خالد، 2007، ص339)

العمر	الازمات النفسية	المرحلة النمائية
من الولادة - 18 شهرا	الإحساس بالثقة مقابل عدم الثقة	مرحلة الطفولة
18 شهرا - 3 سنوات	الإحساس بالاستقلال الذاتي مقابل الإحساس بالخجل والشك	مرحلة الطفولة
3 سنوات - 6 سنوات	الإحساس بالمبادأة مقابل الإحساس بالذنب	مرحلة الطفولة
3 سنوات - 12 سنة	الإحساس بالجهد مقابل الشعور بالدونية	مرحلة الطفولة
12 سنة - 18 سنة	الإحساس بالهوية مقابل اضطراب الهوية	مرحلة المراهقة
18 سنة - 35 سنة	الإحساس بالألفة مقابل الإحساس بالعزلة	مرحلة الرشد المبكر
35 سنة - 60 سنة	الإحساس بالإنتاجية مقابل الإحساس باستغراق الذات والركود	مرحلة الرشد المتوسط
60 سنة فما فوق	الإحساس بالتكامل مقابل الإحساس باليأس	مرحلة الرشد المتأخر

قد يحذونا الانطباع ومن خلال الكثير من الأعمال النفسية على أن الفرد في مرحلة الرشد يحقق هوية متوازنة وموحدة ومستمرة بعيدة عن الصراعات السابقة ، لكن أشار لوكبير 1978 L'Ecuyer إلى وجود أزمة في الهوية لدى الأشخاص المسنين في مرحلة التقاعد من العمل كما تكلم عن أزمة الأربعينيات وسن اليأس لدى المرأة وبالتالي فهو يحيلنا إلى أن عملية بناء الهوية مستمرة ومتواصلة خلال مختلف مراحل الحياة. (E. MARC, op. cit, p 52).

2.1. تشكل هوية الأنا عند المراهق:

ولما كان موضوع بحثنا يركز على فئة الشباب، فإن عملية بناء الهوية في مرحلة المراهقة تعتبر المفتاح لفهم صيرورتها في مرحلة الشباب، فالمراهقة ، باعتبارها أزمة نمو، تعتبر مرحلة حاسمة في بناء الهوية لما تتميز به من تحولات جسمية ونفسية سريعة تأثر بدورها في بناء هوية الفرد الذي يكون تحت ضغط متطلبات التكيف مع جسده الجديد وإتباع سلوكيات تسمح له بأن يكون مقبولا ومحترما من قبل نفسه ومن المحيطين به. تتميز هذه المرحلة بكثرة التقمصات التي تعتبر عملية أساسية وحيوية من خلالها يتقمص المراهق شخصية الرياضي أو السياسي أو الباحث الذي يتمنى أن يكون مثله، فنجده مثلا يقلده في سلوكياته وفي ملبسه وطريقة كلامه وحتى في حلقته أحيانا. فالمراهقة تعتبر المرحلة الخامسة للتطور عند اريكسون، أين نجد الشاب يمر بأزمة مراهقة ومن خلالها أزمة هوية تظهر على شكل اختلاط في المعايير والأدوار ، والمجتمع هو الذي يقوم إلى حد بعيد بتوجيه الفرد لإيجاد المكانة

التي تناسبه وتحقق له الاستقرار في الهوية وتساعد على تجاوز أزمة المراهقة وأزمة الهوية المصاحبة لها (A. GAILLARD., op.cit, P 13).

كما أنها المرحلة التي يتغير فيها الفرد غير الناضج ليبدأ صراع النضج حتى يصل إلى الاستقرار، وبالتالي يبدأ حياة جديدة تؤدي إلى إحداث تغييرات مهمة، في بنائه الجسمي، وسماته الشخصية، ومعاييره الاجتماعية، واتجاهاته الفكرية، وميوله ورغباته الانفعالية. ولا بد من الإشارة إلى أن بداية فترة المراهقة ونهايتها تختلف من فرد لآخر، ومن جنس إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، فالتغيرات النفسية عند المراهق ليست ناتجة عن التغيرات الجسمية فقط، وإنما هي نتيجة أيضا لمجموعة من العوامل الثقافية والدينية والاقتصادية، وجماعة الرفاق والمتغيرات البيئية التي يعيش فيها الفرد. إن عوامل مثل سن الزواج، وفترة التعليم الإلزامي، ومشاكل المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية لها أثر مباشر على المراهقة؛ لذا يجب الوعي بهذه العوامل وغيرها لمواجهة فترة المراهقة واجتيازها بأمان، مما يوفر الصحة النفسية لأفراد المجتمع ويجعل أفرادهم أصحاء أسوياء، وهكذا تستمر دورة الحياة ويدوم الوجود الإنساني .

لقد أكدت نظرية اريكسون على أهمية الآثار العميقة التي تخلفها عوامل التنشئة الاجتماعية على تشكيل الهوية للمراهقين، حيث ركزت على المهمات النفسية للمراهقين من خلال المقابلة بين بناء الهوية والتشويش في الهوية . فبعد التأكيد على أهمية الأسرة في تكوين الهوية ، أشارت إلى دور المدرسة و المعلمين والمربين في تشكيل الهوية الذاتية في فترة المراهقة ؛ فعلى المعلمين أن يجدوا الوسائل والطرق المناسبة للتعامل مع المراهقين بما يتفق مع قابليتهم وقدراتهم ، كما عليهم أن يهتموا كثيرا بنشاطات المراهقين والمساعدة في تحقيقها ، كما يلزم أيضا قضاء أوقات مناسبة معهم من أجل تحقيق غايات التفاعل الأكاديمي والاستجمام النفسي .

في نفس السياق شدد دانيال وكروجر Kroger et Daniel 2000 على أهمية المجتمع في التجاوز السليم لازمة المراهقة من خلال إقراره بلبن عملية تطوير الهوية الذاتية تتأثر بالمجتمع وثقافته ونمط حياته والبيئة التي يعيش بها الفرد ؛ حيث إن عملية تشكيل الهوية الذاتية هي عملية تعليمية متبادلة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه . (محمد سليمان بني خالد، 2007، ص 338) . كما حاولت بعض الدراسات التعمق ومعرفة تأثير السياق الاجتماعي على تطور الهوية الذاتية خلال مراحل النمو المختلفة حيث يشير اريكسون إلى أن كل مجتمع يضع جدولا زمنيا لاستكمال الهوية مع وجود تباين واضح في كل من المدة والشدة أو الدرجة وطبيعة الطقوس والشعائر التي يمارسها المراهقون في مختلف المجتمعات . ويرى أيضا أن بعض المجتمعات تمنح الأفراد فرصة التأجيل النفسي الاجتماعي للهوية في حين يسعى المراهقون إلى تكوين التزامات أو تعهدات خاصة بهم في الحياة والى ترسيخ تعريف ثابت للذات. (محمد السيد عبد الرحمان ، مرجع سابق، ص 14).

وتبدأ عملية تشكل هوية الأنا بظهور الأزمة نفسها المتمثل في درجة من الاضطراب المختلط المرتبط بمحاولة المراهق تحديد معنى لوجوده في الحياة من خلال التساؤلات الآتية (من أنا؟ وما دوري

في هذه الحياة؟ والى أين اتجه؟)، وذلك من خلال محاولته اكتشاف ما يناسبه من مبادئ ومعتقدات وأهداف و أدوار وعلاقات اجتماعية ذات معنى و قيمة على المستوى الشخصي والاجتماعي . وتنتهي الأزمة بانتهاء هذا الاضطراب وتحقيق المراهق للإحساس القوي بالذات ممثلاً في إحساسه بتفرده ووحدته الكلية وتمائل واستمرارية ماضيه وحاضره ومستقبله و قدرته على حل الصراع والتوفيق بين الأحاسيس والحاجات الملحة والمتطلبات الاجتماعية المتناقضة . وينعكس ذلك سلوكياً على التزامه بما تم اختياره، وأيضاً على التزامه بالمثل الاجتماعية بدلاً من مواجهتها، وعلى إحساسه بواجبه نحو نفسه ومجتمعه بوضوح . عند هذه المرحلة يكون الأنا قد اكتسب فعاليته الجديدة المتمثلة في الإحساس بالثبات.

ولا شك في أن طبيعة حل الأزمة إيجاباً أو سلباً يعتمد على طبيعة النمو خلال المراحل السابقة وبمعنى آخر طبيعة حل أزمت النمو السابقة إيجاباً أو سلباً من جانب، وما يحيط بالمراهق من ظروف مختلفة سواء كانت مادية أو اجتماعية من جانب آخر، ثم طبيعة البناء النفسي المترتب على ذلك . وفي الظروف المثالية تحل الأزمة مع نهاية المراهقة، ويكون الفرد قادراً على تكوين صورة متكاملة لهويته، وتكوين إحساس قوي بتفرده ووحدته الكلية وتمائل واستمرارية ماضيه وحاضره ومستقبله، وأيضاً قدرته على حل الصراع والتوفيق بين الحاجات الشخصية الملحة والمتطلبات الاجتماعية . كما يعتمد تشكل الهوية على التوحدات التي تمت في المرحلة السابقة ولكنها ليست أياً من هذه التوحدات ولا مجموعها، إلا أنها تعتبر نتيجة لعملية دمج تلك التوحدات في وحدة جديدة رغم اعتمادها على التوحدات والخبرات السابقة والخبرات الجديدة وذلك بعد تنقيح المعتمد التجاهل الانتقائي والتمثيل التبادلي، مكونة وحدة تكاملية جديدة. (عبير حسين، مرجع سابق، ص 17).

ونتيجة لضغوط التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والتكنولوجية ذات الطابع القسري والبعيد التي تمس المجتمعات المعاصرة نجد أن المراهق يجد صعوبات بالغة في تحقيق هويته مع إحساس بالشك والقلق وعدم القدرة على الاستمرارية في مظهر يسمى الإحساس بالأزمة أو أزمة الهوية التي توصف بأنها بمثابة نقطة دوران ضرورية ولحظة حاسمة تحدد ما إذا كان ينبغي أن يتحرك النمو في مسار واحد أو أكثر ، وتساعد الفرد على تنظيم موارده وإعادة اكتشاف الهوية إضافة إلى التمايز والتفرد. ويعتقد أن أزمت الهوية هذه تثير الهوية الشعورية التي تجبر الفرد على اكتشاف البدائل والخيارات بين وجهات النظر المتباينة في نواحي عديدة (سياسية، اجتماعية وترفيهية...) وإعادة حلها من خلال التعهدات أو الالتزامات الأيديولوجية. (محمد السيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 15).

إن فشل المراهق في حل الأزمة يؤدي إلى تشتت الهوية، بحيث أنه لا يعرف من يكون؟ وما هي أهدافه؟ كما لا يكون لديه قيم ومعتقدات وأفكار معينة تميزه عن الآخرين، ولا أهداف يسعى إلى تحقيقها. يشير الغامدي 2000-2001 إلى وجود شكلين أساسيين لاضطراب هوية الأنا من وجهة نظر اريكسون هما:

أ. اضطراب الدور: يرتبط اضطراب الدور بفشل المراهق في خلق تكامل بين توحيدات الطفولة مما يؤدي إلى استمرارية التعليق وتحوله من مجرد فترة اختبار إلى نوع من الاضطراب المعيق لحل أزمة هوية الأنا وتبني الأدوار المناسبة. حيث يعاني المراهق فيه من الإحساس المهلhel بالذات وعدم القدرة على تحديد معنى لوجوده، مما يؤدي إلى فشلة في تحديد وتبني أدوار و أهداف ذات معنى أو قيمة شخصية واجتماعية . هذا إضافة إلى ضعف التزامه بما تفرضه الصدفة عليه من أدوار . وترتبط هذه السمات بدرجة عالية من القلق، و مشاعر عدم الكفاية، والسلوك الجامد المتعصب، و ضعف القدرة على اتخاذ القرارات، وسوء علاقاته الاجتماعية، وضعف الالتزام بأهداف وأدوار ثابتة. وينتج هذا الاضطراب في الأدوار كنتيجة لفشل المراهق في خلق وحدة متكاملة من توحيدات الطفولة المتناقضة أحيانا.

ب. تبني هوية أنا سالبة : يمثل هذا النمط الوجه الأخطر لاضطراب هوية الأنا، حيث يرتبط بدرجة أعلى من الإحساس بالتفكك الداخلي والذي لا يقتصر ، تأثيره على عدم القدرة على تحديد أهداف ثابتة أو تحقيق الرضا عن دوره الاجتماعي، بل ويلعب ذلك دورا أكثر سلبية في حياة الفرد بصفة عامة، حيث يدفع بالمراهق إلى ممارسة أدوار غير مقبولة اجتماعيا ومن ذلك الجنوح و تعاطي المخدرات. (عبير حسين، مرجع سابق، ص 18).

إن الشعور بالهوية أو تحقيق هوية الأنا التي تمثل المستوى الناضج والأعلى في رتب الهوية تتضمن أربعة جوانب أساسية من وجهه نظر اريكسون وهي:

أ. الفردية: وتعني الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة.
 ب. التكامل وتوفيق المتناقضات: أي الإحساس بالتكامل والانقسامية، فالطفل النامي يكون صور متباينة للذات مثل أقل طاعة أو أكثر طاعة من الآخرين وهكذا ... وتكامل الأنا السوية بفعالية بين هذه الصور المتناقضة والخيالية ينتج معنى كامل وإحساس بالانسجام الداخلي والتفرد مع نمو الشخص وتطوره .
 بمعنى آخر فإن الكلية تعني إحساس الفرد بالتكامل الداخلي للصور المتناقضة التي يكونها عن ذاته، وينتج مثل هذا الإحساس عن عمليات الأنا التي تناضل لتحقيق التكامل رغم التناقضات المختلفة، وبالتالي يتحقق الانسجام الداخلي كلما تقدم الفرد في النمو.

ج. التماثل والاستمرارية: أي الإحساس الداخلي بالتماثل والاستمرارية بين ما هو ماض وما يتوقع أن يكون في المستقبل والشعور بان حياة الفرد ملائمة له وأنه يسير في اتجاه ذو معنى.

د. التماسك الاجتماعي: وهو الإحساس الداخلي بالتمسك بالمثاليات والقيم التي يعتنقها بعض الناس والشعور بالمساندة الاجتماعية. (محمد السيد عبد الرحمن ، مرجع سابق، ص 14).

فالهوية الثابتة تحقق للفرد إحساسا داخلي بالتماثل والاستمرارية ويكونها ذات معنى للآخرين، وإن الفرد قريب لإدراكهم وتوقعاتهم وعند حسن ظن الآخرين به، لذلك فالهوية كعملية مستقرة ليست فقط في ذات الفرد فقط وإنما في ثقافته التي ينتمي إليها.

ومما سبق فانه يمكن تلخيص افتراضات اريكسون حول تشكل الهوية فيما يلي:

1. يتأثر تشكل الهوية بعدد من العوامل تشمل العوامل الشخصية والاجتماعية والبيولوجية والثقافية، وأن الظروف المحيطة بالفرد والجماعة تساهم بدرجة كبيرة في البناء السوي للهوية.
2. تشمل الهوية مختلف جوانب الحياة للفرد سواء الأيديولوجية كالدينية والسياسية والمهنية أو الاجتماعية كجماعة الأصدقاء والأدوار الجنسية.
3. يبدأ تشكل الهوية بظهور أزمة الهوية في كل مرحلة من المراحل النمو النفسي الاجتماعي الثمانية التي حددها اريكسون في نظريته . يعتمد حلها بدرجة كبيرة على حل أزمت النمو السابقة لكل مرحلة، فتوحدات الطفولة وخبراتها يمثل واحدا من الأساسات المهمة لتشكيل الهوية وطبيعة هذا التشكل.
4. يمثل تشكل الهوية أزمة النمو في مرحلة المراهقة، أي أنها قلب التغير في هذه المرحلة، إلا أن ذلك لا يعني عدم تشكلها في المراحل السابقة أو اللاحقة، فهذا التشكل وظيفة مدى الحياة ذلك أن التوحدات في مرحلة الطفولة هي أساس تشكل الهوية في المراهقة، كما أنها قابلة للتطور في مرحلة الرشد.
5. يتضمن تحقيق الهوية أربعة جوانب أساسية هي:
 - الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة.
 - الإحساس بالتكامل واللائقسامية و الانسجام الداخلي مع نمو الشخص وتطوره .
 - الإحساس الداخلي بالتماثل والاستمرارية بين ما هو ماض وما يتوقع أن يكون في المستقبل .
 - الإحساس الداخلي بالتمسك بالمثاليات والقيم التي يعتنقها بعض الناس والشعور بالمساندة الاجتماعية
- 6 . في وضعيات التغير والتوتر الاجتماعي ، يمكن أن يفشل المراهق في حل أزمة الهوية ، فيظهر ذلك في اضطراب الأدوار وعدم تبنيه لأدوار ثابتة أو في تبني هوية سلبية مضادة لقيم ومعايير المجتمع. إن أهمية أعمال اريكسون حول الهوية تتجسد في تناولها العام لمختلف المواضيع والأفكار المتعلقة بالهوية (الأبعاد الشعورية واللاشعورية للهوية، أزمة الهوية، تأثير الجوانب الاجتماعية والثقافية في بناء الهوية...) والتي فتحت نوافذ للبحث في هذا الاتجاه من طرف الباحثين المعاصرين. هذا ما جعل من نظرية اريكسون حول الهوية تتميز بالنظرة العامة الشاملة والمتناسقة والمتكاملة مما رشحها لان تكون مرجع بامتياز لجميع الباحثين حول الهوية.

3.1 مجالات الهوية:

يمثل نموذج مارشيا Marcia النموذج الأكثر قبولا لتحديد مجالات ورتب الهوية، وذلك بناء على بعدين أساسيين في نظرية اريكسون أعد على أساسهما مارشيا مقياسه المعروف بالمقابلة النصف بنائية (الذي يقوم على افتراض أربع رتب أساسية لهوية الأنا تصنف وفقا لظهور أو غياب كل من بعدي الأزمة والالتزام).

وتشمل هوية الأنا من وجهة نظر مارشيا على مجالين هما هوية الأنا الأيديولوجية وهوية الأنا الاجتماعية، ويشتمل كل منهما على أربعة مجالات فرعية، وفيما يلي تفصيل ذلك:

* أ. هوية الأنا الأيديولوجية: تعني الأيدولوجيا منظومة الأفكار المرتبطة بتعاليم واتجاهات واعتقادات ورموز تشكل نظرة كلية لشخص أو جماعة ما . تنتشر هذه الأيدولوجيات في المجتمعات الحديثة في جميع الميادين وتمس كل الأشخاص خاصة في ظل الانفتاح الثقافي والحضاري الحديث من خلال العولمة. تحدد هوية الأنا الأيديولوجية من خلال الأيديولوجيات والمعتقدات التي يحددها الفرد لنفسه وتشمل أربع مجالات هي المعتقدات الدينية، السياسية، المهنية، وفلسفة الحياة .(عبد المعطي حسن، 2004، ص 67).

يعتبر المعتقد الديني واحداً من أهم المحركات الأساسية الضابطة للشخصية، وفي مرحلة المراهقة المتأخرة يتم النظر إلى الدين نظرة أكثر منطقية يتم فيها مناقشة الأفكار والمبادئ التي تلقاها الفرد من قبل، وعادة ما تكون المعتقدات الدينية معبرة بشكل كبير عن البناء الأيديولوجي العام للمصاحب لتشكل الهوية وذلك من حيث دلالة عمق واتساع التأمل الفكري في هذا الجانب .كما أن تحديد المراهق لمعتقداته السياسية والالتزام بها من شأنه أنه ينمي إحساساً بالمسؤولية لدى المراهق ويوسع نطاقه الأيديولوجي ويزيده تماسكاً . كما يعتبر الاختيار المهني واحداً من الأبعاد الرئيسة للهوية الأيديولوجية المحققة أو النامية نمواً متوازناً ، ولا شك في أن للاختيار المهني أهميته في حياة الفرد فهو وسيلة لخدمة الذات ولشعور الفرد أمام نفسه بأنه شخص له مكانته المميزة، إذ يمكنه أن يقدم خدمة لنفسه ولمن حوله، في حين فلسفة الحياة لدى الفرد تكون تتويجا للتفاعل بين مختلف إيديولوجياته السابقة في إطار اجتماعي يحدد الخطوط العريضة للفلسفة العامة للحياة للمجتمع الذي يعيش فيه . (عبير حسين، مرجع سابق، ص 21).

* ب. هوية الأنا الاجتماعية العلاقات المتبادلة: وتحدد من خلال اختيارات الفرد في مجال الحياة الاجتماعية، وتشتمل على أربع مجالات هي الصداقة، طريقة الاستجمام أو الترفيه، الدور الجنسي، والعلاقة بالجنس.(عبد المعطي حسن، مرجع سابق ، ص 67).

ويولي العديد من الباحثين للعلاقات بين الأصدقاء أهمية بالغة في عمليات بناء الهوية والحفاظ على تماسكها من خلال خلق تضامن ووحدة بين أفرادها، لذلك تعتبر القدرة على إقامة علاقات صداقة اجتماعية جيدة مع الآخرين عاملاً هاماً في النمو الاجتماعي. كما يعتبر مفهوم الدور الجنسي واحداً من أهم المجالات التي تؤثر في تشكل هوية الأنا الاجتماعية، فمفهوم الذكورة والأنوثة يتعدى الاختلاف البيولوجي إلى الاختلاف في المفهوم الثقافي لتوقعات الدور، فنلاحظ الاختلافات القائمة بين الشعوب والثقافات في تحديد سلوكيات الدور وما يتعلق به من تفاصيل كالملبس ونوع العمل وسن الزواج. ولاشك أن لمتغير الجنس الذي ينتمي إليه الفرد دور هام في توجيه السلوك المناسب له وفق مجموع العادات

والأعراف والاتجاهات في ثقافة ما، وهي معايير عادة ما يتم اكتسابها منذ الطفولة، وقد يجد بعض الأفراد صعوبة في تعلم أدوارهم الجنسية أو صعوبة في تقبلها، مما قد يؤدي بهم إلى ضغوط وصراعات مع النمط الثقافي السائد للمجتمع الذي يعيشون فيه وبذلك عدم وضوح الدور الجنسي (الهوية الجنسية) حيث تظهر تلك الاضطرابات بشكل واضح في مرحلة المراهقة.

وتمثل العلاقة بين الجنسين كمجال فرعي لتشكل هوية الأنا الاجتماعية من خلال المعايير التي تفرضها المجتمعات الإنسانية المختلفة لتنظيم هذه العلاقة بطرق مختلفة، ومدى امتثال الفرد لهذه المعايير ام تمرده عليها مما قد يزيد من التوتر الانفعالي لديه. (عبير حسين، مرجع سابق، ص 23). كما أن لطريقة استغلال أوقات الفراغ وطريقة الاستجمام أو الترفيه تشكل المجال الفرعي الأخير لتشكيل الهوية الاجتماعية من خلال المفاهيم والمكتسبات المهارية التي يكتسبها الفرد من خلال هذا المجال.

4.1 رتب هوية الأنا:

يمثل نموذج جيمس مارشا لرتب هوية الأنا أهم التطويرات الحقيقية لنظرية اريكسون في مجال تشكل الهوية في مرحلة المراهقة، حيث قام مارشيا بتحديد أربع رتب أساسية يعتمد ظهورها على ظهور أو غياب كل من بعدي أزمة الهوية والالتزام. وقد اتبعت هذه المحاولة بمحاولات لتلازمته كان من أهمها إعداد آدمز ومعاونيه للمقياس الموضوعي لرتب هوية الأنا المستخدم في هذه الدراسة، والذي قام كل من عبد الرحمن 1998 بتطبيقه على عينات عربية في مصر والسودان. كما قام الغامدي 2001/2000 بتقنيته على البيئة السعودية وتطبيقه في عدد من الدراسات، كما تم استخدامه في البيئة الجزائرية من قبل كل من ربيعة علاونة (2011) وخديجة بن فليس (2010).

ويمكن توضيح هذين البعدين في التالي:

أ. **الأزمة أو الاكتشاف:** المتمثلة في رحلة من البحث والاختبار للخيارات المتاحة المرتبطة بمعتقدات الفرد وقيمه الأيديولوجية وأدواره وعلاقاته الاجتماعية. يبدأ تشكل الهوية بظهور أزمة الهوية والمتمثلة في فترة من التعليق المرتبط بالحاح بعض التساؤلات لدى الفرد حيال معتقداته وأدواره وأهدافه في الحياة، أو بمعنى آخر فترة من البحث والاستكشاف والاختبار لما يناسبه من معتقدات و أدوار تسبق بالضرورة اتخاذ قرارات حيالها، حيث يقوم المراهق في هذه الفترة والمعروفة بالتعليق المختلط بجمع المعلومات عن الأدوار المتاحة ومن ثم اختبار وتجريب هذه الأدوار للانتقاء من بينها.

ب. **الالتزام:** يشير مدى التزام بما يتم اختياره من قيم ومبادئ أيديولوجية و أهداف وأدوار اجتماعية إلى تمسك الفرد بها في ظل مجموعة البدائل المتاحة، إلا أن ذلك لا يعني الثبات المطلق وانتفاء التطور، إذ يبقى الفرد المحقق لهويته قادراً على تطوير نفسه مدى الحياة مع درجة من الثبات والاستقرار نحو ما يتم اختياره، حيث يمكن أن يحدث بعض التغيير كنتيجة لتغير الخبرات وتراكمها وتعدد المجالات التي تقرض المرونة، إلا أن هذا التغيير لا يكون عشوائياً بل كنتاج لمراجعة الفرد المستمرة لأهدافه. (نفس المرجع،

ص 20). فبعدي الأزمة والالتزام يفسران إلى حد بعيد التطور والنمو المستمر والثابت للهوية لدى الفرد خلال مختلف مراحل الحياة.

وتعكس كل رتبة قدرة الفرد على التعامل مع المشكلات المرتبطة بأهدافه وأدواره، ومن ثم إمكانية الوصول إلى معنى ثابت لذاته ووجوده . ومن خلال الدراسات المتتابعة توصل مارشا Marcia 1966 إلى تحديد أربع رتب للهوية الأنا ذات طبيعة ديناميكية متغيرة ويمكن إيجاز هذه الرتب وطبيعة النمو فيها فيما يلي :

أ. تحقيق هوية الأنا : تمثل رتبة تحقيق هوية الأنا الرتبة المثالية للهوية الأنا، ويتحقق ذلك نتيجة تجاوز الفرد لأزمة الهوية الممثلة في مرحلة من الاختبارات للخيارات المتاحة، حيث يكمل اختيار المعتقدات والأدوار المناسبة له مظهراً درجة كبيرة من الالتزام بما يتم اختياره. (عبد المعطي حسن، مرجع سابق ، ص 67). ويعتبر تحقيق هذه الرتبة مؤشراً للنمو السوي، إذ ترتبط كما تشير نتائج البحوث الميدانية بكثير من السمات الشخصية الإيجابية كتقدير الذات والتوافق النفسي، والقدرة على مواجهة المشكلات المختلفة، والمرونة والانفتاح على الأفكار الجديدة ونضج العلاقات الاجتماعية ، و نمو الأنا والنمو المعرفي والأخلاقي وغيرها من جوانب النمو. ويؤكد ذلك كل من كيمل و وينر Kimmel et Weiner من حيث أن تحقيق هذه الرتبة مؤشراً للنمو السوي، والتوافق المرتبط بعدد من السمات كالثقة بالنفس، وانخفاض مستوى القلق، والشعور بالرضا والسعادة عند ممارسة أدواره الاجتماعية، والانفتاح على الأفكار الجديدة، و مواجهة المشكلات بشكل مباشر، والقدرة على التحدي، واتخاذ القرارات بعد البحث وتقييم المعلومات، وتحمل نتائج هذه القرارات، والشعور بالكفاءة والثبات المرتفع، القدرة على مسابرة التغيرات الفجائية التي تحدث في البيئة، القدرة على أداء المهام والواجبات العقلية بصورة جيدة، القدرة على تكوين علاقات ألفة مع الآخرين بشكل موجب، الاستعداد لمشاركة الآخرين مشاعرهم وأفكارهم، والتعاون معهم والاهتمام بمشكلاتهم أكثر من الاهتمام بأنفسهم، بالإضافة للتوجه الذاتي والاستقلالية، والشعور بالاحترام والرضا والتقدير، والنظرة الإيجابية للذات، والتقدير الذاتي المرتفع. (نفس المرجع، ص 24).

ب. تعليق هوية الأنا : تمثل رتبة تعليق هوية الأنا تقدماً إيجابياً نحو التحقيق إذا توفرت العوامل الإيجابية، بل إن فترة من التعليق المرتبط بظهور الأزمة تعد مطلباً أولياً لذلك .ومع ذلك يبقى الفارق بين الرتبتين قائماً حيث يفشل المراهق من هذا النوع في اكتشاف هويته، إذ يستمر الفرد في خبرة الأزمة، ممثلة في استمرارية اختبار البدائل المتاحة دون الوصول إلى قرار نهائي، ودون أن يظهر التزاماً بخيارات محددة. (عبد المعطي حسن، مرجع سابق ، ص 67)، مما يدفعه إلى تغييرها من وقت إلى آخر في محاولة منه للوصول إلى ما يناسبه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر تغيير مجال الدراسة أو المهنة أو الهويات أو الأصدقاء .و يشترك المعلقون مع المحققين في بعض السمات الإيجابية كالرضا

عن الذات والتوجيه الذاتي، إلا أنهم يخبرون درجة أعلى من القلق، ومشاعر الذنب لما يسببونه من خيبة أمل للآخرين.

ويشير مووس 1996 Meeus إلى أن الأفراد في هذه الرتبة غير قادرين على اتخاذ قرارات واضحة ومحددة، وإقامة علاقات جيدة مع الآخرين ورغبة في الاستقلال عن الوالدين، مع شعور بالاكتئاب أحياناً ويظهر ذلك كلما تقدم العمر. ويضيف الغامدي (2000) بان الأفراد في هذه الرتبة يعانون بدرجة أعلى من القلق مع الشعور بالقصور لما يسببونه من خيبة أمل للآخرين. (عبير حسين، مرجع سابق، ص 25).

ج. انغلاق هوية الأنا: يرضى الفرد في هذه الرتبة بما يحدد له من أدوار أو أهداف من قبل الآخرين، ولا يمر بأزمة الهوية المتمثلة في البحث الذاتي عن الخيارات المتاحة المنفتحة مع استعداداته. يرتبط انغلاق هوية الأنا بغياب الأزمة متمثلاً في تجنب الفرد لأي محاولة ذاتية للكشف عن معتقدات وأهداف وأدوار ذات معنى أو قيمة في الحياة مكتفياً بالالتزام والرضا بما تحدده قوى خارجية كالأسرة أو أحد الوالدين أو المعايير الثقافية والعادات له من أهداف وأدوار. ومن جانب آخر فإنه يظهر قناعة والتزاماً بهذه الأدوار، إلا أن هذا الالتزام يختلف عن التزام محققي الهوية، إذ يكون التزاماً غير ناضج لا يعتمد على الاختيار الذاتي بل بما يحدد له من أهداف. ومثالاً على الانغلاق اختيار الأفراد لأصدقائهم ولأعمالهم ولزوجاتهم ولأفكارهم وفق رغبات الموجهين لهم دون تفكير منهم. وكنيجة لهذه المسيرة يلاقي منغلقى الهوية بحسب الغامدي (2000) في هذه الرتبة تقديراً من الكبار ما يعزز هذا التوجه لديهم، ويؤدي بهم إلى افتقاد التلقائية في المواقف الاجتماعية، إضافة إلى العديد من الاضطرابات النفسية المرتبطة بدورها بخلل في النمو خلال الطفولة. كما يشير عبدالمعطي 1993 إلى ميل منغلقى الهوية إلى المعاناة من ضعف الثقة بالنفس و ضعف درجة الاستقلالية، ضعف التوافق الدراسي. ويضيف مارشيا Marcia 1988 إلى أنهم يعانون من ضعف المرونة في التفكير، والافتقار إلى العلاقات الاجتماعية. (نفس المرجع، ص 26)

د. تشتت هوية الأنا: يرتبط هذا النمط من هوية الأنا بغياب كل من أزمة الهوية متمثلاً في عدم إحساس الأفراد بالحاجة إلى تكوين فلسفة أو أهداف أو أدوار محددة في الحياة من جانب، وغياب الالتزام بما شاعت الصدف أن يمارسوه من أدوار من جانب آخر. ويقع في هذه الرتبة من لا يخبر أزمة الهوية، ولا يظهر التزاماً بما يقوم به من ادوار (عبد المعطي حسن، مرجع سابق، ص 67).

يوصف الأفراد مشتتى الهوية بأنهم أكثر أنانية وحباً لذات، وتركيزاً على النفس، وأقل نضجاً في جوانب النمو المعرفي والأخلاقي مقارنة بالأفراد في الرتب الأخرى. كما يوصفون بالمنطوية والسطحية في تكوين العلاقات مع الآخرين، الميل للانفصال عن الأسرة و المجتمع، والسلبية والحيادية واللامبالاة، والتأثر بشكل كبير بضغوط الأصدقاء، وصعوبة التأقلم والتكيف مع الظروف، والتعرض لمخاطر عالية ومتعددة مما يطور حالة التشتت لديهم، ويدفعهم للوقوع في مشاكل عديدة مثل تعاطي المخدرات والجروح.

وفي العالم العربي تؤكد الدراسات وجود بعض السمات المميزة للأفراد في هذه الرتبة حيث تبين أن الأفراد في رتبة التشتت هم الأقل في تقدير الذات مقارنة بالأفراد في الرتب الأخرى وأنهم أكثر ميلا للعدوان والجناح المنيزل 1994، و الغامدي (2000) ، وأيضا أكثر معاناة من ضعف الثبات الانفعالي، وضعف السيطرة على الذات، وضعف التنظيم الذاتي محمد السيد عبدالرحمن (1997). (عبير حسين، مرجع سابق، ص 27)

عموما يتسم الأفراد في هذه الرتبة بضعف التوجيه والضبط الذاتي والتمركز حول ذاتهم ، وضعف الاهتمام والمشاركة الاجتماعية .كما يخبرون درجة عالية من القلق وسوء التوافق والشعور بعدم الكفاية. هذا يدفع بدوره إلى جمود السلوك وعدم القدرة على اتخاذ القرارات السليمة وإلى كثير من الاضطرابات السلوكية الخطرة كالجنوح وتعاطي المخدرات والاضطرابات النفسية.

الجدول رقم (09) : يلخص رتب هوية الأنا وفق نموذج مارشا:

أزمة هوية الأنا		الالتزام
غائبة	ظاهرة	
انغلاق هوية الأنا	تحقيق هوية الأنا	ظاهرة
تفكك هوية الأنا	تعليق هوية الأنا	غائبة

2. استراتيجيات بناء الهوية :

بعد تطرقنا في ما سبق إلى نظريات الهوية والتأثيرات العميقة للمحددات الثقافية والاجتماعية المحيط بالفرد على بنائها وتحقيق الرتبة الأكثر نضجا فيها ، تجدر بنا الإشارة إلى الأبحاث في علم النفس الاجتماعي التي خلصت إلى وجود ارتباطات وعلاقات سببية بين الهوية الجمعية والفرد في علاقتهما بالتغيرات الاجتماعية والثقافية السريعة في عصرنا الحالي، حيث نجد أن الكثير من علماء النفس الاجتماعيين في تناولهم للهوية من وجهة النظر الثقافية اتجهوا إلى دراسة الهوية الجمعية بتركيزهم على هذه التغيرات وعلى عملية التناقص و مختلف الأنماط التكيفية والاندماجية للقيم والمعايير الجديدة ، هذا ما تناوله كل من كاميليري وبيري ومالوسكا وبونبي وطوالي في أعمالهم في علم النفس ما بين الثقافات. يشير طوالي إلى أن معظم الدراسات التي تمت سابقا تكلمت عن عملية بناء الهوية في مجتمعات كلاسيكية تتميز بالتجانس والوحدة الثقافية ، لذلك ظهر حديثا تساؤل معقد متعلق ببناء الهوية في مجتمعات متعددة الثقافات ، وهذا ما يظهر في شكل صراعات وتقاطبات ثقافية ظهرت بشدة؛ على سبيل المثال؛ في عمليات تناقص وانسلاخ ثقافي عنيف في المجتمعات الحديثة الاستقلال مع ما صاحب ذلك من صعوبات على مستوى بناء الهوية، مما دعى إلى تسليط الضوء على هذه الإشكالية والظاهرة بالدراسة والبحث.

تجدر الإشارة إلى أن معظم الدراسات الحديثة حول الهوية واضطراباتها تمت متصاحبة مع دراسة مختلف عمليات التغير والتحول الاجتماعي، يؤكد تاب ذلك من خلال قوله 1979: "لا تظهر الحركية في الهوية في اختلافاتها وتعقيداتها إلا في وضعيات التغير الاجتماعي بمعنى في وضعيات الأزمة الثقافية". وهذا ما أكده بعده ليينسكي 1990 من خلال قوله: "لا تظهر الهوية واضحة إلا في وضعيات صراعية". (N.TOUALBI, op.cit, p19)

ظهر مصطلح استراتيجيات الهوية عام 1990 من طرف العديد من الباحثين منهم كاميليري الذي يشير إلى أن هذه الاستراتيجيات تعبر عن الجهد الذي يقوم به الفرد لكي يحقق تنظيما يسهل عليه التوافق مع محيطه وتحقيق مشاريعه الشخصية . فهو مصطلح يفترض وجود مجال من الحرية لدى الأفراد للتأثير على تعريفهم الخاص بذواتهم . عرفت من طرف العديد من الباحثين على أنها : "عمليات شعورية أو لا شعورية يستخدمها الفرد أو الجماعة لتحقيق أهداف ورغبات ما من خلال التفاعل بين مختلف المحددات التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية المكونة لمحيطه، بحيث يختار الفرد في كل وضعية استراتيجيات تعتمد على المفاوضات تساعده على حل صراعاته الذاتية الداخلية والخارجية الناتجة عن وضعيات التعدد الثقافي". (Z. GUERRAOU, B. TROADEC, op. cit, p 79). كما يعرفها مالوسكا 1993 على أنها: "مجموعة من الأفعال تهدف إلى التخفيف من القلق والحط من قيمة الذات". تتميز بحسبه بخاصيتين أساسيتين إحداهما داخلية تعتمد بالأساس على الميكانيزمات النفسية التي تساعد الفرد على التقليل من حدة المعانات والقلق والأخرى خارجية تعتمد على التغير في الحقيقة : حقيقته أو حقيقة جماعته التي ينتمي إليها. (A. JUMAGELDINOV, op.cit, p 42).

1.2 استراتيجيات الهوية عند كاميليري:

كاميليري: بروفيسور في جامعة السريون في علم النفس الثقافي، ركز في أبحاثه على محاولة الفهم الجيد لميكانيزمات الانتقال من مرحلة الصراعات الثقافية إلى مرحلة التكيف الثقافي في المجتمعات المتعددة الثقافات. لقد كانت العلاقة بين الهوية والثقافة نقطة البداية في أبحاثه والموضوع الأساسي لنظرياته من خلال اعتقاده الكلي بها، يشير إلى ذلك من خلال قوله: "أن أهمية النظام الثقافي للفرد يقاس بأنه يلعب دور رئيسي ومهم في تكوين هويته". لقد ركز في معظم نظرياته على المنافسات السوسيوسياسية لسنوات الثمانينات حول عمليات الاندماج والاستيعاب والتشابه الثقافي مما فتح الطريق إلى إقرار واسع لأهمية الاختلافات الثقافية ونتائج التفاعل بينها على المستوى الفردي والجماعي. لقد ساهم كاميليري من خلال أبحاثه في ميدان علم النفس الاجتماعي في إثراء مكتبة علم النفس بالكثير من الدراسات التي تناولت بالتمحيص والدقة العديد من المواضيع التي نذكر منها: (S. HIJAZI, op.cit, p 27)

* الهجرة بالأخص هجرة المغربيين إلى فرنسا والصعوبات الثقافية التي يواجهونها من خلال التفاعل بين ثقافتهم الأصلية والثقافة الغربية للمجتمع المستقبل لهم.

* التغيير الثقافي وآثاره على المستوى الاجتماعي والفردى خاصة على مفهوم الهوية وبناءها لدى هذه الفئات.

* الصراع بين الأجيال.

* الاستراتيجيات التكيفية التي ينتهجها الفرد للولوج إلى الحداثة.

* تأثير التصورات والتحكم في المعايير على الفرد مع دراسة تفاعله مع الآخر المشابه له أو المختلف عنه من خلال التركيز على سلوكياته وتصرفاته.

في تناولنا لاستراتيجيات الهوية عند كاميليري سنركز على تعدد الاستجابات الفردية لفعل وعملية التثاقف ، فحسب كاميليري فان التعرض لنفس الظروف المؤدية لتثاقف الفرد لا يعني بالضرورة إتباع هؤلاء الأفراد نفس الاستراتيجيات التكيفية ولا حتى نفس السلوكيات الناتجة.

فما هي هذه الاستراتيجيات؟ وما هي أهداف الفرد منها؟

في شرحه لنظريته حول استراتيجيات الهوية ، أكد كاميليري على ضرورة عدم الخلط بين مفهوم الهوية ومفهوم النفس حتى لا يتم حصر الهوية فقط في مجموع الحوادث التي تمس الذات الفردية خلال مختلف مراحل الحياة ، فقد حاول الربط بين النفس والثقافة في اتجاه دينامي بحيث أكد بأن الفرد يساهم بدوره في تغيير ثقافته في حد ذاتها، بالإضافة إلى الظروف السوسيوثقافية التي ينتمي إليها، هذا ما يساهم في عملية تكوين الهوية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ، كما لا ننسى الدور الذي يقوم به المحيط الثقافي في التأثير على اختيار إستراتيجية الهوية المناسبة من طرف الفرد.

1.1.2 مؤشرات استراتيجيات الهوية عند كاميليري:

انطلاقا من فكرة أن بناء الهوية يتم حسب خبرات الأفراد وتفاعلاتهم مع الآخرين طوال حياتهم أين يقومون باستدخال بعض العناصر والمفاهيم والقيم التي ترسم معالم الشخصية لديهم وتحدد هويتهم الثقافية، وللحفاظ على هذا التوازن في الهوية نجدهم يركزون على جعل قيمهم وتمثيلاتهم الاجتماعية تحقق لهم التكيف مع المحيط الخارجي ، ركز كاميليري في أبحاثه على الجانب النفسي والثقافي والاجتماعي لدى الأفراد الذين يعتمدون إلى إستراتيجية خاصة من استراتيجيات الهوية.

إن الفرد الاجتماعي بحاجة إلى وسائل غير مادية لبناء هويته الفردية والجماعية، تمثل الثقافة المنبع الرمزي والهام لهذه الحاجة ، فعن طريق دراسات ميدانية حاول كاميليري دراسة المؤشرات المستعملة من طرف الفرد لخلق معنى لذاته ولسلوكياته ولجميع تصرفاته الاجتماعية في إطار ما يسمى بهوية المعنى، بجانب هذه الأخيرة نجد هوية المعايير من خلال الصورة التي يحتفظ بها الفرد عن معايير وقيمه، هاتان الهويتان هما ثمرة كل إنتاج للهوية ومؤشرات قوية على حركيتها، ولكي يقدم لنظريته ، أكد على ضرورة التناول الجيد لبعض المفاهيم والتصورات الاجتماعية المتمثلة فيما يلي:

- التداخلات مع الحداثة في الأوساط التقليدية .

- الفرق بين المجتمعات التقليدية والحديثة الغربية والمصنعة.

- التغيرات في الوضعيات والاتجاهات كنتيجة لتأثيرات الحداثة.
- اضطراب التصورات الاجتماعية وركائز الهوية مما يؤدي إلى ظهور صراعات نفساجتماعية عند الفرد في حالات التناقف.

في أبحاثه حول استراتيجيات الهوية، اعتبر أن الهجرة عبارة عن خبرة نفسية مؤلمة للفرد الغريب في البلد المستقبل تحتم عليه الانتقال من الخيال إلى الواقع ، لأنه في هذه الوضعية الجديدة سيكون محاطاً بمجتمع معظم أفرادهم مختلفين عنه مما قد يجعل عملية تكيفه في هذه الوضعية معقدة خاصة في ظل وجود فروق جوهرية بين الثقافتين من خلال تماثلتهما الثقافية وأنظمتها الاجتماعية كحال المغاربة في المجتمع الفرنسي، في هذه الوضعية يجد الفرد نفسه ملزماً بالأخذ بالقانون الثقافي للبلد المضيف مما سيجعله مختلفاً عما هو عليه الآن في ظل ما يسمى بالهوية المتغيرة التي تجعل الفرد يحدد اختياراته بالبحث في مكتسباته الثقافية على المفاهيم الدالة على النسبية والدينامية بالإضافة إلى الذاتية، يعتبر المهاجر الهجرة على أنها مشروع مؤقت لذلك يلجأ في البداية إلى الحفاظ على التمثيلات الثقافية لتقافته الأصلية مع محاولته التكيف مع الوضعية الجديدة المعاشة على أنها انفصال عن الثقافة الأم، لكن إذا كانت هذه الهجرة عند الفرد كمشروع نهائي لا مجال للتراجع عنه فإنه سيتجه إلى إعادة التفكير الكلي في هويته ومعاييرها مما يخلق لديه إحساس باختلال التوازن النفسي مع معاش مليء بالخبرات السلبية والمؤلمة في ظل صراعات ناتجة عن احتكاك غير متكافئ بين ثقافتين متناقضتين، تترك هذه الصراعات آثاراً مختلفة على مستوى معاش الفرد وهويته ونظرته للآخر مما يدفع به إلى إعادة النظر فيها، ويكون اختياره لاستراتيجيات الهوية حسب الأهمية.

2.1.2 استراتيجيات الهوية: يحددها كاميليري في نوعين أساسيين هما:

1.2.1.2. الاستراتيجيات التي تهدف إلى إعادة الشعور بتقدير الذات:

هنا يكون الفرد المغترب والذي يمر بأزمة هوية في وضعية حرجة من تقدير سلبي للذات وتهديم للهوية، مما يجعله يلجأ إلى القيام بمحاولات لإعادة بنائها، يشير كاميليري هنا إلى نوعين من الهوية:

أ. الهويات الغير مستقلة : تتميز بمحاولات الفرد تجنب المواجهة مع الثقافة السائدة وذلك من خلال اتجاهه إلى تجنب إثارة اهتمام الآخرين إليه ، أو على العكس من ذلك نجده يستدخل كلية الثقافة الأجنبية مع رفض قاطع وتام للانصياع لقيم ومعايير ثقافته المحلية، يحددها كاميليري بثلاث أنواع هي:

- الهوية السلبية: يتم استدخالها نتيجة لكثرة السلوكات والتعاملات التي من خلالها يفقد الفرد الثقة في ذاته ويحتقر حقيقته ومعاييرها وهذا بالتركيز على نظرة الآخرين إليه، وهذا ما نجده عند الشباب من أبناء المهاجرين.

- الهوية السلبية المحولة: من خلالها يقوم الفرد بتطوير إجابات تسمح له بعدم استدخال الأفكار والأحكام السلبية، وهذا من خلال إنعاش الهوية السلبية لديه مع تحويل اتجاه التقليل من قيمة الذات إلى الأفراد الآخرين الذين يتمنون إلى الجماعة العرقية التي يحاول الانفصال عنها.
- الهوية بالتميز: هنا الفرد يتجه إلى خلق مسافة أمان مع الثقافة المستقبلية خاصة عندما يتعرض لعدم القبول من طرفها، ما يدفعه إلى الانطواء في الجماعات الإثنية للحفاظ على خصوصيته الثقافية وعلى تكيفه الاجتماعي، هذا ما أشار إليه كاميليري في دراساته للطلاب المهاجرين إلى فرنسا عندما تحدث عن المسافة التي يتركها هؤلاء الطلاب بين ثقافتهم الأصلية والثقافة المستقبلية لهم لتحقيق التوازن.

- ب . **الهويات التفاعلية**: تتمثل في مجموعة من استراتيجيات الهوية التي تتطور إلى ميكانيزمات دفاعية تتبع لإراديا من معاش حقيقي في داخل مجتمع ما ومن خلالها يحاول الفرد تدعيم وتقوية الخصائص والقيم المميزة لشخصيته، تنطوي تحت غطاء هذه الهوية ثلاثة أنواع عن الهوية هي:
- **الهوية الدفاعية**: تمثل وسيلة دفاعية ضد الآخر المتمثل في الثقافة الأجنبية، نجد أن الهوية هنا تلعب دور رافض وحاجز ضد هذا الآخر للحماية من تأثيراته السلبية.
 - **الهوية الجدلية**: نجد الفرد هنا لا يكتفي بالاختلاف أو بالحماية من الآخر ، لكن يتجاوز ذلك بالاتجاه والوقوف في مقابل الثقافة الأجنبية، فالمرحلة المعبرة عن هذه الهوية الجدلية هي حالة الفرد المهمش الذي يقف في الاتجاه المضاد للهوية السائدة ويتجه إلى الانتساب إلى المجتمع التقليدي مما يشعره بنوع من الأمان النفسي والاجتماعي .
 - **هوية المبدأ أو الهوية الإرادية**: ونفسر هذه الهوية بالحالة الصراعية الحادة عند الفرد بين قيم ومعايير ثقافته الأصلية في مقابل قيم ومعايير الثقافة الأجنبية مما يؤدي به إلى إظهار سلوكيات متناقضة في حياته اليومية، وكمثال على ذلك أشار كاميليري إلى مجموعة من الشباب المغاربي الذين تراهم يدافعون عن انتمائهم المغاربي بشدة في مقابل رفضهم المطلق لمعظم المعايير التقليدية ، فهم بهذا سيدخلون قيم ومعايير الثقافة الأجنبية في حين أنهم يظهرون رفضا شفويا لهذه المعايير الثقافية (Ibid. , p 31)

بهذا يمكننا أن نقول أنه إذا استطاع الفرد تنقيه هويته من كل ما هو غير مستحب، فإنه سيحقق توازن داخلي لأن التمثيلات والمعايير التي تقمصها الآن تسمح له بالتعايش مع محيطه الخارجي.

- 2.2.1.2. **الاستراتيجيات التي تهدف إلى خلق وحدة معنى**: (التناسق بين الوظيفة الان طولوجية والبراغماتية): يشير كاميليري إلى أن الفرد المغترب يبقى في بحث دائم عن استراتيجيات تساعده على إعطاء معنى جديدي لوجوده ولشخصيته ولتفسير سلوكياته المتكيفة مع محيطه، وحتى يصل إلى تحقيق وحدة المعنى على مستوى الهوية، لاحظ كاميليري أن الفرد يتجه إلى أن يكون مماثلا لمحيطه الخارجي،

بمعنى أن يملك نفس النمط الثقافي ونفس المعايير وكذا نفس المعنى للأحداث والوقائع، ولا تتم هذه الوحدة في المعنى إلا أن حقق الفرد نوعاً من الانسجام بين وظيفتي الهوية الأساسيتين: الوظيفة البراغماتية والوظيفة الأنطولوجية، يعرفهما كاميليري من خلال أعماله حول استراتيجيات الهوية (1990-1991) على أنهما تمثلان بعدين أساسيين لدراسة هذه الاستراتيجيات:

* **البعد البراغماتي:** نجد الفرد هنا يبحث عن التكيف مع المحيط الخارجي بتحقيق مصالح نفعية من جميع انشغالاته البراغماتية وسلوكاته بحيث يتغاضى الطرف في الغالب عن الوظيفة الأنطولوجية للهوية.

* **البعد الأنطولوجي:** ما يحدث هنا هو العكس فالفرد يبحث أولاً عن التجانس والاتساق في هويته بالتركيز على الوظيفة الأنطولوجية، ثم يتجه إلى اختيار إستراتيجية هوية للحفاظ على هذا التجانس في هويته سواء كانت هذه الإستراتيجية بسيطة أو معقدة.

إن كل ثقافة تعتمد على التماثل بين الفرد الاجتماعي ومحيطه الخارجي في عملية انتقالها من جيل إلى آخر، وهذا عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية بالتركيز على الوظيفة الأنطولوجية، لكن قد نجد عكس ذلك بالتركيز على الوظيفة البراغماتية بقوة في فترات التحول والتفاعل الثقافي مع ثقافات وافدة وجديدة سواء عن طريق الهجرة أو الاستعمار أو عن طريق العولمة الثقافية وثورة وسائل الاتصال، نجد الوظيفة البراغماتية مشجعة بقوة في المجتمعات الحديثة بواسطة التمثيلات الاجتماعية المتكيفة و نظام القيم والمعايير السائدة فيها. إن الفرد الاجتماعي في المجتمع الحديث تظهر لديه في كل لحظة أزمة معنى، أين يتقابل مع قيم ومعايير جديدة تجعله يعيد النظر في وحدة المعاني والتمثيلات الاجتماعية التي اعتاد عليها مما يدفعه إلى اللجوء إلى مجموعة من الاستراتيجيات المعرفية للتوفيق بين هذه المعايير الثقافية المتضادة، لأن مهمة الحفاظ على وحدة المعنى أصبحت صعبة جداً نتيجة للعديد من العوامل منها: الحركية الاجتماعية للفرد والتحويلات المستمرة للوضعية الاجتماعية والمنافسة الشديدة في مختلف ميادين الحياة في المجتمع الحديث، مع التهديد المتواصل والشديد لصورة الذات لديه مما يفرض عليه اكتساب هوية ديناميكية قادرة على التغيير المستمر بطريقة تسمح له بالتكيف السريع مع التحويلات الثقافية السريعة في المجتمع المعاصر (Ibid., p 32).

هذه الرؤية المتعددة الأبعاد لديناميكية الهوية تتميز بإمكانية حدوث أمور غير محتملة وأزمات كثيرة خلال مختلف مراحل حياة الفرد، خاصة الحساسية منها، مما يؤدي بالفرد للجوء إلى العديد من استراتيجيات الهوية، بمعنى اختياره لسلوكات محددة انطلاقاً من عمليات شعورية ولا شعورية تهدف إلى تجنب أو على الأقل التخفيف من الضغط الداخلي الناتج عن صعوبات تحقيق استقرار في الهوية، إذن فما هي استراتيجيات خلق وحدة المعنى التي تساعد الفرد على تجاوز صراعات تكوين الهوية؟:

أ/ استراتيجيات تجنب الصراعات بواسطة التناسق البسيط:

تعتمد على إعطاء قيمة أكبر للاهتمامات الأنطولوجية لأحد هذه الرموز أو على إعطاء قيمة أكبر للاهتمامات البراغماتية. (N. BELKAID, op. cit, p 73).

يشير كامليري هنا إلى محاولة الفرد حل مشكل التعارض بين نظامين ثقافيين بواسطة حذف أو إنكار أحد هذه العناصر، وهذا باختيار إحدى الاستراتيجيات التالية :

- **المغالاة في الاهتمام بالوظائف الأنطولوجية :** تمثل هذه الإستراتيجية العمود الفقري للهوية لأنها تهتم بالصراع القيمي، كما تعتبر أهم إستراتيجية لبناء الهوية لدى الفرد عموماً. تظهر عموماً عندما يكون هناك استثمار كلي لأننا في نظام يتميز برفض كلي للآخر، وهي حالة بعض المحافظين المرتبطين بقوة بالقانون التقليدي الذي لا يسمح بالتكيف المباشر مع المحيط العام الجديد، في هذه الحالة، نجد الفرد يتجاهل الاهتمامات البراغماتية لأنها تفرض عليه الأخذ بعين الاعتبار قوانين متعلقة بثقافة أخرى للتكيف مع المحيط الخارجي، حيث يقوم بالتركيز على المحافظة على الروح التقليدية مع قبوله لعب دور متقبل للعصرنة في بعض سلوكياته لكي يتجنب عدم التكيف العميق مع مجتمعه، كما يرجع جميع إخفاقاته لتحقيق أهداف هذه الإستراتيجية إلى عوامل خارجية في شكل الدولة والمجتمع، في حين نجد تحت مظلة هذه الإستراتيجية أيضاً بعض الأفراد الذين يستدخلون بعض السلوكيات المضادة للتقاليد في نظامهم الثقافي المميز لهم في حين نجدهم يعملون المستحيل حتى لا ينسلخوا كلية نحو النمط العصري، غير أنهم في الأخير يرضخون للأمر الواقع في عملية تطبيع كلي مع ثقافة الآخر في نهاية المطاف، مثال ذلك عملية تعليم الفتيات في تونس، كان الهدف منها في البداية تعليم الفتيات حتى سن البلوغ ثم توقيفهن عن الدراسة، لكن أصبح التعليم بعد ذلك مطلب اجتماعي لتكامل دراستها إلى مستويات أعلى وهذا نتيجة للمكانة الاجتماعية المرموقة للفتاة المتعلمة وتحقيقها لحظوظ أكبر للنجاح في حياتها الاجتماعية، ونفسر هذا بأن الأفراد أصبحوا يتميزون بنوع من البراغماتية في الاختيار مع تركيزهم على القواعد الأنطولوجية في الأساس.

- **المغالاة في الاهتمام بالوظيفة البراغماتية :** تظهر هذه الإستراتيجية لدى الأفراد الواقعيين تحت ضغط متطلبات التكيف مع الوضع السائد في مقابل التخلي عن بعض القوانين والمعايير التقليدية، فيعطي الأولوية لرغبته في التكيف مع المحيط مما يجعله يخضع لسياسة تعاقب القوانين الاجتماعية حسب الحاجة وفقاً لمبدأ القطع والانفصال السائد، وكمثال على ذلك تعاقب الأدوار لدى الفرد الذي يستدخل النمط العصري في سلوكياته في العمل والمدرسة وجماعة الأقران لكن يعود إلى النظام التقليدي في المنزل مع والديه وكبار السن، وهي حال بعض المهاجرين المسلمين في فرنسا، أين نجدهم يعاقرون الخمر خارج المنزل بينما لا يسمحون بحدوث ذلك في

المنزل، كما نجد أن الفرد هنا يتعامل بنوع من الليونة في بناء هويته مما يساعده على التخفيف ومقاومة مشاعر الذنب لديه بإستراتيجية التناوب بين المعايير والقوانين بدون الربط بينهما في سلوك موحد (S. HIJAZI, op.cit, p 33)، مثال ثاني على ذلك عند مالوسكا: فتاة مغربية تتعاطى التدخين وتستهمل أدوات الزينة في المدرسة والشارع بينما ت غر كلية من تصرفاتها في المنزل أين تخضع لقيم وعادات الثقافة المحلية في عملية من تعاقب الأدوار (A.Gaillard, op.cit, p 26).

ب/ استراتيجيات تجنب الصراعات بواسطة الاتساق والارتباط المعقد:

هذه الاستراتيجيات تعطي للأفراد الحرية في تكوين معايير وسلوكات تسمح لهم باستثمار المتطلبات الأنطولوجية والبراغماتية في آن واحد، ولتحقيق هذه المعادلة، يقوم الأفراد بتكوين إنتاجات ثقافية جديدة انطلاقاً من المزج بين هاتين الثقافتين لحل صراعات الهوية على المستوى النفسي لديهم، وهذا بخلاف ارتباطات جديدة بعيداً عن القوانين الثقافية لكلى الثقافتين، يحدد كاميليري هنا نوعين من الارتباطات هما:

ب.1. **ارتباطات لا تعتمد على المنطق العقلي:** وهذا لتجنب وقوع الفرد بين القانون التقليدي والعصري في نفس الوقت بالاعتماد على منطق ذاتي عاطفي يركز على تضخيم الأهداف المتوخاة من هذه السلوكات، هنا الفرد الاجتماعي يقبل كل قانون اجتماعي يعتبره ذو فائدة اجتماعية عليه حيث يختار سلوكاته وفق مبدأ المنفعة والفائدة.

ب.2. **ارتباطات تعتمد على المنطق العقلي "عقلنة الصراعات":** يحاول الأفراد من خلال هذه الإستراتيجية إدماج عناصر جديدة في تشكيلاتهم الثقافية التقليدية، لذلك يلجئون إلى اقتراح أفكار ومعايير يعتقدون أنها منطقية ويحاولون فرضها على الآخرين، وهذا بإتباع نمط تكيفي من الأنماط التالية:

- **إعادة الصياغة للمعايير:** يحافظ الفرد الاجتماعي هنا على الاستثمار في التمثيلات التقليدية والعصرية في آن واحد، حيث يشير إلى أن المعيار موضوع النقاش متواجد أصلاً في الموروث الثقافي التقليدي مثل: عمل المرأة في الريف، يجعل هذه الإستراتيجية إمكانية الاندماج في عملية التغيير الاجتماعي ممكنة بحيث توفر للفرد شعوراً بالراحة وإحساساً بحفاظه على الأصالة.
- **تفكيك الروابط:** يستثمر هنا الفرد معايير وتمثيلات ثقافية مأخوذة من كلا الثقافتين التقليدية والعصرية بحيث يحاول حل التضاد بينهما بواسطة تفكيكها بالنقد، هذه الإستراتيجية تسمح بالتواجد المنطقي والغير المتناقض للمعايير التقليدية والحديثة في نفس الوقت.
- **الربط المنطقي للمتناقضات:** هنا يعمل الفرد بطريقة منطقية على استخلاص ميزات عصرية من النمط التقليدي بحيث تصبح السلوكات الجديدة غير متناقضة مع التمثيلات التقليدية، كتعليم المرأة من خلال القول بأن تعليم جيد للمرأة يعني تعلم جيد للأطفال.
- **تقدير الروح بالعلاقة بالأرض:** تنتشر هذه الإستراتيجية بقوة في صفوف المغتربين، بحيث يحقق الفرد من خلالها ارتباطاً وثيقاً وناجحاً بين الاهتمامات الانطولوجية والبراغماتية، هذا ما يحققه

المهاجر الشاب الذي يختار الزواج بفتاة عصرية وزوجاً تقليدي كما يريد الأب وهذا احتراماً لحكمتهم وخبرتهم في الحياة.

- تعليق قيمة التمسك بالتقاليد : نلمس هذه الإستراتيجية من خلال عدم تطبيق التمثلات السوسيوثقافية القديمة في الحياة العامة على الرغم من أنها ذات قيمة كبيرة اجتماعياً، مثال ذلك سلوك الأمهات الشابات التونسيات تجاه الرضاعة الطبيعية، فعلى الرغم من أن هذه الرضاعة مشجعة اجتماعياً لكن البعض منهن لا يحبن ذلك نتيجة ارتفاع المستوى السوسيوثقافي لديهن في شكل المرأة المتعلمة والعاملة.

ملاحظة : يضيف كاميليري إلى ما سبق استراتيجيات التخفيف من صراعات القيم، والتي تظهر عند الأفراد الذين فشلوا في حل مشكلة التناقض الثقافي لديهم بإحدى الاستراتيجيات السابقة، فيلجئون إلى الاستثمار في استراتيجيات جديدة للتخفيف من حدة هذه الصراعات القيمة عن طريق إحدى العمليات التالية:

- الترجيح التفرقي بين القيم المتعارضة : وهي حالة الفرد العصري الذي يعيش في عائلة تقليدية فتراه لا يثور ضد هذه التقاليد ويتعايش مع أفراد أسرته بطريقة جيدة، وهذا ما يخفف من صراع المعايير لديه على المستوى الشخصي والبيئشخصي.
- الحد من الصراعات المؤلمة : يعيش الفرد في هذه الحالة مع معايير وقيم مختلفة عن معاييره الأصلية بشكل مستمر بحيث يحاول التحديد من أثرها بعدة طرق، مثال ذلك حال الشباب الذين يتبعون القواعد التقليدية لعائلاتهم لكنهم يقرون بأنهم سيعشون حسب قواعدهم بعد الزواج.
- التناوب المنظم للقيم : هي وسيلة أخرى للتخفيف من صراع القيم، وهي حالة الإطارات الجزائرية المتشبعين بالثقافة الغربية في عملهم وفي حياتهم العامة بينما يشرفون على احتفالات ذو بعد تقليدي في بيوتهم من حين لآخر، هذا ما أشار إليه الباحث الجزائري نور الدين طوالي في كتابه "إشكالية المقدس" 1982 من أن هذه الإستراتيجية تعمل على التخفيف من الشعور بالذنب عند هؤلاء الأفراد الناتج عن تخليهم عن معايير وشرعة الأسلاف (S. HIJAZI, op.cit , p 35).

وبالرغم من الخاصية الإبداعية والخلاقة لاستراتيجيات الهوية عند كاميليري، فلقد تعرض لها بعض الباحثين بالنقد أمثال داسن وتوقاي (P.Dasen et t Ogay 2000) لان هذه النظرية بحسبها ركزت فقط على جماعة مهاجرة وحيدة وهي جماعة المغاربة في فرنسا وفي أفريقيا الشمالية. ولان السياق التاريخي للثقافة المغربية يجعل رفضهم للثقافة الأصلية حتمية في وضعية الاستعمار والهجرة، كما أن عملية التنقيف تتم بالأساس في هذه المجتمعات بإشكالية في ظل تعدد المعايير والقيم الاجتماعية. هذا ما يجعل محاولات تعميم هذه الاستراتيجيات على جميع المهاجرين عملية معقدة وغير مقبولة لان الظروف الثقافية غير متشابهة. (A. JUMAGELDINOV, op. cit ,p 48).

وكتعقيب على هذه الاستراتيجيات أشار كاميليري إلى ثلاث ملاحظات هامة حول هذا الموضوع هي :

- إمكانية أن تزيد هذه الاستراتيجيات من درجة الشعور بالذنب لدى الأفراد عكس ما تهدف إليه.
- لا يمكن أن يحكم على فرد ما أنه يتبع إستراتيجية محددة من دون باقي الاستراتيجيات الأخرى وإنما نجده في ديناميكية وتفاعل مستمر ودائم مما يسمح له بخلق ردات فعل جديدة تضاف إلى الاستراتيجيات السابقة.
- كما لا ننسى الميزات الشخصية للأفراد خاصة اتجاهاتهم تجاه العملية الانطولوجية والبراغماتية كما أن درجة الشعور بالذنب تختلف من فرد إلى آخر.
- لذلك يجب القول بأن هذه الاستراتيجيات ليست نهائية، فكل فرد يمكنه أن يغير فيها في كل مرحلة من مراحل حياته بحسب الظروف المحيطة به والوضعية التي يتواجد فيها، وكذا من خلال مراحل تطور شخصيته والأهداف التي يهدف إلى تحقيقها.
- وعلى العموم، فإن نظرية كاميليري تركز على الأخذ بعين الاعتبار أن الفرد من وجهة نظر عامة هو فرد اجتماعي يهدف إلى بناء هويته الثقافية بالتركيز على الميكانيزمات النفسية المتمثلة في (ما قبل الشعور، الشعور، اللاشعور، الهو، الأنا الأعلى، الأنا) ، والتي تساعد الفرد على اختيار إستراتيجية ما، هذا بالإضافة إلى مختلف الدفاعات النفسية التي يستعملها الأنا ضد الآخر و ضد تهديدات الهوية مما يساعده على اكتشاف أغوار النفس الإنسانية التي تجعل الفرد يختار استراتيجيات هوية خاصة دون الأخرى، إن نظرية كاميليري في مجملها تعتمد على مبدئين هما: التعارض بين أنظمة القيم لكلا الثقافتين المتفاعلتين والحط والإنقاص من قيمة المهاجرين في المجتمع المستقبل، وهي تظل منبع وافر للعلوم الإنسانية خاصة على مستوى الدراسات المتعلقة بعملية التثاقف في عصرنا الحالي الذي يتميز بانفتاح يومي ومستمر على ثقافة الآخر.

بيار داسن و تانيه اوقاي اختصرا استراتيجيات الهوية عند كاميليري في الجدول الآتي:

الجدول رقم (10): استراتيجيات الهوية عند كاميليري (Gaillard, 2006, p 27).

استراتيجيات إعادة الشعور بتقدير الذات		استراتيجيات خلق وحدة المعنى: الترابط بين الوظيفة الانطولوجية والبراغماتية	
الهويات الغير مستقلة	الهوية السلبية: استدخال أحكام تحط من قيمة الذات	التناسق البسيط: حل التناقضات بواسطة حذف أحد العناصر	المغالاة في الاهتمام بالوظيفة الانطولوجية والاستثمار المباشر في النظام الأصلي: الأصوليين والمحافظين.
	الهوية السلبية المحولة: وهذا بالتمثل بالأفضل وتحويل الحكم المقل من قيمة الذات على أفراد الجماعة الأصلية		الاهتمام السائد يكون على الوظيفة البراغماتية مع الحفاظ على نسبة أقل للوظيفة الأنطولوجية. (التناوب في المعايير: انتهازية محدودة)
	الهوية بالتميز: أين نجد أن الفرد يحس بفرديته لكن لا يستدخلها		المغالاة في الاهتمام بالوظيفة البراغماتية مع الاستثمار الكلي والمباشر في النظام المستقبل مع رغبة شديدة في التكيف: انتهازية كلية.
الهويات التفاعلية	الهوية الدفاعية: تلعب الهوية دور رافض وحاجز للحماية من الآخرين	التناسق أو الاتساق المعقد: الاعتماد على تكوين بأحد بعين الاعتبار جميع العناصر المتضادة	نوع من البريكولاج في الهوية: مع تناقض للذات وليس داخل الذات، وهذا وفقا لمنطق عاطفي ليس عقلي في شكل إعادة تفسير المعايير وفقا للمنفعة الفردية.
	الهوية الجدلية: حول توكيد المواصفات الممثلة للذات والوقوف بشكل عدائي ضد السائد		البريكولاج في الهوية وفقا لمنطق عقلي: * إعادة الصياغة للمعايير * انحلال الروابط بين القيم والمعايير. * الربط بين التناقضات. * تقييم الروح بالعلاقة بالأرض. * تعليق قيمة التمسك بالقيم.
	هوية المبدأ أو الهوية الإرادية: تتميز بسلوكات متناقضة في شكل المطالبة بإحياء قيم المجموعة الأصلية في حين هناك رفض لذلك على مستوى الأفعال.		هذه الاستراتيجيات إشكالية لا تسمح بتجنب الصراع: * التراجع التفريقي بين القيم المتعارضة. * الحد من الصراعات المتوالية * التناوب المنظم للقيم

بالنسبة لبحثنا هذا نجد أن استراتيجيات الهوية عند كاميليري تتوافق بشدة مع الوضعية الثقافية والهوية للفرد والمجتمع الجزائري.

2.2. استراتيجيات الهوية عند بونبي (1998-2001: L. Bougnet):

تهدف استراتيجيات الهوية عند بونبي عموماً إلى اكتساب والحفاظ على هوية اجتماعية موجبة . فعندما يحس الفرد بأن هويته الاجتماعية غير مشبعة يطور مجموعة من الاستراتيجيات التي يحاول من خلالها الرفع من قيمة هويته. يحددها بونبي في ثلاث أنواع أساسية هي:

1.2.2. استراتيجيات الحركة الفردية: تنطلق من قناعة الفرد بإمكانية الانتماء إلى جماعة مرجعية أخرى غير جماعته الأولى التي لا توفر له هوية اجتماعية موجبة واعتقاده بجاذبية الجماعات الأخرى ذات الهوية الموجبة في نظره مع انفصاله عن جماعته الأولى. إذن فاستراتيجيات الحركة الفردية تهدف إلى تخلي الفرد عن هويته التي يحكم عليها بأنها غير ذات قيمة والانتماء إلى جماعة جديدة لبحث عن هوية جديدة في جماعة محلية سائدة اجتماعياً. مثال: تغيير الفرد من إيديولوجيته من اشتراكي إلى رأسمالي لكي يتأقلم مع الوضعية الاجتماعية الجديدة.

2.2.2. التغيير الاجتماعي: تعتمد إستراتيجية التغيير الاجتماعي على محاولة الفرد ذو الهوية السلبية المنحطة القيمة الرفع من قيمة هذه الهوية من خلال أفعال جماعية. تهدف هذه الإستراتيجية إلى تغيير العلاقات بين الأفراد وإكسابهم معارف جديدة لكي يحققوا في الأخير هوية اجتماعية موجبة .

3.2.2. استراتيجيات التغيير ذات الطبيعة المعرفية أو الخلاقة اجتماعياً : تهدف هذه الإستراتيجية إلى إيجاد عناصر مقارنة جديدة للرفع من قيمة الجماعة المحلية بالمقارنة مع الجماعات الأخرى، بمعنى أن يكون الأفراد في وضعية ثقافية أو اجتماعية غير محببة فيقومون بمقارنة بين الجماعتين بالاعتماد على بعض الخصائص الثقافية التي ترفع من قيمة هذه الجماعة. مثال : في الجزائر لا يوجد الوفرة ولا ساحة الحرية ... ولكنها بلاد غنية ببساط سكانها ورحابة صدورهم. يوضح بونبي 2001 ذلك من خلال شرحه بأن هذه الإستراتيجية المعرفية تساعد الفرد على إعادة التوازن المعرفي والتناسق مع هوية اجتماعية موجبة (A JUMAGELDINOV, op.cit ,pp 43-44). يجب أن نشير إلى أنه في الاستراتيجيات المعرفية لا يوجد تغيير اجتماعي حقيقي واضح واني ولكن تحدث تغييرات في التفكير خاص بجماعة الانتماء في إطار العلاقات بين الجماعات السائدة والمسودة، الأغلبية والأقلية مع ما يصاحب ذلك من آثار محتملة.

3.2 استراتيجيات الهوية عند طولبي:

يشير طولبي إلى أن معظم الدراسات التي تمت سابقاً تكلمت عن عملية بناء الهوية في مجتمعات كلاسيكية تتميز بالتجانس والوحدة الثقافية ، لذلك ظهر حديثاً تساؤل معقد متعلق ببناء الهوية في مجتمعات متعددة الثقافات ، وهذا ما يظهر في شكل صراعات وتقاطبات ثقافية ظهرت بشدة؛ على سبيل المثال؛ في عمليات تناقض وانسلاخ ثقافي عنيف في المجتمعات الحديثة الاستقلال مع ما صاحب

ذلك من صعوبات على مستوى بناء الهوية. مما دعى إلى تسليط الضوء على هذه الإشكالية والظاهرة بالدراسة والبحث.

تناول نورا لدين طوالي موضوع الهوية في المجتمعات المغاربية بالتركيز على عمليات البناء والتحويلات في الهوية في وضعيات التنافس التي تميز المجتمعات المغاربية الحديثة والاستراتيجيات المصاحبة لها، حيث يؤكد على أن ضغط الوضعيات التنافسية يجعل الأفراد أو الجماعات يعيدون النظر في قيمهم الشخصية والجماعية مما يخلق حالة من التنافس. هذه التغيرات في الهوية الأصلية تظهر في إطار المواجهة بين رموز ثقافية متعددة وتؤدي إلى ضغوط داخلية " أزمة في الهوية، إعادة النظر في الذات، " وكذلك خارجية " صراعات مع تمثيلات الهوية السائدة " (Colette SABATIER et al, 2002, p 70). إن حقيقة الهوية في وضعيات التعدد الثقافي تختلف تماما عنها في المجتمعات أحادية الثقافة. فبناء الهوية يعتمد بالأساس على وحدة المعنى في النماذج والمعايير والقيم السائدة في مجتمع ما في شكل مؤشرات هوية قوية وثابتة تجعل من بناء الهوية عملية متوازنة ومستمرة. بينما في وضعية التعدد الثقافي نجد أن هذه المؤشرات تتميز بالاختلاف والتعدد وحتى بالتناقض والتقاطب مما يجعلها تفقد قدراتها على بناء الهوية بشكل متوازن عند الفرد . هذا ما يجعل الفرد يعيش فراغا في الهوية مع مشاعر قلق وحصر ناتجة عن هذا التعارض بين الرسائل الثقافية من حوله. ففي وضعيات التعدد الثقافي؛ بحسب طوالي؛ يتجه الأفراد إلى استراتيجيات تفاوضية تسمح لهم بتنظيم صراعاتهم الداخلية والخارجية الناتجة عن هذه الوضعية . فما هي هذه الاستراتيجيات؟ :

أشار نوالدين طوالي في كتابه: " الهوية في الغرب العربي " إلى مجموعة من ردود الفعل النفسية الجماعية التي يتبعها الفرد في المجتمع المغاربي للتخفيف من شدة صراع القيم المميز لوضعية الأزمة الثقافية التي تميز هذه المجتمعات. لقد حددها في ثلاث مجموعات وهي:

1.3.2. الأولى تعتمد على ردات الفعل الأولية للأفراد في مقابل التقاطب ولجؤهم إلى الانطواء حول

أنفسهم ومعايير ثقافتهم المحلية: في وضعيات تهميشية ونهائية مثال ذلك: المحافظين الدينيين الذين يمثلون نسبة عالية من الشباب المغاربي، ويتميزون بدرجات من القلق والحصر النفسي الناتج عن غياب محددات ثقافية ثابتة وأمنة للهوية ، وهم أحسن مثال لهذه الوضعية الصراعية الثقافية وردة الفعل الدفاعية. تتميز هذه الإستراتيجية بأنها لا تساعد الأفراد على الحل النهائي للصراع بين التقليدي والحداثي. يفسر كاميليري ردة الفعل هذه بأن الأفراد يجدون في الدين والتقاليد السلاح الدفاعي الأول لمقاومة التهديدات المتتالية على الهوية والشخصية لديهم.

هذا الانطواء حول الشخصية الثقافية تم تشجيعه من طرف السياسات الحكومية المتعاقبة في البلدان المغاربية التي اتجهت إلى إعادة إحياء النماذج الثقافية التقليدية وتعريب التعليم وتشجيع كل المعايير والقيم الثقافة المحلية كردة فعل على الضغط الذي مارسته ثقافة المستعمر على هذه البلدان حتى

الاستقلال. وهذا ما يفسر عودة بعض الأفراد إلى ممارسة الشعائر وإحياء المقدمات بطرق عنيفة وجذرية في هذه المجتمعات بعد الاستقلال. لقد أشار العديد من الباحثين المغاربة (الأشرف و فيتوري 1980 لاروي 1973 طوالي 1984-1994) إلى الثنائية الثقافية التي أنتجتها السياسات الثقافية في هذه البلدان بعد الاستقلال. فبالموازاة مع الاتجاه إلى تدعيم أسس الثقافة المحلية وتشجيعها لأهمية إحياء الهوية المحلية للمجتمع. يظهر الاتجاه الحداثي في سياسات المسؤولين من خلال تشجيع تطوير المجتمع وإغراقه بالمفاهيم والمعايير الحداثية بهدف اللحاق والنهل من الركب الحداثي.

هذه الثنائية الثقافية جعلت الفرد يعيش التقاطب الثقافي ؛بحسب طوالي ؛ الذي يمنع ظهور نموذج اجتماعي موحد ومقبول اجتماعيا من طرف الجميع . فهذه الأزمة متعددة الجوانب التي تعيشها مختلف دول المغرب العربي تعبر عن فشل جميع السياسات الثقافية بعد الاستقلال لتكوين نموذج هوية مقبول من طرف الجميع. هذا ما يفسر الزيادة في التطرف في هذه المجتمعات وزيادة ظهور الاضطرابات والأمراض العقلية وانحراف الأطفال فسرت من طرف العديد من الباحثين على أنها ناتجة عن هذا التقاطب. (N. TOUALBI, op, cit, pp 42-44).

2. ردة الفعل الثانية تظهر في وضعية التوازن في التقاطب بين رغبات وسلوكات الفرد المتزامنة : تجاه هذه الوضعية الصراعية في القيم والمعاني . هذه الوضعية تساعد الفرد على خفض التوتر النفسي المصاحب لهذه الوضعية التقاطبية من خلال نوع من البريكولاج في معاييره التقليدية بواسطة استدخال بعض السلوكات والتصورات الحديثة. يساعد هذا التوازن التقاطبي أيضا على تنظيم الخط الثقافي من خلال ميكانيزمات نفسية تعمل على إبعاد الآثار المهددة للثقافة المحلية من خلال ثلاث سلوكات يحددها طوالي في (سلوكات الاختيار، السلوكات المتعاقبة ، السلوكات التفاضلية). (Ibid, p 47).

3. ردة الفعل الثالثة تتمثل في انفجار التمثلات الثقافية للفرد : يؤدي التعارض الداخلي في القيم إلى انفجار التمثلات الثقافية للفرد الذي لا يقدر على معايشة صدمة القيم. مثال ذلك: الأفراد الذين ينتقلون حديثا إلى المدينة المشبعة بالعوامل الثقافية نجدهم يعايشون تناقضا في هويتهم ولا يستطيعون أن يتموضعوا في وضعية ما. إن هذه الطبيعة التقاطبية قد تؤدي إلى ظهور بعض المظاهر السيكيوباتولوجية المتعلقة بإشكالية الهوية في هذه المجتمعات.

لقد قام كل من طالي 1979 وبوسبسي 1979 بدراسة (من خلال علم الأمراض النفسية) بعض ميكانيزمات فقدان الارتباط في الهوية الثقافية لدى بعض الحالات العيادية كالاكتئاب والميلانوخيا اللانمطي وعصاب القلق . خلصت دراساتهم إلى أن الصراع الثقافي لدى هذه الحالات (غالبا ما كان صراعا عنيفا ودراماتيكيًا) يضاعف كثيرا من إمكانية حدوث المرض والانتكاس المرضي. وهذا ما يتوافق مع نتائج أعمال دوركهايم حول الانتحار 1930 " الانتحار الاغترابي" بحيث ربط هذه الظاهرة بالطفرات الاجتماعية والاقتصادية في فرنسا في تلك السنوات. نفس ما أشار إليه بعد ذلك ديوهان 1952 من خلال تأكيده على أهمية أثر عملية التصنيع السريعة للعالم خلال النصف الأول من القرن العشرين على

الزيادة المعتمدة للذهانات الارتكاسية في فرنسا في حين أن نسبة الذهانات العضوية في نفس الفترة بقي محافظا على نسبته السابقة. من خلال هذه الأمثلة ، وغيرها، تؤكد على أهمية الثقافة وتغيراتها في تفسير عمليات بناء الهوية واضطراباتها. (Ibid, p 50).

أما بالنسبة للتعارض الخارجي : فيظهر بالأساس عندما تكون تمثيلات الفرد حول القضايا أو الأدوار أو سلوكيات اجتماعية ما تتعارض مع ما يتوقعه من الجماعة والمجتمع الذي يفرض عليه نماذج ثقافية ما لا تلبي متطلباته. هنا يظهر الصراع في شكله الكلاسيكي في وضعيات الخط والتحيين الثقافي : كصراع الأجيال بين الرغبات الحداثية للشباب في مقابل متطلبات التقليدية من طرف الآباء.

ولكي يتجاوز الأفراد هذا الصراع المعاش باستمرار يمكن أن يلجؤا إلى التجنب والابتعاد عن الوضعيات الصراعية في شكلها السلبي من التهميش والاجتناب التي قد تتطور إلى حالات من الاكتئاب أو الثورة على هذه الوضعية بعنف قد يصل حتى إلى حد الانحراف والجريمة. يظهر هذا الصراع بشدة لدى الطبقات الوسطى والعليا في المجتمع والتي لا تتقبل بالضرورة التجذر الكلي في الثقافة المحلية بحيث لا يتمسكون إلا بالشكل العام لها نتيجة لإحساسهم الأخلاقي بضرورة احترام هذه التقاليد، في مقابل الطبقة الشعبية التي ترتبط ارتباطا وثيقا في الشكل والمضمون مع هذه الثقافة.

تتميز المجتمعات الجزائرية التقليدية بمجموعة من الخصائص النابعة من الاتجاه الديني المحافظ الذي ينظم بطريقة صارمة بعض المظاهر الثقافية المتعلقة بالعلاقات الزوجية والأسرية والدينية ... فالكلام عن الحرية الجنسية وعن العذرية أو عدم القبول بالزواج الدموي... يقابل بتعصب ديني وعرفي من طرف بعض الأفراد في مجتمع يبحث بشجاعة ولو بطريقة مؤلمة عن ولوج الحداثة والعصرنة. (Ibid, p 52).

4.2 التغيير الاجتماعي من خلال استراتيجيات الهوية :

في وضعيات التغيير الاجتماعي السريع، يقع الفرد فريسة الغموض بعيدا عن الطقوس ومعايير الحياة الاجتماعية السابقة مع انطباع عن غياب كلي أو جزئي للتنظيم الاجتماعي المرجعي. تتميز هذه الوضعية باللامان واللاتوازن. (E.MARC, op.cit, p 100).

يحدث التغيير بحسب تاجفل Tajfel نتيجة لنظام التقييم والتقدير الاجتماعي أي يقوم الفرد بتقييم حول هويته. فالهوية الاجتماعية تعرف بحسبه على أنها : " معرفة الفرد لانتمائه إلى جماعة ما وبالمعاني الانفعالية والتقديرية الناتجة عن هذا الانتماء". (N. BELKAID ,op.cit ,p 42). فمن خلال هذه العمليات التقديرية للهوية بالمقارنة الاجتماعية تتحقق الهوية الاجتماعية في صورتها الموجبة ، فالقيم ليست ثابتة ولكنها متعلقة بالوضعيات التفاعلية وبالجماعة؛ انطلاقا من قول تاجفل نجد أن الأفراد يهدفون إلى تحقيق وزيادة تقدير الذات لديهم من خلال الجماعة ، فإذا كانت هويتهم غير كافية فإنهم سيحاولون جعل هذه الجماعة ايجابية أو يغادرونها إلى جماعة أخرى أكثر ايجابية ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال مجموعتين من الاستراتيجيات هما :

* الاستراتيجيات الفردية: تظهر عندما تغيب الحلول في الجماعة ، نذكر منها الحركية الاجتماعية من خلال تخلي الأفراد عن جماعتهم لصالح جماعة أخرى أكثر تقديرا وقيمة وهذا ليقوي الخصائص الايجابية لهويته.

* الاستراتيجيات الجماعية: لكن إذا لمس الفرد قابلية من جماعته الأصلية للتغير فانه سيحاول جعل قيم هذه الجماعة أكثر ايجابية بمشاركة جميع عناصر جماعة الانتماء. نسمي هذه الاستراتيجيات بالاستراتيجيات الجماعية حيث يقوم الفرد : (Ibid ,p 43).

- إعادة تفسير أكثر قبولاً لخصائص الجماعة المحلية.
- خلق وضعيات وأبعاد جديدة للمقارنة التي تحقق مكاسب أعمق .
- الإعلان عن تفوقه على الخصائص القديمة المميزة للجماعة الخارجية من خلال عمليات التنافس الاجتماعي .

عموما يمكننا أن نعرف التغير على أنه عملية انقطاع بين الفرد ومحيطه الاجتماعي بحيث يطور الفرد سلوكات ووضعيات من خلال إدراكه الذاتي لهذه الحقيقة الاجتماعية الجديدة.

3. تصنيفات وأنواع الهوية:

هناك العديد من التصنيفات لمستويات الهوية، والملاحظ وجود اتفاق كبير بين الباحثين في هذه التصنيفات وهو ما سنوضحه في التصنيفات التالية:

1.3 تصنيف الكيس ميكشيللي Mucchielli:

1.1.3. الهوية المادية وتشتمل على:

- المرفولوجيا : السمات الفيزيائية.
- الملكية: موضوعات وأشخاص وخصوصيات مختلفة.
- التنظيم: بنية الأشياء وتناسقها.
- 2.1.3. الهوية الخاصة وتتطوي على:
- الأصول والماضي: الولادة / التاريخ الخاص وآثاره
- الوضعية الحالية: الاسم/ موقع الشخص من الآخرين/السلطات/الواجبات.
- نظام القيم والسلوك الخاص: السمات والسلوك الخاص/المثيرات /الاهتمامات.
- القدرات الخاصة: الكفاءات/النتائج/النشاطات.

3.1.3. الهوية الاجتماعية وتتضمن:

- صورة الهوية في منظور الآخرين: النماذج/آراء الآخرين
- الانتماء:الجماعات الإثنية/جماعات الانتماء (عمر،جنس،مهنة،رياضة،نشاطات)

• الرموز والإشارات الخارجية: كل ما يمكن له أن يأخذ مكانا في إطار التسلسل الاجتماعي. (الكيس ميكشيللي، 1993، ص 21).

نلاحظ أن التصنيف ينتقل بالهوية من المستوى الظاهري الملموس والذي يتخذ غالبا معيارا للتصنيف (أنا ، نحن / الآخر، الآخرون) خاصة عند العامة، في حين أن الهوية الخاصة حسب هذا التصنيف لها تعلق بسيرة الفرد، أو بشكل آخر الهوية الخاصة هي نمط حياة الفرد بعيدا عن أحكام الآخر سواء بالقبول أو الرفض وهو ما يميز الهوية الاجتماعية حيث تركز على الجماعة لا على الفرد، فهي تصف الجماعة لتميزها عن غيرها، وهنا نتحدث عن الاحتواء والاستبعاد كآلية للجماعة ردا على بحث الفرد عن الانتماء.

2.3. تصنيف Erikson: (E.H.Erikson, 1986, P43-46)

- الهوية الإيجابية: الصورة المقبولة من النماذج السلوكية التي يواجهها الفرد أثناء تفاعله مع محيطه، والتي باكتسابها وتشربها يلقي ترحيبا و دعما.

- الهوية السلبية: تتشكل الهوية السلبية في نفس الوقت الذي تتشكل فيه الهوية الإيجابية، وتقوم أساسا على الرفض الاصطفائي لجملة السمات التي ينبغي تجنبها.

يستند التصنيف السابق للهوية على تمثلات صورية للنماذج السلوكية الناشئة عن تفاعل الفرد مع بيئته، فالفرد أمام صورتين : صورة مقبولة تحمي الهوية، وصورة مستهجنة تضر بالهوية، وبالتالي يجد الفرد نفسه أمام نموذجين متضادين لتوجيه السلوك.

3.3 التصنيف المقترح في الدراسة:

قد تكون الهوية ذات طبيعة متعددة، تتكيف مع ظروف المحيط وتغيرات المجتمع بحيث يقوم الفرد في كل حالة ببناء هوية وضعية خاصة بالوضعية التي يتواجد فيها، وهذا ما يفسر إحساس الفرد بالتغير في شخصيته عبر الزمن. نميز ثلاث أنواع للهوية هي:

1.3.3 الهوية الفردية:

تعرف الهوية الفردية في علم النفس الاجتماعي على أنها عملية نفسية من تمثلات الذات معبر عنها بواسطة الشعور بالوجود باستمرار في شكل فردي ومعترف به من طرف الآخر. فالهوية الفردية بحسب فيشر 1996: " هي مجموعة من الخصائص التي يعتبرها الفرد خاصة به والتي يعطيها قيمة نفسواجتماعية وانفعالية" (A JUMAGELDINOV, op.cit, p 20). ترتبط بالأساس بالشعور بالذات كوحدة فردية تتميز بالثبات والوحدة . يعرفها تاب 1980 TAP بأنها : " تعني الإحساس بالهوية إي إدراك الفرد لنفسه كما هي ومماثلة لنفسه، بمعنى عام يكون الفرد مماثلا لنظام الأحاسيس وتمثلات الذات التي يتميز ويتفرد بها". (E.MARC, op.cit, p 122). و يضيف أيضا على أنها : " نظام ديناميكي من المشاعر المحورية والتمثلات التي من خلالها يوجه العنصر الاجتماعي الفرد أو الجماعة سلوكاته وينظم مشاريعه ويبني تاريخه ويبحث عن حل للتعارض ويتجاوز الصراعات من خلال مختلف المحددات المرتبطة

بشروط حياته وعلاقات السلطة التي يتواجد بها في علاقات ثابتة مع الآخر" (R. BUREAU et al, 1989, p 319). كما يعرفها نورالدين طوالبي على أنها: "مجموع التمثلات ومشاعر المعرفة والذكريات مع المشاريع المتعلقة بالذات". (N. TOUALBI, op.cit,p 22).

يركز اليكس ميكشيللي في دراسته للهوية الفردية على أن النظام المعرفي الذي يختص به الفرد هو أساس بناء الهوية الفردية فهو بحسبه يمثل نواة الهوية الفردية. فالنظام المعرفي يعتبر نظيرا للنظام الثقافي ونظام الذهنية الموجودان في المجتمع. يشمل النظام المعرفي مجموع النشاطات المعرفية والعمليات الداخلية التي هي أداة الحياة النفسية في تنظيم كل المعارف والمعلومات المتاحة في سياق معرفي متكامل. وهي معلومات من أنواع مختلفة داخلية وخارجية، المعلومات الداخلية تتمثل في أحاسيس جسدية ومشاعر داخلية وتفكير وتأمل، والمعلومات الخارجة مثل الأحاسيس والتصورات والمعلومات المختلفة. وهناك جانب من هذه المعرفة ينطلق من ذاته ويشكل مصدرا للشعور بالهوية الشخصية. لقد شكل النظام المعرفي موضوعا باشره علماء النفس بالدراسة والتحليل، وأصبح ينظر إليه الآن بوصفه نظاما عاطفيا إدراكيا وسلوكيا، أي بوصفه بنية أساسية للشخصية تنطلق منها كل فعاليات الفرد ونشاطاته، وتتطوي هذه الرؤية على تصورات ميدانية ثقافية خاصة بالشخصية، ومن خواص هذه الرؤية أنها تتطوي على عنصر البساطة والتكامل والأهمية وعلى جانب أكيد من الواقعية. يتكون النظام المعرفي للفرد من خلال مختلف التجارب الانفعالية الوجودية التي يعايشها الفرد خلال مختلف مراحل حياته وما تتركه من آثار على بنيته النفسية وعلى ادراكاته المستقبلية للعالم والتي تدخل في تحديد سلوكياته. كما أن للظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بالفرد اثر واضح في تكوين هذا النظام وتحديد مسار نمو شخصية الفرد واتجاهاته.

يشكل النظام المعرفي بالتضافر مع النظام الثقافي ونظام الذهنية في إطار تكاملهم البواعث الحقيقية لنمو الهوية بوصفها مصدرا للمعرفة والتنظيم وإصدار الأحكام التي تساعد الفرد على معرفة نفسه بنفسه، وهذا يعني أن الأنظمة المعنية تشكل مصدر الشعور بالذات وإدراك مكوناتها مثل: الشعور بالوجود والانتماء والاختلاف عن الآخر والشعور بالقيمة والاستقلال وتقدير الذات. وتقوم هذه الأنظمة في نهاية الأمر بتوجيه تجارب الفرد مهما يكن نوع هذه التجارب والعمل على تحقيق تكاملها، وانطلاقا من ذلك فإنها تكشف جذور الهوية الفردية وتشير إليها. (اليكس ميكشيللي، مرجع سابق، ص ص 42- 51) فالهوية إذن هي نظام ديناميكي للقيم ولتمثلات العالم ولأحاسيس النابعة من الخبرات السابقة والمشاريع المستقبلية المتعلقة بالذات، فهي ارتباط فريد بين السمات الشخصية والمكتسبات الخاصة التي تجعل من كل فرد فردا مختلفا عن الآخرين. كما تحتوي الهوية الشخصية عناصر نابعة من الأدوار الاجتماعية والانتماء إلى الجماعات بالإضافة إلى القيم المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية والتاريخ الشخصي للفرد، كلها تشارك في تحقيق وحدة لهوية الفرد واختلافها عن الآخر. فهي تخص الناحية الفردية للشخص، وتشمل

الأبعاد الثلاثة للإنسان وهي: الجسم والروح والنفس، وتتعكس ماديا تبعا للتنظيم القانوني العالمي في بطاقة الهوية أو جواز السفر أو أي شهادة تثبت وجوده. (إسماعيل رابحي، مرجع سابق، ص 46). كما أنها المحصلة لمختلف المعاني التي يرسمها الفرد عن ذاته انطلاقا من خبراته البيوغرافية واللحظية والتي ينطلق منها في إقامة علاقات تفاعلية مع الآخر على انه ذات مختلفة عنه للقيام بأفعاله وبناء إستراتيجيته الخاصة هذا لأننا في دراستنا للهوية انتقلنا من وحدة التحليل الكلية إلى الفرد المتعدد ، لأن الفرد المتعدد أصبح منتج مجالات تفاعل متعدد ومتنوعة وبالتالي الانسجام في هذه الوحدة لا يأتي من خارج الفرد وخارج هويته بل يأتي من قدرة الفرد على اختيار المعاني والتفاعلات التي تحقق له هذه الوحدة وهذا الانسجام في الذات.

2.3.3 الهوية الاجتماعية: بحسب التعاريف الأكثر انتشارا ، الهوية الاجتماعية ترتبط بانتماء الفرد إلى صنف بيوسيكولوجي (الجنس أو السن) و إلى مجتمعات ذات مميزات ثقافية واجتماعية (عرقية أو قطاعية أو وطنية أو مهنية...) ، أو يقوم بأدوار ومكانة اجتماعية (أسرية أو مهنية أو مؤسساتية) أو الانتماء الايديولوجي (مذهبية أو سياسية أو فلسفية...) . تتميز هذه الجماعات المرجعية أو جماعات الانتماء بنماذج مثالية وتمثلات وأحاسيس مميزة لبعض مناطق الشعور بالذات. يشير لينسكي 1990Lipiansky وكول Coll الى أن ظهور مصطلح الهوية الاجتماعية يعود بالأساس إلى مجموع البحوث التي تناولت بالدراسة الطبقات العمالية والأقليات الاثنية من خلال دراسة علاقات القوة " السائد والمسود" مما سلط الضوء على عملية استلاب الهوية الفردية مع إحساس بوضعية من التهميش الاجتماعي . (N. TOUALBI, op.cit ,p 22)

يركز العديد من الباحثين في موضوع الهوية الاجتماعية على مفهوم الانتماء في تعريفهم للهوية الاجتماعية حيث يعرفها لوكوير L'Ecuyer بأنها: "الشعور بالانتماء الى جماعة اجتماعية ما" ، (Ibid,p 22). كما يشير تاجفل Tajfel في نفس السياق إلى أن : " الهوية الاجتماعية للفرد ترتبط بانتمائه إلى بعض الجماعات الاجتماعية وبالمعاني الانفعالية والتقديرية الناتجة عن هذا الانتماء" (E.MARC ,op.cit ,p 122). فمن خلال هذه العمليات التقديرية للهوية بالمقارنة الاجتماعية تتحقق الهوية الاجتماعية في صورتها الموجبة ، فالقيم ليست ثابتة ولكنها متعلقة بالوضعية التفاعلية وبالجماعة. يعتبر تاجفل 1972 أول من تكلم عن الهوية الاجتماعية بشكلها الحالي ثم حاول بعده العديد من الباحثين الانتقال بالهوية من التركيب الفردي المطلق إلى تركيب نفسي يحقق العلاقة الفرد- الجماعة في إطار المحددات الاجتماعية والثقافية المنظمة لهذا البناء . يشير تاجفل إلى دور التنشئة الاجتماعية في بناء الهوية الاجتماعية من خلال قوله: " تعرف الهوية الاجتماعية من خلال تأثيرات التصنيفات الاجتماعية التي تقسم المحيط الاجتماعي الذي يحيط بالفرد بحيث تظهر له جماعته الخاصة واضحة في مقابل الجماعات الأخرى. فهو يمثل نظام من الاتجاهات التي تخلق وتعرف المكانة الأساسية للفرد في مجتمعه.

بحيث نجد في كل ثقافة مجموعة من التصنيفات والجماعات والأدوار الاجتماعية والإيديولوجيات تحدد أنماط ذات قيمة وصور مرجعية تمثل نماذج خاصة بهوية الفرد. توفر هذه النماذج دعامة محتوى الهوية الاجتماعية التي تمثل من جهة هوية الذات (معاش ذاتي) وهوية الآخر (كخصائص تساعد على معرفة الفرد من الخارج). كما تخص الهوية الاجتماعية فعل الانتماء/ الاحتواء بين الفرد والجماعة مهما كان حجمها أو قوتها أو انتشارها ، وتأخذ هذه الهوية مستويات جزئية تبعا للقرابة الدموية أو اللغوية أو الجغرافية من جهة ، وتبعا لطابع الرسمية من اللارسمية من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة تبعا لطابع القانونية من اللاقانونية إلخ (إسماعيل رابحي، مرجع سابق، ص 46).

إذا اعتبرنا أن الهوية الفردية مترتبة بالأساس بالشعور بالذات كوحدة فردية تتميز بالثبات والوحدة فإن الهوية الاجتماعية يمكن اعتبارها منطقة من مناطق الهوية الشخصية كما يمكن أن نجد أن كلا الهويتين تتقاطعين في الشخصية. تتم دراسة الهوية الاجتماعية وتحليلها بالأخص في علم النفس الاجتماعي بينما تتم دراسة الهوية الفردية بواسطة علم النفس الوراثي والإكلينيكي والتفاضلي. وعلى العموم تعني الهوية الاجتماعية تمثالات الذات التي يحاول الفرد تقديمها في التفاعلات التي يشارك فيها. هذه التمثالات يجب أن تلقى قبول من الآخر ومن النماذج الثقافية والاجتماعية . بهذا نجد أن الهوية الاجتماعية تأخذ العديد من الأوجه باختلاف الأدوار الاجتماعية والوضعيات التفاعلية التي يشارك فيها الفرد.

3.3. الهويات الجماعية:

إن من الصحيح أن كل فرد يبني هويته ويجعلها بسيطة بطريقة شخصية في تفاعله مع الآخرين، يظهر ذلك خلال تفاعله مع محيطه من خلال أنه رجل أو امرأة، شاب أو راشد، غني أو فقير، ساكن بالريف أو بالمدينة... لكن الفرد لا يعيش منعزلا لوحده ، لذلك ليعيش ويلبي حاجاته يجب أن ينتمي إلى جماعة من الأفراد ويدخل معهم في علاقات اجتماعية ليحقق معهم بعض الأهداف المشتركة . تتزايد هذه الحاجة في عصرنا الحالي في ظل العولمة مع زوال الحدود ما جعل الاهتمام بالهويات الجماعية أكثر من ضرورة.

إن الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والجغرافية والسياسية تركز عموما على المظاهر الجماعية لبناء الهوية . لذلك نجد المختصين في العلوم الاجتماعية يتكلمون عن الهويات بحسب مجال التناول: الهويات السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الوطنية أو الاثنية ... الخ كما يمكن أن نتكلم عن الهوية الثقافية والاجتماعية والثقافية أو اللغوية الاجتماعية أو الوطنية... الخ.

تحدد الهويات الجماعية في إطار تنظيم متكامل، وتمثل وحدة تشتمل على عناصر متقاربة ومتكاملة لتشكل عبر ذلك كله حقيقة اجتماعية تتطوي على مجموعة من العناصر التالية:(البيئة الحيوية، التاريخ، الديموغرافيا، النشاطات، التنظيم الاجتماعي، الذهنيات الجمعية). هذه الأخيرة -الذهنيات الجمعية- تعتبر من اللبنات الأساسية لكل بناء للهوية الجماعية بحيث يمكن إرجاع السمات الأساسية الخاصة بتعريف الذهنية الجمعية إلى نسق المعلومات الأخرى ، ويشتمل ذلك على تحليل لمحتوى كل أشكال التعبير الجمعي الذي يسمح بتعريف العناصر البنائية للعقلية، مما يسمح بتفسير الرموز ومعايير السلوك ، كما

يسمح بمعرفة النماذج المضادة والتصورات الجمعية، وأنظمة الآراء والعقائد والاتجاهات نحو المسائل المعقدة، أخيراً يشتمل هذا المستوى على تقويم ذاتي للفردات الخاصة (وهو ما يشكل جزءاً من صورة الذات). وفقاً لهذه المعايير والعناصر المختلفة يمكن تحديد الاتجاه العام للذهنية الجمعية، وهي العناصر التي تنظم إلى حد كبير بين مجموعة من الأنشطة الأخرى وتمنحها دلالتها ومعناها، إذ تنتظم حياة الجماعة حول نشاطات أساسية وحول اهتمامات مركزية وتصورات مغلقة، كما تنتظم حول أنماط الحياة الخاصة المطلوبة والتي تتوافق مع الأسس المرجعية التي تتبناها. انطلاقاً من ذلك كله، يتبين كيف تشكل أسس الهوية (العناصر المرجعية) أنظمة إدراكية وتقويمية، وتنعكس كصدى للحياة والسلوكيات الجمعية، هذه الأنظمة تتجسد في بنى سيكولوجية ثقافية يتشربها الأفراد داخل الجماعة. (اليكس ميكشيليلي، مرجع سابق، ص ص 22-26).

نسجل تباين التفسير الذي يعود إلى منطق تباين الذهنيات، فعندما يظهر حدث ما فإن الناس يرون فيه أشياء مختلفة لعملية السخرية من مقدسات الآخرين تعتبر اهانة وشيء مستهجن من طرف البعض في حين تعتبر حرية تعبير من طرف البعض الآخر، إذن يتدخل النظام المرجعي للذهنية على نحو دائم كشبكة لتحليل رمزية العالم، وكنظام من المعلومات يؤدي دوراً تفسيريًا، وتعرف هذه الوظيفة من خلال دراسة إيديولوجيات الجماعة، وذلك لأن الإيديولوجية تقدم تفسيراً دائماً للأحداث وذلك في إطار نظامها الخاص ومهما تكن صورة الذهنية كنظام منطقي أو نظام مرجعي أو نظام للتصورات أو مصدر لتفسير العالم أو مصدر للتعبيرات الخاصة بالجماعة فإنها في نهاية الأمر تشكل نواة الهوية الجماعية. (اليكس نفس المرجع، ص ص 40-41).

عموماً فإننا سنركز في هذه العجالة بالتناول على ثلاث أنواع من الهويات الجماعية الأكثر دراسة من طرف المختصين وهي: الثقافية والاثنية والوطنية.

• 1.3.3. الهوية الثقافية:

يمكننا تعريف الهوية الثقافية بطريقة بسيطة جداً بأنها العملية التي من خلالها تشترك جماعة من الأفراد في طريقة فهمهم وتعاملهم مع المحيط، يؤثرون فيه ويناقشون أفكاره ونماذجهم المقترحة ويشعرون بأن أفراد جماعات أخرى يتعاملون ويتواصلون بطرق مختلفة عن طرقهم. فالشعور بالهوية الثقافية يظهر عندما يتفاعل الفرد مع الآخر الذي يختلف معه في الأفكار والاتجاهات والثقافة. فالهوية ظاهرة متعددة الأبعاد غالباً ما تحدد بالانتماء الثقافي، فهي تتكون في مركز عمليات نجد الذات فيها تترواح بين عدة أنظمة قيمية ولغوية ودينية...، بحيث نجد الفرد في الأخير يحمل مجموعة من المعايير والقيم النابعة من ثقافة واتجاهات جماعته المرجعية.

يعرف سليم عبو 1986 S.Abou الهوية الثقافية بأنها: "التماهي بجماعة أو مجموعة من الجماعات المحددة للثقافة التي تستمد أصولها من الهوية الاثنية". (A JUMAGELDINOV, op.cit, p 25). فالهوية الثقافية تعني مجموعة من العناصر الثقافية التي من خلالها يعرف الفرد أو جماعة ما تتميز بأصالتها

وتختلف عن الجماعات الإنسانية الأخرى أو عن المجتمعات الأخرى. والمقصود بالهوية الثقافية أيضا تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب التي تحدد كياناتهم الشخصي الروحي والمادي في تفاعل مستمر لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى. (زغو محمد، 2010، ص 94). بهذا فإن مصطلح الهوية الثقافية يسمح بوصف بعض السمات والخصائص والوظائف والسلوكيات الفردية والجماعية التي يعتبرها نهائية ومرتبطة بالأفراد الحاملين لهذه الهوية . فبالانتماء البسيط إلى جماعة ما يمتلك الفرد الحق في استدخال الرأسمال الثقافي لهذه الجماعة الذي يوحد بين أفرادها من خلال توريثه لأفراده الاجتماعيين.

يركز اليكس ميكشيللي في دراسته للهوية الثقافية على أن النظام الثقافي السائد في المجتمع هو أساس بناء الهوية الثقافية لدى الفرد فهو بحسبه يمثل نواة الهوية الثقافية. يمثل هذا النظام بنية من التصورات والتفسيرات الخاصة بادرار العالم ، وهو يحتوي على شبكة إدراكية تتضمن معايير ونماذج و رموز ثقافية. فكل ما يملكه الفرد (ثياب، منزل، سيارة،...) وحتى علاقاته (الخاصة، العامة) ومعارفه وسلوكياته تخضع لتقييم الآخرين الذين ينتمون إلى ثقافته، وهي أشياء تتيح لهم تصنيفه داخل السلم الاجتماعي لمجتمعه. وبالتالي فإن درجة الاتفاق على تحديد المعايير المشتركة للتقييم تزداد كلما كان المجتمع متماسكا والعكس صحيح. مثلا تتخذ الملابس كمؤشر دقيق يحدد الانتماء المهني، وقد تدل أيضا على المستوى الاجتماعي .

يتضمن النظام الثقافي سلسلة من الصور والأفكار المشتركة بين أفراد الجماعة، وبالتالي فإن النماذج الثقافية لا تعدو أن تكون غير صور منظمة متكاملة رسمت وتشكلت تحت تأثير الفرن الثقافي (عملية الانصهار) الخاص بالجماعات الثقافية الاجتماعية لثقافتنا، فهناك نماذج للوطني وللتقدمي وللأصولي... الخ ، هذه النماذج تشكلت تحت تأثير التربية ممثلة بتأثير المدرسة و الأبوين ووسائل الإعلام، فالوطني هو شخص كرس نفسه لصراع القوى المعادية . وهو ينطلق من مثالية تبرهن على احترام كبير للنظام وعن إخلاص وحب مطلقين للبلاد.

تشكل العمليات التفاعلية الخاصة بالمراقبة الاجتماعية المنطلق العام لعملية تمثل الأفراد للمعطيات المعيارية الخاصة بالنظام الثقافي حيث يرى كل من فروم وهورني وهزنارد Fromm. Horney. Hesnard أن الطفل يمثل ويخضع من أجل تجنب القلق الذي يكون نتاجا للخوف من القطيعة مع روابطه وعلاقاته الأولية، ويشير ذلك الخوف إلى تمثل الطفل للقواعد الاجتماعية على نحو جيد. ويعتقد كاردينر Kardiner أن الهوية (سواء على المستوى الشخصي أو الفردي أو الثقافي) نظام من الفعل وعمليات التكيف مع الوسط الذي يحيط بالفرد، وهو الذي يشكل المصدر الأساسي للقلق الذي يجب على الفرد تجنبه ودفعه عن نفسه، فالفرد كما هو الحال بالنسبة للجماعة الثقافية يبذل جهودا للتكيف مع المخاطر التي تواجهه وذلك لخفض درجة قلقه وتوتره. (اليكس ميكشيللي، مرجع سابق، ص ص 30-37).

نخلص في الأخير إلى أنه وفي إطار مجتمع ما، وفي مواجهة الوسط الذي يتطور بوتيرة منخفضة فإن جهد التكيف والخفض الخاص بالقلق يتبدد شيئاً فشيئاً وبأخذ أشكالاً روتينية منظمة وفقاً لأنماط سلوكية دائمة في صورة نظام وهو نظام من التفكير والسلوك يتجسد كنظام أمني يتضمن وجود العقائد وأنماط السلوك في حالة تكامل يشترك فيها معظم أفراد المجتمع.

• 2.3.3. الهوية الاثنية :

تعرف الهوية الاثنية في علم النفس الاجتماعي على أنها نوع من التصنيفات الاجتماعية ، فهي تحديد ذاتي فردي أو جماعي يعتمد على الشعور بالانتماء . تظهر في شكل سلسلة من الخصائص تاريخياً متعارضة مع صنف أنساني آخر تكونت بنفس الطريقة . عموماً يمكننا تعريف الهوية الاثنية بأنها " الشعور بالانتماء إلى جماعة تتفرد بمجموعة من الممارسات الثقافية الخاصة بها ، ويظهر هذا الشعور في المقاومات التي تظهرها الجماعة ضد كل محاولة لاختراقها بواسطة جماعة أخرى مختلفة تماماً عنها". (A JUMAGELDINOV, op. cit ,p 31).

يحدد العديد من الباحثين أربعة مكونات أساسية في تكوين الهوية الاثنية. وهي:

- التصنيف المكتسب: attribution categorielle ينتج من خلال التصنيف الذي تحدد الآخر لهذه الجماعة ومجموع التماهيات لجماعة ما.
- الحدود : وهي الحدود التي تريها الجماعة الاثنية لأفرادها لكي يتميزوا عن الأفراد الآخرين.
- الأصل المشترك: اللغة والموقع والدين واللون كل هذه الأمثلة تشرح مصطلح الأصل المشترك.
- خاصية البروز : وهي إظهار الفرد لبعض الخصائص هويته الاثنية مثل : الحجاب والقميص واللباس الخاص بالرومان (Ibid , p 31).

تجدد بنا الإشارة إلى أن الهوية الاثنية هي ملتقى الهويات في مجتمعات متعددة الثقافات بمعنى أنه بإمكاننا التخفيف من شدة الاختلاف الثقافي في مجتمع ما بإعطاء قيمة أكبر للهوية الاثنية أو الوطنية. يشير ديفرو G. Devereux 1972 من خلال الاتجاه الايثنوالتحليلي النفسي إلى أن البعد الاثني في الهوية يرتبط بظاهرة النرجسية، هذا الارتباط بين الهوية والنرجسية يظهر في جعل الصور الأبوية والنماذج الثقافية للجماعات المحلية مثالية مع الحط من قيمة الصور والنماذج الممثلة للجماعات الأخرى. ويؤكد ذلك فرويد من خلال قوله: " إن الإشباع الذي يحققه هذا النموذج المثالي للمشاركين في حضارة ما هو ذو طبيعة نرجسية ، فهو يركز على النشوة الناتجة عن الفعل المحقق بنجاح ، ولكي يكتمل هذا الإشباع فإن كل حضارة ستدخل في مقارنات مع ثقافات أخرى. (Ibid , p 31).

لا تظهر الهوية الاثنية إلى السطح إلا في الوضعيات الاشكالية في مقابل الآخر، ويدعم سليم عبو 1986-1981 ذلك من خلال إشارته إلى أن إشكالية الهوية الاثنية لا تظهر إلا عندما تدخل الجماعة الاثنية في تفاعل مع جماعات أخرى، وكذا تفاعل بين الأنظمة الثقافية لهاتين الجماعتين. فالهوية الاثنية هي عملية تتميز بثلاث خصائص ثقافية أساسية ترمز إلى الانتماء الاثني وهي: اللغة والدين والعرق.

فاللغة هي الوسيلة التي يعبر من خلالها الفرد عن ثقافته ويحاول نشرها ونقلها للأجيال المقبلة. أما الدين فهو جزء أساسي في الثقافة اما العرق يمثل رمزيا إلى الأصل المشترك بين أفراد الجماعة.

مع ظهور وتطور الدول الوطنية ، تنظمت العديد من الجماعات الإنسانية وتوحدت فيما بينها سواء باللغة او الثقافة أو الرقعة الجغرافية أو التاريخ المشترك أو الدين أو مجموعة من العناصر السابقة تحت نظام حكم موحد يضمن للجميع مجموعة من الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للحفاظ على سيطرته واستمرارية حكمه. لكن سيادة العلاقات اللامساوية بين مكونات مجتمع ما من خلال سيادة نظام ثقافي ما على الأنظمة الثقافية الأخرى في مجتمع متعدد الثقافات والاثنيات يؤدي بالضرورة إلى ظهور المطالبة بالهوية الاثنية كردة فعل للإحساس بالنقص والدونية واللامساواة في العلاقات الاجتماعية في الدولة الوطنية. ومثال ذلك المطالب الامازيغية بدسترة والاعتراف بالهوية واللغة الامازيغية.

ترتبط الهوية الاثنية عموما بالهوية الوطنية التي تعني الانتماء إلى شعب محكوم بحكومة وطنية لها حقوق وواجبات الدفاع عن الحدود الإقليمية لوطنه، فمفهوم الهوية الوطنية حديث ظهر بظهور الدولة الحديثة والإيديولوجية الوطنية. لذلك نجد أن الدولة الوطنية والمواطنة ساعدت الدول على توحيد جماعات مختلفة اجتماعيا حول موضوع المواطنة والمصير المشترك مع جميع أفراد الجماعات الأخرى.

في المجتمعات المتعدد الثقافات أو اللغات نجد أن الهوية الوطنية قائمة على مفهوم الوحدة مثل الهوية الجزائرية تجمع في طياتها بعض الهويات الاثنية كالبائلية والميزابية والشاوية والعربية والتارقية ... التي تتقاسم جميعها الهوية الوطنية الجزائرية.

• 3.3.3. الهوية الوطنية:

تمثل الهوية الوطنية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمتة، بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركا لمقومات ذاتية أمتة التي هي ذات الوقت عوامل تمايزها إزاء غيرها من الأمم، وأن يسعى دوماً إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانحيار، إلى جانب اعتزاز الفرد برموز أمتة وإجلالها واحترامها والولاء لها. و تتمثل أبرز مقومات الهوية الوطنية في الدين، واللغة، والسلالة، والتاريخ، في حين يشكل العلم أحد أهم رموز الهوية.

وهناك من يعرفها بأنها مجموعة من الخصائص والمميزات العقدية والأخلاقية والثقافية والرمزية التي ينفرد بها شعب من الشعوب وأمة من الأمم. مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وتستند إلى مسلمة ثقافية عامة مرتبطة تاريخيا بتنمية اجتماعية وسياسية واقتصادية لمجتمع معين. (بلغيت سلطان، مرجع سابق، ص 351).

تمارس الدولة وظائفها في مجتمع إنساني له ثقافته وهويته وقيمه وأفكاره ومؤسساته المختلفة فالدولة الوطنية القائمة على المؤسسات التي يحقق الفرد من خلالها لذاته ويشبع حاجاته ويشعر بالانتماء بفضل تجسيد مفهوم المواطنة التي تمثل الإطار الذي يمكنه من استيعاب كل الخصوصيات الثقافية.

ولذلك فإن إقامة الدولة الوطنية التي تجعل الهوية الوطنية تغطي على كل الخصوصيات الثقافية بل إنها تصبح ثراء للهوية، فبقدر ما تعزز مفهوم الانا كذات فردية تتمتع بحقوقها وتمارس خياراتها بحرية، فإنها في ذات الوقت تدعم انتماءات الفرد للفضاءات الاجتماعية المختلفة بما في ذلك الفضاء الشامل المتمثل في الوطن مما يقوي من مفهوم "نحن". فالبحث في الدولة وفهم مشكلاتها يشكلان المدخل الرئيسي لتحليل وفهم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري. وعلى وجه العموم، فإن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية المميزة لأفراد هذه الأمة طابعاً تتميز به عن الشخصيات الأخرى.

في الأخير نشير إلى أن الوضعية الثقافية المميزة للمجتمعات المعاصرة دفعت الكثير من الباحثين إلى الإشارة إلى مصطلح جديدة مميز للهوية يعبر إلى حد بعيد عن التضارب الكبير الذي يعايشه الفرد في بناء هويته في وضعيات تعدد المرجعيات سماه نورالدين طوالي **بالهوية المتعددة المرجعيات**: ففي شرحه لهذا المصطلح أشار إلى أن الهوية تمثل المرحلة النهائية لعملية التكمص لدى الفرد منذ مرحلة الطفولة وبعد أن يواجه امتحان الواقع. فإذا وجد الفرد نفسه في وضعية من التعدد الثقافي والتعارض بين النماذج الثقافية، فإنه سيواجه صعوبة في استعمال تقمصاته السابقة لمواجهة الواقع الجديد والمتغير مما يجعله يحاول التكيف مع هذا الواقع في ظل الرفض والتهميش الذي يتلقاه من هذا المجتمع الجديد. تصاحب هذه الوضعية المؤلمة بشعور عنيف لدى الفرد بأنه ضحية مما يجعله يعاني فراغا في الهوية ومعرضا للإصابة بالعديد من الأمراض خاصة الأمراض العقلية والاضطرابات السيكوسوماتية . (N. TOUALBI, op. cit, p30)

إن حقيقة الهوية في وضعيات التعدد الثقافي تختلف تماما عنها في المجتمعات أحادية الثقافة، فبناء الهوية يعتمد بالأساس على وحدة المعنى في النماذج والمعايير والقيم السائدة في مجتمع ما في شكل مؤشرات هوية قوية وثابتة تجعل من بناء الهوية عملية متوازنة ومستمرة . بينما في وضعية التعدد الثقافي نجد أن هذه المؤشرات تتميز بالاختلاف والتعدد وحتى بالتناقض والتقاطب مما يجعلها تفقد قدراتها على بناء الهوية بشكل متوازن عند الفرد . يرى دونيس 1999 إلى أن مختلف النظريات التي تؤكد على وحدة الأنا وعلى الاستراتيجيات التي تهدف إلى الحفاظ على الوحدة الزمانية والمكانية للهوية لا تشرح بالقدر الكافي الهوية المتعددة المرجعيات في إطار ما يسمى ما بين الثقافات. لقد ركز دونيس على مفهومين جديدين هما:

*الانقطاع أو عدم الاستمرار في الهوية: لكي نكون دقيقين أكثر يجب اعتبار أن وحدة الأنا كمبدأ في الهوية قد استبدل بمفهوم فوضوي وغير متواصل في الهوية. فالفرد لا يمكن اعتباره كمجموع متوازن من الخصائص الثابتة ما يساعده على التغير في الهوية.

*التعديل المتواصل : تظهر الهوية ما بين الثقافات كهوية تغلب فيها الوظيفة البراغماتية على الوظيفة

الانطولوجية في الهوية. (Z. GUERRAOU, B. TROADEC, op, cit , p 81).

من خلال هذه العملية يجد الفرد نفسه في هوية مؤقتة زمنيا إذن فالهوية ما بين الثقافات لا تعني فقط الاستيعاب والتشابه مع الثقافة الجديدة وإنما هي نتاج مجموعة من التصحيحات والتعديلات المميزة في وضعيات متعددة المرجعيات.

4.أزمات الهوية ومشكلاتها:

يستخدم المهتمون بدراسة موضوع الهوية مفهوم أزمة الهوية بمعان متميزة، وذلك تبعا للمعنى الذي يعطى للفظ " أزمة " هل يعنى به المقدمات التي تمهد لظهور مشكلات تنعكس في اضطرابات انفعالية وسلوكية ؛ هذه المقدمات تتمثل في جملة من المطالب الملحة بحاجة إلى المواجهة والإشباع ؛ أم يقصد بلفظ الأزمة الحصيلة السلبية لمجموعة من المقدمات، وهنا تصبح أزمة الهوية بنفس معنى مشكلات واضطرابات الهوية - والتي تعني سيطرة صورة سلبية مستهجنة للسلوك والقيم والأفكار عند الفرد.

1.4.1. تعاريف

بعيدا عن كل التمثلات المرضية؛ تعرف الأزمات في الهوية على أنها كل الوضعيات الفردية أو الجماعية التي تولد نوعا من الخلط واللاتحديد للمحددات الذاتية للانا من خلال التأثير في شعور الإحساس بالوحدة في المعنى والاستمرارية التي يشعر بها الفرد في الوضعية العادية التي يعايشها في حياته العامة.

فمشكلة الهوية هي مشكلة كل فرد في الوقت الحاضر نتيجة انقطاع التوازنات الطبيعية الكبرى والسياسية والاجتماعية في ظل تأثير العولمة ومخلفاتها الثقافية على علاقات الفرد بذاته وبمحيطه. يقول كاميليري:

إن فهم الإحساس بالهوية يبقى دائما مادام الفرد متمكنا من إعطاء معنى للاستمرارية والتغيير أما في

حالة فهمها على أنها انقطاع فهنا تكون أزمة هوية" . (CAMELLERI et TAP, 1986, P 288)، وهذا

هو نفس ما ذهب إليه نورالدين طوالي في كتابه " الهوية في المغرب العربي " حيث أشار إلى رأي ()

LIPAINSKY.EM 1990 على أن: « الهوية لا تكون ظاهرة إلا في حالة أزمة » (TOUALBI, op.cit , P

20)، بهذا فإن الهوية الحقيقية لا تظهر إلا في فترة المراهقة وفي الحالات التي يشعر فيها الفرد بأنه

متورط وعليه الاختيار بين نموذجين ثقافيين مفروضين عليه، إما بالمواظبة على احترام القواعد

الاجتماعية التقليدية أو الأخذ بمغريات النموذج الجديد للثقافة الغربية التي يأمل من خلالها تحقيق

اشباعاته النفسية والاجتماعية وكذا طموحاته.

إن الوضعيات الثقافية تهيء أوضاع خصبة لظهور صراعات الهوية لأنها تزيد من ظروف الأزمات

مما يجعل الفرد والجماعة يعايشان وضعية صادمة للمعايير الثقافية ما يلزمه باتباع استراتيجيات نفسية

في هذه الوضعية من اللاتوازن النفسي والاجتماعي الثقافي. الشيء الذي يجعلنا نؤكد على أهمية تناول

الهوية في سياقها النفسواجتماعي الثقافي من خلال مقارنة جديدة تسمى علم النفس الثقافي أو علم النفس مابين الثقافات أو علم النفس الثقافي.

إن فئة الشباب هي الأكثر تعرضاً من غيرها للتأثيرات الاجتماعية والثقافية نتيجة لعدم استعدادهم الكافي للتفهم ولسوء تقديرهم للنماذج الثقافية المختلفة المعروضة عليه مما يزيد من حدة مشكل بناء هوية مستقرة لديهم، لذلك نجد الفرد قد يلجأ لتحقيقها إلى الأخذ بنمط معين من الهوية مبني على الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويتطلب تحقيق ذلك منه أن يتناول الموقف تناولاً موضوعياً فيختار البدائل المتاحة أو يقوم بالالتزامات المناسبة بالنسبة للبديل الذي يختاره سواء على مستوى المفاهيم والمعتقدات والتمثلات الاجتماعية أو على مستوى الاختيارات المهنية والمستقبلية (عادل عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 13). هذه هي الوضعية التي تميز الشباب في المجتمع الجزائري الذي عرف ويعرف تغيرات وتحولات سريعة في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ما أدى إلى ظهور وضعيات مبهمة وغامضة لديهم في اختيار نمط ونموذج الحياة الخاص بهم في ظل الرسائل والتمثلات الاجتماعية المتنافسة والتي تصل إلى حد التناقض، هذه الوضعيات جعلت الفرد الجزائري يعيش حالة أزمة هوية تتضارب فيه الحاجة إلى اللحاق بالركب الحضاري والاستفادة من مغريات العولمة مع الحاجة إلى الحفاظ على النموذج التقليدي وشرعة الأسلاف.

2.1 أزمة الهوية كأزمة نفسية واجتماعية:

• أزمة هوية الأنا عند Erikson:

ترتبط أزمة هوية الأنا من وجهة نظر اريكسون بمرحلة المراهقة وبدايات الشباب، حيث تمثل المطلب الأساسي للنمو خلال هذه المرحلة وتعتبر عن نقطة تحول نحو الاستقلالية الضرورية للنمو السوي في مرحلة الرشد، وتتمو الأنا من وجهة نظره من خلال ثمان مراحل متتابعة يواجه الفرد في كل منها أزمة معينة، ويتحدد مسار نموه تبعاً لطبيعة حلها إيجاباً أو سلباً، متأثراً بعدة عوامل بايولوجية واجتماعية ثقافية وشخصية. يواجه الشباب في فترة المراهقة والرشد المبكر الكثير من مهام الراشد كالبحت عن الوظيفة والتخطيط للزواج والتمسك بقوة الهوية والمواطنة، ويصبح من الواجب عليه أن يعطي ويستمر في العطاء بدل أن يأخذ فقط كما كان من قبل، ولكي يتمكن من مواجهة هذه المهام عليه أن يتخلص من حياة الطفولة بطريقة سريعة يستطيع من خلالها أن يقيم علاقة تبادلية مع المجتمع وأن يتكون لديه شعور بالتكامل، من هنا يرى اريكسون أن الفرد سيواجه أزمة في الهوية بمعنى فترات ووضعيات يكون فيها الفرد أمام خيار متساوي أو متناقض كالازدواجية الثقافية بحيث يجد صعوبة في الاختيار أو الانتماء إلى أحد منها. (عبير بنت محمد حسن عسيري، مرجع سابق، ص 3).

• أزمة الهوية عند Marcia:

يمثل نموذج Marcia تطورا لنظرية Erikson في مجال تشكل الهوية، فأزمة الهوية تتمثل في فترة من التعليق المرتبط بالحاح بعض التساؤلات لدى الفرد حيال معتقداته وأدواره وأهدافه في الحياة، أو بمعنى آخر فترة من البحث والاستكشاف والاختبار لما يناسبه من معتقدات وأدوار تسبق بالضرورة اتخاذ القرارات بشأنها، حيث يقوم المراهق في هذه الفترة بجمع المعلومات عن الأدوار المتاحة ومن ثم اختبار وتجريب هذه الأدوار للانتقاء من بينها. (محمد السيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 118-123)

• أزمة الهوية حسب Webster:

تعني ببساطة التناقض النفسي والاجتماعي، وبخاصة في سن المراهقة: التي تشمل الفهم الخاطئ للدور الاجتماعي للشخص بل وحتى فقدان الاستمرارية الشخصية، كما أنها تعني حالة الارتباك التي تسود المجتمع تجاه تحديد طبيعة اتجاهه. التركيز على فترة المراهقة كمرحلة أساسية لظهور أزمة الهوية مرجعه بالأساس أن مستويات الهوية تتوافر في هذه المرحلة وبخاصة (الهوية اجتماعية، الهوية ثقافية)، هذا لا يلغي أهمية المراحل العمرية والنمائية السابقة في تشكيل وبناء هوية معيارية للفرد.

• أزمة الهوية حسب Friedman:

تعني أزمة الهوية تنازعا نفسيا داخليا للمواطن بين الاندفاع نحو الانتماء المغروس بداخلنا، وذلك الانتماء الذي يبثه النظام والإطار الاجتماعي المحيط بالإنسان خارجيا، بمعنى أن أزمة الهوية هي نزاع بين الجذور والمعنى والمؤثرات الخارجية. يظهر Friedman أن الصراع بين نموذجين أو صورتين داخلية وخارجية عند الفرد هو العامل المباشر لظهور أزمة الهوية، وكلما زاد النزاع بين النموذجين زادت درجة أزمة الهوية وعمقها والعكس صحيح. (رابحي اسماعيل مرجع سابق، ص 70).

3.4. أزمة الهوية كأزمة سياسية: تعد أزمة الهوية من أشد أزمات التنمية السياسية تأثيرا في حاضر المجتمع ومستقبله، لأنها تتضمن أغلب ما تتضمنه الأزمات السياسية الأخرى وهي أزمة الشرعية والتي تتعلق بالعلاقة بين الفاعل السياسي وبيئته الاجتماعية.

- أزمة الهوية حسب فاروق يوسف: أزمة الهوية نوع من الأزمات السياسية المرتبطة أساسا بالمجتمعات الجديدة التي لم تكون بعد روح المجتمع الواحد، ولا يزال الانتماء الأول أو الأساسي لأفرادها ذو المستوى الكلي للمجتمع، أو بشكل أوضح يقف عند المستوى الجزئي أو القبلي أو العشائري أو الطائفي، وكذلك قد تنتج تلك الأزمة من تنشيط الهويات الكامنة بفعل تعارض وصراع بين الهوية القومية والهوية الوطنية للبلاد.

- أزمة الهوية عند Friedman: يرى Friedman أن أزمات الهوية الموجودة تعبر عن أزمات كونية أكثر شيوعا، وتكمن هذه الأزمات في إضعاف الهويات الوطنية السابقة وظهور هويات جديدة، وخصوصا مع حلول نوع من الانتماء يسمى المواطنة، وذلك بالنسبة إلى المعنى المجرد للانتماء في المناطق

المختلفة، وفي المجتمعات المتعددة، ويتم ذلك من خلال استبدال الهوية التي تستند إلى الانتماء الأصيل بالعرقية والعنصرية بدلا من الهويات الخاصة بالمجتمعات المحلية.

تثور أزمة الهوية عندما يكون هناك غموض في طبيعة الانتماء وألوياته، أو حينما يكون هناك افتقار

سليم إلى المحددات المادية والمعنوية للذات الاجتماعية، فالإحساس بأزمة الهوية يظهر حين تنتاب

المواطنين الحيرة حول ما هو ذلك القدر من تقاليدهم القديمة وتراثهم الذي يجب أن يسعوا إلى الاحتفاظ به، وما هو ذلك القدر الذي يجب أن يقوموا بتغييره لكي يصيروا جزءا من العالم الجديد والحديث.

- أزمة الهوية عند **Bye**: تبدأ أزمة الهوية عندما تكون صفات معينة لأي من ثقافة الجماهير ، أو

الصفوة أو كليهما سببا في أن الإجهادات الملتنقة بها لكي تصبح مدركة تشكل تهديدا رئيسيا للأفراد

والحكام أو كليهما، فالنتيجة هنا يمكن أن تصبح تساؤل الناس وطلبهم لاتحاد أساسي للمجتمع مما يسبب

أزمة في الهوية، وكذلك من الممكن أن يبدووا في التساؤل عن صفات أو مواصفات الحكومة، مما يتسبب عنه أزمة الشرعية.

نسجل ارتباطا وثيقا بين أزمة الهوية ووجود فجوة ثقافية بين الحكام والمحكومين، حيث ترتبط أزمة

الهوية على مستوى الفرد بالإحساس بالانتماء الفكري والعاطفي، وعلى مستوى الدولة تتحدد هذه الأزمة

في المؤشرات الفاصلة في العلاقات بين الحكام والشعوب. (نفس المرجع، ص 71).

4.4. مشكلات واضطرابات الهوية:

تظهر اضطرابات الهوية في مراحل النمو ومستوياته، ويمكن لها أن تتجلى كردود أفعال لهويات لم

تستطع أن تتضج وتتكامل تبعا للنموذج القيمي والسلوكي الذي تعتقه الجماعة.

1.4.4. انشطار و تشتت الهوية: ويعني الحال الذي تتعرض فيه الهوية حال البناء والتكوين لصددمات

تيارات متعارضة، سواء تعلق الأمر بتصدعات في النظام المعرفي للفرد (مستوى الهوية الفردية)، أو

بتصدعات داخل النظام الثقافي (مستوى الهوية الجماعية: الثقافية أو الوطنية).

يمكن لنظريات التناظر المعرفي (فيستنجر) أو التوازن المعرفي لهيدير أن تجد تطبيقا لها في تفسير

انشطار وتشتت الهوية لدى الأفراد في حال حدوث تصدعات في الأنظمة المعرفية أو الثقافية أو الذهنية

التي تحدد هوية الفرد. فالمجتمعات المليئة بالعناصر المتعارضة لا يمكن لها أن تستمر داخل نظام ما

من غير وجود درجات عالية من التوتر مما يجعل بروز الصراعات الداخلية أمرا محتملا ، وهذا من شأنه

أن يجعل بناء الهوية أو الحفاظ عليها عملية معقدة وصعبة في ظل التناقضات التي تميز الأنظمة البنائية

للحوية لدى الفرد.

تنشأ أزمات الهوية عندما يصبح التوتر الذي تثيره هذه التناقضات على أشده، وعندها تؤدي إلى شلل في

طاقة الفعل، وإلى وجود قلق دائم ، وهي تناقضات موجودة أساسا في عمق مجتمعاتنا، فهناك تناقض بين

مبدأ المساواة المعلن وواقع التمييز الاجتماعي الذي تتطلبه الضرورات العلمية ودرجة تطور المؤسسات .

كما يوجد هنالك تناقض بين مبدأ المشاركة السياسية واتجاهات النزعة الفردية. (اليكس ميكشيليلي، مرجع سابق، ص 134).

قد ينعكس انشطار هوية الفرد في اضطراب الدور حيث يفشل الفرد (المراهق بالأساس) في تحديد أهداف وقيم وأدور شخصية واجتماعية ثابتة ، وهو ما يمنعه من القيام بالتزامات محددة نحو أدوار معينة، وينتج هذا الاضطراب في الدور كنتيجة لفشل المراهق في بناء وحدة متكاملة من توحيدات الطفولة المتناقضة. كما قد ينعكس انشطار هوية الفرد كدرجة أعلى من الاضطراب في تبني هوية سلبية ، وهنا يحس الفرد بالفتك الداخلي ، مما يدفعه لتبني قيم وأدوار غير مقبولة اجتماعيا أو غير اجتماعية، ومن ذلك على سبيل المثال كل ما يصنف في خانة الانحراف كجنوح الأحداث (رابحي اسماعيل ، مرجع سابق، ص 72).

لقد قدم مالوف (Maalouf) على سبيل المثال حالة الانشطار في الهوية في العالم الإسلامي في مقابل القيم الحديثة التي يرى فيها أنها قيم غربية وغربية عنه. فالفرد يطور أحاسيس بأنه لا يمكن أن يتبنى هذه القيم إلا بالتخلي عن هويته الذاتية ألا أن هذه القيم الجديدة تحظى باحترامه وتشده. بالتالي نجد أن الفرد يعاني من التردد والحيرة في هويته في ظل معاشته لنظاميين ثقافيين متعارضين لا يستطيع التفضيل بينهما مما يجعله يعيش هذه الوضعية بالكثير من الصراع والتوتر. (اليكس ميكشيليلي، مرجع سابق ، ص 137).

2.4.4. استلاب الهوية: نقول أن الهوية تعاني حالة استلاب حقيقة عندما تتعرض إلى تأثير نظام من العمليات الخارجية التي تعمل على إحداث تغيرات عميقة في جوهرها ويترتب عند حدوث الاستلاب شعور الفرد بالتغيرات الحاصلة وإحساسه بوضعية استلابه سواء على مستوى الفرد والجماعة والثقافة. (نفس المرجع، ص 174). يكون الاستلاب نتاجا لعملية التطبيع القهري، والتطبيع يعني فقدان الجماعة الثقافية بعضا من عناصرها الثقافية، ويترافق ذلك بفقدان بعض أنماط السلوك النموذجي والعادات والتقاليد المعهودة، ويكون ذلك بسبب الاحتكاك الثقافي للجماعة مع جماعة أقوى، وتمثل الوضعية الاستعمارية الوضعية النموذجية لعملية التطبيع القسري. (إسماعيل رابحي، مرجع سابق، ص 73).

تجدر الإشارة إلى آلية الإكراه السيكولوجي كأحد مكونات عملية التطبيع (خاصة في حالة الثقافات المتصارعة) التي تدفع أفراد الجماعة إلى اكتساب هوية مخالفة، وذلك من خلال فعل التبخيس الدائم والمستمر للنموذج القيمي السلوكي الذاتي، في مقابل تعظيم للنموذج الخارجي والذي يطرح نفسه كنموذج للهوية المثالية. وهي السياسة التي تتبعها مختلف القوى الاستعمارية لتمكين الثقافي لثقافتها في مستعمراتها ، وهي نفس السياسة التي اتبعتها الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال المحاولات المتكررة للحط من قيمة الثقافة المحلية الجزائرية بالتركيز على بعض المظاهر الطقسية الوثنية لتحقير هذه الثقافة في مقابل الإشهار لثقافته بأنها ثقافة الحضارة والتطور وحقوق الإنسان.

يشعر المستلب بالقهر والكآبة ، مما يشكل منطلق الإحساس المتنامي بالبؤس الجماعي والفردى، ومن هنا ينطلق متفقو الجماعة لمعارضة التأثيرات الثقافية الخارجية وذلك بغية الخروج من دائرة الاستلاب، وهكذا تتمثل اعتراضات البحث عن الهوية في البداية شكل المطالبة بالاعتراف بالقيمة أو الوجود ثم الاستقلال السياسي.

تطرح الهوية القومية أو السياسية أحيانا كبديل للهويات الجزئية (والتي تعكس فسيفساء اجتماعية متنوعة تبعا للعرقية أو اللغة أو الدين) إشكالية الاقتلاع الثقافي والتي تعكس الحال الذي يجد فيها الفرد نفسه مكرها داخل غمار ثقافة أخرى تختلف عن ثقافته الأصلية أو حياته المعهودة، ومن هنا يمكن أن ينظر إلى ذلك الإنسان على أنه مهاجر أو مغترب ثقافيا، وينعكس الأمر ذاته على مستوى الجماعات. ان ضرورات التغيير الشمولية (التوحيدية) للوسط غالبا ما تؤدي إلى إيجاد أنظمة تسلطية وإلى تبني قيم مقدسة (Dogma) - اعتمادا بشكل أساسي على نظامي التعليم والإعلام - ، وهو ما يؤدي كحصوله تاريخية لظهور ردود الفعل الدفاعية للهويات المستبعدة أو المقموعة، ويتراوح رد الفعل من مستوى التكتّم والانكفاء الذاتي إلى مستوى المواجهة العلنية والعنف. (نفس المرجع، ص 73).

خلاصة الفصل:

نستخلص من هذا الفصل بلأن بناء الهوية عملية ديناميكية تمتد من السنوات الأولى للطفولة إلى المراحل الأخيرة في الحياة. يشرح اريكسون هذه العملية من خلال نظريته للنمو النفسي الاجتماعي التي يحدد فيها ثمانية مراحل للنمو ، واعتمادا على نتائج هذه النظرية أشارت مارشيا إلى مجالين لهوية الأنا هما الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية تحدد درجات النمو فيهما وفق قاعدة الرتب الأربعة للهوية (الانجاز والتعليق والتشتت والانغلاق) التي تعرف من خلال معايشة الأزمة ووجود أو غياب الالتزام بخيارات ما. وبما أن الهوية مفهوم ديناميكي فهذا يجعل ظهور أزمات هوية في حال التغيير الاجتماعي أمرا مسلما به. فعندما تكون قيم ومعايير الفرد تتعارض مع محيطه الاجتماعي يختل توازنه النفسي ، الشيء الذي يهدد هويته مما يفرض عليه اللجوء إلى استراتيجيات خاصة للعودة إلى وضعية التوازن. أشار إليها كل من كاميليري وبونبي وطوالي كردات فعل للأفراد في محاولة للتكيف مع الصراع الاجتماعية والتقاطبات الثقافية المميزة لمجتمعاتهم. إن فشل هذه الاستراتيجيات في مساعدة الفرد في تحقيق درجات نمو ناضجة في الهوية في شكل رتبة الانجاز يجعل الفرد يلجأ إلى تعليق هويته مع ما يصاحب ذلك من إطالة لعمر أزمة الهوية لديه، والتي قد تنتهي بانشطارات و استلابات كلية للهوية.

الفصل الخامس

المجتمع الجزائري وخصائص الشخصية الجزائرية

- 1 - التشكيلية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري
 - 1-1- النموذج الخلدوني
 - 1-2- النموذج الماركسي
 - 1-3- النموذج الانقسامى التجزئى
- 2- التنوع الثقافى للمجتمع الجزائري
 - 1-2- اللغة والتركيبة السكانية
 - 2-2- الأديان
- 3- التغيير الاجتماعى والثقافى فى المجتمع الجزائري
 - 1-3- التغيير على المستوى الاجتماعى
 - 2-3- التغيير على المستوى الثقافى
- 4- واقع عملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمع الجزائري
 - 1-4- التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية
 - 2-4- التنشئة الاجتماعية فى المدرسة
 - 3-4- التنشئة الاجتماعية من خلال وسائل الإعلام
- 5 - خصائص الشخصية المغاربية (الجزائرية) ومكوناتها الأساسية
 - 1-5- المحاولات النظرية لفهم الشخصية المغاربية
 - 2-5- خصائص المراهقة والرشد المبكر فى المجتمع الجزائري
6. الهوية الجزائرية
 - 1-6- السياق التاريخى والثقافى للمجتمع الجزائري
 - 2-6- مقومات الهوية الجزائرية الوطنية
 - 3-6- ملامح أزمة الهوية الجزائرية.
7. سيكوباتولوجية الشخصية الجزائرية
 - 1-7- وبائية الأمراض والاضطرابات النفسية فى المجتمع الجزائري
 - 2-7- واقع الصحة النفسية والعقلية فى الجزائر
 - 3-7- الخصائص الإكلينيكية لبعض الاضطرابات النفسية فى الجزائر.

تعتبر الجزائر أكبر بلد أفريقي وعربي من حيث المساحة (2.381.741 كلم²) والعاشر عالميا. تقع في شمال غرب القارة الأفريقية، تطل شمالا على البحر الأبيض المتوسط ويحدها من الشرق تونس وليبيا ومن الجنوب مالي والنيجر ومن الغرب المغرب و الجمهورية العربية الصحراوية وموريتانيا. إن الجزائر مستعمرة سابقة للاستعمار الفرنسي، حققت استقلالها منذ 05 جولية 1962 وانضمت بعدها إلى جامعة الدول العربية والى الأمم المتحدة واتحاد المغرب العربي. بلغ سكان الجزائر بحسب تقدير الديوان الجزائري للإحصائيات لشهر جانفي 2011 38.7 مليون نسمة (ويتوقع أن تقدر بحوالي 39.5 مليون نسمة في جانفي 2015) مع أغلبية ساحقة من الشباب حيث أن قرابة النصف تقل أعمارهم عن 25 سنة، والثلاثين أقل من 35 سنة و 80 % أقل من 45 سنة بحسب تقرير الديوان الوطني للإحصاء لشهر جانفي 2011. (O.N.S, 2011, p 02)

1. التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري:

مما لا شك فيه أن المجتمع الجزائري يندرج ضمن المجتمعات الانتقالية والإشكالية المتأرجحة بين أوضاع متعارضة ومتناقضة ولكنها متعايشة في نفس الوقت "تقليد-حداثة، تراتب-مساواة، عرف-قانون ... الخ. فالجزائر مجتمع تتصارع في إطاره قوى التغيير والمحافظة بحيث تتجلى مظاهر هذا الصراع عبر مستويات عدة : قيمة أو اقتصادية أو سياسية أو إعلامية... مما يجعل العلاقات بداخله متشابكة ومعقدة ويجعل أمر معرفة طبيعته وخصوصيته مسألة صعبة . فما هي طبيعة التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية الجزائرية؟.

نشير في البداية إلى أننا لا نتوفر حاليا على أجوبة جاهزة بخصوص السؤال المطروح أعلاه لأن النقاش حول طبيعة التشكيلة الاجتماعية الجزائرية لم يحسم بعد أمره بين السوسولوجيين والمؤرخين والاقتصاديين.

يركز بناء المجتمع الجزائري التقليدي حسب الدكتور بن سماعيل على ركيزتين أساسيتين هما: الإسلام والتنظيم العائلي الموسع في حين أن هذا المجتمع قبل الاستقلال كان عبارة عن نمط اجتماعي قاعدي تستمد الشخصية القاعدية المغاربية منه خاصية الانتماء. يتميز هذا النمط بقواعد منسجمة تحكمها التربية والتضامن ويحدد لكل فرد واجبات وحقوق تسهل عليهم عملية الاندماج الاجتماعي. فإذا اختلف الأنا الفردي أو انحرف عن الضوابط المعروفة ساندته الأنا الاجتماعي وبذلك يظهر للعيان أن هذه الحركية النظامية هي حصن منيع ضد كل التفريغات الاكتئابية. (بوسنة زهير عبد الوافي ، 2012، ص 112) إن معظم الأبحاث التي تناولت موضوع التركيبة الاجتماعية للمجتمعات المغاربية قبل وبعد الاستقلال ركزت اهتماماتها على التشكيلة السوسيواقتصادية وعلى التدرج الاجتماعي لهذه المجتمعات، وقد طرحت

في هذا الإطار أسئلة عديدة تتناول نمط التشكيلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه المجتمعات : هل هي إقطاعية أو اشتراكية أو رأسمالية؟ ... الخ.

ونظرا للتشابه الكبير في البناء الاجتماعي لبلدان المغرب العربي، يمكننا أن نعتمد نتائج دراسة عبد الكبير خطيبي على المجتمع المغربي في دراسة التشكيلية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، بحيث نجده يشير إلى وجود ثلاث مقاربات ونماذج للدراسة التصنيفية للمجتمع المغربي تهدف إلى تناول هذا المجتمع من منظور شمولي إلا أنها تتضمن ثغرات وتقف عن حدود لا يمكن تجاوزها لفهم طبيعة هذا المجتمع . وتتمثل بالنموذج الخلدوني ثم النموذج الماركسي ثم النموذج الانقسامي:

1.1 النموذج الخلدوني: يشير عبد الكبير خطيبي إلى إن هذا النموذج يعتمد: " على المنطق الأرسطي محددًا تاريخ الدول بشكل غائي متكرر باستمرار، فهو يقدم نسق التنظيم القبلي ومبدأ العصبية كتفسير تاريخي لتطور المجتمع لمغربي. (عزالدين الخطابي، مرجع سابق، ص35) . ومما يدعم هذا النموذج السياق التاريخي للواقع الاجتماعي للجزائر الذي يتجسد منذ القديم في تصارع العصبية خاصة خلال عصر الدويلات الإسلامية، ثم النشاط الاستعماري الدؤوب في التفريق بين الجزائريين اعتمادا على عنصر العرق واللغة للتفرقة بين العرب و الأمازيغ تارة وعلى الانتماء القبلي داخل العنصر الواحد تارة ثانية، وهو ما انعكس بالسلب على عملية التزاك الحضاري في إطار تشكيل المجتمع الواحد. لقد استرسلت الروح القبلية وطبعت تاريخنا ومدنيتنا ولاستتنا في المعاش والاجتماع وما زالت الأحياء التي تنشأ في المدن والقرى إلى اليوم تتراص وتتكثف وفق انتماءات قبلية، ومن أكثر ما يؤكد أن ظاهرة العصبية للانتماء القبلي لن تختفي في القريب العاجل العمل الحزبي والسياسي ، إذ دلت تجربة الأحزاب في الجزائر -خاصة في الاستحقاقات الانتخابية- على أن السياسة ما زالت تكتب بالشفرة القبلية والعصبية، فتداعي الأحزاب يتم على إيقاع قبلي وجهوي وبرنامجه هو حديث القبيلة والذشرة. يجب أن نسجل أن هذا الانتساب للقبيلة في الجزائر يأخذ طابعا غير رسمي، حيث لا تتم الإشارة إليه إلا في حال الإشارة إلى مكان الميلاد، عكس دول أخرى أين يكون الانتساب القبلي مذكورا في بطاقة الهوية الوطنية، ومرد هذا بالأساس إلى الانتماء الرسمي الوحيد للمواطن في الجزائر هو إلى الجزائر، بل ويحضر كما أشرنا سابقا إلى تأسيس جمعيات سياسية تكون ذات طابع قبلي أو جهوي. (إسماعيل رابحي، مرجع سابق، ص 104).

2.1 النموذج الماركسي: في مقابل النموذج الخلدوني، اتجهت الدراسات الماركسية الخاصة بالمجتمع المغربي قبل وبعد الاستقلال إلى التركيز على عامل "الصدمة الاستعمارية" كعنصر أساسي لانتقال هذا المجتمع من النسق القبلي المتدهور إلى التنظيم الرأسمالي المعقلن "ماركس الجزائر" ، لكن هشاشة الاقتصاد المغربي القائم أساسا على التجارة لم يسمح بتشكيل بورجوازية كاملة كان بإمكانها أن تتيح لبلدان المغرب العربي الانتقال من بيئة قبل رأسمالية إلى بيئة رأسمالية بالرغم من المحاولات المتكررة

للسلطة لتحقيق ذلك من خلال نمذجة أنماط الإنتاج ومحاولة ضبط قوى وعناصر اللعبة الاقتصادية داخل النسق القبلي. (عزالدين الخطابي، مرجع سابق، ص 36).

بالرغم من ذلك نجد أن العديد من الدراسات حاولت حلحة التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري بالاعتماد على الطبقة الاقتصادية الراهنة التي تشمل:

1.2.1 البرجوازية الكبرى: سواء التقليدية أو الوطنية والتي تمتلك وسائل الإنتاج والأراضي والاستثمارات الكبرى، وتهدف إلى تحقيق فائض القيمة والإرباح عن طريق الاستثمار الداخلي وتنشيط الإنتاج والسوق المحلية. أو البرجوازية الطفيلية التي ارتبط ظهورها بارتفاع المضاربات العقارية واتساع دائرة اقتصاد العملة والسمسرة و تجارة السلاح والمخدرات. تعتبر هذه الشريحة مصدرا من مصادر استفحال الفساد والرشوة و تعاضم أعمال التهريب والاحتيال و النصب المالي، وتعد من أكثر الشرائح المضرة بالاقتصاد الوطني باعتبارها شرائح تعيش أساسا على الصفقات وعلى توسيع نطاق السوق السوداء و النهب و الأعمال غير المشروعة في إطار استغلال العلاقات الوظيفية القائمة. أما البرجوازية البيروقراطية فهي تسيطر على وسائل الإنتاج و تحتكر العمل السياسي و مرتكزة في نفوذها على الجهاز العسكري الذي حلت بواسطته محل الطبقة البرجوازية التقليدية و هذه الشريحة في أغلب الأحيان هي خليط عسكري / مدني يستفيد من موقعه في السلطة في تحصيل مزايا مالية ومادية طائلة . (شنافي ليندة، 2010 ، ص 233-237).

2.2.1 البرجوازية الصغيرة (الطبقة المتوسطة): تضم فئة البرجوازية الصغيرة التقليدية (المنتجين الصغار و التجار الصغار أي أصحاب الملكية الصغيرة) وفئة البرجوازية الصغيرة الحديثة (تضم العمال الأجوريين غير المنتجين و الموظفين العاملين في أجهزة الدولة و الجنود و الضباط و فئات من المهندسين و الأطباء و القضاة والمحامين والمعلمين والأساتذة الجامعيين و فئات كثيرة من المتقنين و الفنانين والصحفيين و أصحاب الفكر). هؤلاء جميعا لا ينتجون" فائض القيمة " لكنهم يبيعون قوة عملهم ". (نفس المرجع ، ص 237-239)

3.2.1 طبقة الكادحين : وتشمل بدورها فئات الفلاحين والعمال والبروليتاريا الرثة (الباعة الجوالين والدالين وجامعي القمامة والحمالين وخدم المنازل والأطفال المشردين.....)، و هذه الفئات انحدرت في الأصل " إما من صغار الفلاحين الذين فقدوا أراضيهم أو من أبناء و بنات الذين يعيشون تحت مستوى الفقر في المدن و الهوامش و من أنصاف ومعدمي التعليم و الأميين الذين لم تستوعبهم النشاطات الإنتاجية أو الحرفيين ماتت حرفهم و تعيش هذه الفئات في ظروف اجتماعية و اقتصادية متقلبة شديدة البؤس و القسوة و الفقر والجوع ، فهي فئات محرومة و عاجزة مهددة في معيشتها و صحتها و كرامتها و تتعرض للاستغلال و القهر و الاحتقار أكثر من أية جماعات أخرى، و لهذا يسهل استقطابها واستعمالها كأداة لتنفيذ مخططات إرهابية و دموية . (نفس المرجع ، ص 242-243)

الملاحظ على أن تقسيم الطبقات يخضع بشكل أساسي للعامل الاقتصادي والمتمثل في الدخل المادي لأفراد هذه الطبقة أو تلك، وعلى كل حال فإن الجزائر تعد من البلدان الضعيفة في مستوى الدخل الفردي حيث أشار تقرير التنمية البشرية لسنة 2011 الصادر عن البنك العالمي للتنمية أن الجزائر تقدمت بشكل كبير من ناحية الدخل القومي حيث تحتل المرتبة الثانية عربيا بعد مملكة العربية السعودية، بينما تحتل المرتبة التاسعة عربيا في الدخل الفردي حيث لا يتجاوز 4400 دولار سنويا، وهو ما يطرح الكثير من نقاط الاستفهام حول سياسة الدولة في التنمية الاجتماعية. (رابحي اسماعيل، مرجع سابق، ص 95).

3.1. النموذج الانقسامي التجزيئي: إن قصور النموذجين السابقين عن تحليل النظام الداخلي للمجتمع الجزائري وتفسير الانتقال من الإشكالية الأولية للتدرج الهرمي إلى البنية الطبقيّة للمجتمع، سرع بظهور النموذج الانقسامي التجزيئي الذي ترجع أولى تحدياته النظرية إلى دوركايم وايفانس بريتشارد الذين حاولوا دراسة النظام القبلي باعتباره تجزيئيا . لقد اقر دوركايم في إطار حديثه عن مجتمعات القبائل بالجزائر ضمن كتابه " في تقسيم العمل الاجتماعي" ما يلي : " نقول عن هذه المجتمعات بأنها تجزيئية للدلالة على أنها مكونة عن طريق تكرار تجمعات متماثلة وشبيهة بالعمود الفقري ، ومن هذا التجمع الأولي تنشأ العشيرة ، لان اللفظ يعبر جيدا عن الطبيعة المختلطة للعشيرة التي هي عائلية وسياسية في نفس الوقت". (عزا لدين الخطابي ،مرجع سابق، ص39)

من خلال هذا النموذج يمكننا فهم التنظيم الاجتماعي للمجتمع الجزائري التقليدي الذي تعتبر العائلة اللبنة الأساسية والمرجعية في تكوينه. فالتواجد المتزامن لمجموعة من العائلات النووية التي تربطها قرابة الدم تحت سقف واحد وسلطة الأب تكون العائلة التقليدية الموسعة، ثم إن تجمع مجموعة من هذه العائلات وتكرارها في قطاع مكاني محدد يكون العشيرة وفي الأخير القبيلة. وهذا ما يتوافق مع ملاحظات دوركايم حول البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات من خلال هذا النموذج حيث يضيف : " ليكون التنظيم الجزئي ممكنا، لا بد في الآن نفسه من أن تتشابه الأجزاء وبدون هذا التشابه لا يمكن أن تتحد، وأن تتباين وبدون هذا التباين سيضيع بعضها في بعض وينتهي بها المطاف إلى التعايش". (نفس المرجع، ص39).

ما يميز التنظيم القبلي هو انعدام السلطة المطلقة لشخص ما فهي توزع الأدوار على الأفراد بحسب الوضعيات مما يحول دون ظهور التدرج الفئوي والطبقي في هذه المجتمعات، وكأن القبيلة كيان معزول عما حوله لا يخضع لصيرورة الارتباط والسيطرة . هذا ما يفسر بعض مظاهر الثورة وعدم خضوع الأفراد لنظام الدولة الحديثة بسلاسة وتلقائية لان التنشئة الاجتماعية من خلال نظام القبيلة يكرس المساواة والتكافل الاجتماعي بعيدا عن الطبقيّة والاستغلال ويغرس في نفوس الأفراد فكرة الولاء للعشيرة والقبيلة والتعصب لاتجاهاتها وعاداتها وتقاليدها. لذلك نجد أن الدولة الحديثة تسطر سياسات ثقافية واجتماعية وسياسية وحتى عسكرية لفرض نموذجها السياسي والاجتماعي في مقابل هذا النظام القبلي.

هذا ما يفسر التناقض الوجداني للفرد الجزائري في تعامله مع الدولة ومؤسساتها، فكلمة الدولة تثير مشاعر الرهبة والخوف وذلك من خلال استحضار - على الصعيدين النفسي الفردي والجماعي - رقابة

السلطة واقترانها بالعقاب والبطش، وقد يجد هذه الأمر تبريره في الميراث التاريخي الثقيل للعلاقة بين الشعب والدولة طيلة المسار التاريخي للشعب الجزائري من الاستعمار الروماني وحتى الاستعمار الفرنسي مروراً بصراع الدويلات النووية في العصر الإسلامي. (سليمان عشراي، 2009، ص 217-218). فيكون الانتقال منها بالتكسير والتخريب للمرافق العمومية والبيك، فالمواطن الجزائري لا يحس بأن الدولة هي امتداد لـ " نحن " بل يحس أنها شيء آخر بل أكثر من ذلك شيء معاد. قد تعبر مثل هذه المواقف الشعورية والسلوكية عن مستوى متدنٍ من النضج الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الجزائري في ظل الدولة الجزائرية الحديثة، لكن هذا لا ينفي المسؤولية عن أجهزة الدولة (في جميع مستويات السلطة) في تأكيد هذا الإدراك السلبي للعلاقة بين الشعب والدولة. (نفس المرجع، 220-221).

إن هذه الاتجاهات للدولة تجعل من النموذج التجزيئي الانقسامي لتحليل التركيب الاجتماعي المغاربي مجرد وهم ابيستميولوجي كما يشير ذلك عبد الكبير خطيبي، وهذا لعدم قدرته على استيعاب الواقع الاجتماعي المغاربي الحالي خصوصا واقع التدرج الطبقي وتأثيراته على اللعبة السياسية في هذه المجتمعات في ظل ظهور اتجاهات نظرية جديدة تعتمد على استعمال مصطلحات حديثة أكثر إجرائية في دراسة الواقع الاجتماعي للمجتمعات المعاصر : النخبة، الطبقات الاجتماعية، الدولة، الوطن... لتعويض بعض المصطلحات المتعلقة بالتنظيم القبلي: الأجزاء، العشائر، القبائل... (عزا لدين الخطابي، مرجع سابق، ص 40).

إن النماذج النظرية المعروضة أعلاه تطرح بشدة مشكلة نمذجة الواقع الاجتماعي المغاربي، ولقد قدم باسكون في هذا الإطار تصورا نظريا حاول من خلاله تجاوز ثغرات النماذج السابقة وبناء منظور تحليلي أكثر صلاحية لمقاربة المجتمع المغربي " الجزائري" المعقد والمركب . يقر بول باسكون ب أن هناك أنماط إنتاجية عديدة تتنافس على أرض الواقع وتساهم في تشكيله، ويتعلق الأمر بالنمط الأبوي والقبلي والرأسمالي بل وحتى الاشتراكي الموجود على مستوى الايدولوجيا والتنظيم السياسي . لقد قدم التعريف التالي للمجتمع المغربي : " من الناحية السوسولوجية ، فإن المجتمع المغربي الحالي يعتبر مجتمعا قايديا مخزنيا، يهيمن على النمط القبلي كما يهيمن على النمط الأبوي الذي اقتصرته سيطرته على مجال الأسرة ووضع المرأة، لكن النمط القايدي خاضع بدوره إلى الرأسمالية الدولية في مجال الإنتاج والتبادل " نفس المرجع، ص 41). نفهم من هذا التعريف وجود هيمنة نسبية للدولة على أنماط الإنتاج الاجتماعي للمجتمع المغربي في ظل اتساع حجم التناقضات بين مكونات الواقع الاجتماعي المغربي المتضمن لعلاقات تناقضية من خلال الانتقال من النظام القبلي والأبوي إلى نظام حدائي ودولة وما يصاحب ذلك من انحصار لدور الأب على مستوى العائلة والأسرة وتأثير ذلك على منظومة القيم والمعايير الاجتماعية .

وهي نفس الوضعية التي تميز الحالة الجزائرية مع اختلاف في نوعية وطبيعة السلطة السياسية للدولة "المخزن - الجمهورية".

تدخل هذه المكونات الاجتماعية باختلاف مستوياتها في عمليات تنافس وصراع تتجلى عبر ظواهر المقاومة والقطيعة والمثاقفة سواء على المستوى النفسي أو المادي مما يخلق وضعية مركبة وإشكالية تمس مختلف مكونات المجتمع: الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع ، وتتميز بالصراع بين قوى التغيير والأصالة في شكل تقاطبي وشعوري.

في الأخير نشير إلى أن التشكيلة الاجتماعية للجزائر تمر بوضعية انتقالية بين الأبوي والطبقي وسلطة الدولة الحديثة التي لها اليد الطولى في البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري الحديث في انتظار الرسو مستقبلا وقريبا على بنية اجتماعية متينة وسليمة تراعي كل المحددات الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

2. التنوع الثقافي للمجتمع الجزائري:

لقد ركزت أغلب الدراسات التي تناولت المجتمع الجزائري على الإسقاطات النظرية لعلم الاجتماع الغربي من خلال نظرياته وأسسها وتفسيراته القائمة في أغلبها على المرجعيات الثقافية بعيدا عن الاهتمام بالسمات والخصائص الاجتماعية الجزائرية وتكوينها الثقافي والمعرفي الذي يختلف إلى درجة التضاد أحيانا مع المرجعيات الثقافية الغربية. لذلك ارتأينا ومن خلال النظرة التكاملية التي لا تمهل إي بعد من الأبعاد في دراسة المجتمع الجزائري أن نشير إلى بعض الخصائص الثقافية للمجتمع الجزائري بالكشف عن المحددات الثقافية التي تتدخل في عملية بناء الشخصية الجزائرية لنصل في النهاية إلى فهم معاني السلوكيات النفسية للفرد ووضعها في سياقها الثقافي للوقوف على السلوكات السوية أو المرضية للفرد وتأثير الواقع الثقافي والاجتماعي عليها. نذكر منها:

1.2. اللغة والتركيبة السكانية:

لا توجد إحصائيات رسمية و دقيقة حول نسب الإثنيات المختلفة من أمازيغ و عرب أساسا لكن هناك تقديرات بحوالي 25 في المائة منهم مصنّفون كأمازيغ (أي أنهم يتحدثون أحد لهجات اللغة الأمازيغية) و هذا لا يعني أن كل ناطق بالعربي أصله عربي أو كل أمازيغي أصله أمازيغي. اعتنق مجمل السكان الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية التي استغرقت ما يفوق قرن ونص لاكتمالها. وبعد قرون بدأت هجرة أعداد معتبرة من القبائل العربية البدوية (بنو هلال وبنو سليم) التي قدمت من شبه الجزيرة العربية واستقرت في صعيد مصر لفترة ثم هاجرت لشمال أفريقيا في القرن 11، وأدت هذه الهجرات إلى اختلاط العرب بالأمازيغ في مناطق واسعة ، وكان للإسلام الفضل في الانتشار السريع للغة العربية بين السكان حيث انتشر التعريب في الممرات السهلية ووسط الكتل الجبلية الشمالية وفي المدن الكبرى واستمر انتشار العربية ليشمل مناطق العنصر العربي فيها ضئيل كالجبهة الشرقية لمنطقة القبائل

الصغرى (منطقة القل بسكيكدة، ولاية جيجل، شمالي ولاية ميله) و أكثر من ذلك أجزاء من منطقة الشاوية، أما المناطق الصحراوية الجنوبية فإضافة إلى القبائل البدوية العربية فقد وفدت إليها مجموعات زنجية كانت تعيش تحت سلطة قبائل الطوارق (التوارق) الأمازيغية المسيطرة، وقد انتشرت العربية بدورها بسبب إسلامهم لا سيما بانتشار التعليم ونشوء المدن في المناطق الصحراوية بعد الاستقلال (1962). تنقسم الأمازيغية إلى لهجات متنوعة يتفاوت التفاهم بين ناطقيها من لهجة إلى أخرى. ولأنه لا توجد إحصائيات رسمية حول المجموعات العرقية أو اللغوية أو الدينية بالجزائر، لكن بالاستعانة بإحصائيات السكان في مختلف الولايات ومقارنتها بالملاحظات الميدانية يمكن استنتاج أن الأمازيغية تستعمل كلغة تخاطب أولى أساسا بولايات تيزي وزو وبجاية وقسم من ولايتي البويرة وبرج بوعريرج (اللهجة القبائلية) وبعض المناطق المتفرقة بولاية خنشلة وباتنة وأم البواقي (الشاوية) وفي مناطق بولايي تلمسان وإليزي (اللهجة التارقية). أما الاستعمال الأكثر شيوعا فهو بالتوازي مع استعمال العربية (مناطق بولايات بجاية والبويرة وبومرداس للهجة القبائلية) وفي معظم المناطق الحضرية بولايات أم البواقي وخنشلة وباتنة وقسم من ولاية تبسة وسوق أهراس ويسكرة وميلة وسطيف (اللهجة الشاوية) ومن جهة أخرى فإنه توجد جيوب منعزلة للغة الأمازيغية بولايات البيض وتيبازة ومناطق صحراوية وهي في طور الاندثار. تأثرت اللهجة العربية الجزائرية كباقي اللهجات المغاربية باللغة الأمازيغية بدرجات مختلفة من منطقة لأخرى. كما أدى الاستعمار الفرنسي الطويل إلى استعارة أعداد كبيرة من الكلمات الفرنسية خاصة في لهجة العاصمة وضواحيها بشكل يجعل اللهجة الجزائرية المدينية صعبة الفهم أو حتى غير مفهومة أحيانا بالشرق العربي بالرغم من أن البنية اللغوية الأصلية للعربية في الجزائر بحذف الاستعارات الفرنسية تجعلها أقرب إلى اللهجات العربية البدوية في الشام والخليج العربي . فلغة المجتمع الجزائري خليط من اللغة العربية واللغة الفرنسية في الغالب بالإضافة إلى اللغة الأمازيغية عند الناطقين بها- نموذج ثنائي أو ثلاثي - ، لكن تتخللها ألفاظ تركية، إيطالية، إسبانية مع تسجيل الكثير من الألفاظ التي لا تجد لها أصلا، بل هي نتاج جزائري محض، وخاصة عند فئة الشباب. (محمد العربي ولد خليفة، 2003 ، ص 137-145) . نسجل إذن فسيفساء لغوية في المجتمع الجزائري تبعا للعرق والمنطقة الجغرافية، فهناك الكثير من اللهجات المتميزة في الجزائر، إلى درجة قد يكون فيها من الصعب على الجزائريين أن يفهموا بعضهم البعض بسبب اختلاف التسميات والمعاني.

2.2 الأديان:

لقد سمحت الأعمال والبحوث المنجزة في إطار السوسولوجيا الدينية بتناول الظاهرة الدينية كظاهرة اجتماعية وكنسق منظم لسلوكات وتمثلات الأفراد داخل المجتمع. يرى بن خلدون أن الدين عامل تقوية للجماعة ووسيلة مثلى لتثقيتها من الشوائب التي تعيق توحيد وجهتها وتعاونها وتزرع الخلاف

والتنافر فيما بينها، فيدب الضعف في المجتمع وتهتز أركانه . فالدين بتأثيره على الأفراد يحقق جمع القلوب والفتها ويذهب الغلظة والأنفة والميل إلى التنازل والتحاسد والتنافس وكل مذمومات الأخلاق. (محمد بن عبد الله ، مرجع سابق، ص 73). ويشير دوركهايم إلى أن: " كل المعتقدات الدينية المعروفة بسيطة كانت أم معقدة تمثل خاصية واحدة مشتركة ، إنها تفترض تصنيفا للأشياء الواقعية أو المثالية التي يتمثلها الفرد عبر مستويين أو نوعين متقابلين تتم الإشارة إليهما عموما بمصطلحين متميزين هما : "المدنس والمقدس " (عز الدين الخطابي ،مرجع سابق، ص41).

نجد في المجتمعات المغاربية العربية أن الإسلام ينظم كل مجالات الحياة اليومية للأفراد ، فالإسلام بالإضافة إلى الجانب العقائدي فيه ، هو نظام شامل يشمل السلوكات والأفكار والقوانين الاجتماعية والتربوية . (L. LESGOURGUES, 1996, p 10) . و الملفت للانتباه يقول بلا شار في عالم الإسلام هو: " التأثير العميق للقران على الفرد سواء كان رجلا أو امرأة. وهذا الأمر يعود تفسيره إلى التشعب الذي يعرفه الطفل منذ صغره مهما كان انتمائه ورتبته بالدين ". يمتد هذا التأثير بالإضافة لتربيته وتصوراته ومشاعره إلى فكره وفنه وسائر الإبداعات . (بن عبد الله محمد، 2010، ص 77). ، إن للعامل الديني دور كبير في إدماج الفرد داخل الجماعة وفي صونه من التعرض الى الاضطرابات النفسية والعقلية .

الجزائر بلد موحد - أساسا- دينيا ومذهبيا، فالإسلام يعتنقه معظم السكان (99.99 بالمائة على الأقل)و قد زال التأثير الجزئي للمسيحية بعد الفتح الإسلامي وانتشر الإسلام ليكون الدين الأوحى باستثناء فئة يهودية تدعمت بنزوح اليهود الأندلسيين مباشرة أو عبر دول أوروبية أخرى. وفي العهد العثماني كان المسيحيون بالبلاد من الأسرى الأوروبيون، وحتى بعد الاحتلال الفرنسي ورغم محاولات مكثفة للتصير فإن النتائج كانت هزيلة ولم تسفر سوى عن بعض الأشخاص وبعض القرى المنعزلة بمنطقة القبائل بشكل أساسي اعتنقت المذهب الكاثوليكي. لكن في سنوات التسعينات من القرن 20 عادت وتسارعت عمليات التصير بدعم خارجي في مناطق متعددة من البلاد مما أسفر عن تنصر بضعة مئات اعتنقوا أساسا مذاهب بروتستانتية إنجيلية في مناطق بولايات تيزي وزو وبجاية بشكل علني وبشكل سري في مناطق مخلفة ببعض المدن الكبرى. أما اليهود فقد هاجر معظمهم في بداية الاستقلال ولم تبق سوى مجموعة صغيرة.

المذهب المنتشر في الجزائر هو المذهب السني في معظم البلاد باستثناء أقسام من ولايتي غرداية وورقلة حيث لا تزال توجد مناطق تتبع المذهب الإباضي وهي تحديدا المناطق التي تقطنها قبيلة بني ميزاب الأمازيغية المتمسكة بهذا المذهب والتي تشكل نسبة ضئيلة من السكان. يميل أهل السنة في الجزائر في الغالب إلى ترجيح الفقه المالكي المنتشر تقليديا في معظم شمال وغرب ووسط إفريقيا عن بقية المذاهب الفقهية السنية الأخرى مع بروز لافت لظاهرة ما يعرف بالسلفية على غرار عدد من البلدان الإسلامية.

كما يسجل في السنوات الأخيرة اهتمام الدولة بالطرق الصوفية مما جعل وجود هذه الأخيرة ملفتا خاصة في المناطق الغربية والجنوبية من البلاد.

عموما ن فان الجزائر عايشة حقبة زمنية كبيرة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتي ساهمت في تكوين هذا الخليط المتعدد الاثنيات للمجتمع الجزائري. لذلك وللمزيد من الفهم لهذا المجتمع ادعوكم إلى نبذة تاريخية حول تكوين المجتمع الجزائري عبر مختلف المراحل.

3. التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري:

إن المتتبع لمسار التطور التاريخي للمجتمع الجزائري المعاصر يجد نفسه ملزما بالوقوف على محطتين أساسيتين في صيرورة التطور الاجتماعي لهذا البلد، أولهما محطة الاستقلال الوطني عن الاستعمار الفرنسي التي يمكن اعتبارها نقطة بداية لتاريخ جديد لهذا الوطن بعيدا عن هذا المستعمر الذي جثا على صدره لأكثر من قرن و 32 سنة ، والذي عمل جاهدا على إرساء قواعد ثقافته الغربية في أوساط المجتمع الجزائري سواء بالاعتماد في البداية على سياسة الهدم والتهميش لكل ما هو جزائري ولكل مقومات الحياة الاجتماعية فيه ، يقول شارل ريتشارد عن ذلك : " لا نرى مانعا في أن يكون مآل المدارس العربية الخراب وأن يرجع الشعب الجزائري إلى عهود الجهالة الأولى ، عندئذ يتأتى لنا أن نعلمه شيئا وأن نكسبه إلى صفنا" (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص 21) ، ولاحقا على سياسة الإدماج عن طريق المدرسة وجمعيات المجتمع المدني ، يوضح ذلك ألفرد رومو أحد جنرالات فرنسا في الجزائر: " لقد تم الغزو الأول بالسلاح والقوة والغزو الثاني يقتضي منا إخضاع الشعب الجزائري للإرادة والعدالة الفرنسية وسيتم الغزو الثالث عن طريق المدرسة" (منور أحمد، 1999، ص 92)، وهذا من خلال انتهاز الاستعمار لأسلوب التعليم المزدوج الذي كان يهدف إلى دمج الأفراد الجزائريين في الفكر الفرنسي وثقافته. ولتحقيق هذه الأهداف، لم يترك المستعمر مجالا استراتيجيا إلا واستهدفه، بدءا بالمجال العقائدي إيمانا منه أنه لن تتم أي سيطرة على هذا الوطن وأبناءؤه متمسكين بعقيدة إسلامية راسخة في أذهانهم تدعوهم إلى محاربة المستعمر ومقاومة الظلم ، مما دفع بأغلب جنرالات فرنسا إلى اعتبار الإسلام العدو الأول لاستقرارهم وسيادتهم على الأرض، لقد أشار إلى ذلك أحد المستشرقين في حفل مرور قرن من الزمن على احتلال الجزائر قائلا: "إننا لا نحتفل بمرور قرن على احتلال الجزائر ولكننا نحتفل بجنارة الإسلام الذي سنشيعه إلى مثواه الأخير" (طايبي مريم، 2007، ص 79). ثاني الميادين التي ركز عليها المستعمر استراتيجياته هي اللغة التي تمثل الركيزة الأساسية بعد الدين في تكوين الشخصية الجزائرية ، فضيق الخناق على كتابها ومدارسها واستعمل جميع وسائل البطش والقهر والإبادة للقضاء عليها ، فغلق المساجد وحولها إلى كنائس وغلق أيضا المدارس التي تعلم باللغة العربية كما منع استعمالها في الوثائق الرسمية التي كانت لا تقبل إلا بلغة المستعمر. لقد امتد هذا الغزو إلى المجال

الاجتماعي من خلال الفرد في علاقاته الاجتماعية وقيمه الأخلاقية وكذلك ممارساته الاقتصادية والسياسية ، فقد سعى الاستعمار في سبيل تحقيق ذلك إلى تمزيق هوية الفرد الجزائري من خلال سياسة فرق تسد فأذكى النعرات العرقية والجهوية من خلال سياسة مبنية على النموذج العرقي والجهوي لتعميق الهوية بين أفراد المجتمع بالتركيز على تصوير العرب والإسلام على أنهم قوى استعمارية تسلطت على السكان الأصليين لتسلب منهم هويتهم التاريخية .

وليتم لهم الاختراق الكلي والتمام لهذا المجتمع ركز المستعمر في جميع سياساته الاستثنائية على الأسرة باعتبارها النواة الصلبة لأي بناء وتنشئة اجتماعية خاصة في ظل غياب المؤسسات الأخرى التي تعرضت للهدم والتدمير ، وللنيل منها سعى إلى ضرب القيم الأخلاقية لما لها من أهمية جوهرية في بناء الأسرة ، وامتد هذا الاستهداف إلى المرأة التي تمثل قلب الأسرة الجزائرية ، قال أحد جنرالات الاستعمار لراهبات الكنيسة يوصيهم بالنيل من المرأة الجزائرية : " إنني اعتمد عليكم في تنصير الشعب الجزائري، عليكم بالزوجات والأمهات والفتيات ، عليكم أن تكن رمزا للنصرانية في محيطكن" . هذا النموذج الثقافي والاجتماعي الذي رسمته الإدارة الاستعمارية ، وكنتيجة لطول مدة الاحتلال ، أجبر أفراد المجتمع الجزائري على تغيير الكثير من هياكله الاجتماعية والثقافية مما أدى إلى ظهور الكثير من السلوكات والقيم الغريبة عن الثقافة الأصلية وحلت محل القيم المحلية التقليدية .

كل هذه السياسات الاستعمارية قابلها المجتمع الجزائري بمقاومة عنيفة رافضة لكل محاولات المسخ والتغريب، وتجسد ذلك من خلال تخندق الجميع شعبا وأفرادا وراء هياكل هذه المقاومة المتمثلة في المساجد والأسرة وجمعيات المجتمع المدني، وهذا بالتأكيد على تنشئة الأفراد على النموذج الحضاري الإسلامي وتعزيز الشعور بالانتماء والهوية الجزائرية لدى الناشئة وحمايتهم من الانسياق وراء إغراءات المستعمر ، ينقل عبد القادر جغول لنا هذه الحركية في كتابه " الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر" أحسن صورة لهذه المقاومة من خلال مقطع لمقال نشر في جريدة وطنية صادرة إبان الفترة الاستعمارية والتي كتبت فيها إعلان عن رفضها لسياسة الاندماج: " نعم نحن أنصار تطور تقليدي نتمسك بطريقة عيشنا ونريد الحفاظ على عاداتنا وتقاليدنا وتجسيدها في أن واحد، ثم لماذا نطلب اندماجا كاملا ونبحث عن ذوبان ما، فهل نخجل من عرقنا وعرق الشجعان والشهداء الذين أذهلوا العالم " (نفس المرجع، ص 106) .

هذا الوضع الضاغط والمعقد من سياسات استعمارية واستثنائية للفكر والهوية الجزائرية الأصلية واتجاهات وطنية مقاومة ومستميتة في رفضها لهذا الفكر التغريبي خلق وضعا حرجا للغاية متميزا بازواجية ثقافية في المجتمع تصل إلى حد التناقض العام للرسائل الموجهة للناشئة، مما جعل المجتمع الجزائري يعيش صراعات ثقافية واجتماعية حادة بعد الاستقلال الوطني، الشيء الذي أدى إلى ظهور تغيرات ثقافية واجتماعية مست حتى البناء التركيبي للمجتمع وأدت إلى حدوث تفكك ثقافي ما زالت الجزائر تعاني منه حتى الآن، ولتحديد هذا التغيرات العميقة للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال الوطني

سنقوم بسرد بعض التغيرات التي طرأت على هذا المجتمع سواء على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الثقافي.

1.3. على المستوى الاجتماعي:

انطلاقاً من العرض الوجيز للسياسات الاستعمارية التي كانت تهدف إلى القضاء على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري من خلال ضرب الأسرة والمسجد ثم المجتمع المدني، وما خلفته هذه السياسات بعد الاستقلال من تبعية ثقافية واقتصادية للمستعمر، بالإضافة إلى ما تفرضه مقتضيات العصر من متطلبات عصرة وتحديث وواقع قاس ومتسارع يتطلب التضحية بالكثير من المزايا الاجتماعية الأصيلة لصالح هذه الطفرة الحداثية. نجد أن المجتمع الجزائري لم يشذ عن القاعدة، فقد تعرض لتغيرات اجتماعية، وإن كانت تبدو لأول الأمر سطحية، لكنها في الحقيقة جوهرية وعميقة مست البناء الاجتماعي الجزائري في الكثير من المفاهيم التي كان يقوم عليها بالأمس القريب.

لقد كان المجتمع الجزائري ولعقود بعيدة يتميز بالعيش الجماعي أو القبلي، حيث كانت المؤسسة الاجتماعية الأساسية في تكوين المجتمع هي العائلة التي من خلال امتدادها تتكون العشيرة ثم الجماعة يقودها رئيس أو قائد تلجأ إليه في حل جميع المشاكل التي يواجهها الأفراد، ويوضح بورديو ذلك في كتابه "سسيولوجية الجزائر" قائلاً: إن العائلة الممتدة هي الخلية الأساسية وهي لب التقارب لأنظمة متعددة (كوسة فاطمة الزهراء، مرجع سابق، ص 25)، لقد كانت العائلة التقليدية تعيش تحت سلطة النظام الأبوي حيث كانت العلاقات داخل هذا الوسط الأسري التقليدي تتموضع ضمن سياق تراتبي ولا متكافئ، سواء تعلق الأمر بعلاقة الراشدين بالصغار والشباب أو علاقة الذكور بالإناث، بحيث كان الهدف المتوخى من هذه التنشئة الاجتماعية هو تكريس الطاعة وقمع الدوافع الغريزية للأطفال وخصوصاً الإناث منهم وذلك باسم القيم التقليدية والمبادئ الأخلاقية وفي إطار منهجية تربوية قائمة على سلطة القهر والإلزام.

غير أن الشروط الجديدة التي انبثقت نتيجة الاستقلال الوطني وقيم الاقتصاد العصري الحديث في ظل العولمة أعادت النظر في مثل هذه المنهجية خصوصاً مع الاصطدام الحاصل مع الثقافة الغربية مما جعل المعايير والقواعد التقليدية التي كانت تعتبر أساس بناء المجتمع محطة مساءلة نظراً لطابعها المحافظ والرجعي أحياناً، أما في ما يخص الأسرة فلم تعد الأوضاع والأدوار موزعة في الداخل والخارج حسب معايير السن والجنس والعلاقات القرابية والانتماء الاجتماعي كما كانت قبل، بل أصبحت تركز على قدرة كل واحد على المساهمة في تحسين وضعيته ووضع أسرته نتيجة امتلاكه لمعرفة أو لمهارة ما ذات قيمة تسمح له بالاندماج داخل النسق الاقتصادي والإداري الذي ورث عن المستعمر (عزالدين الخطابي، مرجع سابق، ص 54)، فالأسرة بهذا المفهوم انتقلت من فضاء المحافظة على العادات والتقاليد بسلطة التقاليد والعرف إلى فضاء النفتح والتطور مع تخلخل للعلاقات داخل الأسرة وفيما بينها في إطار عملية تغير مستمرة تحت تأثير تسارع وتيرة التمدن وانتشار التعليم ووسائل الاتصال الجماهيري. لقد مس

هذا التحول بنية الأسرة الجزائرية ومكوناتها بالدرجة الأولى على اعتبار أن السياق العصري للتصنيع كان عنصرا أساسيا في تحول الأسرة من الطابع الممتد إلى أسر متعددة ذات طابع نووي ، هذا ما أكده محفوظ بوسبسي في دراسته للأسرة الجزائرية في ظل التغيرات الحاصلة، حيث يشير إلى : " الانتقال من النمط العائلي الموحد أين العائلة تذوب داخل نموذج الجماعة إلى النمط والنظام العائلي النووي الذي هو جد هام في الوسط الحضري" (BOUCEBCI, 1978, p 24) .

في هذا النمط تضعف علاقة الأبناء بالآباء والأقارب والراشدين وتفقد أهميتها، كما أن عدد الأسر الممتدة تضاعف كثيرا مما أضعف من سلطة الكبار وقلل من حدة سيطرة الرجل على المرأة، وستسمح المقارنة بين دراستين أجريتا في منطقتين مختلفتين في المغرب الشقيق، على اعتبار أن البلدين يلتقيان في الكثير من الجوانب الاجتماعية والتاريخية وفي نفس التحديات الحالية، بفارق عشرين سنة في إجرائهما، بالتأكيد على هذا التحول العميق والمستمر في البنية الأسرية للمجتمع المغربي بحيث أن نسبة الأسر النووية في بحث أن هاري بارون سنة 1952 في مجموع الأسر المكونة لمدينة الدار البيضاء لم يكن يتجاوز 39.5 % بينما وصلت هذه النسبة في دراسة قام بها المعهد الوطني المغربي للإحصاء والاقتصاد التطبيقي المغربي سنة 1974 إلى 55 % في مناطق أقل تصنيعا من مدينة الدار البيضاء، لم يتوقف هذا التحول على مستوى البنية الأسرية فقط بل طال أيضا العلاقات الأسرية إذ حصل نوع من التساهل والمرونة في التعامل بين أفراد هذه الأسر، فالمناخ الأسري الآن أصبح أكثر تلقائية والتبادل العاطفي أصبح أكثر حميمية بين الزوجين من جهة وبين الآباء والأبناء من جهة أخرى مع الميل إلى التبدل في التصور التقليدي الذي كان يحمله كل فرد من أفراد الأسرة تجاه الآخر عزالدين(الخطابي ، مرجع سابق،ص 51). لقد استفادت المرأة الجزائرية من هذه الحركية والانفتاح في كسر القيود التسلطية التي كان نمط المجتمع التقليدي يفرضها عليها من خضوع كلي لسلطة الرجل واختصار لمهامها في ضمان الذرية وخدمة الرجل، وهذا ما أكده بوسبسي في قوله: " إن مكانة المرأة تقتصر في الإنجاب" (BOUCEBCI, 1978, p 25) .

وهذا في ظل الاختباء وراء الفهم الخاطئ للإسلام والاستعمال المتطرف لهذه المفاهيم، شهدت وضعية المرأة الجزائرية في تلك الفترة تحولات وتغيرات عميقة ، وانطلقت بإرادة عالية وطموح كبير في التعلم والدراسة مما سمح لها بتلقي تربية ثقافية حديثة مع الاحتكاك بالمرأة الأوروبية أين تعلمت طرق التعامل مع الآخر وأدركت المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمعات الحديثة، فطرحت مشكلة التساوي مع الرجل في الحقوق والواجبات وطالبت بتبوء أعلى المناصب الإدارية والقرارية في المجتمع. بصورة عامة يمكننا القول أن المرأة الجزائرية كونت مفهوما جديدا لوجودها ونمطا ثقافيا واجتماعيا مختلفا تماما عن الذي عرفته من قبل حتى أنها أصبحت في وقتنا الحالي تقارع الرجل في كل الميادين والمجالات ، مما يجعلها تعيش في صراع ذهني وقيمي عنيف نتيجة للتضارب الصارخ بين النموذج التقليدي الذي مازال غالبا على تفكير الأغلبية الساحقة من العنصر الذكوري في المجتمع الجزائري خوفا من خسارة الكثير من المكاسب الثانوية لخضوع المرأة، مع النموذج الحديث الذي يحررها من قيودها وتخلفها، هذا الصراع

يتجسد أكثر بين الأنا الأعلى الاجتماعي للمرأة الذي يستتبط من قيم ومعايير المجتمع والذي يقود ويحكم سلوك الفرد وتصرفاته، وأنها المثالي الذي يسعى إلى تحقيق النمط الاجتماعي الذي تكونه المرأة عن ذاتها مما يخلق صراعا بين هذين النظامين النفسيين بشكل دائم ومتواصل يجعلها تعيش في معاناة اختيار دائمة مع ما يصاحب ذلك من حصر نفسي وقلق مستمر.

مشكلة أخرى ظهرت بعد الاستقلال الوطني وساهمت بقدر كبير في تاريخ التغيير الاجتماعي الجزائري وفي نتائجه هي: "ظاهرة النزوح الريفي" للسكان الريفيين نحو المدن، وما خلفته من مشاكل اقتصادية وديموغرافية كالتخلي عن الأراضي الزراعية لصالح الحرف والمهن الصناعية وزيادة في الكثافة السكانية في المدن وتفاقم مشكلة السكن والبطالة..... الخ ، مما يفسر العواقب الوخيمة لهذه الحركية السكانية على الصعيد النفسي والاجتماعي للأفراد مع تزايد للانحرافات الاجتماعية كالسرقة وتعاطي المحذرات وانحراف الأطفال والراشدين وكذا الزيادة في نسبة السلوكات المرضية والأمراض العقلية ، وهذا ما أكده نورالدين طوالي في كتابه "الدين والطقوس والمتغيرات" من خلال الإحصائيات الرسمية التي نشرتها أمانة سر الدولة للتخطيط والإحصاء 1970-1972 حيث يشير إلى أن ما يقرب من نصف سكان مدينة العاصمة ينحدرون من أصل ريفي وهذا ما يفسر التزايد الكبير للسلوكات الاجتماعية الشاذة التي مردها بالتأكيد هو هذا التمازج الفوضوي الذي يتم للسكان المدنيين (طوالي نورالدين، مرجع سابق، ص 64)، بهذا الصدد أشار نورالدين طوالي في نفس الدراسة إلى الدراسة التي قام بها ب.إتيان 1977 على المجتمع الجزائري حول تشوش الوضع التمديني لسكان المدن الجزائرية بعد الاستقلال لتبيان تمازجية السكان والسلوكات المدنية الجزائرية، خلصت هذه الدراسة إلى أن نتائج الهجرة الريفية في الجزائر غريبة من وجهة النظر السوسيولوجية ومقلقة من الناحية الاقتصادية وعلى صعيد مضامينها النفساجتماعية ، ولمزيد من التأكيد سرد نورالدين طوالي بعض الوقائع المتناقضة في السلوكات المدنية للمدنيين الجزائريين في تلك المرحلة والتي نجدها ملطخة على نطاق واسع بالترسيمات التقليدية للحياة الريفية ، نذكر منها مثالين:

- يوافق أب أسرة ذو مستوى اجتماعي واقتصادي متدن على أن تتعلم بنته البكر، وأن تقوم بدراسات عليا لكنه في النهاية يمنعها من أي انشغال مهني رغم حاجة العائلة إلى المال.
 - يوافق آخر لأسرة ذات مستوى اجتماعي واقتصادي وتعليمي عاليين على رؤية ابنته تخرج بحرية وحتى أنه يسمح لها باستقبال أصدقائها شابات وشباب في المنزل، لكنه بالمقابل سوف يعارض أي زواج لم يقره الأهل وذلك حفاظا على المبادئ التقليدية (نفس المرجع، ص 65).
- هذه الأمثلة التي مازالت تطبع السلوكات المدنية للمجتمع الجزائري حتى وقتنا هذا ، وهناك الكثير منها ، تعبر عن غموض في الدوافع وتعدد الوضع الثقافي الجزائري الذي لعبت الهجرة الداخلية دورا لا يستهان به في صيرورة هذا التعدد. تجدر بنا الإشارة في الأخير إلى أن هذا التغيير لم يحدث في نفس الوقت وبنفس الشدة والصيرورة على المستوى الوطني ، فبموازاة هذه التغييرات التي مست قطاع كبير من

المجتمع الجزائري في سنوات ما بعد الاستقلال ، ظلت بعض الفئات الاجتماعية منغلقة على نفسها في الأرياف والقرى الجزائرية متمسكة بشدة بالتقاليد والأعراف الموروثة نتيجة لعزلتها الاجتماعية المفروضة بفعل الطبيعة وقلة الإمكانيات ، مما جعل ظهور هذه التغيرات الاجتماعية يتأخر حتى سنوات الثمانينات والتسعينيات والتي تزامنت مع ثورة المعلومات ووسائل الإعلام الجماهيري من فضائيات مقرة وانترنت مع تدفق سريع وكبير لعمليات الهجرة الداخلية نحو المدن من جديد نتيجة الأوضاع الأمنية المتدهورة في سنوات التسعينيات وكذا زيادة ميل الأفراد إلى وسائل الرفاهية والحياة اليسيرة في ظل صعوبات الحياة القاسية في الريف ، كل هذا يمكن أن يجعلنا نقول أن تاريخ التغير الاجتماعي في الجزائر العميقة يعيد نفسه لكن هذه المرة يمس الفئات التي كانت متمركزة في الأرياف والقرى في الجزائر العميقة.

في ظل هذه الظروف التاريخية و السياسية والاقتصادية للبلاد مع الطفرة الحضارية التي مست العالم ككل والكم الهائل من المفاهيم الجديدة التي أصبحت في متناول الجميع ، نلاحظ انتشار عمليات تغير وتحول تتميز بالشمولية بمعنى أنها كسرت معيق البعد الاجتماعي وأصبحت تمس كل الفئات الاجتماعية في كل مكان حتى الأفراد في الأرياف التي كانت بالأمس القريب منغلقة على نفسها في ظل الأعراف والتقاليد الموروثة.

2.3 على المستوى الثقافي:

بعد الاستقلال ، لم تشذ الجزائر مطلقا عن قاعدة جميع الثورات التي تتبع بسياسات تهدف إلى إشباع مكبوتات السكان وتحقيق طموحاتهم المكبوتة منذ أمد بعيد، هذه السياسات كانت تهدف على المستوى القريب إلى إعادة بناء البلد اقتصاديا وتضميد الجروح الوطنية وإقامة أوائل المؤسسات السياسية من جهة، وعلى المستوى البعيد كان هناك مشروع سياسي أكثر عمقا يهدف إلى إعادة الوحدة الوطنية بالتركيز على إعادة منح الفرد الجزائري هويته وخصوصياته الثقافية الأصلية، هذه الرغبة السياسية في إعادة أهلية الثقافة الأصلية كانت تتغلغل في التعابير السياسية لأول حكومة جزائرية بعد الاستقلال مع احتفاء كبير للجماهير بهذا المشروع كردة فعل سريعة للحقد الكبير تجاه المستعمر ومخلفاته، لهذا كان من المفروض أكثر من أي وقت مضى التخلص من أدنى معاني النظام الاستعماري وانتزاعه من ذاكرتهم وبأسرع وقت ممكن، لهذا كان إعادة الاعتبار للغة العربية والتأكيد بشدة وبشتى الوسائل على الهوية الوطنية الإسلامية ردة الفعل الطبيعية الهادفة إلى إزالة العقد الجماعية والاجتماعية الموروثة عن الحقبة الاستعمارية (نفس المرجع ،ص 60).

هذا المشروع الثقافي وإن لاقى التشجيع ورغبة جماعية في جعل كل شيء جزائري ، كان مصاحبا بمشروع اقتصادي يطرح مشاكل ضخمة ومستعصية متعارضة مع المشروع الثقافي في تلك المحطة، هذا البناء الإيديولوجي المميز للنموذج الجزائري اصطدم في بداياته بضرورات الواقع القاسية الناتجة عن السياسات الاستعمارية السابقة الذكر ،والتي خلفت ظروف اجتماعية معقدة تتميز حسب نورالدين طوالي:

- بإشراك السكان بالنماذج الغربية: فرغم عنف المقاومة ضد المستعمر إلا أن ذلك لم يقض نهائيا على التسرب التدريجي للنماذج الغربية التي انسابت طيلة قرن و 32 سنة من التعمير الاستعماري ، نتج عن ذلك أن فترة الاستقلال الوطني تطابقت مع ثابتة سوسولوجية قوامها تآقف دمج السكان المدنيين خصوصا وعلى نطاق واسع، هؤلاء بقوا أكثر قربا من النماذج الغربية من أمثالهم الريفيين، هذه النماذج الغربية وعقب انتهاء أولى هيجانات الاستقلال بدأت تفقد رمزيتها العدوانية لتصبح أدوات للارتقاء الاجتماعي في جميع الاتجاهات لتحقيق الرفاهية وإشباع الحاجات النفسية والتعويض عن أكثر من قرن من حالات الحرمان والآلام المتكررة.

- العوامل السياسية والاقتصادية: تتمثل في المشروع الوطني ذو الالتزام المزدوج، من جهة الالتزام بخلق وإرساء نظام اجتماعي اقتصادي عالمي النمط الذي كان أولوية الأولويات في أجندة الرئيس الراحل هواري بومدين الذي لخص سياساته في هذا المجال في خطابه الذي ألقاه في أكتوبر 1971: "... كما قضينا على التبعية الاقتصادية وحررنا اقتصادنا سنسعى للقضاء على التبعية الثقافية وبعث ثقافة وطنية تنسجم مع ماضينا ومعتقداتنا وتأخذ بعين الاعتبار في نفس الوقت المحيط والعصر الذي نعيش فيه... ". (كوسيت صليحة، مرجع سابق، ص 120).

هذا النمط قائم بالأساس على التصنيع من جهة، الذي جعل الانفتاح الكلي على تكنولوجيا العالم الخارجي أمرا إلزاميا لأنه لم يكن بالإمكان تحقيق ذلك إلا باسترداد عقلية المبادرة الملازمة لعملية استرداد تقنية التصنيع. ومن جهة أخرى على العمل المتزامن على إعادة الاعتبار للثقافة والهوية الوطنية كردة فعل تعويضية لعقود طويلة من الضغط الاستعماري والثقافي الغربي، بالعودة العفوية إلى القيم والمعايير التقليدية، فمنذ حدوث الانقلاب الثوري سنة 1965 جرت معه انقلابات ثورية عديدة بدء بالثورة الصناعية فالزراعية مروراً بالثورة الثقافية بهدف التخلص من التبعية والهيمنة الاستعمارية وفرض ثقافة وطنية محلية أصيلة ، ثقافة تكون خاضعة لاختيارات الدولة ولإيديولوجيتها ولسياستها العامة في عملية موجهة نحو ملئ الفراغ وردم الفجوة التي وضع أساسها المستعمر من خلال قانون التجهيل الجماعي وسياسات التشريد والتجويد التي انتهجها. لكن ما يؤخذ على هذه السياسة الثقافية المتبعة أنها قامت بقوعة الثقافة المحلية في الإطار الإيديولوجي والفلك السياسي للدولة مما جعل كل أنواع العمل الثقافي منظمة ومنمطة تحددتها الخيارات السياسية بهدف خدمتها والتحكم فيها في ظل قمع لحرية الإبداع والتفكير ، هذا ما عجل حسب منصف الوناس إلى فشل هذه السياسة الثقافية في تحقيق أهدافها حيث يقول : " إلا أن فشل الدولة كان فشلا مزدوجا فهو فشل في دولنة المجتمع والتحكم في بنيات وأنساق تغييره من جهة ، وفشل في تحقيق توقعات المجتمع والشرائح الشبانية التي تمثل أكثر من 70 % من السكان من جهة أخرى" (نفس المرجع، ص 75). هذا ما أكده الركبي عندما يقول : " لو أردنا أن نعرف سياستنا تجاه ثقافتنا ماذا نجد؟ نجد نصوصا كتبت في الماضي وهي نصوص سليمة من حيث التعبير والصياغة ولكنها لم تحقق كما ينبغي لأن مطبقها هو الذي يفسرها حسب أهوائه أو قناعاته أو فهمه أو توجهه الإيديولوجي،

من هنا نرى هذا التذبذب المستمر إزاء الثقافة ، نتقدم مرة وتأخر أخرى، نقرب إلى الإمام حيناً ونتوقف حيناً آخر، نؤسس ثم نلغي، ننشئ ثم نهدم، نخطط ثم نشطب ما خططناه وكأننا كتب علينا أن نعيش ثنائية عجيبة وسط الآخرين" (الركيبي عبد الله، 1998، ص 75). هذه الوضعية الاجتماعية والثقافية المعقدة خلقت وأبرزت جواً ثقافياً جديداً نجم عنه خلل وتبايناً في تركيب العناصر الثقافية للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال في إطار ما يمكن أن نسميه بالمشكل الثقافي أو على حد تعبير مالك بن نبي بـ " أزمة ثقافية " حيث قال: " الأزمة الثقافية تنمو وتتمو معها أيضاً نتائجها إلى الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط أو إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيلاً، ولا يمكن هذا إلا بثورة ثقافية عارمة تكون في الحقيقة بمثابة انطلاق جديد للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر" (بن نبي مالك، 1980، ص 88).

هذا الاستطراد في سرد الواقع الثقافي والاجتماعي للجزائر المستقلة يمدنا بنظرة عميقة حول مدى تعقد الوضع الثقافي في الجزائر المعاصرة ، هذا الوضع راح يقدم أرضية خصبة لظهور التقاطب الثقافي والقيمي وبشدة على المستوى الفردي والجماعي، ويعود هذا الصراع بالأساس إلى اصطدام الفرد الاجتماعي الجزائري بمعضلة الاختيار بين قيمتين أو مجموعة من القيم المتنافسة مما يولد لديه قلق وحصر نفسي مستمر ناتج عن هذه الثنائية الاختيارية في شكل القلق الثقافي ، على هذا الأساس يولد لدى الفرد عند اختياره لأسلوب ونمط سلوك عصري مشاعر بالذنب والحرمان لان هذا الاختيار، وإن كان يحقق له طموحاته الاجتماعية ورغباته النفسية، فإنه في جوهره يتعارض مع القيم الثقافية لجماعته المرجعية، يعبر نورالدين طواليبي عن هذا التقاطب على أنه: "معاش قهر ما، معد لإنسان الجزائري كي يستثمر مجموعتين من القيم المتناقضة ، وبسبب استمراريتها تشكل هذه العملية السيكولوجية مصدراً للتوترات" (طواليبي نورالدين، مرجع سابق، ص 33)، هذا ما يحدث عموماً في ظل التقاء واحتكاك ثقافتين متناقضتين في الرؤى والتصورات والقيم ، أين تسعى الثقافة الأقوى بطبيعة الحال إلى إفراغ الأخرى من محتواها وسلخها من مقوماتها وصياغتها بطابعها ونمط حياتها لتكريس تبعيتها الدائمة لها. فينشئ لدى الفرد الذي ينتمي للأولى شعوراً بروح الاعتزاز والتفوق والسمو في مقابل روح انهزامية وشعور بالنقص عند الآخر المنتمي للفئة الثانية، هذا الأخير يسعى في سبيل تحقيق توازنه النفسي والاجتماعي إما بمقاومة الثقافة الوافدة ورفض هيمنتها مما يعرضه للتهميش مستقبلاً وإما بالانصهار في هذه الثقافة الجديدة والانطواء تحت غطائها مبرراً ذلك بعجز ثقافته الأصلية عن تلبية رغباته وطموحاته الاجتماعية. هذا المعاش الذي يتخذ هذه الصبغة التقاطبية ، وهذا الوضع الهام من الارتباك والإبهام الثقافي لن يمضي حتماً دون انعكاسات على العنصر الاجتماعي الذي يشعر بأثر ذلك على مستوى معاشه الاجتماعي والسيكولوجي، وهذا ما سنحاول تناوله في بحثنا هذا من خلال الوقوف على موضوع التناقض والانسلاخ الثقافي في المجتمع الجزائري الذي يتميز ، كما سبق الذكر، بوجود نسق من الصراعات البيئثقافية والمعيارية والقيمية في ظل تفاعل ثقافي مستمر بين منهجين ثقافيين متناقضين.

4. واقع عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري:

يعرف جي روشي التنشئة الاجتماعية على أنها: " تلك العملية التي يكتسب الفرد من خلالها العناصر السوسيوثقافية لمحيطه، ويتمثلها ويعمل على إدماجها داخل بنية شخصيته ، ومن هنا يتكيف مع البيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها." (عزا لدين الخطابي ، مرجع سابق، ص 43) في حين يعرفها جون بياجي على أنها: " تكيف الفرد مع الوضعيات الاجتماعية الأكثر تعقيدا وذلك بواسطة ميكانيزميين هما : الاستيعاب والملائمة ، فالاستيعاب يعني محاولة تغيير المحيط الاجتماعي من طرف الفرد لكي يصبح مناسباً لذاته أما الملائمة فتحتم على الفرد تغيير سلوكياته ليقتبل من طرف مجتمعه." (زهير عبد الوافي بوسنة ، 2012، ص 94). فالتنشئة الاجتماعية تعبر عن العمليات التي من خلالها يكتسب الفرد معايير وقيمه الثقافية والتي من خلالها يرسى الأسس والهبات الأولى والأساسية لبناء هويته.

إن استقراء الوضع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري الحديث ؛ وكما أشرنا أعلاه؛ يقف على عمليات تحول وتغير عميقة تمس مختلف المستويات الاجتماعية مما يفسر العديد من الصراعات الاجتماعية خاصة ما تعلق منها بالعلاقات الأسرية في ظل انتشار نماذج ثقافية متعددة وقيم جديدة فرضتها التحولات الطارئة على البنى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع (انتشار التعليم والتطور التكنولوجي والإعلام الآلي والهجرة والنزوح الريفي.....) في ظل غياب نسق ثقافي ثابت ومنسجم . هذه الوضعية تجعلنا نتساءل عن طبيعة التنشئة الاجتماعية للفرد في المجتمع الجزائري في ظل تعدد الأنساق الثقافية وتعارضها أحيانا.

يشير جي روشي إلى هذه الوضعية في التنشئة الاجتماعية من خلال قوله بوجود التفريق بين: " التنشئة التي تحدث داخل جماعات أو مؤسسات محددة كالأسرة أو المدرسة والتنشئة الاجتماعية التي تتحقق بشكل أوسع لأنها تمس المجتمع في كليته وتتوجه نحو الجماهير، كما هو الشأن بالنسبة للتنشئة الاجتماعية بواسطة الراديو والتلفزيون " . (عزا لدين الخطابي ، مرجع سابق، ص 43). نضيف إليها في عصرنا الحالي الفضائيات والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بحيث تشير الإحصائيات الحديثة إلى أن المعدل اليومي لاستخدام الفرد الجزائري للانترنت عالي (ففي دراسة قام بها د. بن عيسى محمد المهدي على عينة من الشباب خلصت إلى أن نسبة 39.44 % من أفراد العينة يترددون بشكل يومي على الانترنت بمعدل من ساعتين إلى أربع ساعات) وهو معدل عالي يفترض دورا كبيرا لهذه الوسائل في عملية التنشئة الاجتماعية.(بن عيسى محمد المهدي، 2010، ص 602).

هنا نطرح التساؤل كيف يتمكن الطفل الجزائري من تمثّل العناصر السوسيوثقافية التي تقدمها مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة ؟ وكيف يتمكن المراهق من تمثّل هذه العناصر في هذه المرحلة المتقدمة من التنشئة الاجتماعية؟

سنحاول هنا إعطاء نظرة موجزة حول عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري وتأثير التغيرات الاجتماعية على هذه الأخيرة.

1.4. عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية:

من خصائص العائلة الجزائرية التقليدية أنها عائلة موسعة حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية تحت سقف واحد ، فهي عائلة بطريقية (الأب أو الجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية، وينظم فيها أمر تسيير التراث الجماعي وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ، غالبا بواسطة نظام محكم ، على تماسك الجماعة المنزلية)، كما أنها عائلة اكتنائية النسب فيها للذكور والانتماء أبوي وانتماء المرأة أو الأم يبقى لأبيها. (مصطفى بوتقنوشت، 1984، ص 37) فوضعية الأب تخول له الحفاظ على القيم التقليدية التركيبية والأخلاقية الغير المادية الموروثة من الأجداد أما الأم فكانت في البنية الاقتصادية التقليدية تلعب دورا أكثر انعزالا من دور الأب . يقتصر دورها عموما بحسب بوهديبة 1995 : " بالتكفل بعملية تكاثر أفرادها وتوسيع قاعدة الجماعة من خلال تلبية رغباتها والحرص على توازنها النفسي والبيولوجي". (محمد بن عبد الله، مرجع سابق، ص 107).

إن النموذج الخاص بالتنظيم الأسري في الوسط التقليدي والعلاقات المتفرعة العمودية والأفقية التي تميز هذا التنظيم تشهد على تجذر الأنا الجمعي في المجتمع. فهيمنة الجماعة وتأثيرها الثابت على الفرد يجعله يذعن باستمرار لسلطة الأب وامتلاءاته وتعليماته ولكنها في ذات الوقت تعد صمامة أمان تحميه من كل ضيق وضجر. من هنا تظهر أهمية الأسرة كعنصر هام في عملية التنشئة الاجتماعية ذلك أن عملية اكتساب هذه القيم ؛ من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ؛ تتم في جزء كبير منها بين الآباء والأبناء داخل الأسرة خاصة في المراحل الأولى للطفولة أين تكتسب القواعد الاجتماعية الصادرة من أبويه قيمة مطلقة تستوجب الإتياع.

تركز التنشئة الاجتماعية في الأسرة التقليدية على تعليم الفرد الامتثال لقواعد المجتمع والقبول بالترايبية القائمة على المستوى الأسري والاجتماعي في ظل قدسية الاحترام الأبوي الذي يتجاوز إطار العلاقة العاطفية إلى إطار العلاقة السلطوية. واللاتكافئ بين الجنسين منذ لحظة الولادة إذ يحظى الذكر بالتميز في العديد من المناسبات وهذا لاعتبارات ثقافية وعرفية تميز المجتمع والأسرة التقليدية على وجه الخصوص. (عزا لدين الخطابي ، مرجع سابق، ص 45). تتم تنشئة الفرد في ظل الأسرة الجزائرية التقليدية عموما من خلال تلقينه المعايير والنظم والمعتقدات الاجتماعية باستخدام منهجية تربية تقوم على الإيحائية والقهرية حيث قلما نجد الفرد يناقش ويعارض قرارات الأب، فيلتزم الحياد والصمت ويلجأ إلى الامتثال للأوامر خدمة للمصلحة العامة للأسرة. والهدف المتوقع من هذه التنشئة الاجتماعية هو الطاعة وقمع الدوافع الغريزية للصغار خصوصا الإناث منهم وذلك باسم القيم التقليدية والمبادئ الأخلاقية، فتنسخ هذه المعايير في شعورهم و لاشعورهم بحيث يصعب عليهم التخلي عنها مستقبلا لأنها تصبح من أسس هويتهم .

لكن الطفرات الاجتماعية التي مست المجتمع الجزائري تركت أثارا عميقة على الأسرة التقليدية وعلى عملية التنشئة الاجتماعية. يشير مصطفى بوتقنوشت سنة 1984 إلى أن : " العائلة الجزائرية ليست

مطبوعة بطابع التحولات السريعة التي حدثت في الهياكل السياسية والاقتصادية خاصة التصنيع ، بل إن تطور العائلة يسير سيرا بطيئا جدا بحيث لا يمكن حسابه إلا على مر الأجيال" (مصطفى بوتفوشيت، مرجع سابق، ص 28). يعود هذا التطور البطيء للعائلة الجزائرية إلى دورها الاجتماعي المتمثل بالأساس في التنشئة الاجتماعية للأفراد من خلالها يكتسب الفرد قيمه ومعاييره ولغته وعاداته ودينه. فإذا كان التطور الاقتصادي والسياسي والإعلامي يتم على المستوى المادي في أغلبه فإن تطور العائلة يتم على المستوى القيمي والانفعالي في شكل تناقض ومناقضة. هذا ما يؤكد روجي باستيد في إشارته إلى أن التناقض يتم بشكل أسرع على المستوى المادي منه على المستوى المعنوي والنفسي. (عزا لدين الخطابي، مرجع سابق، ص 24)

لقد طال التغيير في المقام الأول بنية الأسرة ومكوناتها على اعتبار أن عملية التصنيع كان عنصرا أساسيا في انتقال الأسرة من وضعيتها كاسرة ممتدة إلى أسرة نوية وما صاحب ذلك من فقدان لأهمية العلاقات بين الأبناء والآباء والأقارب الراشدين وإعادة النظر في سلطة الكبار مع فقدان نسبي لسيطرة الرجل على المرأة . ثم امتد هذا التغيير إلى أب العائلة الذي تنازل عن القيمة الرمزية المميزة له في البناء الثقافي التقليدي، فأصبح لا يستطع التصرف بطريقة أخرى إلا باتجاه سلبي متفقا مع تصرفات آبائه ، ورغم قيام الأبناء بدور متفوق عليه إلا انه يظهر افتخارا بهذا التفوق في حين يظهر الأبناء عطا صادقا تجاه الأبوين معترفين بالجميل ومستعدين للتضحية من أجلهم. (بوسنة زهير عبد الوافي ، مرجع سابق، ص 92) . لكن على الرغم من التطور الاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع وبداية زوال التصورات التقليدية إلا أن الأب الجزائري ما زال يحظى بمكانة ضمن الهيكل العائلي ، فتراه مازال يحتفظ بقيمة الاحترام والمشورة والوسيط في حل النزاعات العائلية.

ونتيجة لهاته التحولات التي مست الخاصية الأبوية للأسرة الجزائرية وتقاطعها مع المتطلبات الحداثية، تمت إعادة النظر في المنهجية التربوية التقليدية بالاحتكاك مع المناهج التربوية الغربية التي تتميز بالتساهل والمرونة في التعامل بين أفراد الأسرة. بهذا لم تعد الأسرة ذلك الفضاء المميز الذي تتم فيه المحافظة على العادات والتقاليد بل تغيرت وتخلخت العلاقات بينها وفيها ، وأصبحت الأدوار والأوضاع موزعة فيها : " بحسب قدرة كل فرد في المساهمة في تحسين وضعيته وصيغة أسرته نتيجة امتلاكه لمعرفة أو مهارة ذات قيمة تسمح بالاندماج داخل النسق الاقتصادي والإداري الذي ورث عن الاستعمار". (عزا لدين الخطابي ، مرجع سابق، ص 50) في مقابل مبدأ الترابية واللاتكافئ الذي يحددها في الأسرة التقليدية.

وهذا على الرغم من ما نلاحظه خلال دراسة عمليات التنشئة الاجتماعية في الأسرة الحالية من أنها لا زالت تحاول فرض بعض القواعد والقوانين والعادات والتقاليد وطرق العمل والزواج الخاصة بالمجتمع الجزائري التقليدي.

مظهر آخر من مظاهر تطور العائلة الجزائرية يتمثل في تطور دور البنت داخل العائلة، فالمرأة التقليدية هي بنت عائلة أولا تحت سلطة أبيها وأما ثم تحت سلطة زوجها ولا يسمح لها بالمبادرة في تسيير البيت إلا في سن متقدمة. لكن المرأة في البنية العائلية المعاصرة أصبحت، بالإضافة إلى أنها بنت العائلة، مواطنة لها حقوق بدأت تستعملها، وقد تعدل دورها بحسب فرانسواز دولتو: "الآن تنقص الوظيفة الأمومية للمرأة موازاة مع وظيفتها كامرأة في المجتمع، إذ أصبحت مواطنة، وأخذت أهمية أكبر من المرأة التي هي مكرسة من أجل الأولاد فقط". (بوسنة زهير عبد الوافي مرجع سابق، ص 92).

2.4. التنشئة الاجتماعية في المدرسة:

يشدد نورالدين طوالي 2000 على حرص المدرسة في الجزائر على القيام بدور أساسي دأبت من خلاله على صبغ الطفل بقيم العقلانية العالمية المختلفة وتزويده بالخصائص الوطنية للهوية الجماعية عبر استراتيجيات ترمي إلى إثبات الشخصية التاريخية وتنظيم الأنا الاجتماعي. " (محمد بن عبد الله، مرجع سابق، ص 124).

إن وصول الأفراد إلى المدرسة؛ خاصة الفتيات؛ وما تحتويه من برامج ونماذج معرفية وثقافية حديثة عكس بعض الأفكار المتوارثة يجعلهم يعايشون فترات من التوتر والحيرة. يقول زهير بوسنة بأننا: " نلاحظ وجود توافق بين أدواق المراهقات والمجال التعليمي خاصة وبشكل اعم بين مجمل استعدادهن اتجاه المستقبل وما تنتظره منهن أوساطهن العائلية، فالصورة التي تكونها الفتاة عن مستقبلها تشهد استبطان مشروع عقلائي وقيم تسانده... فالتعليم وترقب العمل يوسعان إمكانية الفتاة في الاختيار ويؤديان إلى تقوية قدرتها على القرار والاستقلال من السلطة الوالدية " (بوسنة زهير عبد الوافي، مرجع سابق، ص 97) وهذا ما يتعارض مع أسس التنشئة الاجتماعية التي تتم على مستوى الأسر التقليدية والتي تتعارض مع فكرة الاستقلال عن السلطة الوالدية بالنسبة للفتاة إلا في أعمار متقدمة. لعل من بين أهم أسباب هذا التغير ونتائجه هو وعي الآباء أن مستقبل أبنائهم مرهون بمستوى تعليمهم وتربيتهم. ومن هنا تكتسي المدرسة قيمة كبرى في أعين الآباء الذين يعتبرونها كوسيلة لتسليق هرم المجتمع لذلك نجد أن مهمة المدرسة حديثا أصبحت تتمثل في اكتساب ثقافة وتقنية الأخر "الغرب" من أجل الاندماج في الحقول العصرية للبلد "اقتصاديا وسياسيا... الخ".

إن الانفتاح على مغامرة الحداثة في المدرسة سيسمح بضبط العلاقة بين المكتسبات الاجتماعية والثقافية لما قبل المدرسة وتلك التي تم تحصيلها في مرحلة المدرسة، وهي علاقة صراع وتناقض بين نماذج ثقافية مختلفة، تفسر نظرة العديد من الآباء الذين ينظرون إلى المدرسة كمؤسسة مناهضة لسلطتهم ولنموذجهم التربوي.

3.4. التنشئة الاجتماعية من خلال وسائل الإعلام:

لا مهما يكن الأمر فإن الأسرة والمدرسة ليستا العاملين الوحيدين لعملية التنشئة الاجتماعية إذ أن الشارع ووسائل الإعلام والاتصال والانترنت تلعب دورا مماثلا بتقديمها نماذج سلوكية مخالفة للنموذج التربوي الذي تقدمه الأسرة.

إن بناء الهوية والتنشئة الاجتماعية في عصرنا الحالي لم تعد مقتصرة على الأسرة والمؤسسات التعليمية والثقافية الرسمية والغير الرسمية، لكن الواقع المعيش يشهد بان للإعلام والانترنت والتلفزيون والفضائيات دور واضح ومكتمل التأثير في شخصية الفرد في المجتمع الجزائري سواء ثقافيا أو دينيا أو معرفيا أو اجتماعيا أو نفسيا. إذ لا نبالغ إذا قلنا أن هذا التأثير يمتد من السنوات الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال البرامج التلفزيونية المتنوعة الموجهة للأطفال وما تحتويه من أفكار ومعارف يبني الطفل من خلال التفاعل معها بعض من معالم شخصيته المستقبلية.

يشير العديد من الباحثين إلى أن إدمان الأطفال على مشاهدة التلفزيون في السنوات الأولى من طفولتهم يؤثر على مكاسبهم المعرفية واللغوية مع قصور كبير في الكلام وعجز عن التكيف في المهارات غير البصرية كالقراءة والكتابة والتركيز. ويمتد هذا التأثير إلى الحياة الأسرية فيغير من نمط حياتها الاجتماعية ويضر بالعلاقات التي تجمع بين أفرادها فيقل التواصل والتفاعل إلى أن يصل الأبوين إلى الانسحاب من القيام بدورهم الفعال في التنشئة الاجتماعية. ويستمر هذا التأثير ويتعاظم أثره مع نمو الطفل وزيادة حريته في اختيار مختلف وسائل الإعلام وتحكمه في الأجهزة الإعلامية والوسائل التكنولوجية المتعلقة بها وبخاصة التلفزيون والانترنت.

إن الانترنت إن كانت وسيلة دعم وبناء في المجال الثقافي وفي غيره فإنه يمكن أن تكون وسيلة هدم وتهديد للتنوع الثقافي والمخزون اللغوي بسبب طغيان اللغة الانجليزية على الساحة المعلوماتية وسهامها في تقويض دور اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية التي تعتبر من الأدوات الفعالة في تكوين المعرفة وتسجيل الخبرات وتوظيفها في مسالك الحياة المختلفة وممارسة فنون الإبداع المتنوعة. فالتنشئة الاجتماعية وتشكل الهوية يتمان من خلال اللغة ، فمن خلالها يدخل الفرد في تفاعل مع الأخر في عمليات تبادلية تساعد على بناء ذاته الفردية ثم الاجتماعية مع الشعور بالقبول من الجماعة في ظل خضوعه لقواعد هذه الجماعة.

كما إن التلفزيون بجانب الانترنت أدوات قوية لتكريس التنميط الثقافي والقضاء على الفوارق الثقافية بتبنيهما لرسالة عالمية تتجاهل الخصوصيات لثقافية للمجتمعات المحلية . هذا التنميط يعد سببا رئيسيا من الأسباب التي قد تزعزع الشخصية الجزائرية وتفكك الذات وتخرب العقول خاصة لدى الشباب الذين لم يفلحوا في ترسيخ جذور ثقافتهم الأصلية وتوطيد انتمائهم الاجتماعي وظلوا يتعاملون مع وسائل إعلامية تمطرهم بأفكار وتصورات خيالية وموضوعات ومضامين تتعارض مع الثقافة الأصلية. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص ص 128-129) .

هذه التعددية على مستوى النماذج تؤكد حقيقة عدم وجود نسق تربوي ثقافي ثابت وشامل بإمكانه أن يلبي حاجيات مختلف الفئات الاجتماعية ، فنسق التربية يظل متأرجحا بين نموذج عصري مرغوب فيه عن طريق المدرسة ووسائل الإعلام ونموذج تقليدي يقاوم التجديد بالاستناد إلى القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في الأسرة. هذه الوضعية أو الثنائية أفرزت نمطين ثقافيين متناقضين للتنشئة الاجتماعية ، يستلزم الأول الخضوع لقواعد الاحترام والتراتب وإعادة إنتاج القيم التقليدية باسم الأصالة والمحافظة بينما يدعو الثاني غالى إعادة النظر في مثل هذه القيم باسم التقدم والتطور والحداثة . وكيفما كان الحال فان التعايش بين هذين النمطين هو واقع قائم في مجتمعنا وان كان هذا التعايش اضطراريا وليس اختياريا. (عز الدين الخطابي، مرجع سابق، ص 53)

في الأخير نشير إلى انه بواسطة الثقافة ومؤسساتها الممثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع المدني وقواعدها الرمزية من اللغة والدين والنظام التربوي يكتسب الفرد توجهاته وطرق تفكيره وسلوكاته ، فالثقافة تلعب دورا اساسيا في بناء هوية الفرد وتحدد علاقاته مع الآخر.

5. خصائص الشخصية المغاربية ومكوناتها الأساسية:

لقد ركزت أغلب الدراسات التي تناولت علم النفس المغاربي على الإسقاطات النظرية لعلم النفس وعلم النفس المرضي الغربي من خلال نظرياته وأسسها وتفسيراته القائمة في اغلبها على المرجعيات الثقافية للمجتمعات الغربية ، وعلى أطروحات نفسية تكوينية أو عضوية بيولوجية موحدة وعالمية بعيدا عن الاهتمام بالسمات والخصائص النفسية للشخصية الجزائرية وتكوينها الثقافي والمعرفي الذي يختلف إلى درجة التضاد أحيانا مع المرجعيات الثقافية الغربية.

1.5 المحاولات النظرية لفهم الشخصية المغاربية والجزائرية: تعددت النظريات والاتجاهات العلمية التي تناولت موضوع الشخصية وتباينت في منطلقاتها النظرية ومنهجياتها المستعملة لكنها جميعا هدفت إلى دراسة الأسباب التي تحكم سلوكيات الفرد وإمكانية التنبؤ بها. يعرف سلامي الشخصية على أنها : " العنصر الثابت لسلوك الشخص ، معروف به ويميزه عن الآخرين، فكل فرد خصوصيات عقلية وعاطفية ومزاجية ، والكل المنظم يحدد الشخصية ، وبالتالي كل فرد يشابه عناصر جماعته ولكن مختلف عنهم بتجاربه الخاصة. (بوسنة زهير عبد الوافي، النمو، 2012، ص 141).

نذكر من هذه النظريات نظرية الأنماط (ابقراط، كرتشر، بافلوف، شيلدون، يونغ) التي تقوم على تصنيف الشخصيات إلى أنماط بحيث أن كل نمط يتكون من مجموعة من الصفات التي تكونت في بداية حياة الفرد وهي غير خاضعة لتغير كبير خلال مراحل حياة الفرد ، فهي نظرية تجاهلت الفروق الفردية ومختلف ديناميكيات الشخصية لصالح بعض النواحي الجسمية والنفسية فقط. ثم نظرية السمات (البورت، اينزك، كاتل) التي تقوم على مجموع السمات المميزة لسلوك الفرد وعلى الثبات النسبي لهذه السمات . كما لا ننسى النظريات الانسانية (موري، فرويد، روجرز، ماسلو ...) التي تحاول فهم

الشخصية بصفة شمولية من خلال ادراكات الفرد لذاته والجوانب الشعورية الشخصية والاجتماعية واللاشعورية التي تساهم في بنائها. أما النظريات البيئية فهي تحاول تفسير بناء الشخصية من خلال تأثير البيئة المباشر على الفرد في مواقف ما (نظرية العادة والتعلم، نظريات الاتجاهات، ونظرية الأدوار...).

إن التعدد النظري لتناول موضوع الشخصية يدفع بنا إلى التساؤل عن مواصفات الشخصية

المغربية ، ومن خلالها الشخصية الجزائرية ، في ضوء هذه النظريات.

يشير الدكتور بن عبد الله محمد في كتابه الرائع: " سيكوباتولوجيا الشخصية المغربية " إلى بعض

المحاولات لفهم الشخصية المغربية- من خلالها الشخصية الجزائرية- تمهيدا لإرساء نموذج يستوعب المكونات الأساسية لهذه الشخصية ويطلعنا على تكوينها ودوافعها وأهدافها وغاياتها واضطراباتها.

1.1.5 النظرة الظواهرية : توصف الشخصية المغربية من خلال هذه النظرة بأنها شخصية مطبوعة

بالجبرية ومذعنة للمكتوب. تكتسب هذه المواصفات من خلال التنشئة الاجتماعية التقليدية التي تتميز

بمنهجية جبرية وقهرية في ظل السلطة الأبوية. يشير محمد بن عبد الله إلى إن الفرد المغربي يتميز

بطبع غير مبالي إلى التجريد ويهوى كثيرا التشبث بالواقع الحاضر مع مزاج انفعالي أحادي الشكل -

بحسب مونيي Mounier 1974- غير قادر على الحفاظ على التوازن المنسجم القائم بينه وبين المحيط

مما يعرض الفرد لاضطرابات ذهنية حادة مطبوعة بوساوس جسدية ووهمية.

في نقده لهذه النظرية أشار بن عبد الله محمد إلى تأثيرها بالفكر القديم الذي كان يقسم النفسيات إلى عملية

وأخرى تجريدية عقلانية متطورة ، بالإضافة إلى هذا فإن هذه النظرة تحمل في طياتها ما يناقض

المعطيات البديهية الخاصة بالشخصية المغربية التي تميل إلى النزعة الاجتماعية أكثر منها إلى الفر

دانية. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص ص 27-28).

2.1.5 النظرة التكوينية العضوية: تجعل هذه النظرية الشخصية المغربية والجزائرية شخصية يحكمها

الطابع العرقي . وتتميز بسمات تتمثل في القابلية للإيحاء والاندفاع وسرعة التصديق. وهي الخصائص

التي تفسر التأثير بالشعوذة والاهتمام بالحركات والأعراف والطقوس . تجاهلت النظرة التكوينية " مدرسة

رورو A. Porot بالكلية الأطر المرجعية للوسط الثقافي الاجتماعي لهذه الشخصية، وهي النظرة التي

عارضها فرانتز فانون (Fanon) في كتاباته المختلفة مبينا بان الوضع الاجتماعي المزري الذي كان يعيشه

الفرد المغربي وبخاصة الجزائري هو الذي يفسر مختلف الظواهر النفسية والمرضية التي تتميز بها

الشخصية المغربية. (نفس المرجع، ص 28).

3.1.5 الشخصية الجزائرية والبعد الثقافي والاجتماعي:

يقول الأستاذ احمد بن نعمان أن الثقافة هي التي تساعد على فهم الشخصية وليس العكس ، لأن الثقافة

تعتبر بعدا أساسيا من أبعاد الشخصية لذلك فإن دراسة الشخصية يجب أن تتم في رؤية تكاملية تأخذ

بعين الاعتبار علم النفس وعلم الاجتماع و الانثربولوجيا . لذلك نجده، ومن خلال تحليله لمضمون

الأمثال الشعبية ، رسم ملمح للسمات الشخصية الجزائرية الأساسية تلتقي في بعضها مع سمات الشخصية العربية " نموذج الشخصية القاعدية " ل مغربي (Moughrabi) مما يؤكد وحدة المنبع الثقافي والحضاري ولكنها تتميز بأخرى خاصة بالمجتمع الجزائري ذكر الباحث منها : الصراحة والانطواء على الذات والعمل في صمت والاندفاع والنرفزة والانفعال والحساسية وعدم تقبل النقد والتشبث بالرأي والمبدأ والاتعاض من دروس الماضي والاعتماد على النفس ونشد الكمال والطول الجذرية .(نفس المرجع، ص 34).

يصف بن سماعيل (B. Bensmail) شخصية الإنسان المغاربي من خلال خاصيتين هما:
-الأولى عمودية: الأنا الموروث " moi genealogique " الذي يمثل الانتماء إلى شجرة العائلة بحيث يكون المرجع فيها هو الأب بمعنى السلطة الأبوية المطلقة
-الثانية أفقية : الأنا الجماعي تتمثل في الانتماء إلى الجماعة فالفرد لا يحقق وجوده إلا من خلال الشبكات الاجتماعية.

ظهرت بوادر الانحلال في هذا التنظيم الاجتماعي التقليدي مع النزوح الريفي والتمدين والتعليم وظهور نماذج ثقافة غربية من خلال الإعلام والتكنولوجيا والانترنت مما أحدث نوعا من التغيير في الصورة الأسطورية للأب ما يمنع الشباب من تحقيق تقمصات متناسقة نهائية من خلال الثقافة التقليدية للمجتمع. لقد أدت هذه الطفرات الاجتماعية إلى ظهور ردات فعل عنيفة يعبر الفرد عنها من خلال تقمصات جديدة : التطرف الديني أو الانحراف أو تعاطي المحذرات ... (L. LESGOURGUES, op. cit , p 11).

4.1.5 الشخصية الجزائرية المغاربية والتحليل النفسي:

يكشف غريبال (M. Ghorbal) عن بعدين أساسيين يحددان خصوصية الشخصية الجزائرية والمغاربية:
* **البعد الفردي:** يتميز النمو النفسي للشخصية المغاربية بمواصفات خاصة إذ أن المراحل التي يمر بها ليست مقيدة بنفس المدة المعروفة في المجتمع الغربي . حسب غريبال كما أن سير الشخصية المغاربية يتطلب استخدام مفهوم الأنا الإضافي الممثل للبعد الاجتماعي والجماعي . بحيث إن هذا الأنا الإضافي غالبا ما يحل محل الأنا من خلال قيام الغير بدور الناطق الرسمي لمعانة الفرد وقلقه . فمرض الغير يهم كذلك الجماعة ومن هذه الزاوية يمكن أن نتكلم عن باثولوجية العلاقة بين الفرد والمجتمع .
* **البعد الاجتماعي:** تتميز الأسرة المغاربية بأنها أسر واسعة ممتدة وليست نووية لذلك فإن الأدوار الأبوية والامومية يقوم بها عادة أشخاص داخل المجتمع. فالبكر مثلا قد تربيته الجدة أما الطفل الوسط فتربيه الأم بينما الطفل الصغير عادة ما يكون من نصيب الأخت. ما يجعلنا نتكلم عن الأنا الإضافي الذي لا يمكن اعتباره في هذا السياق سلوكا باثولوجيا.

كما أن دور الأم التربوي مهم جدا في المجتمعات المغاربية لهذا فان جزءا كبيرا من الاضطرابات النفسية التي تواجه الأسر المغاربية يعود في نظر الباحث إلى الصعوبات العاطفية وعدم قدرة الأم على تأدية واجباتها والقيام بدورها. (محمد بن عبد الله ،مرجع سابق، ص 37-40).

لقد حاول الفقير (A.Elfakir) من خلال إعماله على المجتمع المغاربي التأكد من عالمية الفرضيات النفسية التي في اغلبها أوروبية النشأة من خلال دراسة الاوديب المغاربي باستعمل علم النفس الثقافي المقارن . يعرف البناء الاوديبى على انه الوظيفة التي تربط بين المجال الرمزي ومختلف الأنظمة الثقافية السائدة في مجتمع ما، لذلك فدراسة الاوديب المغاربي يساعد على فهم التحولات العميقة في تكوين شخصية الفرد في وضعيات التغير الثقافي والتثاقف.

خلصت أعمال الفقير إلى وجود نظامين أساسيين لفهم عمليات التكوين الاوديبى المغاربي وحل هذا الصراع هما نظام المخططات التربوية ثم أهمية الديانة الإسلامية في الحياة اليومية للفرد المغاربي . من خلال تحليل الاوديب لدى المغاربة في السياق الثقافي والاجتماعي لهذه المجتمعات أشار فقير إلى أن عملية تكوين الاوديب المغاربي تتميز بثلاث مميزات هي :

- ابتعاد الطفل عن أمه بواسطة استعمال وظيفة الاستعارات الابوية.

- استعمال صورة الأب المثالي كدعامة للإسقاط النرجسي.

هاتين الميزتين يشترك فيهما الطفل المغاربي مع الطفل الغربي.

-عدم إمكانية الموت الهوامي للأب وحل الصراع الاوديبى من خلال نقل النزوات العدائية ضد النائية الأخوية " الأخ والأخت" لان الأب المغاربي يحمل شحنة رمزية تاريخية ودينية لا يمكن أن تعوضها كلية وظيفة الأنا المثالي للطفل مما يجعل من الصعوبة على الطفل إيجاد هدف أبوي لنزواته العدائية والرغبة في الموت له. في هذه النقطة تحمل الجماعة أهميتها وتمد الطفل بمخرج مقبول في شخصية تقترب من الأنا المثالي الذي يكونه الطفل تحت تأثير الثقافة (L. LESGOURGUES, op. cit, p 17).

5.1.5 النظرة التكاملية للشخصية:

يشير باوزنر (Pawzner,1995) إلى أن الرجوع إلى شخصية المريض بمختلف مكوناتها والى تاريخه

الخاص والمميز والى ارتباطاته الأسرية والاجتماعية والثقافية ضروري لاستجلاء مدلول الأعراض لأن المهمة الأساسية بالنسبة للسيكوباتولوجيا تكمن بالدرجة الأولى في التأويل ولا تهتم إلا في حالات نادرة بالتفسير . إن بناء الشخصية من خلال النظرة التكاملية لا يمكن أن يتحقق بصفة سليمة وسوية إلا إذا توفرت لدى الفرد مجموعة من الإمكانيات والعوامل الداخلية والخارجية سواء كانت نفسية أو عضوية أو اجتماعية ثقافية متفاعلة فيما بينها عبر مختلف مراحل النمو للفرد.

هذه النظرة تركز على عدم الاكتفاء على نموذج تحليلي يعتمد على الجانب الفردي فقط لكن بحسب

باوزنر تتعدى ذلك إلى اختصاصات مختلفة ومتكاملة تفرضها طبيعة الظاهرة السيكوباتولوجية التي تمثل

بالفعل تحديا لكل محاولة تريد أن تختزل المعرفة في جانبها العقلاني لان الاضطراب العقلي بسبب تعقيدته وثرائه وارتباطه العميق بعالم الثقافة ومكوناتها الرمزية يتطلب معرّفو عميقة بهذه الثقافة. فبفضل هذه النظرة التكاملية تيقن العديد من الباحثين بأن النماذج الغربية لتصنيف وتحديد الاضطرابات النفسية والعقلية لا يمكن أن تنطبق على أوساط ثقافية تكون الحقائق الإكلينيكية فيها تتميز بمدلولات خاصة. وكذا تبين لهم أن فعالية هذه النماذج تظل محدودة حتى داخل الوسط الذي ولدت فيه. (محمد بن عبد الله، مرجع سابق، ص 44-49).

2.5. خصائص المراهقة والرشد المبكر في المجتمع الجزائري:

لما كان موضوع دراستنا هذه هي المراهقة والرشد المبكر ارتأينا إلى أن نشير إلى بعض خصائص المراهقة والرشد المبكر في المجتمع المغاربي التي أوردها بن عبد الله محمد في كتابه "سيكوباتولوجية الشخصية المغاربية" اقتباسا من أعمال العدي من الباحثين . حيث أشار اقتباسا من أعمال بوهديبة (A. Bouhdiba, 1975) إلى أن الشاب الجزائري المغاربي في مرحلة المراهقة يدرك بأنه مطالب بأن يتصرف كالرجال لأنه أصبح واحدا منهم بحكم نضجه البيولوجي ووعيه المتزايد بقدرته على تحمل المسؤوليات. ولأنه يحس بأنه مكلف ومسؤول قد يبدي اهتماما أكبر بكل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال ويحرص على أن يكون متكيفا مع عالم الكبار ومقدسا للحياة المشتركة. لهذا السبب ولأسباب أخرى تبدو هذه المرحلة بحسب غريال مختلفة في مدلولاتها وفي محتواها عن تلك التي نعرفها في أوساط ثقافية أخرى لاسيما الأوساط الغربية.

إن المراهقة في المجتمعات المغاربية يقول غريال كمرحلة زمنية تمتد ما بين الطفولة وسن الرشد تعتبر ظاهرة جديدة لاعتبارات اجتماعية جوهرية وطارئة . فالشاب إلى عهد قريب كان يجد نفسه بسبب الزواج المبكر ينتسب إلى عالم الكبار بشكل مفاجئ ولكن مع التحولات التي طرأت على المجتمع وأدت إلى امتداد الدراسة بالنسبة للولد وتعميمها بالنسبة للبنات وتأخر عملية الزواج فان ظاهرة المراهقة برزت للوجود وأصبح لديها معنى آخر . ومن ثم فان الشباب المغاربي أصبح منشغلا أكثر بذاته وبمشاكله وبالصراعات التي تواجهه ، ولكن هذه الصراعات وهذه المشاكل تبدو مختلفة عن تلك التي تسود المجتمعات الغربية . فالحديث عن الحرية وروح المبادرة وعن الاستقلال الذاتي المنفصل عن قيم الآباء وعن أرائهم ووجهات نظرهم أمر غير وارد. بل أن الشباب المغاربي يبدا حريصا أكثر على التواصل بجماعته واحترام نمط حياتها وتقاليدها وتكييف سلوكاته وفق مبادئها وأعرافها " .

ويفسر نورالدين طوالي هذه المواصفات والخضوع للمعايير الاجتماعية للشباب المغاربي إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي يفرض على الشاب كيفما كان مستواه الثقافي والتعليمي الامتثال إلى هذه المعايير والإذعان لسلطة الأبوين واحترامهما والالتزام بخدمة المجموعة الأسرية والحفاظ على تماسكها لكي لا يقع في قلق الخطيئة والإحساس بالذنب الناجم عن مخالفة النماذج السلوكية والخلقية والدينية.

هذه بعض المعطيات التي تخص الشخصية الجزائرية للشباب في بعدها النفسي والاجتماعي أحببنا أن نسوقها هنا بهدف المساهمة في رسم ملامح هذه الشخصية علها تفيدنا في فهمها واستيعاب مدلولات اضطراباتها السيكيوباتولوجية وتمكننا من التكفل بمعالجتها بكل فعالية . هذه القناعة هي التي تحرك اليوم ثلثة من السيكيوباتولوجيين يلحون كلهم على الاهتمام بالجانب الثقافي في تناولهم للظاهرة السيكيوباتولوجية . الأمر الذي جعلنا نلتفت فيما يلي إلى ما يميز هذه الظاهرة في الوسط الجزائري المصوبوغ بالثقافة الجزائرية. (نفس المرجع، ص 149-150).

6. الهوية الجزائرية:

تظهر الهوية في المجتمع الجزائري محصورة بين قيم التقليد والحداثة، هذا التقاطب في نمط الهوية لدى الفرد الجزائري يفسر ميزة التغير المستمر في تمثلاته الثقافية مما يغدي لديه الحيرة في اختيار طريق واضح ومحدد لهويته. لقد تميزت نهاية الألفية السابقة بالصراعات والاحتجاجات ذات طبيعة هوية التي أخذت حيزا هاما من الاهتمامات العالمية في العصر الحالي. فمرحلة إعادة التجذير الانطولوجي (التي قد تأخذ وقتا طويلا) تجعل من الممكن تحقيق الجزء الثاني من الإستراتيجية التي تهدف عموما إلى إظهار الهوية الجديدة المتوقعة (الهوية المرغوبة) لأنها تتنازل عن المطالب الغير طبيعية للتقليدي. الهدف من هذا المبحث هو محاولة ، انطلاقا من الحياة النفسية والجماعية للمجتمعات المغاربية، التأكيد على أن معظم الاعطاب في بناء الهوية المغاربية ناتجة بالأساس من اللاتجانس العام الذي يمس نماذج التمثلات الثقافية لها.

6.1. السياق التاريخي والثقافي للمجتمع الجزائري:

إذا تتبعنا صيرورة تاريخ الجزائر منذ القديم ، رأينا أن عملية ظهور الممالك واندثارها خضع إلى حد كبير لحالات التدافع والتغالب التي ميزت هذه الجماعات مع محيطها الإقليمي والدولي . إن إقليما مثل شمال إفريقيا قد ظل مهبط أمم وجماعات ومجال تناطح وتنازع على السيادة الاقتصادية والسياسية والثقافية منذ القدم حتى أنه يصعب على الدارس أن يستبين العمق الانحداري الذي انبثق منه السكان الأصليين لشمال إفريقيا أهي من اليمن أم من الكنعان أم من الأعراق الأوروبية أم من غيرها من السلالات القديمة التي عمرت العالم وتحركت عبر أصقاعه تستوطنها وتنشد القرار بها. (عشراتي سليمان ، مرجع سابق، ص 29).

تشير الكثير من الدراسات والأبحاث الايكولوجية أن سكان الجزائر الأوائل إبان العصر الحجري انقرضوا ولم يتركوا أي آثار حول أصلهم وثقافتهم ولغتهم الخاصة . ثم استوطن الجزائر-وهي حالة بلدان المغرب العربي- جماعات بشرية عرفت باسم الامازيغ "البربر" التي تختلف الروايات التاريخية في تحديد نسبهم ومنحدرهم اعتبارا للخلفية المظلمة التي تكتنف التاريخ البشري في صيرورته البعيدة والتي لم يكتب لها النفاذ واستقراء مسافات ابعده في التاريخ البشري.

وكباقي الدول، عرف تاريخ الجزائر توافد مجموعات بشرية متنوعة منهم الإغريق والفينيقيون والرومان والبيزنطيين والوندال على الرغم من أنه ليس هناك ما يثبت أنه حصل اختلاط كبير بين الأمازيغ وبين هذه الشعوب. أما بعد الفتح الإسلامي توافد العرب والأندلسيون والعثمانيون على الجزائر واستقر الكثير منهم فيها وامتزجوا مع سكانها، وعلى الرغم من ذلك حافظ البربر على شخصيتهم من حب الحرية والمحافظة والشجاعة والحدق في الحروب والأصالة والمرونة في التعامل مع الآخرين، وكذا ميزة الاحتكام إلى المرجعيات العرفية الجماعية حتى وهم يأخذون بالشرائع والديانات التي يفترض أنها تتعارض مع العديد من هذه المعتقدات الموروثة حتى في زمننا هذا. (نفس المرجع، ص 31). وهذا ما قد يفسر السلوكات الوثنية التي تميز بعض عادات سكان القرى الجزائرية من خلال اعتقاد بعضهم ببعض الظواهر الميتافيزيقية كالعين الشريرة ووجوب تقديم الولائم بعد النجاح في عمل ما أو شراء مسكن أو سيارة تقريبا من الله. يمكن ان نفسر هذه السلوكات من خلال تأكيد العديد من الدراسات الانثربولوجية على أن البربر كان شعبا وثنيا كمعظم شعوب العالم في تلك الحقبة، فقد انتشر بينهم عبادة الشمس وبعض الحيوانات والرعد والأمطار بحيث يقدمون لها القرابين المختلفة، وهذا ما يفسر بعض السلوكات المتوارثة التي تنتشر في القرى الجزائرية والتي لها امتداد عبر التاريخ.

خلال مرحلة الفتح الإسلامي، يشير أحمد بن نعمان إلى أن التاريخ يذكر أن البربر أو الامازيغ أبدوا مقاومتهم المعتادة للفاثحين في أول الأمر واستبسلوا في صدهم عن الديار، ولكن بمجرد تأكدهم من حسن نوايا الفاتحين وصدق الرسالة السماوية التي يحملونها بعيدا عن كل رغبة في الاحتلال والاستغلال اقبلوا على الدين الجديد جماعات جماعات بل تنظموا جنودا لهذا الجيش وقادة لنشر الإسلام في أوروبا. (أحمد بن نعمان، 1988، ص 297). تميزت هذه الفترة بهجرات واسعة للعديد من القبائل العربية إلى شمال إفريقيا وامتزجت بالسكان المحليين في تجانس عميق كان الدين الإسلامي عماده الأساسي. تعتبر هذه الفترة مرحلة ثقافية بامتياز لسكان الجزائر في تلك الفترة، فلقد نتج عن ذلك يشير ابن خلدون فناء قبائل بربرية كانت تعمر البلاد، ويعتقد أنه فناء تمازجي قائم على أساس سيطرة الصلة الدينية من جهة ومن جهة أخرى تعمق صلة الرحم والقرابة الدموية بين البربر والعرب المسلمين مما فتح المجال لتأسس كيان مسلم راق ذو مقومات متميزة. (سليمان عشراطي، مرجع سابق، ص 90).

وبمجرد ما أصاب الدولة الإسلامية الوهن والضعف عادت الحملات الاستعمارية للمغرب العربي من جديد من خلال الاعتداءات الاسبانية والفرنسية. شرعت فرنسا في احتلال الجزائر سنة 1930 وأخذت في تثبيت استعمارها ومحاولة سحق الهوية القومية للشعب، وإلغاء عربيتهم وإسلامهم حتى يزيل طابعهما القومي في البيئة الجزائرية وتحل محلها اللغة الفرنسية والدين المسيحي، وبذلك يشرعن الاحتلال ويقضي على كل مقاومة مستقبلية للتواجد الفرنسي في الجزائر.

قوبلت هذه السياسات بمقاومة شديدة من الجزائريين كرد فعل على محاولة طمس الثقافة الإسلامية والهوية الجزائرية للفرد على جميع المستويات من خلال العديد من الحركات السياسية و الثقافية والجمعيات الدينية التي أثمرت جهودها في الأخير بثورة مباركة حققت للأمة الجزائرية الاستقلال والمضي قدما إلى بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

هذا السرد المختصر للسياق التاريخي للمجتمع الجزائري يحيلنا إلى الإقرار ب أن ثقافة المجتمع الجزائري تطورت باستمرار بفعل الالتقاء والتفاعل مع ثقافات أخرى مما يدل على ثراء المنتج الثقافي الجزائري وتنوعه وعراقته في جذور التاريخ.

2.6. مقومات الهوية الجزائرية الوطنية:

رسم بيان أول نوفمبر 1954 ملامح الهوية الوطنية للفرد الجزائري ما بعد الاستقلال من خلال تركيزه على العوامل الأساسية لبناء أي هوية وهي: المكون الديني ويتمثل في الدين الإسلامي، والمكون اللغوي ويعكس في نفس الوقت المكون العرقي ويتمثل في اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية واللغة الأمازيغية كلغة وطنية، والمكون السيادي ويتمثل في النظام الجمهوري الديمقراطي الشعبي للدولة الجزائرية والوحدة الترابية للبلاد، فالانسجام بين المواطنين يعتمد بالأساس على قبول ومساندة هذه العوامل. لقد كان تحديد هذه العوامل بهذه الطريقة الجامعة حركة ذكية من طرف المجاهدين الأوائل لخلق الطريق على ألام الاستعمار للنش في المخلفات التاريخية العرقية والمذهبية والدينية والتي ظهرت حركات واتجاهات تدعمها بعد الاستقلال.

إن إقرار بيان أول نوفمبر ومن بعده أول دستور للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بوحدة الهوية الجزائرية التي تجمع بين مختلف مكونات المجتمع الجزائري بعيدا عن الاختلافات الاثنية أو الأيديولوجية أو الدينية في ظل التعايش واحترام حقوق الأقليات أدى إلى ظهور هوية جزائرية مشتركة بين كل الجزائريين مهما كان أصلهم الاثني . يؤكد ذلك من خلال ديباجة الدستور في الفقرة الثالثة بقوله: " وكان أول نوفمبر نقطة تحول في تقرير مصيرها وتبويجا عظيما لمقاومة ضروس ، واجهت بها مختلف الاعتداءات على ثقافتها وقيمها والمكونات الأساسية لهويتها وهي الإسلام والعروبة والامازيغية".

فالمتمعن لنصوص المواد الأولى والثانية والثالثة والثالثة مكر ر من الدستور الجزائري في الباب الأول المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري الفصل الأول يستنتج ذلك:

المادة الأولى: الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية ، وهي جزء لا يتجزأ.

المادة الثانية: الإسلام دين الدولة.

المادة الثالثة: اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية.

المادة الثالثة مكرر: " قانون رقم 02-03" تمازيغت لغة وطنية تعمل الدولة على ترفيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية عبر التراب الوطني. (دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية المعدل 2008 ص 4-8).

تهدف هذه المواد الدستورية إلى تكوين هوية وطنية مشتركة لجميع السكان الجزائريين بعيداً عن كل الاعتبارات الاثنية " هوية وطنية لا اثنية " بالتركيز على مفهوم الوطن والأمة الجزائرية . فهي تأخذ بجميع المكونات الثقافية الاثنية لكل المجموعات السكانية المختلفة وتصبغها بالوطنية والقومية لتحقيق الوحدة والانتماء . وهذا ما نلاحظه في السياسات الثقافية الوطنية المتعاقبة التي تعتمد على التنوع والثراء والانتشار بعيد عن التمييز والتعصب لثقافة على حساب أخرى.

نؤكد هنا إلى أن السياسات المتعاقبة منذ الاستقلال نجحت إلى حد ما في تحقيق هذا الهدف وتوحيد الجميع حول فكرة المواطنة الجزائرية بمعناها الواسع.

يشارك سكان المغرب العربي في المكونات الثلاث السابقة : الإسلام العربية والامازيغية لكن تتميز الهوية الجزائرية عن هويات بلدان المغرب العربي الأخرى ببعض الخصائص المميزة لها منها الرقعة الجغرافية والبنية الديموغرافية والتاريخ المشترك والخصائص السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري ... الخ.

هذه الخصائص وإن كانت ثانوية بالمقارنة مع المكونات الأساسية للشخصية الوطنية إلا أنها تساعد في تنمية الشعور بالهوية الوطنية والوحدة والمصير المشترك لمختلف أفراد المجتمع الجزائري.

3.6 ملامح أزمة الهوية الجزائرية:

يعد التغيير اليوم سمة المجتمعات الحديثة، هذا التغيير الذي يعرض القيم كلها والنماذج جميعها لعملية نقدية، وذلك تحت تأثير العولمة مع تطور اقتصادي ثقافي يتميز بالتسارع، حيث إن نظام القيم الخاص بالمجتمعات الحديثة يعتمد على ديناميكيات خاصة تؤدي إلى خرق مستمر لقيمه الداخلية، فالتحديث يشتمل في واقع الأمر على قيمة التغيير الدائم والذي يؤدي إلى نفي دائم للتقليدي.

إن ضياع المعايير الاجتماعية والثقافية والنفسية في العالم المعاصر تجعل من بناء الهوية ووظائف الحياة النفسية في أزمة واضطراب، فالخاصية اللاتجانسية للمعايير والقيم الثقافية التي تميز الجزائر منذ استقلالها 1962 حتى الآن قد عقدت منظور بنية هوية متوازنة وثابتة حول معايير ثقافية موحدة تساعد على التناسق والتفرد والظهور ايجابيا بالموازاة مع حركة التاريخ. فعملية التناقص العنيفة التي ميزت الجزائر الحديثة هي مسؤولة في جزء كبير عن أزمة الهوية لدى الأفراد فيها.

كما لا ننسى أن الخيارات السياسية والاقتصادية التي اتبعتها الجزائر بعد الاستقلال عمقت من الأزمة بحيث جعلت من تحديد نموذج اجتماعي موحد ومقبول من طرف الجميع صعب المنال إن لم نقل مستحيلًا، مما عقد من هذه الصراعات وجعل من بناء الهوية أمراً معقداً ومؤجلاً. يتجلى هذا الصراع بالأساس في رغبة الدولة في بداياتها في تحقيق طفرة اقتصادية مع ما يصاحب ذلك من ثورة وجدانية وعصرنة، في حين سعت بالمقابل إلى توطيد أسس الهوية الوطنية . هذه الوضعية ؛ التي في عمقها مليئة بالتناقض المعرفي بين مكوناتها ؛ من التناقض كانت وما زالت السبب في التخبط الإيديولوجي الحالي في الجزائر. يرى نورالدين طوالي أن الجزائر اتجهت بعد الاستقلال - بخلاف المغرب وتونس - إلى الحل الأبسط لهذه المعضلة من خلال ترك الأفراد يعايشون هويتهم من خلال الواقع الثنائي للثقافة الوطنية،

وهذا ما نلمسه في الخطابات الرسمية للدولة التي تدعو إلى الحفاظ على الأصالة والنهل من الحداثة والعصرنة في خطاب مزدوج يغفل عن وضعيات التضاد والتعارض بين معايير كلا الاتجاهين التي تظهر في المعاش العام للفرد الجزائري وتمثلاته المستقبلية لهويته . وهو نفس ما ذهب إليه الباحث الجزائري مصطفى الاشرف 1965 عندما بين أن الغموض الإيديولوجي الذي ميز النظام الجزائري سنوات الستينيات إلى الثمانينيات كان المسؤول الأول عن اغلب الاضطرابات التي مست مختلف مؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والاقتصاد. (N. TOUALBI, op. cit ,p p 60-71).

إن الإشكالية اللغوية في الجزائر أصدق مثال عن هذا الصراع بحيث نجد الفرد الجزائري يتراوح بين الرغبة في الحفاظ على اللغة (الأصالة) واكتساب اللغة الأجنبية (الحداثة) وما يصاحب ذلك من التأثيرات النفسية الناتجة عن هذه الثنائية اللغوية. فان كان الاتجاه السياسي العام في الجزائر قد اتفق(ضمنيا) على الثنائية اللغوية كحل لهذا الصراع فان آثار هذا الاتفاق على الجانب النفسي لن تبقى بدون خطورة. يشير فيتوني 1983 إلى بعض آثار هذه الثنائية اللغوية من خلال الصعوبات اللغوية التي يواجهها الارطفونيين في بلدان المغرب العربي. أطلق عليها اسم " النصف اللغوي" (semilinguisme) (Ibid, p73). ومما زاد من هذه الإشكالية اللغوية في الحاضر دخول ظاهرة العولمة على المحك بحيث باتت تهدد الهوية الجزائرية لدى الشباب من خلال تراجع اللغة العربية في مواجهة اللغات الأخرى ، لاسيما الانجليزية منها.

تشير بعض التقارير إلى أن الشباب بين 15 24 سنة في المنطقة العربية يقعون تحت ضغط الإحباط والتوقعات التي تحدثها بشكل جزئي مؤثرات الإعلام والتكنولوجيا والديناميكيات التحولية في البنى الأسرية، بالإضافة إلى الصراعات السياسية والأزمات المستمرة التي تعيشها معظم بلدان المنطقة. فهؤلاء الشباب في ظل ظروف الانسداد التي يشهدها الواقع العربي، يعيشون حالة من عدم الاستقرار النفسي ، وكأنهم عالقون بين عالَمين أحدهما واقعي مؤلم لا يرضيهم ولا يلبي تطلعاتهم، والآخر افتراضي حالم يتشربونه عبر آليات العولمة المختلفة : فضائيات ،انترنت ،جوال...الخ. فالشباب يمارس هجرة مزدوجة إحداهما داخلية، وأخرى خارجية بحثا عن مستقبل آمن يريدون صنعه بأيديهم لا أن يصنع لهم أو يفرض عليهم في شكل تقاطب ثنائي بين متطلبات الحداثة وشرعة الأسلاف. (الأمم المتحدة، 2007 ،ص 26) ومن نتائج هذا التقاطب الذي أربك المنظومة التقليدية وأدخلت الفرع على قيمها، أن الشاب الجزائري المعاصر يتجه إلى فقدان الثوابت الثقافية التي يبني بواسطتها هويته، ذلك أن الهوية تحتاج إلى مراجع ثقافية وقيمة واضحة وثابتة، يعتمدها الفرد لبناء شخصيته في حين نجد أن الواقع الحالي في ظل العولمة يؤدي إلى صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها هي ثقافة السوق وتجاوز الثقافة النخبوية وسلب الخصوصية وقطع صلة الأجيال الجديدة بماضيها وتراثها وتدمير الحضارات والتأكيد على جانب النجاح الفردي وتهميش الثقافة الوطنية في عمليات انسلاخ ثقافي وتثاقف شديد في اتجاه الثقافات الغربية .

ومادامت الصراعات القيمية تهدد مفهوم الانتماء وقبول هذا الانتماء فهي تحدث أزمة هوية ووجود لأن التكامل والانسجام في مستوى النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية وقانونية تماسكها. إن تنشيط الهوية وانجرافاتها يأتي دائما كنتاج للصراعات القيمية التي لا تقبل إحدى أطرافها الهزيمة والانسحاب وبسبب كثافة وخطورة الاختراق الثقافي الذي يتعرض له نسق القيم ونظام إنتاج الرموز في المجتمع العربي، فإن مؤسسات الاجتماع والثقافة التقليدية، وهما الأسرة والمدرسة، لم تعودا قادرتين وفق صيغ أدائهما الحالية على حماية الأمن الثقافي للمجتمع، والإيفاء بحاجات أفراد من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات التي أصبحت تصاغ خارج حدود الجغرافيا والاجتماع والثقافة الوطنية. وهذا ما رتب استحفاقات إضافية تمس الأمن الثقافي ومكونات الهوية. (سلطان بلغيت، مرجع سابق، ص 360).

ومع تعمق هذه التناقضات واستدامتها وتوالي الأزمات على المجتمع الجزائري، جعلت هذه الوضعية الأفراد يلجؤون إلى استراتيجيات ثقافية تهدف إلى تحقيق التوازن بين السيادة الثقافية للثقافة الأجنبية في مقابل المقاومة من طرف الثقافة المحلية، مما يدفعهم إلى ولوج أولى خطوات التناقص المتمثلة في مرحلة إزالة التقديس عن الثقافة الأصلية. (الشيء الذي نلاحظه لدى الشباب الحالي تجاه الثقافة المحلية). هذا ما يجعل الثقافة المحلية تفقد مصداقيتها وقيمتها الاجتماعية لحساب معايير جديدة مما يؤدي مع الوقت إلى تشعبها بنماذج ومعايير جديدة تكون مرحلة ثانية في عملية التناقص وهي مرحلة الخلط الثقافي (confusion culturelle). إن الاستدخال التدريجي لهذه النماذج الثقافية الحديثة من طرف أفراد المجتمع يجعلون من هذا الخلط الثقافي في المجتمع مرجعية اجتماعية بحيث يصبح معاشهم الثقافي ثنائي وتقاطبي بين التقليدي والحداثي. فالشباب الذي يعلق علم أمريكا في سيارته يعبر عن حالة من الحيرة الثقافية لديه لعدم استعابه لفكرة أن العلم هو رمز من رموز الهوية الوطنية خاصة وأن أمريكا ترفض هويتنا وتعادي مصالحنا الوطنية على المستوى الدولي.

انعكست هذه الوضعية المأزومة علىهوية الشباب الذي بات يشعر بحالات من الاغتراب عن الذات والمجتمع، وأكثر من ذلك يعاني من حالة من الخلط و الضياع ثقافي . وعلى الرغم من أن العديد من الباحثين يرون أن هذا الخلط الثقافي عملية ايجابية تثرى الثقافة المحلية بنماذج ومعايير ثقافية وحضارية ووجدانية لترتقي بالثقافة إلى مستويات متطورة وأرقى، لكن في حقيقة الأمر أن التزامن في نفس الوقت لنموذجين ثقافيين متعارضين أحيانا لدى الفرد يفجر لديه صراعات قيمية عنيفة ومتعددة يطلق عليها نورالدين طوالبي على هذا المعاش مصطلح التناقص الثقافي الذي يصاحب الحيرة الثقافية بين الرغبة والممنوع. (N. TOUALBI, op.cit, p 41).

تشرح الصراعات التناقصية الثقافية الصعوبات التي يواجهها الفرد الجزائري المتناقص في تنظيم تمثلاته للهوية في إطار الوظيفة لاقتصادية النفسية البنائية . هذه الصعوبات ناتجة عن غياب النموذج الثقافي المتجانس الذي يستطيع بناء هذه الهوية في قالب وحدة وتناسق واستمرارية للقيم الثقافية . ومن ما يزيد من تعقد هذه الوضعية انتقال هذا التناقص إلى المؤسسات الاجتماعية والسياسية في شكل صراعات

سياسية واجتماعية تأخذ الطابع الشخصي أحيانا مع ما يصاحب ذلك من غموض وإبهام حول السياسات المثالية لبناء الهوية لدى الفرد ، يطلق عليها طوالي اسم الحيرة في الهوية (l'errance identitaire). (Ibid , p 59) .

وتلافيا لسياسة الاحتواء والغزو الثقافي المنظم التي تقودها سرايا العولمة تتصاعد من كل أركان المعمورة صيحات وتتبعث أنات، داعية إلى التجند لإيقاف هذه السياسة الهادفة لتجفيف منابع الثقافة من كل الخصوصيات من خلال تسليط الضوء على الثقافة وجعلها نقطة استهداف قصد قتل منابع الحيوية والتنوع لدى الذاتيات الحضارية المغايرة وإيهام المجتمع العالمي بأن نموذجها الثقافي، فهل هذا هو الطريق الأسلم للإنسانية ؟

7. سيكوباتولوجية الشخصية الجزائرية:

1.7 وبائية الأمراض والاضطرابات النفسية في المجتمع الجزائري:

لقد شهدت خريطة توزيع السكان في الجزائر تغيرا كبيرا، فبعدها كان أكثر من 60 بالمائة من السكان يتمركزون في الأرياف بعد الاستقلال شهدت الجزائر حركة من الهجرة الداخلية والنزوح الريفي كبيرة خاصة سنوات الأزمة الأمنية في التسعينيات نتج عنها الكثير من الإفرازات الإشكالية والمرضية مست مختلف مستويات البناء الاجتماعي والثقافي والنفسي للمجتمع والفرد مع ما صاحب ذلك من مشاكل كال فقر والبطالة وأزمات السكن والانحراف والإدمان ... الخ.

أكدت العديد من الدراسات الوبائية في الطب العقلي والنفسي إلى أن نسبة انتشار الاضطرابات النفسية والعقلية في المجتمع الجزائري في تزايد مستمر. ففي دراسة للمعهد الوطني للصحة العمومية سنة 1990 أشارت إلى أن 1.5% من إجمالي الفحوصات المسجلة على مستوى مختلف مراكز الفحص الطبي على مستوى الوطن تمثل نسبة الفحوصات العقلية موزعة بين الاكتئاب العصبي بنسبة 48% تليها الاضطرابات العقلية المزمنة بنسبة 29.8% ثم اضطرابات السلوك ب 11% والادمان بنسبة 1.2%.

أما في سنة 2002 . فقد قدر عدد المصابين بالأمراض العقلية والنفسية ب 155000 شخص يمثلون ما نسبته 0.5% من المجتمع الكلي و 62000 مصاب بالصرع . (Ministre de la sante, 2004, p 05) في 2005 ، ومن خلال البحث المقدم من طرف الدكتور بوعلام شرشالي (مسؤول البرنامج الوطني للصحة العقلية في قسم الصحة بالوزارة) في إطار الإحصائيات الوطنية حول الصحة العائلية، أقر بان نسبة انتشار الأمراض العقلية في الجزائر قدر ب 0.5% من السكان مع ظهور 26370 حالة جديدة في 2005 تمثل الذهانات فيها ما نسبته 51.24% والصرع 38.21% والاكتئاب 6.76% والعصابات 2.83% والعته العقلي 0.38% (جريدة ليبرتي اليومية، العدد الصادر ليوم 27 اوت 2006).

لقد دق الممارسون في الصحة العمومية ناقوس الخطر لأهمية تسطير برامج خاصة للتكفل بالأمراض العقلية. ففي دراسة سويسرية على الصحة العقلية في العالم نشرت 2007 أشارت إلى أن أكثر من

مليونى جزائري يحتاج إلى التكفل بصحتهم العقلية. كما أشار مجموعة من الباحثين الامريكين إلى أن نسبة انتشار الأمراض العقلية والاضطرابات النفسية في الجزائر يتراوح ما بين 10-12/ . (جريدة الوطن العدد الصادر ليوم 21 مارس 2009) . وهذا ما تؤكدته دراسات الدكتور محمد شكالي (رئيس مصلحة الأمراض العقلية في مستشفى البلدية الجامعي) حيث أشار في حوار مع (جريدة لتريبين العدد الصادر ليوم 16 فيفري 2005) بأن نسبة الجزائريين الذين يحتاجون إلى رعاية نفسية بلغت 10 % حسب الدراسات العالمية.

لا أحد ينكر أن نسبة الأمراض العقلية في الجزائر في تزايد مستمر ، وهذا راجع في جزء منه إلى العنف الإرهابي الذي ميز العشرية السوداء بالإضافة إلى ظروف العيش التي أفرزتها الأوضاع الاجتماعية الحالية التي أصبحت معقدة وصعبة للغاية سواء في المنزل أو العمل أو في المجتمع ما سبب الانتشار الواسع للضغط والقلق والاكتئاب بين أفراد المجتمع في ظل عدم كفاية وسائل العناية والتكفل.

2.7 واقع الصحة النفسية والعقلية في الجزائر :

تعتبر الصحة النفسية والعقلية مؤشر أساسي لصحة المجتمع في مجمله، فهي تمثل حالة من الراحة والإشباع من خلالها يمكن للفرد أن يتجاوز مختلف ضغوطات الحياة ويلعب دوره الاجتماعي بنجاح ويساهم في الحياة العامة.

شهدت الصحة النفسية والعقلية في الجزائر في السنوات الخمسين الماضية تحولات وتطورات عميقة، حصرها البروفيسور فريد كاشا(رئيس مصلحة الطب العقلي والأمراض النفسية بالمستشفى الجامعي الشراقة) في أربعة مراحل متتابعة تفسر إلى حد كبير الوضعية الحالية للصحة النفسية والعقلية في الجزائر . وهي:

1. فترة بعد الاستقلال : 1962-1972 تعرضت المستشفيات الجزائرية إلى نزيف حاد في الأخصائيين بمختلف التخصصات خاصة في الطب العقلي مما جعل الجزائر تلجا بسرعة إلى الأخصائيين الأجانب والمتعاونين من البلدان الشرقية للتكفل بالمرضى في انتظار تجسيد مشروع وطني لتكوين الأطباء ومختلف الممارسين في الصحة العمومية والعقلية.

2. الفترة الثانية امتدت حتى سنوات التسعينات: تميزت بحسب فريد كاشا باستحداث :

- تكوين الأطباء العقليين والأخصائيين النفسانيين" الدفعة الأولى للأطباء العقليين تخرجت من جامعة الجزائر سنة 1971».

-تنظيم مصالح خاصة بالطب العقلي واستحداث وحدات للاستعجالات.

-تعميم سياسة العلاج المجاني من استشفاء وفحص وعلاج على حساب الدولة والضمان الاجتماعي.

-إصدار أول قانون للصحة العقلية.

-الشروع في بناء 05 مستشفيات للصحة العقلية والنفسية بقدرة استيعاب 250 سرير .
 3. فترة التسعينيات أو ما يعرف بالعيشية السوداء التي تميزت بانهيار أمني واقتصادي كبير للدولة مع ما صاحب ذلك من عنف اجتماعي واغتيال للمثقفين وهجرة جماعية للإطارات والكفاءات الطبية إلى الخارج . خسرت الجزائر في هذه الفترة الكثير من الكفاءات والأطباء " أكثر من طبيب عقلي 150 غادروا الجزائر في هذه الفترة" مع عزل الجزائر دوليا وإقليميا.
 4. منذ سنوات 2000: ومع عودة الاستقرار والأمن إلى ربوع البلاد، انتعشت البحوث النفسية والعقلية في الجزائر بصفة ملحوظة خاصة فيما يتعلق بالآثار النفسية والاجتماعية لمخلفات العيشية السوداء على الصحة النفسية للأفراد. (جريدة لوسوار دالجيري اليومية العدد الصادر ليوم الجمعة 22 والسبت 23 ماي 2009 ص 08).

طرحت الجزائر؛ بالموازاة مع المنظمة العالمية للصحة التي طرحت إستراتيجية عالمية امتدت لعشرة سنوات 2000-2010 للصحة العقلية والوقاية من الإدمان ؛ مشروعا وطنيا للصحة العقلية بمشاركة مختلف المهنيين المهتمين بهذا الموضوع من مختلف القطاعات (وزارة الصحة، وزارة العدل، وزارة الداخلية، وزارة الشباب والرياضة، وزارة العمل والضمان الاجتماعي، وزارة التضامن الوطني، وزارة الثقافة، ممثل اليونيسف، وزارة الشؤون الدينية ومنظمات المجتمع المدني). يهدف هذا المشروع إلى الوقاية والتكفل بالمصابين بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية والنفساجتماعية والمساهمة في تحسين نوعية الحياة لمجموع أفراد المجتمع.

فمنذ الإعلان عن بداية هذا المشروع يوم 2001/10/01 توالى التعليمات الوزارية تباعا (تعليمية وزارية رقم: 13 ل 24 سبتمبر 2001 لتدعيم وعدم المركزية لعلاج الأمراض العقلية، تعليمية وزارية رقم 506 ل 23 أكتوبر 2001 تحدد طرق التكفل بالمرضى العقليين ، تعليمية وزارية رقم 06 ل 05 ماي 2002 تحدد مهام ووظائف المراكز الوسيطة للصحة العقلية...) وغيرها من التعليمات التي كانت تهدف في معظمها إلى تنظيم عملية التكفل بالمرضى وخلق بنى تحتية جديدة لتقريب العلاج من المواطن مع تشجيع التكوين في هذا المجال وتحسين مستوى الممارسين للصحة العقلية. (Ministre de la sante, 2004, p 03). أما على مستوى الإطارات الطبية و الشبه الطبية ، أشار فريد كاشا في 2005 إلى وجود أكثر من 500 طبيب عقلي يمارس المهنة في الجزائر حيث يمثل المشتغلون في القطاع الخاص حوالي نصف هذا العدد. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 146) .

بالنسبة لعلم النفس العيادي : انتشر التكوين في هذا التخصص في العديد من الجامعات الجزائرية بحيث أصبح عدد الاخصائين النفسانيين الممارسين متجاوزا 1000 سنة 2005 . يتوزعون بين العديد من مؤسسات التكفل بالمعوقين وعلى مستوى مختلف المصالح الطبية في المستشفيات (الجراحية، طب الأطفال، طب القلب، طب الأعصاب ،طب السكر والغدد، ومصالح الفحوصات). في حين يشير فريد

كاشا إلى أن توظيف الأخصائيين النفسيين العياديين على مستوى مستشفيات الطب العقلي والنفسي يبقى ضعيفا وغير كافي. يعيب فريد كاشا في تكوين الأخصائيين النفسيين العياديين اختزال التكوين التطبيقي للمتربصين في أسابيع قليلة وفي بعض الأحيان في مؤسسات غير مؤهلة للتكوين الجامعي بعيدا عن كل تقييم وتقويم منهجي. كما أشار إلى القانون الذي يسمح للمختص النفسي الذي يحوز على ليسانس علم النفس العيادي فقط بالعمل في عيادة خاصة أو مؤسسة طبية في حين أن تكوينه التطبيقي وفي علم النفس المرضي يبقى ناقصا لا يرقى إلى السماح له بالولوج عالم الشغل مباشرة. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 147). أما في مجال التكوين نلاحظ الانتشار الواسع في السنوات الأخيرة لمؤسسات خاصة تسعى إلى اقتراح العديد من فرص التكوين في العلاج النفسي بمختلف اتجاهاته ومنهجياته وتقنيات الاسترخاء والعلاج العائلي والتكفل بالمصابين بالصدمة والعلاجات المعرفية والسلوكية والتكفل بالأطفال التوحيديين.. كما نشطت أيضا حركة البحث العلمي من خلال العديد من الملتقيات الوطنية والدولية حول الصحة النفسية والعقلية في الجزائر.

تتوفر الجزائر على قدرات صحية معتبرة، فبحسب الخريطة الصحية للصحة العقلية في الجزائر لسنة 2004 تتوزع القدرات المادية والبشرية المتوفرة بالشكل التالي:

- ستة (06) مستشفيات جامعية تحتوي على مصالِح خاصة بالطب العقلي " 1329 سرير".
- عشرة (10) مؤسسات استشفائية متخصصة بالطب العقلي بقدرة استيعاب 2630 سرير.
- ستة عشرة (16) مصلحة مختصة في الطب العقلي تابعة للقطاعات الخاصة على مستوى مختلف الولايات بقدرة استيعاب 490 سرير. (Ministre de la sante, 2004, p 04)

3.7 الخصائص الإكلينيكية والوبائية لبعض الاضطرابات النفسية في المجتمع الجزائري:

تدعو النظرة التكاملية الحديثة للشخصية إلى التركيز على العامل الثقافي للوقوف على مدلولات الأعراض والاضطرابات النفسية بشكل فعال وعلمي . يتبنى هذه النظرة العديد من الباحثين المغاربة من أمثال سليم عمار وبن سماعيل وموساويوغيرهم، وتتبنّاها أيضا بعض التصنيفات الحديثة المعتمدة في البلدان الغربية مثل الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث المراجع للاضطرابات العقلية " DSM III R " الذي يوصي معده باستخدامه بحذر في الأوساط الثقافية غير الغربية لان السيكيوباتولوجية في نظرهم تظل مشروطة بعامل الثقافة. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 156) يؤكد فريد كاشا ذلك بان الأمراض العقلية هي أمراض عالمية وتنتشر في جميع دول العالم، ولكن المتغير في هذه المعادلة هو علاقة هذه الأمراض بثقافة هذه البلدان : فالنظرة الاجتماعية والعائلية لهذه الأمراض ومدى تقبلها وكذا شكل التعبير السميولوجي للمعاناة المصاحبة لهذه الأمراض والتصورات الاجتماعية لها يتحدد إلى حد بعيد بالثقافة السائدة في هذه البلدان . (جريدة لوسوار دالجيري اليومية العدد الصادر ليوم الجمعة 22 والسبت 23 ماي 2009 ص 09).

إن بعض الوحدات السيكيوباتولوجية المعروفة بسمياتها الإكلينيكية المميزة لا يوجد ما يعادلها في أوساط ثقافية أخرى . هذه الملاحظة تنطبق على أنواع من العصابات كما تنطبق على ذهان البرانويا والميلانوخيا في شكلها المؤنب بينما توجد مجموعة من الاضطرابات العقلية " خبل الشيخوخة والعتة والخلط العقلي والهذيان الحاد " تبدو بحسب عامر سليم 1972 مميزاتا متشابهة في كل الأوساط الاجتماعية وغير متأثرة بالتحويلات الثقافية لا في عليتها ولا في تعبيراتها. كما أننا نجد بعض الحالات المرضية تتشابه في التسمية ولكن تختلف على المستوى السميولوجي أو على المستوى التصنيفي والوبائي كالاكتئاب. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 175)

لذلك سنحاول في عجالة تناول بعض الاضطرابات النفسية والعقلية في شكل الاكتئاب والانتحار وبعض الحالات السيكيوباتولوجية الأخرى بالتركيز على الثقافة المغاربية وهذا من خلال مجموعة من الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع:

1.3.7 الاكتئاب:

إذا كان الاضطراب في المزاج والبطء الفكري والحركي من السمات الأساسية للملاحظة وبصفة عامة في كل الأوساط الثقافية لتشخيص الاكتئاب، فإن أفكار لوم الذات وعدم تقدير الذات والشعور بالدونية والذنب تهيمن على اللائحة الإكلينيكية للاكتئاب الميلانوخيا في المجتمعات الغربية في حين تمثل الشكاوي الجسمية ومشاعر الاضطهاد السمات الأساسية للحالات الاكتئابية في المجتمعات غير الغربية مع غياب الشعور بالذنب . هذا ما لوحظ في مصر بالنسبة للمرضى المصابين بذهان الهوس الاكتئابي ، ويشير إليه صادق بالنسبة لاندونيسيا ، وعلي عويطة أشار إلى أعراض الاضطهاد والهذيان والتجسيم وإسحاق بن عمر في تونس مع غياب مفهوم الشعور بالذنب . وهي نفس الملاحظة التي سجلها كل من مورفي وبيكوفر وشانج 1967 حينما تكلموا عن غياب مشاعر الإحساس بالذنب بشكل مطلق خارج الثقافات المسيحية الغربية. وكذلك بالنسبة لغربال 1977 ودويل 1984 الذين يؤكدان على غياب الإشكالية الاكتئابية الميلانوخية في المجتمعات الإفريقية والمغاربية فلا وجود في نظرهم للألم المعنوي ولا للشعور بالذنب ولا للسلوك الانتحاري في هذين النوعين من الثقافات . .

في تفسيرهم لعلية أعراض الشكاوي الجسمية " توهم المرض " ومشاعر الاضطهاد " المستوى الاجتماعي على اللائحة الإكلينيكية للاكتئاب لدى الفرد الجزائري " المغاربي " . اتجه العديد من الباحثين إلى تحليل مشاعر الاضطهاد التي تتميز في الغالب باضطرابات على المستوى الاجتماعي وعلى مستوى العلاقات بين الأفراد مع مشاعر الدونية وفقدان القيمة . فالفرد المغاربي المكتئب تغلب عليه مشاعر الاضطهاد على الأعراض الأخرى لأنه يحس بأنه ضحية مؤامرة من طرف الآخر ، وبأنه مضطهد من أسرته أو مجتمعه، وأن الخطأ يكمن في الآخر وعدم تفهمه له ، وبالتالي فإن الإحساس بالذنب الذاتي يكاد يكون منعما ، حتى وإن أشار إليه البعض من الباحثين فإنه يكون خارجيا وشعوريا ومتعلقا بنظرة الجماعة للفرد.

كما تتميز هذه الحالة في نظر الباحثين بسمة توهم المرض التي تعكس الشعور بفقد الكمال الجسمي والهوية الجماعية للشخص إلى جانب التعبير الهذيانية المزيفة التي تشهد على الصراع الذي يعيشه الفرد بسبب إحساسه بعدم الانتماء إلى الجماعة وفقدان تضامنها الذي يمثل الضامن الأساسي للكمال المعنوي. فملاحظات الأستاذين سليم عمار وبن جلول 1983 بشأن الاكتئاب المقنعة يؤكد الانتشار الكبير لعمليات التجسيم المرتبطة بالحالات الاكتئابية في الواقع الثقافي المغربي والتونسي . فلغة الجسم هي التي تهيمن في نظرهما على هذه الحالات بيد أن التعبير عن القلق والحيرة والحزن والشعور بالذنب والنفور من الحياة يظل مخفيا ومكبوتا. فالمغربي يفضل استخدام جسمه للتعبير عن معاناته النفسية " شيوع ظاهرة كولشيالجي" "koulchialgie" ويظهر ذلك بصورة أوضح لدى المرأة المغاربية لأنها تجد صعوبة في الكشف عن معاناتها النفسية أمام الجماعة بسبب هيمنة السمات الثقافية المبنية على الخضوع والهيمنة والقبول وليس على إشكالية الخطيئة، بالإضافة إلى الضغوطات الاجتماعية التي ترفض الإفصاح عن الحزن واليأس ولوم الذات في المجتمع المغربي .

في تناوله لنفس الظاهرة اجزم الأستاذ محفوظ بوسبسي 1984 بأنها تمثل العنصر المميز للطب النفسي المغربي ، وتتميز بسمة الاضطهاد وندرة الإحساس بالدونية ولوم الذات والذنب وندرة السلوكات الانتحارية ، لكنه أشار إلى إمكانية ظهور هذه المشاعر مستقبلا مع التحولات الثقافية التي تغير العلاقات والروابط بشكل عام وتؤثر على تنظيم النموذج العلائقي الذي ينتقل من البعد الجماعي إلى البعد الفردي. تأتي في الأخير ملاحظات بن سماعيل لتعزز نفس النظرة فيما يتعلق بموضوع الحالة الميلانوخيا، وتؤكد على ضرورة التكفل بالمريض المغربي في إطار محيطه الاجتماعي، ومن منظور شامل ومدمج يأخذ بعين الاعتبار كل أبعاد الاضطراب العقلي البيولوجية والعصبية والنفسية والعاطفية والعلاقات الاجتماعية والأسرية. (نفس المرجع، ص ص 158-165)

2.3.7 الانتحار:

بينت الإحصائيات التي قامت بها مصالح الدرك الوطني على المستوى الوطني عام 2005 وجود 192 حالة انتحار مقابل 223 محاولة انتحار، مست بالدرجة الأولى الفئة التي تتراوح أعمارهم بين 18-40 سنة، وتصدرت القائمة كل من ولاية بجاية وهران والبويرة ، كانت أعلى نسبة للانتحار للذكور ب 159 حالة انتحار مقابل 36 للإناث . والغريب في الأمر أن هذه الآفة بدأت في الآونة الأخيرة تمس الأطفال دون السن 18 حيث سجلت هذه المصالح 16 حالة انتحار و 25 محاولة انتحار عند هذه الفئة، وهي أرقام يراها المختصون خطيرة ومقلقة وتستدعي تدخل الجهات الوصية. (بوسنة زهير عبد الوافي، مرجع سابق، ص 103). أما في سنة 2006 فقد قدمت هذه المصالح أرقام جديدة تخص هذه الظاهرة ب 112 حالة انتحار و 1423 محاولة انتحار سنويا معظمها نساء.

بينما يشير البروفيسور فريد كاشا في حوار مع جريدة لو كوتديان وهران عدد 10 أكتوبر 2006 إلى أن نسبة انتشار الانتحار في الجزائر بلغت 100000/2 من مجموع السكان ، تمس بالأخص الأفراد

المسنين الذين يعانون من القلق والحصر والمشاكل الاجتماعية والوحدة. أما بالنسبة لمحاولات الانتحار فهي تمثل 100000/34.1، وتخص بالأساس المراهقين . في تفسيره لهذا الارتفاع الكبير لانتشار هذه الظاهرة تناول زهير بوسنة وجهة نظر الدكتور بن إسماعيل في تفسيره لهذه الظاهرة ، حيث يشير إلى أن: " الحديث عن الانتحار في المجتمع الجزائري يستدعي الحديث عن علاقة سببية بين الطب العقلي والثقافة والذي يفيد بدوره إلى طب عقلي متعدد الثقافات " . يؤكد ذلك آدمز من خلال إشارته إلى أن وصف المحيط الثقافي أو عرض من الأعراض الإكلينيكية أو نمط من أنماط التفريغ لا بد أن يكون من الصميم . كذلك حالة المريض ومعاشه ومعاناته ؛ بمعنى تحاشي كل ما هو سطحي ؛ والبحث في المعنى الدقيق للسلوك الظاهر . إن معرفة الثقافة السائدة أمر لا مفر منه إذا أراد الباحث التحكم في الحالة وفهم الفرد البشري ، وفي هذا الصدد فإن الرجوع إلى مقارنة طبوع عقلية تعتبر وسيلة تحليل جد مفيدة . رغم غياب الإحصائيات الدقيقة إلا أن بوسنة يشير إلى أن الانتحار ومحاولات الانتحار كانا قليل الظهور في المجتمع المغربي التقليدي سابقا وهذا يمكن رده إلى عوامل منها الدين الإسلامي الحنيف الذي يقف كالحصن المنيع والذي يحرم الانتحار .

يطلق الدكتور بن إسماعيل على الوضعية الاجتماعية الحالية التي تتميز بالتأزم على كل المستويات ب: " الانحطاط الاجتماعي الثقافي " بذلك لم عد في مقدرة النظام الاجتماعي الحالي إشباع الحاجات الأولية للفرد مما يجعله يلجا إلى قواه الخاصة كي يعيش . هذا ما يجعله معرض على الدوام للإجهاد والضغطات الناشئة بين الأفراد و يزيد من حدة القلق والتعب والعدوان . في هذه الوضعية التصارعية ، تتم التفريغات حسب داكورت 1987 على شكل مرور للفعل وسلوكات منحرفة كالجنوح وتعاطي الكحول والإدمان . أما البنات فتظهر لديهن الحالات الاكتئابية مصاحبة بأعراض هستيرية متعددة الأشكال وإقبال على الانتحار رغبة في الاستقلالية من جهة أو مواجهة ضغط المتطلبات التي تفرضها العادات والتقاليد العائلية .

لقد قدم بوسنة زهير في تفسيره لظاهرة الانتحار نموذجين إكلينيكين جديدين هما وراء الانتحار كظاهرة نفساجتماعية هما: ادم 1999

النموذج الأول: تظهر مواضيع الهذاء لدى المريض ويغلب عليه الشعور بالذنب والموت، وهذا له علاقة كبيرة بالوثبات الاجتماعية والثقافية وأثارها على الديناميكية العائلية وعلى المسار النفسي والعاطفي للشخصية مما يرشح هذا الفرد إلى الانتحار. نجد هذه المواضيع خاصة عند المتقنين والقاطنين بالمدينة.

النموذج الثاني: الاعتماد الكلي على المهدئات بالنسبة للذهانيين التي قد تؤدي إلى ظهور حالة حداد تنتج عنها سوداوية حادة تنتهي بالاكتئاب ثم الانتحار مستقبلا. (بوسنة زهير عبد الوافي، مرجع سابق، ص ص 110 - 117).

3.3.7 اضطرابات نفسية أخرى:

إن التأثيرات الثقافية المميزة لمختلف الظواهر السيكوباتولوجية في المجتمع الجزائري والمغربي تبرز على المستوى الوبائي " الانتشار " وعلى المستوى الإكلينيكي " الأعراض " . فبالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقا حول اضطراب الاكتئاب وظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري وما يميزهما عن السيكوباتولوجية الغربية، يشير سليم عمار إلى أن نسبة اضطراب الفصام في المجتمع التونسي في سنوات الستينات قدرت ب 12% بالمائة فقط بعيدا عن النسبة العالمية المقدرة ب 35% . ويفسر ذلك بالتلاحم والتكافل النفسي والاجتماعي الذي يميز المجتمعات التقليدية. لكن هذه النسبة تضاعفت سنوات السبعينات حتى بلغت 27% من مجمل الاضطرابات العقلية، ويعزو هذه الزيادة إلى التحول الذي طرأ على مستوى البنيات الأسرية بسبب تفكك الروابط التي كانت تجمع بين أفرادها، وكذلك التحولات الجذرية في الاحتياجات والاعتقادات والطموحات لكل المجموعة. (بن عبد الله محمد، مرجع سابق، ص 167)

في المقابلة التي أجرتها جريدة لوسوار دالجيري اليومية العدد الصادر ليوم الجمعة 22 والسبت 23 ماي 2009 (ص 09)، صرح البروفيسور فريد كاشا بأن الفصام هو الاضطراب الأكثر انتشارا فيما يتعلق بالأمراض العقلية في الجزائر " ويتماثل مع السرطان في الأمراض الجسمية" بحيث يصيب الشباب عموما في قدراتهم المعرفية. يمثل ما نسبته 1% من السكان على المستوى العالمي بمعدل رجلين 2 في مقابل امرأة واحدة. تليه الاضطرابات المزاجية " الاكتئاب والهوس " والهذيان المزمنة ثم العصابات والوساوس القهرية والخوف مع أغلبية للنساء . من الحقائق الإكلينيكية المميزة لظاهرة الفصام في المغرب العربي يشير بن عبد الله محمد إلى أهمية هذيانات الاضطهاد والتسمم السحري والاستحواذ من قبل الجن في تشخيص هذا الاضطراب في المحيط المغربي، وإلى المضامين الدينية والكونية والسياسية وإلى الشكاوي الجسمية وأعراض أخرى منتشرة في الهستيريا ، وكلها أعراض تؤكد على تأثير العامل الثقافي والاجتماعي على أعراض هذا الاضطراب وخصائصه الإكلينيكية. (نفس المرجع، ص 168).

أما اضطراب الهستيريا، فيشير بن ميلود وزملاؤه 1969 إلى أنها تمثل العصاب الأكثر انتشارا في الجزائر . تتميز بكل الأوصاف الإكلينيكية المعروفة الخاصة بنوبة "شاركو" أو بتلك التي ترتبط بالحالة الغسقية بالإضافة إلى الأعراض الوظيفية الدائمة مثل العمى والشلل وكذا الظواهر التحليلية والقابلية للإيحاء والميل إلى الكذب. لكن العديد من الباحثين بوسبسي 1975 وعمار 1975 وبن سماعيل 1975 يعتبرون أن حالات الهستيريا المغربية لا تعادل في الكثير من مظاهرها العصاب الهستيريا المعروف في الغرب بل يركزون على أن ظاهرة التجسيم من السمات الأساسية والمميزة التي تميز الحالات المغربية ومن أبرز التأثيرات الثقافية على السيكوباتولوجية المغربية على المستوى الوبائي والإكلينيكي ، يشير بن سماعيل 1993 إلى ندرة خبل الشيخوخة في المجتمع الجزائري 0.8 بالمائة بالجزائر ، ويفسر ذلك إلى انخفاض عدد الشيوخ في الجزائر والوضعية الاجتماعية التي يحتلها الشيخ في المجتمع الجزائري ونوعية العلاقات التي تربطه بمحيطه وطرق التكفل بحاجاته وانشغالاته ومعاناته. كما يشير مارس وبار 1962

إلى الانتشار الواسع لحالات الذهان النفاس الحاد في الجزائر بعد الاستقلال بنسبة قدرت ب 13% في حين النسبة العالمية هي 4%، ويفسر بن ميلود وزملاؤه ذلك 1972 من خلال العوامل الثقافية والاجتماعية السائدة كالزواج المبكر والولادات المتقاربة ونقص الوقاية والغذاء بعد الولادة. (نفس المرجع، ص ص 175-177).

من خلال ما سبق يتبين لنا أن هذه الحالات السيكيوباتولوجية تتباين في بعض تعبيراتها السميولوجية ومميزاتها الوبائية عن تلك التي تشيع في الوسط الغربي.

خلاصة الفصل:

يعد التغير السمة المميزة للمجتمعات المعاصرة ومنها الجزائر، هذا التغير الذي يعرض القيم كلها والنماذج والبنى الاجتماعية للمجتمعات جميعها لعملية نقدية، وذلك تحت تأثير العولمة مع تطور اقتصادي ثقافي يتميز بالتسارع، وهذا ما استخلصناه من خلال تتبع التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري الذي انتقل من نظام قبلي إلى نظام شبه رأسمالي ليبرالي، وكذا من خلال تطور الأسرة الجزائرية و تغير طرق ومناهج التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري (من منهجيات تقوم على الإيحائية والجبرية إلى مناهج جديدة تقوم على الليونة والتساهل والحرية) في ظل عمليات التغير الاجتماعي والثقافي التي مست المجتمع الجزائري منذ الاستقلال.

تتميز الشخصية الجزائرية ببعض السمات الشخصية تجعل من بناء الهوية في الوضعية الحالية للمجتمع الجزائري تتم بإشكالية وأزمة . فالواقع الاجتماعي والثقافي الجزائري الحالي يتسم بالازدواجية في المعايير والنقاطب الثقافي في ظل غياب نموذج ثقافي موحد ومشجع من طرف الدولة يلجأ الأفراد إليه في بناء هويتهم ، وهذا ما جعل العديد من الباحثين الجزائريين يشيرون إلى أن الفرد الجزائري يعيش أزمة في الهوية.

بطبيعة الحال ما دام الفرد الجزائري يعيش أزمة في الهوية وفي ثقافته فان ذلك سينعكس على مستويات الصحة النفسية لديه. أشارت العديد من الدراسات إلى أن عدد الأفراد الذين يحتاجون إلى تكفل نفسي في الجزائر يقدر بحوالي 2 مليون فرد ما يدق ناقوس الخطر ويدعو الجميع إلى تضافر جهودهم من أجل بناء استراتيجيات صحية نفسية تأخذ بعين الاعتبار أثر المتغير الثقافي على الصحة النفسية ، والى التكفل الجيد والأمنثل بهذه الحالات.

الدراسة الميدانية

الفصل السادس

الإجراءات المنهجية و إعداد أدوات الدراسة

1- المنهج

2- الدراسة الإستطلاعية

2-1- العينة الأولى

2-2- العينة الثانية

2-3- العينة الثالثة

2-4- العينة الرابعة

3- الدراسة الأساسية

4- أدوات الدراسة و خصائصها السيكمترية

4-1- مقياس الشدة النفسية لكيسلر

4-1-1- خطوات ترجمة المقياس

4-1-2- الخصائص السيكمترية

4-2- مقياس التناقف

4-2-1- خطوات بناء المقياس

4-2-2- الخصائص السيكمترية

4-3- المقياس الموضوعي لرتب الهوية

4-3-1- الخصائص السيكمترية

1- المنهج:

اعتمدنا على المنهج الوصفي الارتباطي والمقارن لمعرفة قوة العلاقة و التأثير بين المتغيرات مما يسمح بوصف و تفسير العلاقات القائمة بين متغيرات الدراسة، واستعملنا برنامج الحزم الإحصائية SPSS V 20 لمعالجة البيانات. استخدمنا الأساليب الإحصائية المتمثلة في: المتوسطات الحسابية، و الانحرافات المعيارية و اختبار "ت" و اختبار "ف" لمعرفة الفروق بين الفئات المختلفة و اختبار شيفيه لتحديد أي من الفئات كانت هذه الفروق لصالحها، كما أستعملنا معامل الارتباط بيرسون لدراسة العلاقة بين مختلف متغيرات الدراسة. اعتمدنا التحليل العاملي التوكيدي لحساب صدق المقاييس كما استخدم تحليل الانحدار الثنائي اللوجستي للكشف عن مدى إمكانية تنبؤ أبعاد المتغيرات المستقلة بدرجات المتغير التابع.

2- الدراسة الاستطلاعية

اعتمدت الدراسة على أربع عينات استطلاعية لدراسة الخصائص السيكومترية لكل من الأدوات الثلاثة المستخدمة في هذا البحث. كما تم تطبيق أدوات قياس أخرى ذات خصائص سيكومترية جيدة ومعروفة وذلك لحساب بعض الخصائص السيكومترية مثل الصدق التقاربي و الصدق التباعدي لأدوات الدراسة. و قد امتدت فترة دراسة هذه المقاييس حوالي سنتين من أجل الوقوف على مدى الثبات والصدق في كل منها.

1-2- العينة الأولى

شملت هذه العينة على 172 فردا، لدراسة الخصائص السيكومترية لمقياس التناقف لدى الشباب الجزائري من إعداد رجال غربي محمد الهادي والعقون لحسن، و تكونت من طلبة شعبة علم النفس بجامعة بسكرة و مجموعة من طلبة قسم اللغات شعبة اللغة الفرنسية و طلبة شعبة الاقتصاد بجامعة باتنة، في الفترة الممتدة من أكتوبر 2013 إلى نوفمبر 2013. تم تطبيق الاختبار بصورة جماعية وبإشراف من الباحث نفسه. تراوحت أعمار أفراد هذه العينة بين 18 و 30 سنة (متوسط = 23.26 انحراف معياري = 2.40). و يبين الجدول (11) خصائص العينة.

الجدول (11) الخصائص الديموغرافية للعيينة الأولى (ن=172)

الفئة	العدد	النسبة(%)
السن		
18 - 22	76	44.2
23 - 30	96	55.8
الجنس		
اناث	135	79.7
ذكور	37	20.3
المستوى التعليمي		
ليسانس	117	62.0
ماستر	55	32.2
التخصص		
اقتصاد	46	26.7
فرنسية	50	29.1
علم النفس	76	44.2
العيينة	172	100(%)

وقد بلغت نسبة الإناث 79.7 % و نسبة الذكور 20.3 % . و تم تصنيفهم حسب السن إلى فئتين من 18 إلى 22 و الفئة الثانية من 23 إلى 30 سنة. و حسب المستوى التعليمي إلى مستويين (الليسانس و الماستر). ومن حيث التخصص الجامعي شملت الدراسة على ثلاث تخصصات جامعية هي : الاقتصاد واللغة الفرنسية من جامعة باتنة ، ثم تخصص علم النفس من جامعة بسكرة.

2-2- العينة الثانية :

شملت هذه العينة على 181 فردا، لدراسة الخصائص السيكومترية لمقياس كيسلر للشدة النفسية ؛ ترجمة وتقنين رحال غربي محمد الهادي والعقون لحسن ؛ و تكونت من طلبة شعبي علم النفس والتكنولوجيا بجامعة بسكرة و مجموعة من طلبة شعبة الاقتصاد جامعة باتنة . تم تطبيق كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية بصورة جماعية وبإشراف من الباحث نفسه بالموازاة مع تطبيق قائمة "ارون بيك" الثانية للاكتئاب (1996) ومقياس التشاؤم لمعه أحمد عبد الخالق (1996)، وكذا مقياس تايلور للقلق الصريح من اقتباس كل من الدكتور مصطفى فهمي (أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس) والدكتور محمد أحمد غالي (أستاذ علم النفس جامعة الأزهر)، و ذلك لدراسة الخصائص السيكومترية (حساب الصدق التقاربي) ، إضافة إلى مقياس التفاؤل لمعه أحمد عبد الخالق (1996) لحساب الصدق التباعدي.

تراوح سن أفراد العينة ما بين 18 و 35 سنة (متوسط = 22.51 انحراف معياري = 3.24). جرى تطبيق الاختبار بشكل فردي في الفترة الممتدة بين أكتوبر 2013 إلى نوفمبر 2013. و يوضح الجدول (12) الخصائص الديمغرافية للعينة.

الجدول (12) : خصائص العينة الاستطلاعية الثانية (ن=181)

النسبة(%)	العدد	الفئة	
68.5	124	22 - 18	السن
31.5	57	35 - 22	
68.0	123	اناث	الجنس
32.0	58	ذكور	
45.3	82	علم النفس	التخصص
21.5	39	تكنولوجيا	
33.1	60	اقتصاد	
100(%)	181		العينة

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة الاناث في هذه العينة تقدر ب 68.0 %، والذكور ب 32.0 % . وهي مقسمة إلى فئتين عمريتين (22-18 بنسبة 68.5 %) و (35-22 بنسبة 31.5 %) . و حسب التخصص الجامعي تمثل نسبة طلبة علم النفس جامعة بسكرة (45.3 %) من العينة الكلية وطلبة التكنولوجيا (21.5 %)، بينما بلغت نسبة طلبة الاقتصاد جامعة باتنة (33.1 %) .

2-3- العينة الثالثة:

شملت هذه العينة على 103 فردا، لدراسة خاصية الثبات لمقياس كيسلر للشدة النفسية ؛ ترجمة وتقنين رجال غربي محمد الهادي والعقون لحسن ، بطريقة التطبيق وإعادة التطبيق . تكونت هذه العينة من طلبة شعبة علم النفس بجامعة بسكرة. تم تطبيق وإعادة التطبيق لكل من مقياس كيسلر للشدة النفسية بصورة جماعية وبإشراف من الباحث نفسه مع فارق زمني قدر ب 15 يوما. تراوح سن أفراد العينة ما بين 18 و 30 سنة (متوسط = 22.17 ؛ انحراف معياري = 2.16). جرى تطبيق المقياس بشكل فردي في الفترة الممتدة بين نوفمبر و ديسمبر 2013. و يوضح الجدول (13) الخصائص الديمغرافية للعينة.

الجدول (13): خصائص العينة الاستطلاعية الثالثة (ن=103)

الفئة	العدد	النسبة(%)
السن	22-18	48.5
	30-23	51.5
الجنس	إناث	79.6
	ذكور	20.4
العينة	103	100(%)

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة الإناث في هذه العينة تقدر 79.6 %، والذكور ب 20.4 % . وهي مقسمة إلى فئتين عمريتين (22-18 بنسبة 48.5 %) و (30-22 بنسبة 51.5 %) .

2-4- العينة الرابعة :

شملت هذه العينة على 54 فردا لدراسة خاصة الثبات لمقياسي الثقافة لدى الشباب الجزائري في صورته النهائية ومقياس موضوعي لرتب الهوية الايديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر من اعداد د بينيون وادمز (1986) ترجمة وتقنين على البيئة العربية د.محمد السيد عبد الرحمن، وهذا باستعمال طريقة التطبيق وإعادة التطبيق.

تكونت العينة من طلبة شعبة علم النفس بجامعة بسكرة ، بحيث تم تطبيق وإعادة التطبيق كل من مقياسي الثقافة ورتب الهوية بصورة جماعية وبإشراف من الباحث نفسه مع فارق زمني قدر ب 15 يوما بين التطبيقين . تراوح سن أفراد العينة ما بين 18 و 30 سنة (بمتوسط = 23.13، و بانحراف معياري=2.37)، جرى تطبيق المقياسين بشكل فردي في الفترة الممتدة بين نوفمبر وديسمبر 2013. و يوضح الجدول (14) الخصائص الديمغرافية للعينة.

الجدول (14): خصائص العينة الاستطلاعية الرابعة (ن=54)

الفئة	العدد	النسبة(%)
السن	22-18	48.1
	35-23	51.9
الجنس	إناث	90.7
	ذكور	9.3
العينة	54	100(%)

يبين الجدول أعلاه الخصائص الديمغرافية لهذه العينة، حيث تراوحت نسبة الأفراد من الفئة العمرية 22-18 ب 48.1 % بينما من الفئة العمرية (30-23 ب 51.9 %) مع (متوسط = 22.14، انحراف معياري = 1.78)، في حين نجد أن نسبة الإناث بلغت 90.7 % أما نسبة الذكور فهي 9.3 %.

3. عينة الدراسة الأساسية:

تكونت العينة الأساسية في هذه الدراسة من 1065 شاب وشابة ذوو مستوى تعليمي مختلف من المستوى الأساسي إلى الثانوي ثم الجامعي. تم استبعاد 103 استمارة من استمارات المجيبين لوجود نقص أو خلل في الإجابة على أحد المقاييس ، وبعد إدخال النتائج للحاسب الآلي وحساب الدرجات الفاصلة لكل من مقياس الثقافة ثم لمقياس رتب الهوية تم من جديد استبعاد 109 حالة أخرى، وهي الحالات التي حصلت على درجة أكبر من الدرجة الفاصلة في ثلاث أو أربعة أبعاد من أبعاد الهوية (وهي حالات يصعب تصنيفها إلى أي رتبة من رتب الهوية، وقد أوصى آدمز بتجاهلها لأنها حالات لم تأخذ الأمور بجدية أو أساءت فهم التعليمات عند الإجابة على المقياس)، و/ أو الحالات التي حصلت على درجة أكبر من الدرجة الفاصلة في ثلاث استراتيجيات أو أربعة من استراتيجيات الثقافة (وهي أيضا حالات يصعب تصنيفها إلى أي إستراتيجية من استراتيجيات الثقافة الأربعة). وبذلك استقر العدد النهائي للعينة الأساسية على 853 شاب وشابة يمثل الذكور فيها نسبة 26.6% أي بعدد 227 طالب و الإناث بنسبة 73.4% أي بعدد 626 طالبة، وقد عدت جميعها متكاملة ويمكن التعامل معها بإفراغ البيانات المتحصل عليها في الجداول لتحليلها .

تم إجراء هذه الدراسة من طرف الباحث نفسه في الفترة الممتدة من مارس إلى ماي 2014، وهذا بعد اختيار العينة بطريقة عرضية على مستوى الأقسام والمكتبات الجامعية ل كليات الآداب واللغات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم والتكنولوجيا، العلوم الطبية في كل من جامعات الجزائر (1) و(2) وجامعة باتنة وكذا جامعة بسكرة، وكذا بعض مراكز التكوين المهني بولاية باتنة والجزائر العاصمة.

تراوحت أعمار أفراد العينة النهائية للدراسة بين 15 و 30 سنة (متوسط = 22.30، انحراف معياري = 2.40). و قد صنفنا إلى ثلاث مجموعات حسب السن: (الفئة الأولى من 16- 20 سنة، الفئة الثانية من 21- 24 سنة، الفئة الثالثة من 25- 30 سنة). كما صنفنا حسب المستوى التعليمي إلى ثلاثة مستويات (متوسط وثانوي ، ليسانس، ماستر). و يوضح الجدول (9) خصائص عينة الدراسة الأساسية. ويوضح الجدول التالي (15) عدد أفراد كل مجموعة فرعية موزعة حسب بعض التغيرات الديموغرافية التي تم جمعها لتبيان خصائص هذه العينة وهي (السن والجنس وموقع السكن والمستوى التعليمي والتخصص العلمي):

الجدول (15): الخصائص الديمغرافية العينة الأساسية (ن=853) :

المتغير	الفئات	التكرارات	النسبة %	المجموع
السن	20-15	199	23.3	853
	24-21	530	62.2	
	30-25	124	14.5	
الجنس	ذكور	227	26.6	853
	إناث	626	73.4	
المستوى التعليمي	متوسط وثانوي	159	18.6	853
	ليسانس	421	49.5	
	ماستر	273	32.0	
مكان السكن	مدينة	481	56.4	853
	ريف	372	43.6	
ولاية	باتنة	406	47.60	853
	بسكرة	208	24.40	
	الجزائر	239	28.00	

- ن = عدد الأفراد، % = النسبة المئوية

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة الذكور (26.6 %) و نسبة الإناث (73.4 %)، وحسب فئات السن فإن نسبة الذين تتراوح أعمارهم بين 21 - 24 سنة هي الأعلى (62.2 %) بينما تبعا للمستوى التعليمي فإن نسبة ذوي المستوى الجامعي ليسانس هي الأعلى (422 أي 49.5 %).

4- أدوات الدراسة و خصائصها السيكمترية

4-1- مقياس كيسلر للشدة النفسية: (k10) Kissler Psychological Distress scale

قام بإعداده كل من (رونالد كيسلر و دافيد مورسزك ، R kissler et D Moreczek 1994) بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة ميشغان لقياس مستويات الشدة النفسية للأفراد في مجتمعاتهم. استعمل هذا المقياس بشكل واسع في الدراسات المسحية والممتدة للوقوف على مدى انتشار حالات الضيق والشدة النفسية في هذه المجتمعات: كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وأستراليا، وكذا في متابعة مدى فعالية علاج اضطرابات الصحة العقلية. كما يستعمل أيضا في مجال الصحة العمومية، ويروج له بشكل واسع من طرف وحدة البحوث العيادية حول اضطرابي الحصر والاكتئاب (Clinical Research Unit for Anxiety Disorders CRUFAD) على أنه مقياس تقرير ذاتي لتحديد حاجة الأفراد إلى العلاج. تحتوي الصورة النهائية للمقياس على 10 بنود (الصورة الأولية كانت تحتوي على 5000 بند)، تقيس مستويات الشدة النفسية عموما - مقياس غير نوعي - اعتمادا على درجة انتشار أعراض الحصر والاكتئاب لدى الأفراد خلال فترة الثلاثين يوم السابقة للاختبار. (Andrew G, Slade T, 2001, p 496). تتم الإجابة على بنود المقياس بأسلوب تقريرية وفق سلم ليكرت " التدرج الخماسي" على النحو التالي: (أبدا، نادرا، أحيانا، غالبا، دائما). تنحصر درجات الإجابة على هذه البنود بين الدرجتين 10-50 بحيث تمثل الدرجة 50 درجة عالية من خطر الإصابة باضطرابي الحصر أو القلق. فكلما ارتفع أو انخفض

مجموع الدرجات المتحصل عليها في كل المقياس دل على ارتفاع أو انخفاض درجة خطر الإصابة بالحصر والاكتئاب لدى الفرد.

توجد العديد من النسخ المعدلة لمقياس كيسلر للشدة النفسية، أكثرها استعمالاً هما النسختين (k10) والنسخة المختصرة (k6). وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على النسخة الأولى لأنها أكثر استعمالاً وأكثر دقة. بحيث يؤكد كيسلر ذلك من خلال نتائج دراسته التي توصلت إلى أن الدقة في تحديد خطر اضطراب الحصر والاكتئاب لدى الأفراد قد يزيد ب 20 إلى 50 في المائة باستعمال النسخة (k10) بالمقارنة مع النسخة المختصرة (k6). (R. C. KISSLER et al, 2003, p 188).

حددت وحدة البحث العيادية حول اضطرابي الحصر والاكتئاب (CRUFAD) ثلاث مستويات تحدد خطر الإصابة بالحصر والاكتئاب في أوساط مجتمعات الدراسة. والجدول التالي يوضح ذلك: الجدول رقم (16): مستويات الشدة النفسية بدلالة درجة خطر الاضطراب

نتائج (10k)	درجة أعراض اضطرابي الحصر أو الاكتئاب
15-10	درجة خطر ضعيفة أو منعدمة
29-16	درجة خطر متوسطة
50-30	درجة خطر عالية

يتميز مقياس كيسلر للشدة النفسية في نسخته الأصلية بخصائص سيكومترية جيدة. حيث بلغ معامل ألفا كرونباخ لكل المقياس (0.93)، ومعاملات الارتباط والاتساق الداخلي تراوحت بين 0.43 و 0.74. (T. FASSAERT et al, 2009, 164).

بالنسبة للصدق التقاربي بين مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقابلة التشخيص الدولية المختصرة Composite International Diagnostic Interview-Short Form. CIDI-SF بلغ معامل الارتباط 0.69 دال عند مستوى دلالة أقل من 0.001. أما مع قائمة تقييم العجز العقلي لمنظمة الصحة العالمية World Health Organisation disability Assessment Schedule. WHO-DAS بلغ معامل الارتباط 0.71 دال عند مستوى دلالة 0.001 (R. C. KISSLER et al, 2003, p 186). بينما كشف التحليل العاملي عن عامل أساسي يفسر أكثر من 70% من التباين (T. FASSAERT et al, 2009, 164). و استخدم المقياس على أساس أحادي البعد لقياس درجة الشدة النفسية و كذلك على أساس أنه يقيس درجة خطر الإصابة باضطرابي الحصر والاكتئاب.

4-1-1- خطوات ترجمة المقياس:

قمنا بترجمة و إعداد نسخة باللغة العربية بإتباع الخطوات التالية:

- الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية من طرف الباحث بمساعدة من أستاذ جامعي

متخصص في اللغة الإنجليزية.

- القيام بتطبيق المقياس على عينة صغيرة من 30 فردا من طلبة السنة الثانية علم النفس - جامعة بسكرة- لتقييم مدى وضوح العبارات و صلاحية التعليمات.
- عرض المقياس على أخصائيين في علم النفس في كل من جامعة الجزائر (2) و باتنة وبسكرة لإبداء آرائهم و مدى ملائمة العبارات لقياس الخاصية التي تقيسها.
- إجراء التعديلات في صيغ بعض العبارات حسب اقتراحاتهم، بما يتلاءم و الدلالات اللغوية ذات الطبيعة الثقافية لمجتمعنا. و تم تعديل الصياغة اللغوية للعبارتين (5، 6).
- عرض هذه النسخة على أستاذين جامعيين في اللغة الانجليزية لترجمتها عكسيا أي من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية. ثم طلب منهم إجراء مقارنتها بالنسخة الأصلية لتقييم مدى الحفاظ على الأمانة العلمية (أستاذ جامعي بقسم الترجمة - جامعة باتنة- ، و أستاذ جامعي بقسم اللغة الانجليزية- جامعة أم البواقي).

تطبيق الصورة النهائية باللغة العربية على عينة من 181 فردا بالموازاة مع تطبيق كل من قائمة ارون بيك الثانية للاكتئاب (1996) ومقياس التشاؤم لمعهده احمد عبد الخالق (1996) وكذا مقياس تايلور للقلق للصریح من اقتباس كل من الدكتور مصطفى فهمي (أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس) والدكتور محمد أحمد غالي (أستاذ علم النفس جامعة الأزهر) و ذلك لدراسة الخصائص السيكومترية (حساب الصدق التقاربي) ، إضافة إلى مقياس التفاؤل لمعهده أحمد عبد الخالق (1996) لحساب الصدق التباعدي، من أجل دراسة الخصائص السيكومترية للمقياس.

4-1-2- الخصائص السيكومترية

4.1.2.1. حساب الصدق:

أصدق المحكمين: تم عرض المقياس في نسخته المترجمة باللغة العربية التي قمنا بصياغة عباراتها على ثمانية أساتذة جامعيين أخصائيين في علم النفس الإكلينيكي (نورالدين جبالي ، بوسنة زهير عبد الوافي ، نحوي عائشة ، خالد خياط، رابحي إسماعيل ، رحال غربي محمد الهادي ، جار الله سليمان ، صالح حنيفة) لغرض تقييمها و تقديم اقتراحات حول مدى قياس كل من العبارات للشدة النفسية لدى الفرد. وأجمعوا على أن كل العبارات تقيس عوامل الشدة النفسية ودرجة الخطر للإصابة باضطرابي الحصر والاكتئاب.

ب. الصدق التمييزي

أجريت عملية مقارنة متوسطات الدرجات بين الطرفين للتأكد من القدرة التمييزية لبنود السلم بين الفئة العليا (27 %) الذين لديهم درجات مرتفعة وبلغ عددهم (49 طالبا)، و الفئة الدنيا (27 %) الذين لديهم درجات منخفضة و عددهم (49 طالبا) ممن أجابوا عن بنود السلم. يبين الجدول (10) نتائج اختبار "ت" لتقييم الفروق في المتوسطات بين الفئتين.

الجدول (17): نتائج اختبار "ت" للمقارنة الطرفية بين الفئة العليا والفئة الدنيا

متوسط	الانحراف المعياري	خطأ المتوسط المعياري	"ت"	مستوى الدلالة
33.12	3.85	0.55	50.29	0.000
15.6	1.77	0.25		

يتضح من نتائج الجدول أن بنود مقياس كيسلر للشدة النفسية تتمتع بقدرة تمييزية جيدة، حيث بلغت قيمة (ت = 50.29) مع مستوى الدلالة أقل من 0.001 مما يعني أن السلم يتمتع بصدق تمييزي مقبول.

ج. الاتساق الداخلي:

جرى التحقق من صدق الاختبار بطريقة الاتساق الداخلي، و حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل بند من بنود المقياس والدرجة الكلية للمقياس. تراوحت معاملات الارتباط بين بنود المقياس والدرجة الكلية (0.550 و 0.772) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من 0.01 أما بين البنود فيما بينها فتراوحت معاملات الارتباط بين (0.183 و 0.632) وهي كلها دالة إحصائياً عند مستوى أقل من 0.01. مما يؤكد أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي (الجدول 18) .

الجدول (18): معاملات الارتباط بين البنود و درجة كل بند مع الدرجة الكلية

لمقياس كيسلر للشدة النفسية

البند	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	بالدرجة الكلية
1	1										** 0.600
2		1									** 0.684
3			1								** 0.771
4				1							** 0.772
5					1						** 0.709
6						1					** 0.699
7							1				** 0.754
8								1			** 0.626
9									1		** 0.767
10										1	** 0.550

- *دالة عند $p > 0.05$ ؛ **دالة عند $p > 0.01$.

توضح هذه النتائج أن جميع معاملات الارتباط بين البنود و الدرجة الكلية لمقياس كيسلر للشدة النفسية كلها دالة إحصائياً عند مستوى أقل من 0.01، كما أن جميع معاملات الارتباط بين البنود فيما بينها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من 0.01 مما يؤكد أن السلم يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي.

د. الصدق التباعدي

تم تطبيق كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التفاؤل الذي أعده أحمد عبد الخالق (1996) لقياس درجة إحساس الفرد بالتفاؤل في الحياة . يتكون هذا الأخير من 15 بنداً ، و يتم حساب الدرجات فيه بحسب سلم ليكرت وفق خمس درجات (1 = لا إلى 5 = كثيراً جداً). كما أن تصحيح جميع البنود في نفس الاتجاه (لا توجد عبارات سالبة). إذا كانت الدرجة أقل من 37 فإن درجة الفرد على مقياس التفاؤل منخفضة، بينما إذا كانت أكبر من 37 فهي درجة مرتفعة. يبين الجدول (19) نتائج درجات المتوسطات و الانحرافات المعيارية في كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التفاؤل لأحمد عبد الخالق (1996) ومعامل الارتباط بينهما.

الجدول (19): معامل الارتباط بين درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التفاؤل (ن = 181)

معامل الارتباط	المتوسط	الانحراف المعياري	مقياس كيسلر للشدة النفسية
	23.12	7.32	1- مقياس كيسلر للشدة النفسية
-0.375 **	53.27	11.54	2- مقياس التفاؤل

بينت النتائج أن متوسط درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية لدى أفراد العينة (23.12) وهي منخفضة. وبلغ متوسط درجات مقياس التفاؤل لدى أفراد العينة (53.27) وهي درجة مرتفعة. بينما معامل الارتباط بين كل من درجات الأفراد في الأدوات (- 0.375، دالة عند مستوى أقل من 0.01) مما يؤكد على وجود علاقة عكسية بينهما. مما يدل على صحة الصدق التباعدي.

د.الصدق التقاربي:

* مع مقياس التشاؤم:

تم تطبيق كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التشاؤم الذي أعده أحمد عبد الخالق (1996) لقياس درجة إحساس الفرد بالتشاؤم في الحياة . يتكون هذا الأخير من 15 بنداً ، و يتم حساب الدرجات فيه بحسب سلم ليكرت وفق خمس درجات (1 = لا إلى 5 = كثيراً جداً). كما أن تصحيح جميع البنود في نفس الاتجاه (لا توجد عبارات سالبة). إذا كانت الدرجة أقل من 37 فإن درجة الفرد على مقياس التشاؤم منخفضة ، بينما إذا كانت أكبر من 37 فهي درجة مرتفعة. يبين الجدول (20) نتائج درجات

المتوسطات و الانحرافات المعيارية في كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التشاؤم لأحمد عبد الخالق (1996) ومعامل الارتباط بينهما.

الجدول (20): معامل الارتباط بين مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس التشاؤم (ن = 181)

معامل الارتباط	الانحراف المعياري	المتوسط	
	7.32	23.12	1- مقياس كيسلر للشدة النفسية
**0.559	12.68	28.13	2- مقياس التشاؤم

بينت النتائج أن متوسط درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية لدى أفراد العينة (23.12) وهي منخفضة. وبلغ متوسط درجات مقياس التشاؤم لدى أفراد العينة (28.13) وهي درجة منخفضة أيضا. بينما معامل الارتباط بين كل من درجات الأفراد في الأدوات (0.559 ، دالة عند مستوى أقل من 0.01) مما يؤكد على وجود علاقة موجبة طردية بينهما. مما يدل على صحة الصدق التقاربي.

*مع مقياس تايلور للقلق الصريح :

تم تطبيق كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس تايلور للقلق الصريح تقنين وترجمة إلى اللغة العربية من طرف كل من الدكتور مصطفى فهمي (أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس) والدكتور محمد أحمد غالي (أستاذ علم النفس جامعة الأزهر) لقياس درجة القلق الصريح لدى الفرد في الحياة . يتكون من 50 بنداً ، ويتم حساب الدرجات في هذا المقياس حسب سلم ليكرت، وفق درجتين (نعم = 1 إلى لا = 0). كما أن تصحيح جميع البنود في نفس الاتجاه. إذا كانت الدرجة أقل من 25 فإن درجة الفرد على مقياس القلق منخفضة، بينما إذا كانت أكبر من 25 فهي درجة مرتفعة. يبين الجدول (21) نتائج درجات المتوسطات و الانحرافات المعيارية في كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس تايلور للقلق الصريح ومعامل الارتباط بينهما.

الجدول (21): معامل الارتباط بين مقياس كيسلر للشدة النفسية و مقياس تايلور للقلق الصريح

معامل الارتباط	الانحراف المعياري	المتوسط	
	7.32	23.12	1- مقياس كيسلر للشدة النفسية
**0.666	9.63	21.71	2- مقياس تايلور للقلق الصريح

بينت النتائج أن متوسط درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية لدى أفراد العينة (23.12) وهي منخفضة. وبلغ متوسط درجات مقياس تايلور للقلق الصريح لدى أفراد العينة (28.13) وهي درجة منخفضة أيضا. بينما معامل الارتباط بين كل من درجات الأفراد في الأدوات (0.666 ، دالة عند مستوى أقل من 0.01) مما يؤكد على وجود علاقة موجبة طردية بينهما. مما يدل على صحة الصدق التقاربي.

*مع قائمة ت. ارو نبيك الثانية للاكتتاب (1996):

تم تطبيق كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية و قائمة ت. ارو ن بيك الثانية للاكتتاب (1996) ترجمة وتقنين على البيئة الجزائرية للدكتور بشير معمريه . تتضمن هذه القائمة 21 مجموعة من العبارات، كما يتم الإجابة على هذه القائمة بوضع دائرة حول الرقم الذي يشير إلى العبارة التي اختارها المفحوص سواء 0 أو 1 أو 2 أو 3 بحيث تكون العبارة التي اختارها تصف بشكل أفضل حالة المفحوص خلال الأسبوعين الماضيين. يقوم الباحث بجمع الأرقام الواحد والعشرين التي اختارها المفحوص فيحصل على الدرجة الخام لكل مفحوص. يبين الجدول (22) نتائج درجات المتوسطات و الانحرافات المعيارية في كل من المقياسين ومعامل الارتباط بينهما.

الجدول (22): معامل الارتباط بين مقياس كيسلر للشدة النفسية ومع قائمة ارو ن بيك الثانية للاكتتاب

معامل الارتباط	المتوسط	الانحراف المعياري	معامل الارتباط
1- مقياس كيسلر للشدة النفسية	23.12	7.32	
2- مع قائمة ارو ن بيك الثانية للاكتتاب	15.97	7.22	0.704 **

بينت النتائج أن متوسط درجات مقياس كيسلر للشدة النفسية لدى أفراد العينة (23.12) وهي منخفضة. وبلغ متوسط درجات قائمة ارو ن بيك الثانية للاكتتاب لدى أفراد العينة (15.97) وهي درجة منخفضة أيضا. بينما معامل الارتباط بين كل من درجات الأفراد في الأدوات (0.704 ، دالة عند مستوى أقل من 0.01) مما يؤكد على وجود علاقة موجبة طردية بينهما. مما يدل على صحة الصدق التقاربي.

هـ. التحليل العاملي الكشفي:

استخدمنا التحليل العاملي و اعتمدنا على طريقة المكونات الأساسية و القيام بتدوير العوامل تدويراً متعامداً Varimax-Rotation؛ لاستخراج العوامل المكونة للمقياس عند قيمة الجذر الكامن "1".

الجدول رقم (23): مصفوفة تشبعات البنود على عامل واحد لمقياس كيسلر للشدة النفسية

البنود	العامل 1
1	0.588
2	0.689
3	0.776
4	0.779
5	0.713
6	0.705
7	0.759
8	0.610
9	0.770
10	0.546
نسبة تفسير التباين (48.32%)	

حدد أدنى معيار التشبع الجوهري للبند على العامل (0.30) و هي القيمة الأكثر استعمالا. و فسر هذا العامل ما نسبته (48.32 %) من التباين الكلي. بينما لا يمكن حساب نتائج التحليل العاملي بعد التدوير بطريقة الفاريماكس التي تشبعت بقيمة أكبر من (0.30) لأن نتائج التحليل العاملي بدون تدوير خلصت إلى وجود عامل واحد يفسر هذا المقياس.

يتضح من نتائج الجدول (23) أن جميع البنود تتشبع على عامل واحد فقط بنسب تتراوح بين (0.546 - 0.779) فسرت نسبة (48.32 %) من التباين الكلي. يفسر ذلك بتداخل الأعراض الإكلينيكية وصعوبة فصلها تماما عن بعضها بوضوح. و من الناحية النفسية؛ فإن سلوكيات الفرد تتميز بوجود ارتباط بين الأعراض؛ مما يدل على ارتباطها في العديد من البنود و بالتالي ارتباطها بنفس العامل. مما سبق نستنتج أن مقياس كيسلر للشدة النفسية يتمتع بصدق عالي.

2.2.1.4 الثبات:

- تم حساب معامل ألفا كرونباخ، و بلغت قيمته في كل المقياس 0.882.
- التجزئة النصفية: تم حساب متوسط درجات النصف الأول و متوسط درجات النصف الثاني في العينة الاستطلاعية الأولى و كذلك حساب معامل سبيرمان براون و معامل التجزئة النصفية جيثمان. والجدول (24) يوضح ذلك.

الجدول (24): نتائج معاملات الارتباط للتجزئة النصفية

قيمة المعامل	المعاملات
0.741	معامل الارتباط بين النصفين
0.851	معامل سبيرمان براون
0.851	معامل التجزئة النصفية جيثمان

تبين النتائج أن معامل الارتباط بين النصفين (0.74) و معامل سبيرمان براون (0.85) و معامل التجزئة النصفية جيثمان (0.85) ، و هي قيم مرتفعة، مما يثبت بأن المقياس يتمتع بثبات جيد.

- تطبيق و إعادة تطبيق المقياس في فترتين مختلفتين يفصل بينهما أسبوع على عينة (ن=103) من طلبة شعبة علم النفس (السنة الثانية جذع مشترك توجيهي ، السنة الثالثة عيادي ، السنة الثالثة علم النفس المدرسي، الثالثة علم النفس العمل والتنظيم) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة بسكرة. بلغ معامل الارتباط في كل الاختبارين في التطبيق الأول والثاني (**0.743). مما يفسر ارتفاع درجة ثبات المقياس عند الطلبة من خلال الفترة الفاصلة بين الاختبارين قصيرة جدا التي تتميز عموما باستمرار الأعراض ودرجة تغيرها صغيرة، وبالتالي فهي أفضل لمعرفة مدى ثبات المقياس في مثل هذه الحالات مما يدل على ثبات المقياس.

4-2- مقياس استراتيجيات التثاقف لدى الشباب الجزائري:

قام بإعداد هذا المقياس كل من (العقون لحسن ورحال غربي محمد الهادي)، و يشمل كل المظاهر والجوانب التي تمسها عملية التثاقف لدى الشباب : كاللغة وجماعة الأصدقاء وقيم الأسرة وكذا النشاطات الاجتماعية والثقافية والهوايات للأفراد كما تم التطرق إلى الآمال المستقبلية. وهي معظم الجوانب التي تم التركيز عليها في العديد من المقاييس الأجنبية.

اتجه الباحث إلى بناء مقياس جديد لتحديد استراتيجيات التثاقف لدى الشباب الجزائري برغم وجود الكثير من المقاييس التي تقيس نفس الخاصية (بمعنى إمكانية ترجمة أحد هذه المقاييس وتقنينها على البيئة المحلية) إلا أن موضوع التثاقف يتناول بالأساس الجانب الثقافي لدى الفرد ، هذا ما يجعل عملية ترجمة وتقنين هذه المقاييس صعبة للغاية خاصة أن المتغير الأساسي في هذه الدراسة هي الثقافة مما سيخلق صعوبات منهجية. بالإضافة إلى أن المقاييس المتوفرة تتناول عملية التثاقف لدى المهاجرين إلى البلدان الأوروبية بفعل التفاعل المباشر مع الثقافة الأجنبية - تثاقف مباشر - بينما في هذه الدراسة سنتناول عملية التثاقف لدى الشباب الجزائري في الجزائر بعيدا عن كل تفاعل مباشر مع الآخر سواء بالهجرة أو الاستعمار - تثاقف غير مباشر -، لذلك ارتأينا ؛ بما أن هناك اختلافات في نوعية عملية التثاقف وفي العينة وفي الجانب الثقافي للمجتمع الجزائري عن الأوربي؛ بناء مقياس لاستراتيجيات التثاقف يأخذ بجدية كل الاعتبارات الثقافية والمنهجية المطلوبة لبنائه.

1.2.4 خطوات تصميم المقياس:

1.1.2.4. إعداد المقياس: لتصميم مقياس استراتيجيات التثاقف لدى الشباب الجزائري تم الأتي:

- الاستعانة بالأطر النظرية والدراسات السابقة حول ظاهرة التثاقف خاصة أعمال كل من كارمل كاميليري و جون بيرري وبوهريس ونورالدين طوالي .

- الاطلاع على مجموعة من المقاييس ذات العلاقة نذكر منها:

1. Vancouver index of acculturation- arab version : VIA-A (Ryder et al, 2000)
2. Acculturation scale for asian international students (Shiou-feng Gu et al, 2008)
3. The East Asian Acculturation Measure : EAAM. (Declan T.Barry, 2001)
4. The Acculturation Scale (Houg Nguyen and Alexander von Even, 2002)
5. The European American Values Scale for Asian Americans (Maren M. Wolfe et al 2001)
6. Suinn- Lew Asain Self-Identity Acculturation Scale (Richard M.Suinn)

- تم تطبيق استبانة مفتوحة حول مفهوم عملية التغير الثقافي في المجتمع الجزائري لدى عينة من الشباب (جامعيين وغير جامعيين) قوامها 30 شاب .

- جمعت الاستجابات وأخذت بعين الاعتبار بالتزامن مع المعطيات النظرية حول الموضوع وبعض مقاييس الثقافة في البيئة الأوروبية خلال إعداد الصورة الأولية لهذا المقياس.
- ركزنا خلال إعداد المقياس على أهم الجوانب التي تمسها عملية الثقافة لدى الشباب : كاللغة وجماعة الأصدقاء وقيم الأسرة، وكذا النشاطات الاجتماعية والثقافية والهويات للأفراد كما تم التطرق إلى الآمال المستقبلية.
- تم عرض الصورة الأولية للمقياس على مجموعة من الأساتذة المختصين في علم النفس وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا والأدب العربي للتأكد من مدى شمولية المقياس لكل جوانب ظاهرة الثقافة، وكذا السلامة اللغوية في صياغة بنوده ومدى مناسبتها لقياس الخاصية التي تهدف إلى قياسها.

- تم إجراء دراسة استطلاعية للمقياس على عينة من طلبة علم النفس (30 طالب وطالبة) جامعة بسكرة للتأكد من سلامة صياغة العبارات وفهمها وملائمة المقياس للهدف الذي وضع من أجله.

2.1.2.4 مكونات المقياس: الصورة الأولية " أ "

بعد تحديد مفهوم ظاهرة الثقافة وأهم الجوانب التي تمسها لدى الشباب : كاللغة وجماعة الأصدقاء وقيم الأسرة و النشاطات الاجتماعية والثقافية والهويات وكذا الآمال المستقبلية. ثم تحديد مختلف استراتيجيات الثقافة التي يختارها الفرد في عملية ثقافته في مقابل الثقافات الوافدة. تكون المقياس في صورته الأولية من 78 بند موزعة تحت أربعة استراتيجيات ثقافية ، تتمثل في:

- **الاندماج:** يعني أن الفرد يعمل على الحفاظ على خصائصه الثقافية وهويته الشخصية الأصلية المتمثلة في (اللغة والديانة والعادات والتقاليد والعرف والأعياد...) مع استدخال هلبعض القيم الحديثة لإشباع حاجات ومتطلبات التحديث والعصرنة والاقتصاد، فهو يمثل الجانب الايجابي في عملية الثقافة لأننا نلمس الحفاظ على الثقافة المحلية وظهور ارتباط وثيق مع بعض خصائص الثقافة الأجنبية .
- **الاستيعاب والتشابه:** يعني تخلي الفرد عن هويته الثقافية المحلية لصالح الهوية والثقافة الأجنبية مع تشبعه بالكثير من قيم ومعاييرها.

-**الانفصال:** يعني أن الفرد يحاول قطع الطريق عن أي محاولات ربط علاقات مع الثقافات الأخرى في المجتمع رغبة منه في الحفاظ على ثقافته المحلية في عملية مضادة للثقافة.

- **التهميش:** هو ردة فعل الأفراد عندما يضيعون هويتهم الثقافية قبل أن يحققوا اندماجا كليا في الثقافات الأخرى.

يتم حساب الدرجات في هذا المقياس حسب سلم ليكرت الخماسي (غير موافق بشدة = 1 غير متأكد = 3 إلى موافق بشدة = 5) كما أن تصحيح جميع البنود في نفس الاتجاه. وتصنف الدرجات وفق قاعدة الدرجات الفاصلة (متوسط زائد انحراف معياري واحد).

3.1.2.4. عرض الصورة الأولية للمقياس على الخبراء (الصدق الظاهري):

تم عرض فقرات المقياس في صورته الأولية التي تتكون من 78 بنداً، الملحق (...)، على اثني عشرة من أساتذة التربية وعلم النفس والاجتماع والانثربولوجيا من ذوي الاهتمام بالموضوع مع خبرتهم في إعداد المقاييس، وعرضت عليهم الفقرات مع التعريفات المحددة لكل مكون من المكونات الأربعة للمقياس، وطلب منهم الحكم على كل فقرة هل تقيس ما وضعت من أجله، وكذلك الحكم على كل فقرة هل تناسب التطبيق على عينة الدراسة (الشباب 18-30 سنة).

من خلال ملاحظات المحكمين تم تعديل بعض العبارات (لغويا ومضمونا وصياغة) التي اتفق على عدم ملائمتها أو عدم قياسها لخاصية الثقافة، واتفق أكثر من 75 % من السادة المحكمين على ذلك (الدكتور جبالي نورالدين، نحوي عائشة، صالح حنيفة، بوسنة زهير، فريجة أحمد، جار الله سليمان، راجية بن علي، خالد خياط، رحال غربي محمد الهادي، جابر نصرالدين ، زردومي أحمد، بن فليس) . كما وجدت درجة كبيرة من الاتفاق على شمولية المقياس ووضوح عباراته وتعليماته وأهمية بناء مقياس لاستراتيجيات الثقافة في البيئة الجزائرية. وأسفر التحكيم على 78 عبارة تندرج على المقاييس الفرعية الأربعة كما يلي: الاستعاب (01-25)، الاندماج (26-40)، الانفصال (41-63) التهميش (64-78).

4.1.2.4. تطبيق الصورة الأولية للمقياس على العينة لدراسة الصلاحية السيكمترية للبند:

تم تطبيق الصورة الأولية للمقياس بعد تعديلها وفق تحكيم السادة المحكمين على عينة من 172 طالب وطالبة (العينة الاستطلاعية الأولى) وأجريت الخطوات التالية للتأكد من الصلاحية السيكمترية للمقياس: أ. الخطوة الأولى: القدرة التمييزية للعبارات : تهدف هذه الخطوة إلى استبعاد البنود التي تزيد نسبة الموافقين (موافق بشدة + موافق) أو المعارضين (غير موافق بشدة + غير موافق) عليها أكثر من 75 % باعتبارها غير مميزة بين المستجيبين في المقياس.

الجدول رقم (25): يوضح القدرة التمييزية للبنود باستعمال قاعدة 75% من خلال العينة الأولى:

البند	موافق	معارض	البند	موافق	معارض	البند	موافق	معارض
1	0.76		27	0.75		53	0.40	
2	0.43		28	0.27		54	0.81	
3	0.81		29	0.80		55	0.85	
4		0.84	30	0.73		56	0.90	
5	0.76		31	0.29		57	0.86	
6		0.82	32	0.67		58	0.57	
7	0.56		33	0.40		59	0.79	
8	0.30		34	0.81		60	0.85	
9	0.54		35		0.86	61	0.61	
10	0.32		36	0.42		62	0.27	
11	0.42		37		0.81	63	0.85	
12	0.63		38	0.74		64	0.35	
13	0.64		39	0.89		65	0.43	
14	0.63		40	0.90		66	0.46	
15	0.51		41	0.57		67	0.27	
16	0.65		42	0.28		68	0.76	
17	0.27		43	0.62		69	0.58	
18	0.31		44	0.95		70	0.44	
19		0.87	45	0.89		71	0.89	
20	0.75		46	0.34		72	0.73	
21	0.57		47		0.90	73	0.89	
22		0.78	48		0.92	74	0.72	
23	0.27		49		0.86	75	0.74	
24	0.67		50	0.40		76	0.93	
25	0.73		51	0.96		77	0.46	
26		0.84	52	0.69		78	0.74	

بحساب القدرة التمييزية للبنود باستعمال قاعدة 75 % أصبح عدد بنود المقياس 47 بندا ، وهذا بعد التخلي عن 31 بندا لأنها غير مميزة (نسبة الإجابة عليها بالموافقة أو المعارضة تجاوزت عتبة 75 %) ب. الخطوة الثانية: التحليل العاملي التوكيدي:

بما أن هذه النسخة من المقياس هي الأولية وفي طور البناء ارتأينا استعمال التحليل العاملي التوكيدي مع التدوير باستعمال طريقة فارمكس ، وهذا للإبقاء على البنود التي تتشعب على العوامل المذكور سابقا ، والتي تمثل استراتيجيات التناقص الأربعة مع العلم على أننا سنستعمل درجة التشعب 0.30 فما فوق. نظريا سيكون عدد العوامل التي يحويها المقياس أربعة عوامل تمثل الاستراتيجيات الأربعة لعملية التناقص مع إمكانية وجود بنود تتشعب على عدة عوامل في نفس الوقت لأن عملية التناقص عملية نفسية تختلط فيها الأعراض وتتفاوت في الظهور . لذلك ومن خلال العديد من الدراسات التي أشارت إلى التداخل الكبير بين بنود العاملين : الاندماج والاستيعاب افترضنا في هذه الخطوة من بناء المقياس وجود 03 عوامل أساسية مختلفة تفسر بدرجة كبيرة التباين الموجود بين بنود المقياس . وهي:

العامل الأول : ويشمل البنود التي تقيس إستراتيجيتي الاستيعاب و الاندماج لأنهما تتداخلان بشدة.

العامل الثاني: ويشمل البنود التي تقيس إستراتيجية التهميش.

العامل الثالث : ويشمل البنود التي تقيس إستراتيجية الانفصال.

ولقد جاءت نتائج التحليل العاملي للبنود بعد عملية التدوير بالشكل التالي:

الجدول (26) : نتائج التدوير بطريقة فارماكس ومصفوفة تشبعات البنود على العوامل الثلاثة.

انحراف معياري	متوسط	الانفصال	التهميش	الاستعاب والاندماج	البنود
		العامل 3	العامل 2	العامل 1	
1,177	3,10	152,	198,-	0.047	2
1,349	2,91	390,	029,-	0.043	7
1,326	3,61	251,	350,	0.104-	8
1,401	2,84	133,	169,	556,	9
1,209	3,50	108,	266,-	406,	10
1,245	3,19	018,-	217,-	473,	11
1,270	2,64	103,-	188,	295,	12
1,346	2,59	025,-	541,	116,	13
1,177	2,60	114,	164,	505,	14
1,477	2,94	042,-	173,	149,	15
1,394	2,49	142,-	054,	505,	16
1,254	3,61	100,-	338,-	608,	17
1,333	3,63	499,	128,-	447,-	18
1,129	2,47	009,	164,	154,-	20
1,375	2,87	071,-	013,	593,	21
1,365	3,64	337,	093,	168,	23
1,276	2,57	173,	475,	0.063	24
1,496	2,34	071,-	234,	603,	25
1,272	2,22	087,-	076,	292,	27
1,264	3,61	579,	116,-	142,-	28
1,304	2,40	057,-	176,	647,	30
1,333	3,57	369,	063,-	319,-	31
1,266	2,64	092,-	274,	512,	32
1,567	3,29	432,-	112,	102,-	33
1,166	3,13	499,	040,	245,-	36
1,157	1,96	210,-	535,	029,	38
1,275	2,85	056,	039,-	531,	41
1,302	3,52	040,-	324,-	493,	42
1,326	2,66	313,-	103,-	433,	43
1,206	3,24	182,-	149,-	246,	46
1,481	3,29	159,	096,	519,-	50
1,259	2,52	259,-	152,	377,	52
1,411	3,23	210,-	147,-	676,	53
1,411	2,80	047,-	259,	365,	58
1,534	2,65	629,	022,	020,-	61
1,311	3,59	532,	080,-	127,-	62
1,252	3,29	267,-	262,-	309,	64
1,272	3,07	022,-	018,	700,	65
1,206	3,04	010,-	155,	587,	66
1,166	3,45	122,	185,-	239,-	67
1,584	2,69	484,	107,	046,-	69
1,331	3,07	613,	079,	306,-	70
1,106	2,25	089,-	638,	062,-	72
1,108	2,31	014,	660,	084,	74
1,037	2,27	042,	637,	006,	75
1,356	3,08	075,-	186,-	580,	77
1,311	2,23	054,	564,	124,	78
		2.751	3.588	7.777	جذر كامن
		7.164	7.634	15.237	تفسير التباين (% 30.035)

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن البنود 2 ، 12 ، 15 ، 20 ، 27 ، 33 ، 46 ، 50 ، 67 غير مشبعة على أي من العوامل الثلاث السابقة، لذلك ارتأينا أن نحذفها من المقياس فأصبح عدد بنود المقياس بعد التحليلي العاملي التوكيدي والتدوير هو: 38 بنود موزعة بين العوامل الثلاثة بالشكل التالي:
العامل الأول: - إستراتيجية الاستعاب: 09، 14، 16، 21، 25، 30، 32، 33، 43، 52، 53، 58.
- إستراتيجية الاندماج: 10، 11، 17، 41، 42، 64، 65، 66، 77.
العامل الثاني: إستراتيجية التهميش: 8، 13، 24، 38، 72، 74، 75، 78.
العامل الثالث: إستراتيجية الانفصال: 7، 18، 23، 28، 31، 36، 61، 62، 69، 70.
في انتظار ما ستسفر عليه الخطوة التالية المتمثلة في دراسة الاتساق الداخلي بين البنود والدرجة الكلية لكل عامل (لكل إستراتيجية تناقية).
ج. الخطوة الثالثة حساب الاتساق الداخلي: لدراسة الاتساق الداخلي للبنود قمنا بحساب معاملات ارتباط بيرسون بين البنود والدرجة الكلية للعامل وكذا الارتباطات بين البنود فيما بينها.
- بالنسبة للعامل الأول:

• استراتيجية الاستعاب:

الجدول (27): معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية الاستعاب و درجة كل بند مع الدرجة

البند	9	14	16	21	25	30	32	43	52	53	58	الكلية
9	1	,188*	,439**	,329**	,359**	,414**	,284**	,014	,230**	,312(**)	,293(**)	,591(**)
14		1	,279**	,222**	,358**	,296**	,164*	,327*	,203**	,307(**)	,239(**)	,544(**)
16			1	,407**	,560**	,474**	,402**	,292**	,247**	,470(**)	,230(**)	,733(**)
21				1	,243**	,467**	,246**	,304**	,364**	,397(**)	,241(**)	,639(**)
25					1	,373**	,365**	,242**	,208**	,291(**)	,237(**)	,652(**)
30						1	,411**	,192*	,314**	,379(**)	,344(**)	,704(**)
32							1	,168*	,208**	,302(**)	,132	,551(**)
43								1	,212**	,336(**)	,134	,485(**)
52									1	,326(**)	,223(**)	,526(**)
53										1	,219(**)	,660(**)
58											1	,504(**)

من خلال الجدول يتضح لنا أن جميع معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 أو 0.01 ، ولكن معاملات الارتباطات بين البنود ليست جميعها دالة لذلك ارتأينا أن نحذف البنود التي لا ترتبط إحصائياً مع البنود الأخرى وهي البنود رقم : 43 و 32 و 58 . كما قررنا التخلي عن البند 25 (في نهاية بناء المقياس) ليكون هناك تساوي بين بنود مختلف الاستراتيجيات. وبالتالي أصبح عامل الاستعاب يتكون من 07 بنود وهي: 09، 14، 16، 21، 30، 52، 53.

• إستراتيجية الاندماج:

الجدول (28): معاملات الارتباط بين بنود إستراتيجية الاندماج و درجة كل بند مع الدرجة الكلية

البند	10	11	17	41	42	64	65	66	77	الدرجة الكلية
10	1	,306(**)	,274(**)	,154(*)	,140	,172(*)	,259(**)	,144	,277(**)	,495(**)
11		1	,304(**)	,205(**)	,289(**)	,198(*)	,339(**)	,188(*)	,247(**)	,563(**)
17			1	,434(**)	,472(**)	,293(**)	,396(**)	,365(**)	,359(**)	,716(**)
41				1	,264(**)	,094	,440(**)	,345(**)	,268(**)	,590(**)
42					1	,284(**)	,325(**)	,216(**)	,319(**)	,613(**)
64						1	,266(**)	,205(**)	,295(**)	,515(**)
65							1	,650(**)	,340(**)	,736(**)
66								1	,194(*)	,601(**)
77									1	,616(**)

من خلال الجدول يتضح لنا أن جميع معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 أو 0.01 ، ولكن معاملات الارتباطات بين البنود ليست جميعها دالة لذلك ارتأينا أن نحذف البنود التي لا ترتبط إحصائياً مع البنود الأخرى. وهي البند رقم: 10 و 64. وبالتالي أصبح عامل الاندماج يتكون من 07 عوامل وهي: 11، 17، 41، 42، 65، 66، 77.

-بالنسبة للعامل الثاني: إستراتيجية التهميش

الجدول (29): معاملات الارتباط بين بنود العامل الثاني و درجة كل بند مع الدرجة الكلية

البند	8	13	24	38	72	74	75	78	الدرجة الكلية
8	1	,220(**)	,130	-,047	,129	,143	,149	,123	,424(**)
13		1	,234(**)	,230(**)	,263(**)	,335(**)	,182(*)	,249(**)	,610(**)
24			1	,167(*)	,250(**)	,178(*)	,135	,254(**)	,524(**)
38				1	,298(**)	,232(**)	,293(**)	,230(**)	,507(**)
72					1	,420(**)	,351(**)	,353(**)	,647(**)
74						1	,517(**)	,375(**)	,674(**)
75							1	,268(**)	,596(**)
78								1	,629(**)

من خلال الجدول يتضح لنا أن جميع معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 أو 0.01 ، ولكن معاملات الارتباطات بين البنود ليست جميعها دالة لذلك ارتأينا أن نحذف البنود التي لا ترتبط إحصائياً مع جميع البنود الأخرى وهي البند رقم 08. وبالتالي أصبح عامل التهميش يتكون من 7 بنود وهي: 13، 24، 38، 72، 74، 75، 78.

- بالنسبة للعامل الثالث:

الجدول (30): معاملات الارتباط بين بنود العامل الثالث و درجة كل بند مع الدرجة الكلية.

البنود	7	18	23	28	31	36	61	62	69	70	بالدرجة الكلية
7	1	,171*	,067	,183*	,051	,101	,185*	,095	,054	,196(*)	,395(**)
18		1	,053	,303**	,598**	,221**	,257**	,140	,253(**)	,276(**)	,594(**)
23			1	,216**	-,120	,064	,090	,181(*)	,128	,110	,318(**)
28				1	,223**	,235**	,264**	,277(**)	,193(*)	,388(**)	,607(**)
31					1	,203**	,186*	,158(*)	,124	,220(**)	,491(**)
36						1	,243**	,357(**)	,299(**)	,431(**)	,574(**)
61							1	,284(**)	,194(*)	,342(**)	,589(**)
62								1	,081	,314(**)	,527(**)
69									1	,394(**)	,536(**)
70										1	,688(**)

من خلال الجدول يتضح لنا أن جميع معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05، ولكن معاملات الارتباطات بين البنود ليست جميعها دالة لذلك ارتأينا أن نحذف البنود التي لا ترتبط إحصائياً مع البنود الأخرى وهي البنود رقم: 07، 23 و 69. وبالتالي أصبح عامل الانفصال يتكون من 07 بنود هي: 18، 28، 31، 36، 61، 62، 70. وبالتالي فإن النسخة النهائية للمقياس أصبحت تتكون من 28 بنداً موزعة بالتساوي بين مختلف استراتيجيات التثاقف بمعدل 07 بنود لكل إستراتيجية .

5.1.2.4. الصورة النهائية للمقياس: تحوي الصورة النهائية لمقياس استراتيجيات التثاقف لدى الشباب الجزائري على 28 بند موزعة على أربعة استراتيجيات ثقافية: الاستيعاب (7 بنود)؛ الاندماج (7 بنود)؛ الانفصال (7 بنود)؛ التهميش (7 بنود). يتم تصحيحها وفق سلم ليكرت (1=غير موافق بشدة إلى 5=موافق جداً)، كما تتراوح الدرجة الكلية للمقياس من 28 إلى 140. يتم تصنيف درجات المقياس بحساب الدرجات الفاصلة لكل إستراتيجية على حدى (بمعنى كل إستراتيجية يتم تصحيحها من 7 إلى 35) وباستعمال الدرجات الفاصلة على كل إستراتيجية نحدد الإستراتيجية التي يتبعها الفرد في ثقافته. وقد تختلف نتائج الدراسات حول قيمة الدرجات الفاصلة لكل إستراتيجية وهذا باختلاف العينات والانحرافات المعيارية. يحدد المقياس ثلاث فئات من الاستراتيجيات الثقافية وهي:

*فئة الاستراتيجيات الخالصة (النقية): وتمثل الأفراد الذين تزيد درجاتهم على المتوسط بمقدار انحراف معياري أو أكثر على إستراتيجية واحدة من استراتيجيات التثاقف فقط في حين تكون درجاتهم في الاستراتيجيات الأخرى دون الدرجة الفاصلة فيها. وهي: الاندماج، الاستيعاب، الانفصال، التهميش.

*فئة الاستراتيجيات الانتقالية: وتمثل الأفراد الذين تزيد درجاتهم عن المتوسط بمقدار انحراف معياري أو أكثر على إستراتيجيتي من استراتيجيات الثقافة. مثل: (الاندماج/ الاستعاب، الاندماج/ الانفصال...).

*فئة الاستراتيجيات المنخفضة التحديد: والتي تمثل الأفراد الذين لا تتجاوز درجاتهم انحراف معياري واحد فوق المتوسط في الاستراتيجيات الأربعة للثقافة بحيث يصنفون على أنهم يتبعون إستراتيجية اندماجية منخفضة التحديد .

لقد شملت عينة التقنين المعتمدة في الدراسة 172 فردا (أصبحت 163 بعد حذف 09 حالات لوجود خلل في الإجابة على المقياس) لدراسة الخصائص السيكومترية لمقياس الثقافة لدى الشباب الجزائري من إعداد رجال غربي محمد الهادي والعقون لحسن ، و تكونت من طلبة شعبة علم النفس جامعة بسكرة و مجموعة من طلبة قسم اللغات شعبة اللغة الفرنسية وطلبة شعبة الاقتصاد جامعة باتنة . تم تطبيق المقياس بصورة جماعية و بإشراف من الباحث نفسه. و تتم الإجابة عليه في فترة 30 دقائق. تراوحت أعمار أفراد هذه العينة بين 18 و 30 سنة (متوسط = 23.26 انحراف معياري = 2.40).

2.2.4 الخصائص السيكومترية:

1.2.2.4 الثبات: يتصف هذا المقياس بثبات مقبول، حيث أن قيم معاملات ألفا كرونباخ بالنسبة للمقياس ككل بلغ (0.667) ، بينما لعامل الاستعاب (0.78) ، بالنسبة لعامل الاندماج (0.775) و بالنسبة لعامل الانفصال (0.73) وبالنسبة لعامل التهميش (0.721).

الثبات بتطبيق وإعادة تطبيق المقياس:

تم تطبيق وإعادة التطبيق المقياس الثقافة مع فارق زمني قدر ب 15 يوما بين التطبيقين على عينة من 54 طالب وطالبة من طلبة شعبة علم النفس بجامعة بسكرة ، في الفترة الممتدة من نوفمبر إلى ديسمبر 2013 . بلغت معاملات الارتباط بين كل من العوامل في التطبيقين الأول والثاني (الاستعاب، الاندماج، الانفصال، التهميش) على التوالي (0.845 ، 0.806 ، 0.789 ، 0.479) و في كل الاختبار (0.679). وهي كلها دالة عند مستوى دلالة 0.01. مما يفسر ارتفاع درجة ثبات الإختبار عند طلاب الجامعة مما يدل على ثبات المقياس.

2.2.2.4 حساب الصدق:

• أ. التحليل العاملي التوكيدي :

استخدمنا التحليل العاملي و اعتمدنا على طريقة المكونات الأساسية و القيام بتدوير العوامل تدويراً متعامداً Varimax-Rotation؛ لاستخراج ثلاثة عوامل عند قيمة الجذر الكامن "1".

الجدول رقم (31): مصفوفة تشبعات البنود على العوامل الثلاثة لمقياس التثاقف بالتحليل العاملي بعد التدوير بطريقة فارمكس: (ن = 163)

البنود	العامل 1	العامل 2	العامل 3	العوامل البنود	العامل 1	العامل 2	العامل 3
1	555,	161,	011,	15	498,	324,-	107,-
2	447,	202,-	123,-	16	381,	157,	263,-
3	338,-	159,-	570,	17	657,	154,-	296,-
4	693,	075,	279,-	18	738,	094,	043,-
5	461,	190,	020,-	19	652,	213,	002,
6	046,-	085,-	614,	20	575,	152,-	150,-
7	202,-	064,-	527,	21	043,-	085,-	595,
8	141,-	064,	610,	22	223,-	142,	661,
9	033,	071,	598,	23	047,	499,	110,
10	108,	549,	027,-	24	028,-	540,	241,-
11	631,	291,-	169,-	25	105,-	676,	112,-
12	607,	034,	137,-	26	062,	697,	010,
13	635,	188,	169,-	27	044,-	627,	023,-
14	586,	006,-	033,	28	116,	594,	048,
نسبة تفسير التباين (39.74%)					18,263	10,946	10,536
الجزء الكامن					5,114	3,065	2,950
ألفا كرونباخ (كل الإختبار = 0.667)					0.86	0.721	0.73
إعادة تطبيق الإختبار (كل الإختبار = 0.679)					0.853	0.479	0.789

حدد أدنى معيار للتشبع الجوهري للبنود على العامل (0.30) و هي القيمة الأكثر استعمالاً. بلغ مؤشر الملائمة (كيسر - ماير - أوكلين $KMO = 0.769$)، ومعامل التجانس كما مربع = 1461.559 وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.000001 و فسرت العوامل الثلاثة ما نسبته (39.74%) من التباين الكلي. ويتضح من نتائج الجدول (31) و من توزيع البنود على العوامل الفرعية أن جميع البنود تتشبع على عامل واحد على الأقل.

تبين هذه النتائج أن هناك ثلاث عوامل فرعية تقيس الأعراض التي تعبر عنها العبارات الواردة فيها:

***العامل الأول:** إستراتيجيتي الاستعاب والاندماج، فسر نسبة تباين قدرها 18,263، و يحوي كل من البنود 1، 2، 4، 5، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20. و تراوحت نسبة تشبع البنود بين 0.738 (18) و 0.381 (16).

***العامل الثاني:** إستراتيجية التهميش : فسر نسبة تباين قدرها 10,946، و يحوي كل من البنود 10، 23، 24، 25، 26، 27، 28. و تراوحت نسبة تشبع البنود بين 0.697 (26) و 0.499 (23)

*العامل الثالث: استراتيجية الانفصال: فسر نسبة تباين قدرها 10,536، و يحوي كل من البنود 3، 6، 7، 8، 9، 21، 22. وبلغت فيها أعلى نسبة تشبع 0.661 على البند 22، و أقل تشبع للبند 07 بقيمة 0.527.

إن البنود في كل عامل تقيس مجموعة واحدة موحدة من الإجابات المعبرة عن توجهات وسلوكيات الأفراد مما يؤكد أن المقياس يتمتع بصدق عال.

• ب. صدق المحتوى:

بعد حساب الصدق العاملي للمقياس ، وانطلاقا من الجانب النظري ارتأينا حساب الارتباطات التقاربية والتباعدية بين استراتيجيات مقياس الثقافة بمعنى بين استراتيجيات الثقافة كالعلاقة بين استراتيجية الاستعاب /الانفصال أو الاندماج (صدق تباعدي) أو بين الاستعاب والاندماج (صدق تقاربي) وهكذا. وقد تراوحت معاملات الارتباط بين - 0.351 / 0.603 وكلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 كما توضحها قيم معاملات الارتباط في الجدول الآتي:

الجدول (32) : الارتباطات البينية " معاملات بيرسون" بين استراتيجيات الثقافة: ن=163

الدرجة الكلية	التهميش	الانفصال	الاستعاب	الاندماج	الاستراتيجيات الثقافية
,690(**)	,097(**)	-,247(**)	,603(**)	1	الاندماج
,717(**)	,231(**)	-,351(**)	1	,603(**)	الاستعاب
,142(**)	-,016	1	-,351(**)	,247(**)	الانفصال
,601(**)	1	-,016	,231(**)	,097(**)	التهميش

يوضح الجدول أن معاملات الارتباط التباعدي بين استراتيجية الاستعاب /الانفصال (- 0.351) ثم الاندماج / الانفصال (- 0.247) قيم سالبة مرتفعة ودالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 و في الاتجاه المتوقع وهي تتناسب مع معطيات الجانب النظري للدراسة. بمعنى وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الاستعاب والانفصال و بين الاندماج والانفصال.

بينما نجد أن معاملات الارتباط التقاربي بين إستراتيجيتي الاستعاب والاندماج يقدر ب (0.603) مرتفعة وموجبة ودالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 وفي الاتجاه المتوقع وهي تتناسب مع معطيات الجانب النظري للدراسة. هذه الارتباطات مؤشرات قوية على صدق المحتوى لهذا المقياس.

من خلال كل هذه النتائج لمقياس الثقافة نستنتج أن هذا المقياس يتمتع بدرجات عالية من الصدق والثبات.

4-3- مقياس موضوعي لرتب الهوية: الأيديولوجية والاجتماعية لمرحلتي المراهقة والرشد المبكر الصورة النهائية " ج" ل بينيون وآدمز 1986 الاسم بالفرنسية ترجمة وإعداد محمد السيد عبد الرحمن

1.3.4 التعريف بالمقياس:

قام آدمز ومعاونوه ببناء المقياس الموضوعي لرتب هوية الأنا المعتمد على نموذج مارشا لهوية الأنا، والقائم على نظرية اريكسون للهوية التي تؤكد على أن الوظيفة البنائية للانا السوية هو الشعور بالهوية أو تحقيق هوية الأنا من خلال أربعة جوانب رئيسية وهي: الفردية، التكامل والتوفيق بين المتناقضات، والتماثل والاستمرارية، و التماسك الاجتماعي . كما أن عملية تكوين الهوية تتضمن بعدين أساسيين (وجود أو غياب فترة الأزمة والالتزام) في ضوءهما حدد جيمس مارشيا 1966 أربع رتب للهوية " انجاز أو تعليق أو انغلاق أو تشتت) وعلى أساسها طور آدمز وآخرون هذا المقياس. لقد أجريت العديد الدراسات في سبيل تطويره وإخراجه في صورته النهائية، حيث قام آدمز وزملاؤه بسلسلة من الدراسات لإخراج المقياس الموضوعي في صورته الأولية، والتي تكونت من 24 بنداً بمعدل 6 عبارات لكل رتبة من رتب الهوية، تتوزع على ثلاث مجالات خاصة بالهوية الأيديولوجية شملت المجال المهني والديني والسياسي، وذلك بمعدل عبارتين لكل مجال . وقد قام جروتيفنت وآدمز Grotevant and Adams عام 1984 بتطوير المقياس حيث تكون في صورته المعدلة من 64 عبارة، بمعدل 8 عبارات لكل رتبة من رتب الهوية. نصف هذه البنود يقيس مظاهر الهوية الأيديولوجية من خلال المجالات التالية: المهنية ، السياسية الدينية وفلسفة الفرد في الحياة، و النصف الآخر يقيس مظاهر الهوية الاجتماعية من خلال المجالات : الأدوار الجنسية والصدقة والترويج أو الاستجمام و المقابلة أو العلاقات مع الجنس الآخر(انظر الملحق رقم .. الصورة "ج"). وأخيراً قام كل من بينيون وآدمز Bennion and Adams بتعديل لغوي لعبارات مجال الهوية الاجتماعي لتكون أكثر مناسبة دون المساس ببناء المقياس، ومنها التأكد من صدق وثبات العبارات. تتوزع العبارات على المحاور التالية:

الجدول رقم (33) يوضح توزيع عبارات المقياس على المحاور:

الرقم العبارات	البعد
49-42-40-33-20-18-8	انجاز الهوية الأيديولوجية
.55-51-46-45-35-22-15-13-60	انجاز الهوية الاجتماعية
57-48-36-34-32-26-12-9	تعليق الهوية الأيديولوجية
61-54-47-43-31-14-11-5	تعليق الهوية الاجتماعية
64-58-50-44-41-28-24-17	انغلاق الهوية الأيديولوجية
63-62-31-38-37-27-21-3	انغلاق الهوية الاجتماعية
56-52-25-16-10-4-2-1	تشتت الهوية الأيديولوجية
59-53-30-29-23-19-7-6	تشتت الهوية الاجتماعية

يستخدم هذا القياس كمقياس لرتب الهوية لأشخاص فرادى تتراوح أعمارهم ما بين 13-30 سنة ويستخدم لقياس الفروق بين الأفراد، و التغيرات داخل الفرد في شكل تطور الهوية. كما يستفاد به كوسيلة بحث أولية أو ثانوية في دراسة النمو النفسي الاجتماعي خلال مرحلتي المراهقة و الرشد المبكر. يجيب المفحوص على البنود من خلال إجابة ذات ستة مستويات متدرجة بطريقة ليكرت تتراوح ما بين موافق تماما إلى غير موافق على الإطلاق. بحيث تقدر الدرجات بإعطاء الإجابة موافق تماما 06 درجات والإجابة غير موافق على الإطلاق درجة واحدة. وتحسب الدرجة الكلية للبعد بجمع بنود هذا البعد في المجالات الأربعة سواء في الهوية الأيديولوجية أو الاجتماعية. تتراوح النتائج الخام للأبعاد الفردية لكل من الهوية الأيديولوجية أو الاجتماعية بين احتمالية وجود درجة منخفضة (08 درجات) أو درجة مرتفعة (48 درجة) لتصنيف أفراد العينة ضمن فئة معينة من رتب الهوية وفي مستوى محدد من القدرة على التفسير.

نعتمد في هذا المقياس على قاعدة الدرجات الفاصلة (الدرجة الفاصلة = المتوسط + انحراف معياري واحد) وباستخدام سلسلة من ثلاث قواعد يتم خلالها مقارنة درجات الأفراد على أبعاد المقياس بالدرجة الفاصلة لكل بعد مما يمكننا من تصنيف الأفراد في هذه الحالة إلى احد الفئات التالية:

1- فئة رتب الهوية الخالصة: (انجاز أو تعليق أو انغلاق أو تشتت): وتمثل الأفراد الذين تزيد درجاتهم على المتوسط بمقدار انحراف معياري أو أكثر على بعد واحد من أبعاد الهوية فقط في حين تكون درجاتهم في الأبعاد الثلاثة الأخرى دون الدرجة الفاصلة فيها. تسمى هذه الرتب بالرتب النقية.

2- فئة من فئات الهوية الانتقالية (" تشتت/ انغلاق " ، " انغلاق / تعليق " ، " تعليق / انجاز "...) : وتمثل الأفراد الذين تزيد درجاتهم عن المتوسط بمقدار انحراف معياري أو أكثر على بعدين من أبعاد الهوية. بينت الأبحاث أنه غالبا ما تكتمل هذه الحالات على نحو مناسب في النمو نحو الرتب الأعلى في تسلسل النمو الطبيعي للهوية.

3. فئة الهوية المنخفضة التحديد : والتي تمثل الأفراد الذين لا تتجاوز درجاتهم انحراف معياري واحد فوق المتوسط في الأبعاد الأربعة للمقياس بحيث يصنفون على أنهم من معلمي الهوية منخفضة التحديد (وهذا لتميزهم عن الأفراد الذين يصنفون تحت رتبة تعليق الهوية الخالصة). يتم التعامل مع هذه الحالات في الغالب كحالات تعليق الهوية الخالصة لأن معظم الدراسات التي أجريت على هذه الحالات بالمقارنة مع حالات التعليق الخالصة خلصت إلى أن الأفراد في كلا الرتبتين يظهرون تشابها في اتجاهاتهم وقيمهم وأساليبهم السلوكية ومسارات النمو لديهم. (السيد محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 44-46).

• مؤشرات الثبات والصدق في دراسات سابقة :

استخدم هذا المقياس حتى سنة 1989 في أكثر من 30 دراسة بعد الدراسات السيكمومترية التي أجراها آدمز وآخرون منذ 1979 بغرض تطوير هذا المقياس . لقد أظهرت سلسلة الدراسات التقنينية لكل من جروتفنت و آدمز عام 1984 ثم بينيون و آدمز عام 1989 تمتع المقياس بدرجة مقبولة من الصدق

والثبات . وهذا أيضا ما أكدته العديد من الدراسات المستخدمة للمقياس في صورته المختلفة في العالم العربي عبد الرحمن (1998)، بن فليس (2010) وعلاونة (2011).

-الثبات: بلغت معاملات الاتساق الداخلي في دراسة ل آدمز ومعاونه بمعادلة ألفا كرونباخ للأبعاد الفرعية الأربعة لكل من الهوية الأيديولوجية والاجتماعية بين 0.3- 0.89 ومتوسط قيمة ألفا الكلية هو 0.66. ويميل الاتساق الداخلي للأبعاد الأربعة للهوية الأيديولوجية لان يكون أكبر عموما من الاتساق الداخلي لأبعاد الهوية الاجتماعية. كما احتسب آدمز وآخرون الثبات بطريقة التطبيق وعادة التطبيق حيث قدرت معاملات الارتباط بين التطبيقين متزاوحة بين 0.71-0.93 مع متوسط يعادل 0.76 وهي قيم كلها دالة إحصائيا مما يدل على ثبات المقياس. أما بطريقة التجزئة النصفية فقد بلغت معاملات الارتباط بين نتائج رتب الهوية الكلية ونتائج الأبعاد الفرعية بين 0.73- 0.64 وكلها دالة إحصائيا. توضح هذه النتائج مستوى مرتفع بشكل دال إحصائيا على ثبات المقياس .(نفس المرجع ، ص ص 54-55).

-الصدق: صدق المحتوى: باستخدام التحليل العاملي وجدت العديد من الدراسات أن المقياس يتكون من 04 عوامل وهو ما يتناسب مع الجانب النظري بالرغم من التداخل بين بعض البنود لأن الهوية تعبر عن حالة نفسية متطورة أو متعثرة.

2.3.4. تقنين المقياس على البيئة العربية:

لتقنين المقياس على البيئة العربية قام الدكتور محمد السيد عبد الرحمن - أستاذ الصحة النفسية بجامعة الزقازيق بمصر - بترجمته إلى اللغة العربية وعرضه على ثلاث محكمين للتحقق من صحة الترجمة وإجراء التعديلات اللازمة. بحيث قام بتعديلات على البعدين الديني (الهوية الأيديولوجية) وبعد المواعدة (الهوية الاجتماعية) بما يتناسب مع طبيعة المجتمع المصري العربي الإسلامي. بالإضافة إلى البند رقم 64 (الذي يقيس تشتت الهوية السياسية) بحيث استخدم مفهوم حقوق الإنسان والإيمان بدل الإجهاض والقتل الرحيم لأن هذه القضايا غير مقبول دينيا واجتماعيا في المجتمع العربي.

وقد قام محمد السيد عبد الرحمان بتقنين المقياس على البيئة العربية من خلال ترجمته و التأكد من صدقه وثباته. حيث تبين من دراسة قام بها عام 1998 على عينة من 422 من الذكور والإناث في المدارس الثانوية والجامعة بمدينة الزقازيق تمتع المقياس بدرجة مقبولة من الثبات حيث تراوحت معاملات الثبات عن طريق إعادة المقياس بين 0.72 إلى 0.83 . كما أظهرت النتائج درجات مقبولة من الاتساق الداخلي حيث أظهرت النتائج وجود علاقة بين المفردات والرتب المنتمية إليها لم تقل في مستوى دلالتها عن 0.05 . كما تبين وجود علاقة بين درجات الأبعاد الفرعية الثمانية للمقياس والرتب المنتمية إليها عند مستوى 0.01 . إضافة إلى تمتعه بدرجة عالية من صدق المحتوى المعتمدة على المحكمين والتحليل العاملي لرتب المقياس المختلفة . وأيضاً الصدق التنبؤي حيث تبين ارتباط الرتب في الاتجاه المتوقع غالبا بكل من الثبات الانفعالي والسيطرة والتنظيم وعدم الأمن.(نفس المرجع، ص ص 115-124).

هذا أيضا ما أكدته دراسة دراسة علاونة بحيث قدرت معامل ثبات المقياس 0.77 ، أما الصدق فقدر 0.86 (ربيعة علاونة، 2011، ص 74).

3.3.4 الخصائص السيكومترية للمقياس:

1.3.3.4 حساب الصدق:

* أ . الصدق الظاهري: تم عرض المقياس في نسخته المترجمة إلى اللغة العربية والمقننة من طرف الدكتور محمد السيد عبد الرحمن (بعد التعديلات التي قام بها على بعدي الدين والمواعدة والبند 64 مع تقديم مبررات التعديل) على سبعة أخصائيين في علم النفس وعلم النفس الإكلينيكي (نورالدين جبالي ، رحال غربي محمد الهادي، عائشة نحوي، خالد خياط، إسماعيل رابحي ، سليمان جار الله ، حنيفة صالح) لغرض تقييمها و تقديم اقتراحات حول مدى قياس كل بند للبعد الذي يحدده، وقد وجدت درجة كبيرة من الاتفاق على شمولية المقياس ووضوح عباراته وتعليماته وأهمية تقنيته على البيئة العربية . وعرضا طبق المقياس على عينة الدراسة الاستطلاعية لم تكن هناك شكاوي تذكر من غموض للأسئلة أو صعوبة فهمها أو فهم التعليمات، بهذا يتمتع المقياس في صورته هذه بدرجة مناسبة من الصدق الظاهري أو الموضوعي.

*ب . صدق المحتوى:

لحساب صدق المحتوى قمنا بإتباع نفس الأسلوب الذي اتبعه آدمز وآخرون 1986 في حساب صدق المحتوى للصورة المعدلة "ب" ثم "ج". وهي حساب الارتباطات التقاربية والتباعية بين أبعاد الهوية الأيديولوجية والاجتماعية.

■ الارتباطات التقاربية والتباعية:

يقصد بالارتباطات التقاربية قيم معاملات الارتباط بين الرتب المتناظرة في الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية كالعلاقة بين انجاز الهوية الأيديولوجية وانجاز الهوية الاجتماعية، وهكذا. وقد تراوحت معاملات الارتباط بين 0.242 - 0.589 وكلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05 كما يوضح ذلك الجدول التالي:

الجدول رقم (34): الارتباطات التقاربية والتباعية بين أبعاد الهوية الأيديولوجية والاجتماعية:

رتب الهوية الاجتماعية				رتب الهوية الأيديولوجية
انجاز	تعليق	انغلاق	تششت	
,447(**)	,191(**)	,194(**)	-,004	انجاز
,094(**)	,429(**)	,034	,151(**)	تعليق
,128(**)	,114(**)	,589(**)	,188(**)	انغلاق
0.001-	,140(**)	-,006	,242(**)	تششت

■ أما الارتباطات التباعدية فيقصد بها قيم معاملات الارتباط بين الرتب المتباينة للهوية كالعلاقة بين انجاز الهوية الأيديولوجية وتشنت الهوية الأيديولوجية وكذا الاجتماعية، وانجاز الهوية الاجتماعية وتشنت الهوية الأيديولوجية وكذا الاجتماعية. والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (35): الارتباطات التباعدية بين أبعاد الهوية الأيديولوجية والاجتماعية:

رتب الهوية	انجاز الهوية الأيديولوجية	انجاز الهوية الاجتماعية
تشنت الهوية الأيديولوجية	-0.134(**)	-0.001
تشنت الهوية الاجتماعية	-0.004	-0.158(**)

بلغت قيم معاملات الارتباط التباعدي بين رتبتي انجاز وتشنت الهوية الأيديولوجية (-0.134) وبين رتبتي انجاز وتشنت الهوية الاجتماعية (-0.158) وهي قيم سالبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01 مما يدل على صدق المحتوى للمقياس و تطابقه مع الجانب النظري في بنائه.

الجدول رقم (36): الارتباطات البينية لأبعاد مقياس الهوية الأيديولوجية

رتب الهوية الأيديولوجية	ابعاد الهوية الأيديولوجية		
	انجاز	تعليق	انغلاق
انجاز	1	,097(**)	,243(**)
تعليق	,	1	,345(**)
انغلاق	,	,	1
تشنت	,	,	1

الجدول رقم (37): الارتباطات البينية لأبعاد مقياس الهوية الاجتماعية

رتب الهوية الاجتماعية	ابعاد الهوية الاجتماعية		
	انجاز	تعليق	انغلاق
انجاز	1	,394(**)	,084(*)
تعليق	,394(**)	1	,063
انغلاق	,084(*)	,063	1
تشنت	-,158(**)	,047	,190(**)

ومن أهم مؤشرات صدق المحتوى الذي يمكن الاستدلال عليه من الجدولين السابقين الارتباط السلبي والدال إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01 بين كل من انجاز وتشنت الهوية في كلا الهويتين و الارتباط الايجابي والدال بين تشنت وانغلاق الهوية في كلا الهويتين وكذا الارتباط الايجابي بين بين تعليق وانجاز الهوية في كلا الهويتين.

في الأخير نؤكد على أن هذه الارتباطات البينية لأبعاد الهوية الأيديولوجية وكذا الارتباطات البينية لأبعاد الهوية الاجتماعية توضح صدق المحتوى للمقياس الهوية .

2.3.3.4 ثبات المقياس: للتحقق من ثبات المقياس في البيئة الجزائرية تم حسابه بطريقتي الاتساق الداخلي والتطبيق وإعادة التطبيق.

* أ. الاتساق الداخلي لترتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية : تم حسابه من خلال العلاقة بين درجة المفردة ودرجة الرتبة التي ينتمي إليها. كالعلاقة بين المفردات (09 . 12 . 26 . 32 . 34 . 36 . 48 . 57) التي تكون بنود تعليق الهوية الأيديولوجية والدرجة الكلية للرتبة، وهكذا بالنسبة للترتب الأخرى في الهوية الأيديولوجية والاجتماعية. وقد تم ذلك على عينة قوامها 54 طالب وطالبة (العينة الاستطلاعية الرابعة في الدراسة). جاءت كل قيم معاملات الارتباط دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.01 كما توضحه الجداول:

الجدول رقم (38) : الاتساق الداخلي للأبعاد الفرعية للهوية الأيديولوجية:

انجاز الهوية		تعليق الهوية		انغلاق الهوية		تشثيت الهوية	
البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط
33	,524(**)	9	,469(**)	17	,551(**)	1	,532(**)
49	,545(**)	57	,481(**)	41	,596(**)	25	,538(**)
8	,420(**)	32	,430(**)	24	,401(**)	16	,402(**)
40	,490(**)	48	,569(**)	64	,425(**)	56	,262(**)
18	,469(**)	26	,546(**)	50	,506(**)	2	,474(**)
42	,512(**)	35	,573(**)	58	,573(**)	10	,469(**)
20	,512(**)	12	,536(**)	28	,550(**)	4	,491(**)
60	,527(**)	36	,485(**)	44	,634(**)	52	,508(**)

- *دالة عند $p > 0.05$ ؛ **دالة عند $p > 0.01$.

الجدول رقم (39) : الاتساق الداخلي للأبعاد الفرعية للهوية الاجتماعية:

انجاز الهوية		تعليق الهوية		انغلاق الهوية		تشثيت الهوية	
البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط
13	,350(**)	5	,494(**)	21	,685(**)	29	,485(**)
45	,468(**)	61	,490(**)	37	,724(**)	53	,435(**)
15	,593(**)	31	,573(**)	39	,725(**)	7	,645(**)
55	,594(**)	47	,567(**)	63	,735(**)	23	,618(**)
35	,598(**)	11	,391(**)	3	,568(**)	19	,572(**)
51	,614(**)	43	,543(**)	27	,492(**)	59	,543(**)
22	,550(**)	14	,402(**)	38	,583(**)	6	,371(**)
46	,612(**)	54	,508(**)	62	,529(**)	30	,393(**)

- *دالة عند $p > 0.05$ ؛ **دالة عند $p > 0.01$.

مما يؤكد أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي .

* ب . الثبات بالتطبيق وإعادة التطبيق

تم تطبيق و إعادة تطبيق المقياس في فترتين مختلفتين يفصل بينهما أسبوعين على عينة (ن=54) من طلبة شعبة علم النفس (السنة الثانية جذع مشترك توجيهي ، السنة الثالثة عيادي ، السنة الثالثة علم النفس المدرسي، الثالثة علم النفس العمل والتنظيم) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة. بلغت معاملات الارتباط في كل الاختبار بين التطبيق الأول والثاني ما يلي: في الهوية الإيديولوجية: الانجاز 0.394 ، التعليق 0.676، الانغلاق 0.743، التشتت 0.761 أما في الهوية الاجتماعية: الانجاز 0.688، التعليق 0.555، الانغلاق 0.815، التشتت 0.810 أما بالنسبة للاختبار ككل الدرجة الكلية فقد بلغ معامل بيرسون للارتباط (0.832). مما يفسر ارتفاع درجة ثبات المقياس عند الطلبة من خلال قصر الفترة الفاصلة بين الاختبارين التي تتميز عموماً باستمرار الأعراض ودرجة تغيرها صغيرة، وبالتالي فهي أفضل لمعرفة مدى ثبات المقياس في مثل هذه الحالات. ما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة ثبات عالية.

الفصل السابع عرض و تحليل النتائج

- 1- توزيع رتب الهوية في أوساط الشباب
- 2- توزع استراتيجيات الثقاف في أوساط الشباب
- 3- العلاقة بين رتب الهوية واستراتيجيات الثقاف والشدة النفسية.
 - 1-3- العلاقة بين رتب الهوية الايديولوجية والهوية الاجتماعية
 - 2-3- العلاقة بين رتب الهوية الكلية والشدة النفسية.
 - 3-3- العلاقة بين رتب الهوية واستراتيجيات الثقاف.
 - 4-3- العلاقة بين استراتيجيات الثقاف.
 - 5-3- العلاقة بين استراتيجيات الثقاف والشدة النفسية.
- 4- علاقة رتب الهوية واستراتيجيات الثقاف بالمتغيرات الديمغرافية
 - 1-4- العلاقة بمتغير الجنس
 - 2-4- العلاقة بمتغير السن
 - 3-4- العلاقة بمتغير المستوى التعليمي
 - 4-4- العلاقة بمتغير موقع السكن
 - 5-4- العلاقة بمتغير لغة الدراسة
- 5- أثر استراتيجيات الثقاف ورتب الهوية على الشدة النفسية

إن الغرض الرئيسي من هذه الدراسة هو الكشف عن مدى انتشار ظاهرتي التثاقف وأزمة الهوية في أوساط الشباب الجزائري وتبيان علاقتهما باضطراب الصحة النفسية لديهم ، للتوصل إلى هذه الأهداف قمنا بتطبيق أدوات القياس على العينة وانتهت الدراسة إلى الإجابة على الفرضيات كما يلي:

الجدول رقم (40): يوضح المتوسطات والدرجات الفاصلة والترميز المقابل لمتغيرات الدراسة

المتغيرات	الرتب	المتوسطات	الانحراف	درجة ف	النسبة %	التكرار	الترميز
الهوية الايدولوجية	الانجاز	36,56	6,458	43	82,6	705	0
					17,4	148	1
	التعليق	30,48	7,420	39	86,0	734	0
					14,0	119	1
	التثنتت	26,36	6,463	34	86,9	741	0
					13,1	112	1
	الانغلاق	22,61	7,090	31	86,4	737	0
					13,6	116	1
					82,6	705	0
الهوية الاجتماعية	الانجاز	35,44	7,185	43	17,4	148	1
	التعليق	30,59	6,923	39	89,3	762	0
					10,7	91	1
	التثنتت	24,10	7,328	33	86,5	738	0
					13,5	115	1
	الانغلاق	20,04	8,290	30	86,6	739	0
					13,4	114	1
					86,5	738	0
					13,5	115	1
الهوية الكلية	الانجاز	72,00	11,612	84	85,1	726	0
	التعليق	61,07	12,125	74	14,9	127	1
	التثنتت	50,46	10,882	62	84,3	719	0
					15,7	134	1
	الانغلاق	42,65	13,718	57	84,3	719	0
					15,7	134	1
					86,2	735	0
					13,8	118	1
					81,6	696	0
التثاقف	الاندماج	23,34	5,042	29	18,4	157	1
	الاستعاب	19,64	5,267	25	82,6	705	0
					17,4	148	1
	الانفصال	23,00	4,774	28	82,4	703	0
					17,6	150	1
	التهميش	16,27	4,785	22	16,8	143	15-10
					61,1	521	29-16
					22,2	189	50-30
	الشدة النفسية	خطر الاضطراب	23,60	8,616			

1. عرض نتائج الفرضية الأولى:

والتي تنص على: " تتوزع رتب الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية في أوساط الشباب الجزائري مع نسبة عالية لرتب معلقي الهوية المنخفضة التحديد".

تعبر رتبة معلقي الهوية (الخالصة والمنخفضة التحديد) عن الأفراد الذين خبروا الأزمة ولم يستطيعوا القيام باختيارات يلتزمون بها سواء بسبب أسباب نفسية داخلية متعلقة بالفرد (السن، الجنس، بعض الخصائص النفسية) أو لأسباب اجتماعية خارجية متعلقة بمجتمعه وثقافته. لقد افترضنا أن تكون نسبة معلقي الهوية (الذين يعيشون أزمة في الهوية) عالية في عينة الدراسة انطلاقاً من دراسات سابقة ومن الواقع الاجتماعي والثقافي الجزائري الذي لم يرسو بعد على نموذج ثقافي موحد يكون المرجع الأساسي للفرد في بناء هويته في زمن تعدد المرجعيات الذي فرضته العولمة.

وبعد استخراج الدرجات الفاصلة (الجدول رقم (40)) تم توزيع أفراد العينة على رتب الهوية كما هو موضح في الجدول رقم (41) بعد أن تم استبعاد عدة حالات لأن درجاتها تساوي أو تزيد عن الدرجات الفاصلة في ثلاثة أبعاد أو أكثر في جميع مقاييس الدراسة. واعتبرت الحالات المستبعدة بأنها قد أساءت فهم التعليمات أو لم تقم بالإجابة بأمانة كما تشير تعليمات المقياس. وبالتالي أصبح العدد النهائي لأفراد عينة الدراسة 853 فرد.

الجدول رقم (41): يوضح توزيع رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية على عينة الدراسة:

الرتب	التكرار	النسبة %
الهوية الأيديولوجية		
انجاز	98	11,5
تعليق	70	8,2
تشنتت	72	8,4
انغلاق	61	7,2
رتب الهوية الانتقالية	98	11,5
رتب الهوية المنخفضة التحديد	454	53,2
المجموع	853	100
الهوية الاجتماعية		
انجاز	96	11,3
تعليق	46	5,4
تشنتت	69	8,1
انغلاق	64	7,5
رتب الهوية الانتقالية	96	11,3
رتب الهوية المنخفضة التحديد	482	56,5
المجموع	853	100

يتضح من الجدول (41) فيما يخص الهوية الأيديولوجية أن نسبة رتب الهوية الصافية في عينة الدراسة ككل بلغت 35.9 % توزعت كما يلي :الإنجاز 11.5 % وهي النسبة الأعلى بين رتب الهوية الصافية لدى عينة الدراسة ككل، يليه التشنتت بنسبة 8.4 % ثم التعليق بنسبة 8.2 % وهي رتبة قريبة من رتبة الإنجاز، في حين أن رتبة الانغلاق فجاءت بنسبة قليلة بالمقارنة مع رتبتي الإنجاز والتعليق حيث

كانت 7.2% ، في حين كانت نسبة رتب الهوية الانتقالية 11.5% بينما كانت النسبة الأعلى لتوزع الهوية الأيديولوجية لصالح الرتب منخفضة التحديد 53.2%. وعليه فان نسبة رتبة معلقي الهوية الأيديولوجية الكلية بلغت 61.1% وهي نسبة عالية جدا. وبهذا تحققت الفرضية الأولى في شقها الأيديولوجي للهوية.

وفيما يتعلق بنسب توزع الهوية الاجتماعية فيتضح من الجدول (41) أن نسبة رتب الهوية الصافية في عينة الدراسة ككل بلغت 32.3% توزعت كما يلي: الإنجاز 11.3% وهي النسبة الأعلى بين رتب الهوية الصافية لدى عينة الدراسة ككل، يليه التشتت بنسبة 8.1% ثم فهي قريبة من نسبة الإنجاز، في حين أن رتبة الانغلاق حافظت على نسبتها المنخفضة 7.5%، أما رتبة التعليق فجاءت بنسبة قليلة بالمقارنة مع رتبة الإنجاز حيث قدرت 5.4% ، في حين كانت نسبة رتب الهوية الانتقالية 11.3% بينما كانت النسبة الأعلى لتوزع الهوية الاجتماعية " مثل الأيديولوجية" لصالح الرتب منخفضة التحديد 56.5%. وعليه فان نسبة رتبة معلقي الهوية الاجتماعية الكلية بلغت 61.9% وهي نسبة عالية جدا. وبهذا تحققت الفرضية الأولى في شقها الاجتماعي للهوية.

2. عرض وتحليل الفرضية الثانية:

والتي تنص " تتوزع استراتيجيات التثاقف في أوساط الشباب الجزائري مع نسبة عالية لاستراتيجيات التثاقف المنخفضة التحديد " .

للتوصل إلى نتيجة تكشف عن صحة هذا الفرض من عدمها وانطلاقا من أن نسبة انتشار ظاهرة التثاقف لدى الشباب الجزائري مرتفعة بغض النظر عن نمط وإستراتيجية التثاقف لديهم. (من خلال نتائج دراسة قمنا بها سنة 2010 على عينة من 511 طالب جامعي وباستخدام مقياس التثاقف ل صاحبيه فائق قوشيو بعد ترجمته وتقنيته على البيئة الجزائرية ، فمن بين أفراد العينة البالغ عددهم 511 طالب وطالبة وجدنا 504 منهم لهم درجات أكبر من المتوسط على الأقل في نمط من أنماط التثاقف، بينما 07 فقط من مجموع أفراد العينة الكلية كانت نتائجهم أقل من المتوسط في مختلف أنماط التثاقف مما تشير إلى وجود نسبة عالية من الأفراد المتثاقفين في أوساط الشباب الجزائري). جاءت هذه النتيجة مؤكدة لما ذهبنا إليه في خلال طرحنا لإشكالية البحث وفرضياته من أن عملية التثاقف قد تجاوزت المفهوم الكلاسيكي لتثاقف الأفراد من خلال عمليات التفاعل والتبادل المباشرة بين الثقافة السائدة والثقافات المغلوبة على أمرها في شكل عمليات الهجرة والاستعمار إلى تثاقف الأفراد من خلال عمليات التفاعل الغير مباشر بين هذه الثقافات في ظل العولمة الثقافية ومخلفاتها. وجاءت هذه النتيجة متقاربة مع الكثير من الدراسات الأجنبية على فئة المهاجرين في البلدان الأوروبية والأمريكية والتي أسفرت في معظمها على أن نسبة عالية من الأفراد يحصلون على درجات عالية من المتوسط على مقاييس التثاقف.

تم استخراج الدرجات الفاصلة (الجدول رقم (40))، ثم توزيع أفراد العينة النهائية (ن = 853) على استراتيجيات الثقافة . والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (42): يوضح توزيع استراتيجيات الثقافة على عينة الدراسة:

الاستراتيجيات	التكرار	النسبة
الاندماج	49	5.8
الاستيعاب	77	9,0
الانفصال	116	13,6
التهميش	89	10,4
استراتيجيات الثقافة الانتقالية	121	14,2
استراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد	401	47,0
المجموع	853	100,0

من خلال هذا الجدول (42) يتضح لنا أن إستراتيجية ونمط الانفصال في اتجاه الثقافة الأصلية هي الإستراتيجية الأكثر انتشارا من الاستراتيجيات الصافية في أوساط أفراد العينة بنسبة 13.6 % تليها إستراتيجية التهميش بنسبة 10.4 % بمعنى حوالي 89 فرد تحصلوا علي درجات عالية من المتوسط على إستراتيجية التهميش في مقياس الثقافة ثم إستراتيجية الاستيعاب والنشابه بنسبة 9 % وفي الأخير إستراتيجية الاندماج بنسبة 5.8 % . بلغت نسبة استراتيجيات الثقافة الصافية حوالي 38.8% من العينة الكلية ، في حين كانت نسبة استراتيجيات الثقافة الانتقالية 14.2 % بينما كانت النسبة الأعلى لتوزع استراتيجيات الثقافة لصالح استراتيجيات الثقافة منخفضة التحديد بنسبة 47 % . وبهذا تحققت الفرضية الثانية والتي تنص على أن استراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد هي الإستراتيجية الأكثر انتشارا في أوساط الشباب .

3.العلاقة بين رتب الهوية واستراتيجيات الثقافة و درجة الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري:

نصت الفرضية الثالثة على أنه " توجد علاقات ذات دلالة إحصائية بين كل من رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات الثقافة و درجة الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري ". و قد اعتمدنا على حساب معامل الارتباط لبيرسون بين كل من رتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية والاستراتيجيات الأربعة الثقافة و درجة الشدة النفسية لدى الشباب . يوضح الجدولان الآتيان النتائج الإحصائية الوصفية لأفراد عينة الدراسة في مقياسي رتب الهوية واستراتيجيات الثقافة تبعا للخصائص الديمغرافية. الجدول رقم (43) : المتوسطات والانحرافات المعيارية في كل من رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية لأدمز وبيبيون تبعا للخصائص الديمغرافية.

اختبارات خصائص		انجاز (ع±م)		تعليق (ع±م)		تششت (ع±م)		انغلاق (ع±م)		انغلاق (ع±م)						
الجنس	ذكور	19,72	7,399	24,62	6,976	30,76	7,231	36,72	7,240	22,69	6,770	27,30	7,970	29,67	6,981	35,98
	اناث	20,15	7,299	23,92	6,908	30,53	7,117	34,97	7,041	22,58	6,320	26,02	7,195	30,77	6,251	36,77
السن	20-15	23,68	6,218	24,47	7,085	30,99	7,063	34,22	7,366	23,68	6,218	24,47	6,742	31,03	6,045	37,79
	24-21	22,82	6,395	27,15	6,761	30,53	7,192	35,70	6,988	22,82	6,395	27,15	7,282	30,84	6,608	36,30
	30-25	19,97	6,524	26,01	7,358	30,19	7,170	36,27	6,462	19,97	6,524	26,01	8,561	28,07	6,231	35,71
المستوى	متوسط ثانوي	20,08	7,157	25,04	6,971	31,70	6,263	37,61	7,061	23,26	5,890	27,11	7,554	32,57	6,347	37,67
	ليسانس	20,45	7,515	24,67	6,701	30,69	7,193	34,76	7,358	23,09	6,591	26,44	6,973	30,66	6,329	36,70
	ماستر	19,38	6,945	22,68	7,154	29,79	7,451	35,22	6,560	21,49	6,555	25,80	7,705	28,98	6,625	35,69
السكن	مدينة	20,21	7,200	24,00	6,813	30,98	6,919	36,18	7,000	22,83	6,211	26,37	7,272	30,51	6,401	36,93
	ريف	19,82	7,498	24,24	7,041	30,09	7,415	34,48	7,204	22,33	6,784	26,35	7,617	30,43	6,510	36,08

الجدول رقم (44) : المتوسطات والانحرافات المعيارية في كل من رتب الهوية الكلية لأدمز وبيبيون ومقياس الثقافة تبعا للخصائص الديمغرافية.

اختبارات خصائص		انجاز (ع±م)		تعليق (ع±م)		تششت (ع±م)		انغلاق (ع±م)		انغلاق (ع±م)		انفصال (ع±م)		تتميش (ع±م)		
الجنس	ذكور	16,14	5,039	23,86	5,781	20,38	5,037	24,33	14,24	42,41	11,73	51,92	12,50	60,43	12,53	72,70
	اناث	16,32	4,639	22,69	5,046	19,37	4,999	22,98	13,53	42,73	10,51	49,94	11,98	61,30	11,26	71,74
السن	20-15	17,40	4,637	23,28	5,036	19,33	4,482	23,64	13,91	45,20	10,10	50,05	11,59	62,02	10,39	72,01
	24-21	15,98	4,833	23,05	5,286	19,96	5,244	23,29	13,68	42,96	10,95	50,93	12,07	61,37	12,06	72,00
	30-25	15,69	4,710	22,35	5,455	18,74	5,024	23,08	12,06	37,20	11,68	49,14	12,82	58,26	11,56	71,98
المستوى	متوسط	22,33	5,162	24,14	5,386	20,45	5,406	23,29	13,68	43,35	10,70	52,15	12,07	64,27	10,75	75,28
	ليسانس	17,31	4,756	23,01	5,230	19,45	4,963	23,58	14,06	43,54	10,68	51,11	11,49	61,35	11,19	71,46
	ماستر	16,33	4,444	22,33	5,228	19,44	4,939	23,00	13,05	40,87	11,03	48,48	12,66	58,77	12,39	70,91
السكن	مدينة	16,26	4,797	23,12	5,353	20,00	5,065	23,91	13,65	43,04	10,81	50,37	11,95	61,49	11,40	73,11
	ريف	16,28	4,745	22,85	5,122	19,16	4,919	22,60	13,79	42,14	10,97	50,58	12,33	60,52	11,73	70,56

-ن= عدد الأفراد؛ م = متوسط؛ (ع) = انحراف معياري

تبين النتائج أن درجات متوسطات أفراد العينة في كل من المجموعات الفرعية بأنها متقاربة جدا حسب الجنس فإن أعلى متوسط لدى الإناث في رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية بلغت (36,77) في رتبة انجاز الهوية الأيديولوجية بينما عند الذكور كان أعلى متوسط في رتبة انجاز الهوية الاجتماعية بلغ (36,72)، نفس الشيء بالنسبة متوسطات استراتيجيات الثقاف بدلالة الجنس فهي متقاربة جدا. أما درجة خطر اضطراب الصحة النفسية لدى الإناث تقدر ب (24,35) في حين نجدها تقدر عند الذكور (21,52) و تدل على أن هناك تباعد بين المتوسطات قد يكون دالا لصالح الإناث..

و تبعا لفئات العمر الثلاثة أظهرت النتائج أن متوسط درجة رتبة انجاز الهوية الاجتماعية في تزايد بزيادة السن لدى الأفراد (34.22 ، 35.70 ، 36.27) في حين أن متوسط درجات كل من تعليق وانغلاق الهوية سواء الأيديولوجية أو الاجتماعية في تناقص مع التقدم في العمر لدى أفراد العينة (انظر الجدول43) والتي تدل على أن درجة انجاز الهوية الاجتماعية لدى الافرد تزداد بالتقدم في العمر وبالتالي فان درجة التعليق والانغلاق تنخفضان وهذا ما يتوافق مع النظريات النمائية للهوية. بالمقابل نلاحظ أن متوسط درجات انجاز الهوية الإيديولوجية يتناقص بالتقدم في العمر وخاصة في الفئة العمرية من 21-25 سنة، وكذا بينت النتائج أن متوسط التشنت في الهوية الايديولوجية والاجتماعية في تزايد بالتقدم في العمر خاصة في الفئة العمرية 21-25 وهذا ما يتعارض مع النظريات النمائية للهوية (يتعلق بإعادة النظر في بعض الاتجاهات الأيديولوجية للأفراد في هذه المرحلة تحت تأثير التغيير الثقافي والثقاف). أما بالنسبة لاستراتيجيات الثقاف بينت النتائج أن درجات متوسطات أفراد العينة في هذه الاستراتيجيات متقاربة جدا تبعا لمتغير السن في حين نجد تفاوت بسيط في درجة متوسطات اضطراب الصحة النفسية عند أفراد العينة تبعا لهذا المتغير.

وحسب المستوى التعليمي، فقد أوضحت نتائج الدراسة أن متوسطات درجات انجاز الهوية الإيديولوجية والاجتماعية تتناقص بالزيادة في المستوى التعليمي وخاصة في الفئة العمرية من 21-25 سنة (وهذا يتناقض مع نتائج آدمز وآخرون) في حين أن متوسط درجات كل من تعليق وانغلاق وتشنت الهوية سواء الأيديولوجية أو الاجتماعية في تناقص مع الزيادة في المستوى التعليمي لدى أفراد العينة (انظر الجدول43). بالنسبة لاستراتيجيات الثقاف بينت النتائج أن درجات متوسطات أفراد العينة في استراتيجيات الثقاف: الاستعاب والاندماج والانفصال متقاربة جدا تبعا لمتغير المستوى التعليمي في حين كانت متوسط درجة استراتيجية التهميش في تناقص تبعا للزيادة في المستوى التعليمي (22.33 ، 17.31 ، 16.33) . كما نلاحظ تفاوت بسيط في درجة متوسطات اضطراب الصحة النفسية تبعا لهذا المتغير.

حسب موقع السكن، فقد أوضحت نتائج الدراسة أن درجات متوسطات أفراد العينة في كل من المجموعات الفرعية (رتب الهوية ، استراتيجيات الثقاف، درجة الخطر) بأنها متقاربة جدا حسب موقع السكن غير

أن متوسط درجات انجاز الهوية الاجتماعية تتمايز بين سكان المدينة وسكان الريف) 36.18، (34.48 لصالح سكان المدينة تبعا لهذا المتغير.

3-1- العلاقة بين رتب الهوية الأيديولوجية و رتب الهوية الاجتماعية:

إن الهدف من دراسة العلاقة بين رتب الهوية الأيديولوجية ورتب الهوية الاجتماعية هو دراسة إمكانية الاعتماد في الدراسة على تصنيف واحد لرتب الهوية يعتمد على الدرجة الكلية لكل رتبة من رتب الهوية. ولكي يتحقق ذلك يجب أن تكون معاملات الارتباط التقاربية بين الرتب المتناظرة للهوية الأيديولوجية والاجتماعية مرتفعة ودالة إحصائيا . وهذا ما أشار إليه محمد السيد عبد الرحمن من خلال نتائج دراسته لترجمة وتقنين هذا المقياس على البيئة العربية المصرية. (محمد السيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 124). وتبين النتائج المبينة في الجدول رقم (45) أن معاملات الارتباطات التقاربية بين الرتب المتناظرة للهوية الأيديولوجية والاجتماعية (الانجاز -الانجاز : 0.447، تعليق - تعليق: 0.429، تشنت - تشنت: 0.242، انغلاق - انغلاق: 0.589) كلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 ، لذلك فإننا سنلجأ إلى الاعتماد على تصنيف واحد لرتب الهوية يعتمد على الدرجة الكلية لكل رتبة من رتب الهوية في هذه الدراسة.

الجدول رقم (45): معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية والشدة

النفسية لدى الشباب

المتغيرات	1	2	3	4	5	6	7	8	الشدة
الهوية الأيديولوجية	انجاز	0,097(**)	-0,134(**)	0,243(**)	0,447(**)	0,191(**)	0,004	0,194(**)	-0,068(*)
تعليق	1	0,345(**)	0,157(**)	0,094(**)	0,429(**)	0,151(**)	0,034	0,242(**)	
تشنت	1	0,110(**)	-0,001	0,140(**)	0,242(**)	-0,006	0,117(**)		
انغلاق	1	0,128(**)	0,114(**)	0,188(**)	0,589(**)	0,042			
الهوية الاجتماعية	انجاز			1	0,394(**)	-0,158(**)	0,084(*)	-0,116(**)	
تعليق				1	0,047	0,063	0,090(**)		
تشنت				1	0,190(**)	0,151(**)			
انغلاق				1	1	-0,018			
الشدة								1	

- *دالة عند مستوى >0.05 ؛ ** دال عند مستوى >0.01.

2.3 العلاقة بين رتب الهوية الكلية و الشدة النفسية لدى الشباب:

قبل التحقق من صحة هذه الفرضية سنقوم بعرض نتائج الدراسة في ما يخص انتشار درجات عالية من الشدة النفسية مع خطر ظهور بعض الاضطرابات النفسية (درجات عالية من القلق واضطراب الاكتئاب) في عينة الدراسة. وجاءت النتائج متوافقة مع الكثير من الدراسات (مثل دراسة حمودة وإمام، ثم دراسة العقون لحسن وزردومي أمحمد 2010 على عينة من 511 طالب وطالبة في جامعة الجزائر بحيث كانت نسبة انتشار الاضطرابات النفسية مقدرة ب 21.1 % من العينة الكلية) التي تؤكد على أن نسبة انتشار حالات الشدة النفسية والاضطرابات النفسية عموما في المجتمعات الحديثة تقدر بحوالي 20 % من المجتمع الكلي بحيث نجد أن الاكتئاب هو الاضطراب الأكثر انتشارا. وهو ما يتفق مع نتائج دراستنا هذه التي أسفرت على أن نسبة الانفراد الذين يعانون من درجات عالية من الشدة النفسية والقلق واضطراب الاكتئاب في عينة الدراسة تقدر ب 22.2 % وهي قريبة جدا من النسبة العالمية لانتشار حالات الحصر والضغط النفسي والاضطرابات النفسية في المجتمعات المعاصرة.

تمثل هذه النسبة مجموعة الأفراد الذين يعانون من درجات عالية من الشدة النفسية من خلال إجاباتهم على مقياس كيسلر للشدة النفسية، ويتميزون بدرجات عالية من القلق واضطراب الاكتئاب، بحيث يوصي معدو هذا المقياس بضرورة التكفل العلاجي الطبي والنفسي بهذه العينة لأن خطر تطور هذه الأعراض إلى أمراض نفسية وعقلية عال جدا. والجدول التالي يبين نسب وتوزيع أفراد العينة بحسب درجات الشدة النفسية وخطر الإصابة باضطرابي القلق والاكتئاب.

الجدول رقم(46): يوضح توزيع أفراد العينة بحسب درجات الشدة النفسية:

نتائج k10	درجة القلق واضطراب الاكتئاب	التكرار	النسبة %
15-10	درجة منخفضة أو معدومة	143	16,8
29-16	درجة متوسطة	521	61,1
50-30	درجة عالية	189	22,2

وللتحقق من صحة الفرضية التي تنص على وجود علاقات ذات دلالة إحصائية بين رتب الهوية ودرجات الشدة النفسية ، قمنا بحساب معاملات الارتباط بيرسون لاختبار طبيعة العلاقات بين الدرجات التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على رتب الهوية الكلية والدرجات التي تحصلوا عليها على مقياس الشدة النفسية لكيسلر ، وكانت نتائج هذا المعامل بعد إخضاع معطيات الدراسة العددية للمعالجة الإحصائية كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (47) : يوضح معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية الكلية والشدة النفسية لدى الشباب

المتغيرات	الشدة النفسية
انجاز	0.109(**)
تعليق	0.200(**)
تششتت	0.171(**)
انغلاق	0.011

- *دالة عند مستوى >0.05 ؛ ** دال عند مستوى >0.01.

تبين النتائج من خلال الجدول رقم (47) أن درجة رتبة الانجاز للهوية الكلية ودرجة الشدة النفسية ترتبطان سلبا وهو أمر متوقع، وكانت قيمة معامل بيرسون (-0.109) و هي دالة إحصائيا (مستوى دلالة أقل 0.01) بمعنى أن درجة الشدة النفسية وخطر الإصابة باضطراب الصحة النفسية لدى الشباب تتناسب عكسيا مع درجة انجاز الهوية عندهم. بينما ارتبطت إيجابا كل درجات رتب تعليق وتششتت الهوية الكلية مع درجة الشدة على التوالي (0.200، 0.171) و هي كلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.01. بمعنى أن الأفراد الذين تكون درجاتهم في رتبة تعليق أو تششتت الهوية الكلية عالية تكون درجاتهم عالية على مقياس الشدة النفسية مع إمكانية إصابتهم باضطرابات الصحة النفسية.

تنفق هذه النتائج إلى حد كبير مع الافتراضات النظرية لخصائص انجاز وتعليق وتششتت الهوية وأيضا مع العديد من نتائج الدراسات السابقة التي تؤكد على أن رتب الانجاز في الهوية هي رتبة تعبر عن النضج واكتمال النمو في الهوية وبالتالي تصاحب عموما بدرجات عالية من التوافق النفسي والاجتماعي والتكيف والصحة النفسية . بينما نجد أن رتبة التعليق تعبر عن الأفراد الذين اختبروا الأزمة في الهوية ولم يستطيعوا القيام بخيارات من البدائل المتوفرة لديهم ثم الالتزام بها، وبالتالي نجد ما زالوا في أزمة هوية وأزمة الاختيار مع ما يصاحب ذلك من توترات وانفعالات وشدة نفسية وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين رتبة التعليق في الهوية ودرجة الشدة النفسية. أما بالنسبة لرتبة التششتت فهي تعبر عن أفراد لم يختبروا الأزمة ولم يقوموا بخيارات وان قاموا بها لا يلتزمون بها، فهم يجدون صعوبة في التكيف مع متطلبات الحياة ومع المحيط الاجتماعي خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري، كما أنهم يعبرون عن نمو غير ثابت وواضح المعالم فهي تعبر عموما عن الرتبة الأدنى في النمو وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين هذه الرتبة والدرجة العالية للشدة النفسية للأفراد.

3.3 العلاقة بين رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التأقف:

وللتحقق من صحة الفرضية التي تنص على وجود علاقات ذات دلالة إحصائية بين رتب الهوية واستراتيجيات التأقف ، قمنا بحساب معاملات ارتباط بيرسون لاختبار طبيعة العلاقات بين الدرجات التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على رتب الهوية الكلية والدرجات التي تحصلوا عليها على مختلف

استراتيجيات الثقافة، وكانت نتائج هذا المعامل بعد إخضاع معطيات الدراسة العددية للمعالجة الإحصائية كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول (48): معاملات الارتباط بين كل من رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقافة

استراتيجيات الثقافة					
المتغيرات	اندماج	استيعاب	انفصال	تهميش	
الهوية الكلية	انجاز	0,155(**)	0,065	0,115(**)	-0,121(**)
	تعليق	0,095(**)	0,160(**)	0,099(**)	0,301(**)
	تششتت	0,018	0,162(**)	0,059	0,259(**)
	انغلاق	-0,039	0,030	0,203(**)	0,042

- *دالة عند مستوى >0.05 ؛ ** دال عند مستوى >0.01.

تبين النتائج في الجدول رقم (48) أن رتبة انجاز الهوية ترتبط إيجابا مع استراتيجي الاندماج والانفصال (0.155 ، 0.115) في حين ترتبط سلبا مع إستراتيجية التهميش (-0.121) و هي قيم دالة إحصائيا (مستوى دلالة أقل من 0.01). بينما ارتبطت قيم تعليق الهوية إيجابا مع كل استراتيجيات الثقافة (0.301، 0.095، 0.160، 0.099) بقيم كلها دالة عند مستوى 0.01. وهي نتيجة متوقعة لان الفرد في هذه الرتبة لم يحدد خيارات خاصة به وبالتالي فانه ما زال في مرحلة الاستكشافات لذا فانه سوف يلجا إلى مختلف النماذج الثقافية المتوفرة في محيطه باستعمال مختلف الاستراتيجيات الثقافية. أما بالنسبة لرتبة تششتت الهوية نجدها ترتبط إيجابا مع كل من استراتيجي الاستيعاب والتهميش (0.259 ، 0.162) بقيم كلها دالة عند مستوى 0.01، وهي كذلك نتيجة متوقعة لأن هذه الرتبة تعبر عن أفراد لم يحققوا أي خيارات أو التزامات في هويتهم وبالتالي فان أقرب إستراتيجية تتوافق مع خصائصهم هي إستراتيجية التهميش التي تعرف على أنها الإستراتيجية التي تعبر عن الأفراد الذين تخلوا عن المعايير الثقافية المميزة لثقافتهم الأصلية لكن بالمقابل لم يستطيعوا استدخال معايير الثقافة الوافدة. ومن خلال تعريف رتبة الانغلاق في الهوية (الشاب والوالدين) نفترض أن هذه الرتبة سترتبط إيجابا مع إستراتيجية الانفصال في عملية الثقافة وهذا ما تحقق ، حيث كانت قيمة معامل بيرسون (0.203) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01.

4.3 العلاقة بين استراتيجيات الثقافة:

بالنسبة للعلاقة بين استراتيجيات الثقافة فيما بينها ، ومن خلال التعاريف الخاصة بكل إستراتيجية نجد أن إستراتيجيتي الانفصال والاستيعاب تمثلان إستراتيجيتين متناظرتين (بمعنى أننا سنفترض أن العلاقة بينهما ستكون سالبة ودالة إحصائيا) بينما تعبر إستراتيجية الاندماج عن الوضعية الوسطية بين كلا الإستراتيجيتين السابقتين (بالتالي نفترض أنها ترتبط مع كليهما ايجابيا مع دلالة إحصائية) في حين نفترض أن إستراتيجية الاستيعاب ترتبط إيجابا مع إستراتيجية التهميش معبرة عن المعاش الصراعي الحاد

الذي يعيشه الفرد المتناقص عندما يحاول التخلي عن ثقافته الأصلية والتماهي مع ثقافة الآخر، فحتى وان عبر من خلال إجاباته على بنود المقياس على أنه متماهي معها. فانه؛ وبسبب الحضور الدائم والضغوط للمحددات الثقافية الوطنية الجزائرية في المحيط الاجتماعي للفرد ؛ سيعايش هذه الوضعية بنوع من التهميش والحيرة. ويتقاطع ذلك مع إستراتيجية التهميش التي تعبر عن حدة وشدة الصراع الذي يعيشه الفرد الذي لم يستقر حاله على أي من الاستراتيجيات السابقة .

الجدول (49): معاملات الارتباط بين كل من استراتيجيات التناقص والشدة النفسية:

المتغيرات	اندماج	استعاب	انفصال	تهميش	الشدة النفسية
اندماج	1	0,586(**)	-0,292(**)	0,030	0,062
استعاب		1	-0,437(**)	0,169(**)	0,154(**)
انفصال			1	-0,063	-0,073(*)
تهميش				1	0,416(**)

- **دالة عند مستوى >0.01 ؛ *** دال عند مستوى >0.001.

لقد بينت النتائج تحقق جميع الافتراضات السابقة (باستثناء العلاقة بين الاندماج والانفصال). فمن خلال الجدول رقم (49) نلاحظ إن الارتباط بين إستراتيجيتي الاستيعاب والانفصال ارتباط سالب بحيث قدر معامل ارتباط بيرسون ب (0.437) وهو دال إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 . في حين كان الارتباط موجبا بين إستراتيجيتي الاستيعاب والاندماج بقيمة قدرت ب (0.586) و سالباً بين إستراتيجيتي الاندماج والانفصال (-0.292) وكل هذه القيم دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 . ويمكن تفسير ذلك لأن إستراتيجية الاندماج ترتبط بشدة بإستراتيجية الاستيعاب (حتى أننا أثناء حساب الخصائص السيكومترية للمقاس باستعمال التحليل العاملي وجدنا أن معظم بنود إستراتيجية الاندماج مشبعة على عامل الاستيعاب) ، وهذا ما يفسر الارتباط الموجب بين هاتين الإستراتيجيتين. في حين نفسر الارتباط السلبي بين إستراتيجية الاندماج والانفصال من خلال إن إستراتيجيتي الاستيعاب والانفصال متناظرتين وبما أن العلاقة بين الاستيعاب والاندماج موجب فان العلاقة بين الاندماج والانفصال ستكون سالبة قطعاً. وكما أن التداخل بين الإستراتيجيتين الأخرين يتم على مستوى الاندماج لان هذه الاستراتيجيات تعبر عن حالات نفسية متداخلة يستحيل أن تكون نهائية وكاملة وثابتة مع الوقت، فهي تتفاعل مع التغير والتطور المحيط بالفرد. كما جاءت العلاقة بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش علاقة موجبة (0.169) ودالة إحصائيا عند مستوى 0.01 متوافقة مع الافتراض النظري السابق والعديد من الاتجاهات النظرية الحديثة.

5.3. العلاقة بين استراتيجيات الثقافة والشدة النفسية:

اعتمدنا في الوصول لفرضية وجود علاقات ذات دلالة إحصائية بين استراتيجيات الثقافة والشدة النفسية على دراسات ومؤشرات متعددة تدل على وجود علاقة بين الثقافة ودرجة الشدة النفسية عموماً، في حين يختلف اتجاه هذه العلاقة ودلالاتها الإحصائية باختلاف إستراتيجية الثقافة الذي يعتمد عليها الفرد في ثقافته. وللتحقق من صحة هذه الفرضية، قمنا باستخدام معامل ارتباط بيرسون لاختبار طبيعة العلاقات بين الدرجات التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على مقياس الثقافة والدرجات التي حصلوا عليها على مقياس كيسلر للشدة النفسية، وكانت نتائج هذا المعامل بعد إخضاع معطيات الدراسة العددية للمعالجة الإحصائية كما هو موضح في الجدول السابق.

يتضح من الجدول (49) أن معاملي الارتباط بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش والدرجة الكلية على مقياس الشدة النفسية المستعمل في الدراسة يقدران على التوالي (0.154 ، 0.416) وهي قيمة موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) ما يؤكد وجود ارتباط موجب بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش والشدة النفسية لدى أفراد العينة بمعنى أن الأفراد الذين يظهرون درجات عالية على هاتين الإستراتيجيتين يظهرون استعداداً أكثر للإصابة باضطرابات الهوية والاكتئاب والقلق . ويعود ذلك إلى طبيعة إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش اللتان تشتركان في التعبير عن حدة الصراع الثقافي الذي يعايشه الشاب الجزائري للاختيار بين البدائل الثقافية المطروحة في محيطه الاجتماعي ما يجعله عرضة لضغوط شديدة وهذا ما يفسر ارتفاع درجة الشدة النفسية لديه.

بينما أوضحت النتائج أن إستراتيجية الانفصال ترتبط سلبياً مع درجة خطر اضطراب الصحة النفسية (-0.073) ودالة إحصائياً (عند مستوى اقل من 0.05). (الجدول رقم 25). و يمكننا تفسير العلاقة الارتباطية السالبة والدالة إحصائياً بين إستراتيجية الانفصال و الدرجة الكلية على مقياس الشدة النفسية بمعنى أن الأفراد الذين يعتمدون على إستراتيجية الانفصال في ثقافتهم يتمتعون بمعدلات صحة عالية بمقارنتهم مع الأفراد الآخرين وهذا من خلال الدعم الاجتماعي الذين تقدمه مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأُسرة للأفراد الذين يتجهون إلى الحفاظ على الثقافة المحلية والتقليدية عرفان لهم وردا للجميل.

نظرة إجمالية تحليلية للفرضية الثالثة:

خلصت نتائج العلاقات بين كل من رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات الثقافة والشدة النفسية إلى ما يلي:

1. جاءت معاملات الارتباطات التقاربية بين الرتب المتناظرة للهوية الأيديولوجية والاجتماعية (الانجاز - الانجاز، تعليق - تعليق، تشتت - تشتت، انغلاق - انغلاق) كلها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01 ما يدل على الانسجام والتوافق بين جانبي الهوية. وهذا ما يتوافق مع السياق النظري والعديد من الدراسات

كدراسة محمد السيد عبد الرحمن الذين دعانا في هذه الحالة إلى الاعتماد على تصنيف واحد لرتب الهوية يعتمد على الدرجة الكلية لكل رتبة من رتب الهوية

2. وبالنظر إلى علاقة درجات الهوية الكلية مع درجات الشدة النفسية نجد أن علاقات كل من الانجاز للهوية الكلية ودرجة الشدة النفسية ترتبطان سلبا وهو أمر متوقع، وهي دالة إحصائيا (مستوى دلالة أقل 0.01) بمعنى أن درجة الشدة النفسية وخطر الإصابة باضطراب الصحة النفسية لدى الشباب تتناسب عكسيا مع درجة انجاز الهوية عند الشاب. بينما ارتبطت إيجابا كل درجات رتب تعليق وتشنت الهوية الكلية مع درجة الشدة النفسية و هي كلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.01. بمعنى أن الأفراد الذين تكون درجاتهم في رتبة تعليق أو تشنت الهوية الكلية عالية تكون درجاتهم عالية على مقياس الشدة النفسية مع إمكانية إصابتهم باضطرابات الصحة النفسية. وكلها نتائج متوقعة حيث يعاني المعلقون من درجات من الشدة النفسية نتيجة لاستمرار الأزمة لديهم.

3. أما بالنسبة لعلاقات رتب الهوية باستراتيجيات الثقافة فان رتبة انجاز الهوية ترتبط إيجابا مع استراتيجي الاندماج والانفصال في حين ترتبط سلبا مع إستراتيجية التهميش. بينما ارتبطت قيم تعليق الهوية إيجابا مع كل استراتيجيات الثقافة أما بالنسبة لرتبة تشنت الهوية نجدها ترتبط إيجابا مع كل من إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش في حين أن رتبة الانغلاق في الهوية ارتبطت إيجابا مع إستراتيجية الانفصال في عملية الثقافة وهي كلها نتائج متوقعة وتتوافق مع السياق النظري.

4. بالنسبة للعلاقة بين استراتيجيات الثقافة فيما بينها ، بينت النتائج إن الارتباط بين إستراتيجيتي الاستيعاب والانفصال ارتباط سالب في حين كان الارتباط موجبا بين إستراتيجيتي الاستيعاب والاندماج و سالبا بين إستراتيجيتي الاندماج والانفصال وكل هذه الارتباطات دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01. كما جاءت العلاقة بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش علاقة موجبة ودالة إحصائيا عند مستوى 0.01. وكل هذه النتائج متوافقة مع السياق النظري والعديد من الاتجاهات النظرية الحديثة.

5. بالنسبة إلى علاقة استراتيجيات الثقافة مع درجات الشدة النفسية تبين النتائج العلاقات بين كل من إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش ودرجة الشدة النفسية علاقات موجبة و دالة إحصائيا (مستوى دلالة أقل 0.01) وهو أمر متوقع، بمعنى أن الأفراد الذين يظهرون درجات عالية على هاتين الإستراتيجيتين يظهرون استعدادا أكثر للإصابة باضطرابات الهوية والاكتئاب والقلق. بينما كانت العلاقة بين درجات إستراتيجية الانفصال مع درجة الشدة النفسية سالبة ودالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.01.

بمعنى و وجود علاقة ارتباط عكسية قوية بين إستراتيجية الانفصال ودرجة الشدة النفسية مع خطر الإصابة باضطرابات الصحة النفسية. وكلها نتيجة متوقعة حيث يعاني الأفراد المهمشين من اللامعيارية الثقافية ما يجعل من درجات الشدة النفسية لديهم عالية.

4. علاقة رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقاف بالمتغيرات الديمغرافية:

نصت هذه الفرضية على أنه " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لكل من متغير الجنس أو السن أو المستوى التعليمي أو موقع السكن أو لغة الدراسة في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقاف لدى عينة الدراسة". تمت دراسة ذلك مع كل من متغيري الجنس بحساب الفروق بين الإناث و الذكور باستخدام اختبار "ت" ونفس الشيء بالنسبة لموقع السكن (حضري ، ريفي) وللغة التدريس في عينة طلبة العلوم الاجتماعية واللغة الفرنسية؛ ثم استخدم تحليل التباين الأحادي (اختبار"ف") لحساب الفروق بين درجات متوسطات المجموعات الفرعية في كل من متغي السن و المستوى التعليمي.

4-1- العلاقة بمتغير الجنس:

لفحص عدم وجود فروق بين درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقاف في عينة الدراسة بين الإناث و الذكور ، تم إجراء اختبار" ت " لدراسة الفروق و التأكد من صحة الفرضية من خلال مدى تساوي أو عدم تساوي درجات متوسطات الأفراد في المتغيرات قيد الدراسة.

الجدول رقم (50): نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق بين الذكور و الإناث في درجات متوسطات

رتب الهوية الكلية و استراتيجيات الثقاف الجنس: ذ 227 ا 626

الجنس	متوسط	انحراف معياري	متوسط خطأ معياري	ت	قيمة الدلالة
انجاز	ذ	72,70	12,531	1,060	,290
	إ	71,74	11,260		
تعليق	ذ	60,43	12,504	-,928	,354
	إ	61,30	11,986		
تشنت	ذ	51,92	11,737	2,353	,019
	إ	49,94	10,515		
انغلاق	ذ	42,41	14,248	-,306	,760
	إ	42,73	13,531		
اندماج	ذ	24,33	5,037	3,458	,001
	إ	22,98	4,999		
استعاب	ذ	20,38	5,781	2,490	,013
	إ	19,37	5,046		
انفصال	ذ	23,86	5,039	3,164	,002
	إ	22,69	4,639		
تهميش	ذ	19,14	4,909	-,497	,619
	إ	20,15	8,222		

- ذ: ذكور ؛ إ: إناث

توضح هذه النتائج أنه لا توجد فروق في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية بين الإناث والذكور، و أن كل قيم" ت " ليست دالة إحصائيا عند مستوى أقل من 0.05 ، ماعدا رتبت التشنت فإنه توجد فروق بينهما دالة إحصائيا عند مستوى أقل من 0.05، وهي لصالح الذكور . مما يعني أن الإناث و

الذكور عموماً لا يختلفون في توزيع رتب الهوية بين الفئتين ما عدا رتبة التشتت في الهوية. هذه النتائج توافق إلى درجة كبيرة تلك التي توصل إليها عبد المعطي (1993، 1991) في دراسته حيث أوضح أنه لا توجد فروق حسب الجنس. بينما لا توافق تلك التي وردت في دراسة ستارك وتراكسلر: Stark et (1974) توصلت الدراسة إلى أن الإناث أكثر تحديدا للهوية من الذكور. في حين كانت نتائج الفروق في درجات متوسطات استراتيجيات التثاقف (الاندماج، الاستيعاب، الانفصال) بين الذكور والإناث دالة ، وان كل قيم "ت" دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من 0.05 ، وهي لصالح الذكور . ما عدا إستراتيجية التهميش فإنه لا توجد فروق بينهما دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05. هذه النتائج لا توافق تلك التي وردت في دراسات كل من سانغ قيمان 1997 وتونغ وديون 1994 (SINGH GHUMAN AND TANG DION) اللتين أشارتا إلى أن إن الشباب المسلمين الذكور في إنجلترا هم أقل تثاقفاً مع تحصلهم على درجات منخفضة على مقياس التثاقف بالمقارنة مع الفتيات المسلمات. ولعل تفسير ذلك من خلال طبيعة المجتمع الجزائري والمجتمع الأوروبي في قضية المحددات الاجتماعية الممنوحة للمرأة.

2.4 العلاقة بمتغير السن:

يوضح الجدول (51) نتائج درجات المتوسطات و الانحرافات المعيارية في رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف لأفراد فئات عينة الدراسة. حيث تم تصنيفها تبعاً لمتغير السن إلى ثلاث مجموعات ("15-20"، "21-24"، "25-30"). و للكشف عن وجود أو عدم وجود الفروق بين درجات متوسطات الفئات السابقة ؛ استخدم تحليل التباين أحادي الاتجاه و حساب قيم "ف".

الجدول (51) : نتائج تحليل التباين حسب متغير السن
لمتوسطات درجات رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف.

الصفات	الصفات	متوسط	انحراف معياري	متوسط خطأ معياري	ف	قيمة الدلالة
انجاز	20-15	72,01	10,391	,737	,000	1,000
	24-21	72,00	12,069	,524		
	30-25	71,98	11,561	1,038		
تعليق	20-15	62,02	11,596	,822	4,134	,016
	24-21	61,37	12,079	,525		
	30-25	58,26	12,828	1,152		
تشنتت	20-15	50,05	10,104	,716	1,554	,212
	24-21	50,93	10,958	,476		
	30-25	49,14	11,682	1,049		
انغلاق	20-15	45,20	13,919	,987	13,761	,000
	24-21	42,96	13,683	,594		
	30-25	37,20	12,061	1,083		
اندماج	20-15	23,64	4,482	,318	,551	,577
	24-21	23,29	5,244	,228		
	30-25	23,08	5,024	,451		
استعاب	20-15	19,33	5,036	,357	3,128	,044
	24-21	19,96	5,286	,230		
	30-25	18,74	5,455	,490		
الانفصال	20-15	23,28	4,637	,329	1,543	,214
	24-21	23,05	4,833	,210		
	30-25	22,35	4,710	,423		
التهميش	20-15	17,40	4,933	,350	7,535	,001
	24-21	15,98	4,576	,199		
	30-25	15,69	5,161	,463		

تبين النتائج الواردة في الجدول أعلاه، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن في درجات متوسطات كل من فئات السن الثلاثة في كل من رتب الهوية الانجاز والتشنتت وكذا إستراتيجيتي الاندماج والانفصال (قيم ف غير دالة عند مستوى أقل من 0.05)، بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى أقل من 0.05 في رتبتي تعليق وانغلاق الهوية الكلية وكذا في إستراتيجيتي الاستعاب والتهميش .

ولعل ما يثير التساؤل هنا هو تناقض هذه النتائج مع نتائج العديد من الدراسات التي أشارت إلى وجود فروق في رتب الهوية تعزى لمتغير السن في رتب الهوية خاصة رتبة الانجاز لأن عملية بناء الهوية متغير يتميز بالنمو والتطور مع التقدم في العمر وهذا ما أشار إليه اريكسون في نظريته للنمو النفسي الاجتماعي، وهذا ما سنحاول شرحه في مناقشة نتائج الدراسة.

وبالتالي لم تتحقق الفرضية القائلة بعدم وجود فروق إلا في رتب الهوية الانجاز والتشتت وكذا إستراتيجيتي الاندماج والانفصال حسب متغير السن. مما يتطلب دراسة اتجاه هذه الفروق لصالح أي من هذه الفئات العمرية.

استخدمنا اختبار "شيفيه" لمعرفة أي من الفئات التي لها درجات متوسطات أعلى و بصورة دالة إحصائيا بين الفئات العمرية المختلفة في كل رتبتي تعليق وانغلاق الهوية الكلية وكذا في إستراتيجيتي الاستيعاب والتمهيش التي توجد فروق بينهما. و يوضح الجدول (52) نتائج هذا اختبار "شيفيه".

الجدول رقم (52): نتائج اختبار شيفيه، الفروق في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية واستراتيجيات

التثاقف حسب الفئات العمرية:

المتغيرات	الفئات	م	ع	اختبار شيفيه		
				20-15	24-21	30-25
تعليق	20-15	62,02	11,596	-	654	3,762(*)
	24-21	61,37	12,079	-	-	3,108(*)
	30-25	58,26	12,828	-	-	-
انغلاق	20-15	45,20	13,919	-	2,237	7,999(*)
	24-21	42,96	13,683	-	-	5,763(*)
	30-25	37,20	12,061	-	-	-
الاستيعاب	20-15	19,33	5,036	-	-627	590
	24-21	19,96	5,286	-	-	1,217
	30-25	18,74	5,455	-	-	-
التمهيش	20-15	17,40	4,933	-	1,419(*)	1,708(*)
	24-21	15,98	4,576	-	-	289
	30-25	15,69	5,161	-	-	-

أوضحت نتائج اختبار "شيفيه" أن هذه الفروق بين درجات متوسطات كل من رتبتي تعليق وانغلاق الهوية الكلية وكذا في إستراتيجية التمهيش دالة إحصائيا عند مستوى أقل من 0.05. و هي لصالح الفئات الفرعية الأولى و الثانية مقارنة بالفئة الثالثة (أكبر من 25 سنة). بالنسبة لرتبة الانغلاق وإستراتيجية التمهيش فان نتائج الدراسة تتوافق مع الأساس النظري لرتب الهوية ومع نتائج العديد من الدراسات التي تشير إلى أن درجات رتبة الانغلاق تنقص بالتقدم في العمر لصالح رتبتي الانجاز والتعليق ونفس الشيء بالنسبة للتمهيش لصالح استراتيجيات أخرى أكثر نضجا. وهذا ما سنحاول تفسيرها في مناقشة النتائج.

لقد أظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن في رتب الهوية الانجاز والتمهيش وإستراتيجيتي الاندماج والانفصال بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن في كل من رتبتي تعليق وانغلاق الهوية الكلية وكذا في إستراتيجيتي الاستيعاب والتمهيش وعليه فإن الفرضية قد تحققت في جزء كبير منها.

3-4- العلاقة بمتغير المستوى التعليمي

يوضح الجدول (53) نتائج درجات المتوسطات و الانحرافات المعيارية في رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف لأفراد فئات عينة الدراسة. حيث تم تصنيفها تبعاً للمستوى التعليمي إلى ثلاث مجموعات (أساسي وثانوي ثم ليسانس ثم ماستر). و للكشف عن وجود أو عدم وجود الفروق بين درجات متوسطات الفئات السابقة؛ استخدم تحليل التباين أحادي الاتجاه و حساب قيم "ف".

الجدول (53) : نتائج تحليل التباين حسب المستوى التعليمي لمتوسطات درجات رتب الهوية الكلية

واستراتيجيات التثاقف م+ث= 159 ل= 421 ما = 273

المستوى التعليمي	متوسط	انحراف معياري	متوسط خطأ معياري	ف	قيمة الدلالة
انجاز	م+ث	75,28	10,757	8,145	,000
	ل	71,46	11,196		
	ما	70,91	12,395		
تعليق	م+ث	64,27	12,076	10,825	,000
	ل	61,35	11,490		
	ما	58,77	12,669		
تشتت	م+ث	52,15	10,707	7,284	,001
	ل	51,11	10,684		
	ما	48,48	11,036		
انغلاق	م+ث	43,35	13,687	3,397	,034
	ل	43,54	14,069		
	ما	40,87	13,050		
اندماج	م+ث	23,29	5,406	1,114	,329
	ل	23,58	4,963		
	ما	23,00	4,939		
استعاب	م+ث	20,45	5,386	2,325	,098
	ل	19,45	5,230		
	ما	19,44	5,228		
الانفصال	م+ث	24,14	5,162	7,373	,001
	ل	23,01	4,756		
	ما	22,33	4,444		
التهميش	م+ث	17,31	4,727	6,713	,001
	ل	16,33	4,584		
	ما	15,58	5,018		

تبين النتائج الواردة في الجدول أعلاه، أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى التعليمي في درجات متوسطات كل من الفئات الثلاثة في كل من رتب الهوية الكلية وإستراتيجيات التثاقف الانفصال والتهميش حيث كانت قيم ف دالة عند مستوى دلالة اقل من 0.05 . بينما أظهرت

النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير المستوى التعليمي في درجات متوسطات إستراتيجيتي الاستيعاب والاندماج عند مستوى دلالة اقل من 0.05. و بالتالي لم تتحقق صحة الفرضية القائلة بعدم وجود فروق إلا في إستراتيجيتين من استراتيجيات التثاقف حسب متغير المستوى التعليمي مما يتطلب تحديد اتجاه هذه الفروق لصالح أي من هذه الفئات العمرية. استخدمنا اختبار "شيفيه" لمعرفة أي من الفئات التي لها درجات متوسطات أعلى و بصورة دالة إحصائيا يعزى إلى متغير المستوى التعليمي في كل من رتب الهوية الكلية وإستراتيجيتي الانفصال والتهميش التي توجد فروق بينهم . و يوضح الجدول (54) نتائج اختبار "شيفيه" .

الجدول رقم (54): نتائج اختبار شيفيه، الفروق في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية واستراتيجيات التثاقف حسب المستوى التعليمي:

المتغيرات	الفئات	م	ع	اختبار شيفيه		
				م+ث	ل	ما
انجاز	م+ث	75,28	10,757	-	3,825(*)	4,371(*)
	ل	71,46	11,196	-	-	,546
	ما	70,91	12,395	-	-	-
تعليق	م+ث	64,27	12,076	-	2,921(*)	5,505(*)
	ل	61,35	11,490	-	-	2,584(*)
	ما	58,77	12,669	-	-	-
التشتت	م+ث	52,15	10,707	-	1,039	3,667(*)
	ل	51,11	10,684	-	-	2,628(*)
	ما	48,48	11,036	-	-	-
انغلاق	م+ث	43,35	13,687	-	,191	2,474
	ل	43,54	14,069	-	-	2,665(*)
	ما	40,87	13,050	-	-	-
انفصال	م+ث	24,14	5,162	-	1,133(*)	1,815(*)
	ل	23,01	4,756	-	-	,682
	ما	22,33	4,444	-	-	-
التهميش	م+ث	17,31	4,727	-	,978	1,729(*)
	ل	16,33	4,584	-	-	,751
	ما	15,58	5,018	-	-	-

* - دال عند مستوى $0.05 > p$ ، م±ع = متوسط ± انحراف معياري.

أوضحت نتائج اختبار "شيفيه" أن هذه الفروق بين درجات متوسطات كل من رتب الهوية وإستراتيجيتي الانفصال والتهميش دالة إحصائيا عند مستوى أقل من 0.05. و هي لصالح الفئات الفرعية الأولى و الثانية مقارنة بالفئة الثالثة (مستوى الماستر). فان كانت هذه النتائج تتوافق مع السياق النظري بالنسبة لرتبتي التشتت والانغلاق وإستراتيجيتي الانفصال والتهميش التي أشارت إلى وجود فروق لصالح الفئتين

الأقل مستوى تعليمي ومع نتائج العديد من الدراسات دراسات عبد المعطي (1993) التي دلت على أن مع انتقال الطلاب من السنة الأولى جامعي إلى الرابعة تسير حال الهوية من التشتت إلى التحقق. فإنها لا تتوافق مع السياق النظري والعديد من الدراسات بالنسبة لرتبة الانجاز التي كان من المنتظر أن تكون لصالح الأكثر مستوى تعليمي بمعنى فئة الماستر جامعي.

4-4- العلاقة بمتغير موقع السكن:

لفحص عدم وجود فروق بين درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات التثاقف في عينة الدراسة بين السكن في الريف أو المدينة ، تم إجراء اختبار " ت " و التأكد من صحة الفرضية من خلال مدى تساوي أو عدم تساوي درجات متوسطات الأفراد في المتغير قيد الدراسة.

الجدول رقم (55): نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق بحسب متغير موقع السكن في درجات متوسطات

رتب الهوية الكلية، استراتيجيات التثاقف. السكن : ر 372 م 481

السكن	متوسط	انحراف معياري	متوسط خطأ معياري	ت	قيمة الدلالة
انجاز	م	73,11	11,406	3,196	,001
	ر	70,56	11,732		
تعليق	م	61,49	11,956	1,161	,246
	ر	60,52	12,335		
تشتت	م	50,37	10,819	-,281	,779
	ر	50,58	10,976		
انغلاق	م	43,04	13,658	,947	,344
	ر	42,14	13,797		
اندماج	م	23,91	5,065	3,808	,000
	ر	22,60	4,919		
استعاب	م	20,00	5,353	2,305	,021
	ر	19,16	5,122		
انفصال	م	23,12	4,797	,835	,404
	ر	22,85	4,745		
تهميش	م	16,26	4,681	-,070	,945
	ر	16,28	4,923		

* دالة عند مستوى اقل من 0.05 - : ذكور ؛ ؛ : إناث

توضح هذه النتائج (جدول 26) أنه لا توجد فروق في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية بين السكن في المدينة أو الريف، و أن كل قيم " ت " ليست دالة إحصائياً عند مستوى أقل من 0.05 ، ما عدا في رتبة انجاز الهوية فإنه توجد فروق بينهما دالة إحصائياً عند مستوى أقل من 0.001، وهي لصالح سكان المدينة . مما يعني أن سكان المدينة أو الريف عموماً لا يختلفون في توزيع رتب الهوية بين الفئتين ما عدا رتبة انجاز الهوية.

في حين كانت نتائج الفروق في درجات متوسطات استراتيجيات التثاقف (الاندماج، الاستيعاب) بحسب موقع السكن دالة ، وهي لصالح سكان المدينة بمعنى أن سكان المدينة يلجئون إلى استراتيجيات الاستيعاب والاندماج أكثر من سكان الريف ويعود هذا إلى الخصائص الاجتماعية والعلائقية والحضارية التي يفرضها العيش في المدينة على الفرد. بينما في إستراتيجيتي الانفصال و التهميش فإنه لا توجد فروق بينهما دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 تعزى لمتغير السكن.

4-5- العلاقة بمتغير لغة الدراسة:

لفحص عدم وجود فروق بين درجات متوسطات رتب الهوية الكلية و استراتيجيات التثاقف في عينة الدراسة بحسب لغة الدراسة ، تم إجراء اختبار " ت " و التأكد من صحة الفرضية من خلال مدى تساوي أو عدم تساوي درجات متوسطات الأفراد في المتغير قيد الدراسة. حيث شملت الدراسة عينة الأفراد الذين يدرسون في الجامعة باللغة العربية فقط (طلبة العلوم الاجتماعية) أو اللغة الفرنسية فقط. حددت العينة ب 391 طالب وطالبة موزعين بحسب متغير لغة ال دراسة بالشكل التالي:(لغة الدراسة العربية: 272 ، لغة الدراسة بالفرنسية: 119).

الجدول رقم (56): نتائج اختبار "ت" الخاصة بالفروق بحسب متغير لغة التدريس في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية، استراتيجيات التثاقف. لغة التدريس: ع 272 ف 119

الدرجة	المتوسط	انحراف معياري	متوسط خطأ معياري	ت	قيمة الدلالة
انجاز	ع	70,59	11,988	,727	-2,648
	ف	73,99	10,986	1,007	
تعليق	ع	59,92	11,015	,668	-2,167
	ف	62,63	12,228	1,121	
نشئت	ع	50,52	10,740	,651	-,944
	ف	51,66	11,329	1,039	
انغلاق	ع	41,08	13,486	,818	-2,027
	ف	44,18	14,797	1,356	
اندماج	ع	22,25	5,067	,307	-4,783
	ف	24,85	4,672	,428	
استيعاب	ع	19,27	5,005	,303	-3,266
	ف	21,14	5,692	,522	
انفصال	ع	22,77	4,448	,270	2,715
	ف	21,41	4,805	,441	
تهميش	ع	15,76	4,597	,279	-2,071
	ف	16,82	4,878	,447	
الشدّة النفسية	ع	22,81	8,002	,485	-2,624
	ف	25,20	8,899	,816	

* دالة عند مستوى أقل من 0.05 . - ع : عربية ؛ ف : فرنسية

توضح هذه النتائج (56) أنه توجد فروق في درجات متوسطات رتب الهوية الكلية بحسب متغير لغة الدراسة، و أن كل قيم "ت" دالة احصائيا عند مستوى أقل من 0.05، وهي لصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة الفرنسية، ماعدا رتبة التشتت فإنه لا توجد فروق بينهما دالة إحصائيا عند مستوى أقل من 0.05. مما يعني أن للغة الدراسة في الجامعة أثر في اختلاف توزيع رتب الهوية بين الفئتين ماعدا في رتبة التشتت في الهوية. هذه النتائج لا تتفق مع نتائج دراسات عبد المعطي (1993) التي خلصت إلى عدم وجود تأثيرات للتخصص الدراسي ونظام الدراسة على رتب الهوية لدى الطلبة الجامعيين.

في حين كانت نتائج الفروق في درجات متوسطات استراتيجيات الثقاف (الاندماج، الاستيعاب، الانفصال والتهميش) بحسب لغة التدريس دالة، وان كل قيم "ت" دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.05، وهي لصالح الفرنسية ما عدا في إستراتيجية الانفصال فكانت لصالح اللغة العربية. وهذه النتائج تتوافق مع السياق النظري الذي يؤكد أن عامل اللغة عامل أساسي في تحديد الإستراتيجية التي يتبعها الفرد خلال عملية ثقافته، فاتجاه الأفراد الذين يستعملون اللغة العربية في الدراسة إلى إستراتيجية الثقاف في حين اتجه الأفراد الذين يدرسون باللغة الفرنسية إلى إستراتيجية الاستيعاب والاندماج يوضح إن عامل اللغة عامل فارقي في عملية الثقاف. مما يؤكد عدم تحقق هذه الفرضية.

نظرة إجمالية تحليلية للفرضية الرابعة:

خلصت نتائج العلاقات بين كل من رتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية واستراتيجيات الثقاف بالمتغيرات الديموغرافية إلى ما يلي:

1. بالنسبة لرتب الهوية الكلية: تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في رتب الهوية الكلية تعزى لمتغير الجنس (ما عدا في رتبة التشتت ولصالح الذكور)، ولمتغير موقع السكن (ما عدا رتبة الانجاز لصالح سكان المدينة). وكذا عدم وجود فروق تعزى لمتغير السن في رتبتي الانجاز والتشتت في حين وجدت فروق تعزى لمتغير السن في رتبتي التعليق والانغلاق وهي نتائج غير متوقعة خاصة بالنسبة لرتبة الانجاز التي تشير جميع النظريات إلى اتجاه النمو في الهوية إلى انجاز الهوية بالتقدم في السن عكس ما خلصت إليه نتائج الدراسة. بينما أشارت دراسة الفروق بحسب متغير المستوى التعليمي إلى وجود فروق دالة إحصائيا في جميع رتب الهوية تعزى إلى هذا المتغير ولكن لصالح الفئات الأقل مستوى تعليمي وهذا ما يتعارض مع السياق النظري والعديد من الدراسات في بعد الانجاز التي أشارت إلى أن هذه الفروق تكون لصالح الفئات الأعلى مستوى تعليمي في رتبة الانجاز.

بالنسبة للفروق التي تعزى إلى متغير لغة الدراسة لعينة الشباب الجامعي، تبين وجود فروق دالة إحصائيا في جميع رتب الهوية ولصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة الفرنسية (ما عدا رتبة التشتت التي لا توجد فروق فيها تعزى لهذا المتغير) مما يعني أن للغة الدراسة في الجامعة أثرا في اختلاف توزيع رتب الهوية بين الفئتين ماعدا في رتبة التشتت في الهوية.

2. بالنسبة لاستراتيجيات الثقافة : تبين النتائج وجود فروق ذات دلالة في استراتيجيات الثقافة تعزى لمتغير الجنس ولصالح الذكور (ما عدا ا في إستراتيجية التهميش) وهذا يتوافق مع طبيعة المجتمع الجزائري الذي يعطي مجال حرية أكبر للذكور في التفاعل مع المتغيرات الخارجية أكثر منه للإناث. وكذا وجود فروق تعزى لمتغير لغة التدريس في جميع استراتيجيات الثقافة ولصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة الفرنسية (ما عدا إستراتيجية الانفصال لصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة العربية) مما يعني أن للغة التدريس في الجامعة أثر فارق في تحديد إستراتيجية الثقافة.

في حين كانت نتائج الفروق بدلالة متغير السن لعدم وجود فروق في استراتيجيات الثقافة تعزى لهذا المتغير (ما عدا في إستراتيجية التهميش ولصالح الفئات الأقل سنا). بينما أشارت دراسة الفروق بحسب المستوى التعليمي إلى وجود فروق تعزى لهذا المتغير في رتبتي الانفصال والتهميش ولصالح الفئات الأقل مستوى تعليمي بينما دلت النتائج على عدم وجود فروق في إستراتيجيتي الاندماج والاستيعاب. في حين كانت نتائج الفروق في درجات متوسطات استراتيجيات الثقافة (الاندماج، الاستيعاب) بحسب موقع السكن دالة ، وهي لصالح سكان المدينة بمعنى أن سكان المدينة يلجئون إلى استراتيجيات الاستيعاب والاندماج أكثر من سكان الريف.

ويمكن الانتهاء بالقول بأن هذه النتائج تشير إلا أن فرضية الدراسة تحقق بنسبة تقدر بحوالي 50% ، وهي تشير الكثير من التساؤلات خاصة ما تعلق بعدم وجود فروق برتبة الانجاز بدلالة السن ، واتجاه الفروق في هذه الرتبة بحسب متغير المستوى التعليمي إلى الفئات الأقل مستوى تعليمي. إلا أننا نجد النتائج الأخرى أكثر منطقية لعدم وجود فروق في رتب لهوية تعزى لمتغير الجنس ولمتغير موقع السكن. وكذا وجود فروق في استراتيجيات الثقافة تعزى لمتغير الجنس لصالح الذكور وبحسب لغة التدريس لصالح اللغة العربية في إستراتيجية الانفصال لكن هذا لا يمنع من القول ب أن هذه النتائج تتميز ببعض من عدم الاتساق في بعض جوانبها وهذا ما يمكن تفسيره لأثر العوامل الثقافية التي سنشرحها في مناقشة هذه النتائج.

5. أثر استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية على الصحة النفسية:

لفحص هذه الفرضية التي تنص على أنه " يوجد أثر دال إحصائيا لكل من رتب الهوية الكلية واستراتيجيات الثقافة على درجة الشدة النفسية وخطر الإصابة باضطرابات الصحة النفسية لدى الشباب". وللكشف عن مدى تأثير كل من رتب الهوية واستراتيجيات الثقافة (المتغيرات المستقلة) على خطر الإصابة باضطراب الصحة النفسية (المتغير التابع)، استخدم تحليل الانحدار الثنائي للوجستي باستعمال برنامج الحزم الإحصائية 20.0. وتم ذلك وفق الخطوات التالية:

- أجريت عملية إعادة ترميز البيانات لتكون ملائمة مع الأساليب الإحصائية التي يتم اعتمادها في العمليات الإحصائية، المتمثلة في تحديد الفئات برموز تعبر عنها لكل من درجات المقاييس التي تم تطبيقها في هذه الدراسة. ثم تم توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الدرجات المتحصل عليها في كل من المقاييس الثلاثة إلى فئتين في كل منهما.

- ترميز درجات كل من استراتيجيات الثقافة (درجة مرتفعة =1 درجة متوسط أكبر أو تساوي الدرجات الفاصلة 29 ، 25 ، 28 ، 22) ؛ أو منخفضة: 0 = درجة متوسط أقل من الدرجات الفاصلة 29 ، 25 ، 22، في كل من استراتيجيات الثقافة بالترتيب (الاستيعاب، الاندماج، الانفصال، التهميش).

الجدول (57) : ملخص الإحصاء الوصفي للمتغيرات و ترميزها

الاختبار	الترميز	التكرار
الشدة النفسية	لا (عدم وجود خطر الإصابة)	0
	نعم (وجود خطر عال للإصابة)	1
الاستيعاب	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
الاندماج	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
الانفصال	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
التهميش	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
انجاز الهوية الكلية	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
تعليق الهوية الكلية	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
انغلاق الهوية الكلية	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1
تشئت الهوية الكلية	لا (درجة منخفضة)	0
	نعم (درجة مرتفعة)	1

- كما تم ترميز درجة الشدة النفسية (المرتفعة =1 أكبر من أو يساوي 30 درجة) و(المنخفضة =0 أقل من 30 درجة). بينما تم ترميز درجات رتب الهوية الكلية : الانجاز، التعليق، التشتت، الانغلاق بالشكل التالي (المرتفعة =1 درجة أكبر أو يساوي من الدرجة الفاصلة 85 ، 74، 62، 57) و (المنخفضة =0 درجة أقل من الدرجة الفاصلة 85 ، 74، 62، 57). و يوضح الجدول (57) البيانات المدخلة في التحليل و رموز قيم المتغيرات.

تمثلت المتغيرات المفسرة لنتائج هذا النموذج في رتب الهوية (منخفض أو مرتفع) و استراتيجيات التثاقف (منخفض أو مرتفع). و اعتبرت كل هذه المتغيرات التفسيرية في العملية الإحصائية بأنها نوعية. أجريت عملية تقدير معالم نموذج اللوجستي بطريقة الإمكانية العظمى (maximum likelihood) وهي من أشهر طرق التقدير في الإحصاء و تقيس دالة الإمكانية العظمى.

أظهرت النتائج الملخصة في الجدول (58) العملية الأولية المتمثلة في تحديد قيمة الثابت في حالة إدخال المتغيرات و معرفة مدى ملائمة البيانات للنموذج.

الجدول (58) : نموذج معادلة الانحدار

B	الخطا المعياري	وولد Wald	درجة حرية	مستوى الدلالة	أسية (B)
الثابت 0	-1,257	232,290	1	,000	,285

توضح نتائج الجدول أنه عند ادخل جميع المتغيرات في معادلة الانحدار فإن قيمة الثابت في النموذج ذات دلالة إحصائية : -1,257 (إحصاء وولد = 232,290 ، مستوى الدلالة اقل من 0.001 ؛ أسية (B) = 0.285). مما يؤكد أن البيانات ملائمة لبناء نموذج الانحدار الثنائي اللوجستي.

يمثل الجدول (59) نتائج العملية الضرورية لحساب قيمة دالة الإمكانية العظمى ومشتقاتها للحصول على أقل قيمة لها لتقدير معالم النموذج بعد عدة دورات إلى غاية التكرارات التي لا تتغير فيها قيمة دالة الإمكانية العظمى.

الجدول (59) : نتائج التكرارات

خطوة	2- لغ الإمكان العظمى	الثابت	المعاملات							
			الاندماج	الاستعاب	الانفصال	التهميش	الانجاز	التعليق	التشتت	الانغلاق
1	810,189	,203	-1,559	,245	,235	,106	1,405	-,191	,487	,153
2	797,054	,312	-1,959	,389	,350	,179	1,702	-,310	,666	,201
3	796,857	,333	-2,017	,418	,371	,196	1,743	-,338	,693	,207
4	796,857	,333	-2,018	,418	,372	,196	1,744	-,339	,694	,207
5	796,857	,333	-2,018	,418	,372	,196	1,744	-,339	,694	,207

توضح النتائج أن قيمة دالة الإمكانية العظمى (810,189)، و بعد 3 دورات فإن أقل قيمة لدالة الإمكانية العظمى بلغت (796,857) أي (- 2 لغ الإمكانية العظمى = 796,857) و تمثل نهايتها الصغرى عند هذه الدورة.

تم اختبار مدى ملائمة النموذج و موافقة البيانات من خلال التعرف على قيم معامل كوكس و سنال "ر²" و معامل نغلكيرك "ر²". ثم إجراء اختبار هوسمر و لميشوف لمعرفة مدى استناد النتائج إلى الواقع الميداني، ويوضح الجدول الموالي النتائج المتحصل عليها:

الجدول (60) : ملخص خصائص النموذج

نموذج	2- لغ الإمكان العظمى	ر ² - كوكس و سنال	ر ² - نغلكيرك
1	796,857(a)	,216	,278

تبين هذه النتائج قيمة المعاملات المعدلة كوكس و سنال (ر² - كوكس و سنال = 0.216) و معامل (ر² - نغلكيرك = 0.278) دالة إحصائياً ودالة على ملائمة النموذج وفق البيانات التي تم إدخالها، وعند أقل قيمة لدالة الإمكانية العظمى (- 2 لغ = 796,857).

و استخدمنا اختبار هوسمر و لميشوف لمعرفة مدى ملائمة البيانات للنموذج والتوافق بين القيم الفعلية والمتوقعة. الجدول (61). تبين نتائج اختبار هوسمر و لميشوف، أن انحرافات النموذج اللوجستي هي من الجزء الملاحظ و لا تستند إلى نموذج نظري متوقع.

الجدول (61) : اختبار هوسمر و لميشوف (مؤشر الملائمة)

نموذج	مربع كاي	د.ح	دلالة
1	5,704	7	,575

حيث أن قيمة (كا² = 5.704 ، وقيمة الدلالة = 0.575). و هو ما يبين مدى جودة النموذج الكامل، كل من القيمتين (نعم/لا : 0/1 ، أي توجد شدة نفسية/ لا توجد شدة نفسية) يوجد توافق بين قيمهما الفعلية و التقديرية.

أما نتائج اختبار هوسمر و لميشوف التي تكشف عن احتمالية جودة هذا النموذج في تقدير النتائج الملاحظة والمتوقعة في حالتي غياب الشدة و وجود الشدة يوضحها الجدول (62). وذلك من خلال حساب كاي مربع (X²) لقيمة الفرق بين القيم الملاحظة و القيم المتوقعة.

جدول (62) : اختبار الاحتمالية هوسمر و لميشوف

المجموع	وجود الشدة = 1		غياب الشدة = 0		خطوة 1
	متوقع	ملاحظ	متوقع	ملاحظ	
47	4,454	3	42,546	44	1
251	29,439	29	221,561	222	2
72	9,818	7	62,182	65	3
72	10,816	9	61,184	63	4
82	13,487	15	68,513	67	5
86	17,042	21	68,958	65	6
85	21,929	24	63,071	61	7
84	36,935	41	47,065	43	8
74	45,081	40	28,919	34	9

Contingency Table for Hosmer and Lemeshow Test

لمعرفة تمثيل النموذج أفضل تمثيل للبيانات التي يمكن ملاحظتها و المتوقعة، يوضح الجدول (63) النسب المئوية لتصنيف للبيانات التي تعبر عن التصنيف الحقيقي.

الجدول (63) : الجدول التصنيفي

النسبة الحقيقية	المتوقع		الملاحظ	النسبة الكلية
	[1]	[0]		
94,1	39	625	[0]	النسبة النفسية
23,3	44	145	[1]	النسبة النفسية
78,4				النسبة الكلية

نتائج نسب التصنيف الحقيقية للبيانات الملاحظة المعبرة عن غياب الشدة (94.1) و المعبرة عن وجود الشدة النفسية (23.3) و بلغت النسبة الحقيقية الكلية لتصنيف مدى تعبير البيانات عن الشدة النفسية (78.4) وهي مرتفعة و تدل على أن احتمال الخطأ هو في حدود (21.6 %). مما يؤكد بأن النموذج يمثل البيانات تمثيلاً مقبولاً.

يلخص الجدول (64) نتائج تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي لصورة النموذج الأمثل بعد إدخال المتغيرات المستقلة بطريقة خطوة خطوة. و يتضمن قيم المؤشرات لكل من المتغيرات التي تم إدخالها. جدول (64) : ملخص نتائج تحليل الانحدار (المتغيرات ضمن المعادلة).

خطوة 1	الاندماج [1]	B	خطا معياري	Wald	وولد	د.ح	قيمة الدلالة	أسية (B)	
								أعلى	أدنى
		,418	,258	2,640	1	,104	1,520	,917	2,517
	الاستيعاب [1]	,372	,228	2,669	1	,102	1,450	,928	2,266
	الانفصال [1]	,196	,244	,650	1	,420	1,217	,755	1,962
	التهميش [1]	1,744	,202	74,357	1	,000	5,722	3,849	8,505
	الانجاز [1]	-,339	,283	1,435	1	,231	,713	,410	1,240
	التعليق [1]	,694	,226	9,448	1	,002	2,001	1,286	3,114
	التشتت [1]	,207	,233	,785	1	,376	1,230	,779	1,942
	الانغلاق [1]	,333	,233	2,052	1	,152	1,396	,884	2,202
	الثابت	-2,018	,151	178,991	1	,000	,133		

تبين نتائج مؤشرات النموذج لكل من المتغيرات المستقلة لرتب الهوية ولاستراتيجيات التناقف أن كل من المتغيرين التهميش (B = 1.744 ، احصاء وولد = 74.357 ، قيمة الدلالة = 0.000 ، أسية (B) = 5.722 ، 95 % مجال ثقة: 3.849 - 8.505) و رتبة التعليق (B = 0.694 ، احصاء وولد = 9.448 ، قيمة الدلالة = 0.002 ، أسية (B) = 2.001 ، مجال ثقة 95 % : 1.286 - 3.114) لهما تأثير موجب على درجة الشدة النفسية ، بينما كل من استراتيجيات الاندماج والاستيعاب والانفصال وكل من رتب الهوية سواء الانجاز و التشتت و الانغلاق ليس لها تأثير على درجة الشدة النفسية وخطر اضطراب الصحة النفسية عند أفراد العينة..

إن قيمة (B) هي عبارة عن قيم معامل الإندماج اللوجستي، و تعبر عنها الدالة الأسية (أسية (B)) و تمثل نسبة الأرجحية odds Ratio ، التي تدل على نسبة الارتفاع في الشدة النفسية عند الارتفاع بدرجة واحدة في المتغيرين المستقلين إستراتيجية التهميش أو رتبة التعليق (لكل درجة تغير في إستراتيجية التهميش يرتفع الجلد بمقدار 5.722 و بالنسبة لرتبة التعليق ترتفع بمقدار 2.001).

من خلال نتائج قيمة الثابت و قيم (B) يمكن كتابة معادلة النموذج لحساب درجة الشدة النفسية بدلالة درجات رتب الهوية واستراتيجيات التناقف على الشكل التالي:

$$\text{لغ نسبة الأرجحية الشدة النفسية} = 0.418 \text{ اندماج} + 0.372 \text{ استيعاب} + 0.196 \text{ انفصال} + 1.744 \text{ تهميش} - 0.339 \text{ انجاز} + 0.694 \text{ تعليق} + 0.207 \text{ تشتت} + 0.333 \text{ انغلاق} - 2.018$$

عندما تكون رتب الهوية واستراتيجيات التثاقف تساوي الصفر 0 ، فإن الشدة النفسية هي قيمة (الثابت = - 2.018). بينما لو ارتفع متوسط كل من درجات إستراتيجية التهميش أو رتبة التعليق فإن ذلك يؤدي إلى ارتفاع في درجة الشدة النفسية. مما يعني أن اتجاه الأفراد إلى عدم تحقيق هويتهم واعتماده على رتبة التعليق أو تبنيهم لإستراتيجية التهميش في ثقافتهم ينبئ بارتفاع درجة الشدة النفسية مع خطر عالي بظهور الاضطرابات نفسية لديهم ، و هذا بمعزل عن اثر العوامل الخارجية الأخرى. مما يؤكد صحة الفرضية.

وهذا ما يفسر النسبة العالية للأفراد الذين يعانون من الشدة النفسية في أوساط الشباب الجزائري والتي قدرت بحوالي 22.1% والتي ترتبط بالنسب العلية للأفراد الذين يتوزعون على رتبة معلق لهوية بنوعيتها ، وكذا بالنسبة المعتبرة للأفراد الذين يتخذون من إستراتيجية التهميش ملاذا لهم في مواجهة التغير الثقافي المميز للمجتمع الجزائري. في حين أن انخفاض أو الزيادة في درجات الرتب والاستراتيجيات الأخرى لا يسمح لنا بالتنبؤ بارتفاع أو انخفاض درجات الشدة النفسية لدى الشباب الجزائري.

الفصل الثامن

مناقشة النتائج، التوصيات والإقتراحات

- 1- مناقشة نتائج الخصائص السيكومترية لإدوات الدراسة
- 2- مناقشة نتائج الفرضيات
 - 1-2- الفرضية الأولى
 - 2-2- الفرضية الثانية
 - 3-2- الفرضية الثالثة
 - 4-2- الفرضية الرابعة
 - 5-2- الفرضية الخامسة
- 3- المناقشة العامة
- 4- التوصيات
- 5- الإقتراحات
- خاتمة

1- مناقشة نتائج الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة

أجريت عملية ترجمة و تكيف لمقياس كيسلر للشدة النفسية إلى اللغة العربية و أتاح ذلك توفيرها في البيئة الجزائرية والعربية لتوظيفها في مختلف ميادين علم النفس و علم النفس الاجتماعي.

بينت نتائج ترجمة وتكيف لمقياس كيسلر للشدة النفسية (kissler Psychological Distress scale k10 الذي أعده كل من (رونالد كيسلر و دافيد مورسزوك ، R kissler et D Morczek 1994) أنه يتمتع بصدق جيد حيث كانت قيمة الصدق التمييزي (ت = 50.29 مستوى الدلالة أقل من 0.001) و معاملات ارتباط كل بند بالدرجة الكلية كلها دالة عند مستوى أقل من 0.01. أما معاملات الصدق التبايني والتقاربي التي تم حسابها من خلال دراسة الارتباطات بين درجات كل من مقياس كيسلر للشدة النفسية ومقياس التفاؤل والتشاؤم الذي أعده احمد عبد الخالق (1996) ومقياس تايلور للقلق الصريح ومع مقياس الاكتئاب لارون بيك كلها كانت دالة عند مستوى 0.01. بالإضافة إلى أن نتائج التحليل العامل جاءت تؤكد أن المقياس يحتوي على عامل واحد تشبعت عليه جميع البنود وهو عامل الشدة النفسية. كما أن المقياس يتمتع بثبات عالي بحيث كانت قيمة معامل ألفا كرونباخ فبلغت قيمته في كل الاختبار 0.822، معامل الارتباط بين النصفين (0.741) و معامل سبيرمان براون (0.851) و معامل التجزئة النصفية جيتمان (0.851). تفيد هذه النتائج مدى صلاحية توظيف هذا السلم الذي يقيس الشدة النفسية وخطر إصابة الفرد باضطراب في صحته النفسية سواء في شكل اضطراب القلق أو اضطراب الاكتئاب.

كما بينت نتائج دراسة الخصائص السيكومترية لمقياس استراتيجيات التأقلم لدى الشباب الجزائري من إعداد رحال غربي محمد الهادي والعقون لحسن 2014 بلقن هذا المقياس يتمتع بصدق جيد حيث أوضحت نتائج التحليل العاملي التوكيدي أن مؤشر الملائمة بلغ (كيسر- ماير- أوكلين $KMO = 0.769$)، ومعامل التجانس كما مربع = 1461.559 وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.000001 و فسرت العوامل الثلاثة ما نسبته (39.74%) من التباين الكلي. كما أن جميع البنود تشبعت على بالعوامل بعد القيام بتدوير العوامل تدويراً متعامداً ، وجاءت جميع معاملات الارتباط التقاربية والتباينية بين مختلف أبعاد المقياس دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من 0.05. كما أن المقياس يتمتع بثبات عالي بحيث كانت قيم معاملات ألفا كرونباخ بالنسبة للمقياس ككل بلغ (0.667) ، بينما لعامل الاستيعاب (0.78) وبالنسبة لعامل الاندماج (0.775) و بالنسبة لعامل الانفصال (0.73) وبالنسبة لعامل التهميش (0.721). كما بلغت معاملات الارتباط بين كل من الاستراتيجيات في التطبيقين الأول والثاني (الاستيعاب، الاندماج، الانفصال، التهميش) على التوالي (0.845 ، 0.806 ، 0.789 ، 0.479) و في كل الاختبار (0.679) وهي كلها دالة عند مستوى دلالة 0.01. ما يفسر ارتفاع درجة ثبات الاختبار عند طلاب الجامعة و يدل على ثبات المقياس.

بينت نتائج دراسة الخصائص السيكومترية للمقياس الموضوعي لرتب الهوية (الأيديولوجية والاجتماعية) لمرحلتى المراهقة والرشد المبكر الذي أعده بينيون وادامز 1986 و قام بترجمته وإعداده باللغة العربية (محمد السيد عبد الرحمان 1998) أنه يحدد مختلف رتب الهوية . و بينت نتائج دراسة الارتباطات التباعدية والتقاربية و الارتباطات البينية لأبعاد الهوية الأيديولوجية ولأبعاد الهوية الاجتماعية مدى صدق المحتوى لمقياسي الهوية الأيديولوجية والهوية الاجتماعية كل على حدى . بينما كان معامل ألفا كرونباخ ومعاملات الارتباط تطبيق و إعادة تطبيق المقياس بين مختلف رتب الهوية مرتفعة ومعبرة عن درجة عالية من الثبات.

من خلال النتائج التي تم التوصل إليها، فإن هذه الأدوات يمكنها قياس السمات و الحالات التي وضعت لتقديرها كميًا في المجتمع الجزائري بصفة خاصة و العربي بصفة عامة . وأنه يمكن اعتمادها في القيام ببحوث نفسية و تربوية و اجتماعية.

2- مناقشة النتائج في ضوء الفرضيات:

• الفرضية الأولى:

فيما يتعلق بنتائج الفرضية الأولى التي تناولت توزيع رتب الهوية على عينة الدراسة، فقد أظهرت النتائج فيما يخص الهوية الإيديولوجية أن نسبة رتب معلقي الهوية (الخالصة والمنخفضة التحديد) كانت الأعلى نسبة بنسبة 61.1% وكانت النتيجة ذاتها بالنسبة لبعد الهوية الاجتماعية حيث كانت النسبة الأعلى لرتب معلقي الهوية 61.9%. إن هذه الرتبة تشير إلى أن أفراد العينة ما يزالون في مرحلة استمرار السلوكات الاستكشافية كما أسماها (Matteson 1977) مع غياب الالتزام الثابت بالقيم والمعتقدات والمعايير السائدة في المجتمع. هذه الاستكشافات تعبر عن فترات الأزمة كما يسميها Erikson (1968) وهو ما يؤكد فرضيتنا التي أكدت على أن نسبة كبيرة من الشباب الجزائري يعاني أزمة في بناء الهوية في ظل غياب نموذج ثقافي صريح وموحد يبني من خلاله هويته مما يدفع به إلى المتوقع والدخول في التعليق النفسي الاجتماعي خاصة وأن البناء الاجتماعي والنفسي للمجتمع الجزائري لا يدفع ولا يشجع الشباب والمراهقين إلى الاستقلالية وتحقيق هوية ناضجة ومكتملة . وهذا ما تؤكد النسبة الضعيفة للأفراد الذين أنجزوا الهوية في عينة الشباب والتي لا تتعدى (11.5% في الهوية الأيديولوجية و 11.3% في الهوية الاجتماعية). بحيث نجد الشاب الجزائري يجد صعوبات جمة في انجاز هويته والالتزام بخياراته سواء الأيديولوجية منها كالدينية و المهنية و السياسية وفلسفته في الحياة أو الاجتماعية في شكل العلاقات مع الأصدقاء و الدور الجنسي وعلاقاته مع الجنس الآخر وخططه للترفيه والاستجمام. وكلها مجالات لا يستطيع الفرد الاختيار بين البدائل لتي توفرها ثقافته في كل مجال إلا إذا اتسمت ببعض الثبات والاستمرارية في الزمن ، وهي الخاصية الغائبة عن المجتمع الجزائري الذي يتعرض إلى تغيرات مفصلية ومتسارعة وملاحقة في ظل العولمة الثقافية وضرورة اللحاق بالركب الحضاري. هذا ما يجعل

الفرد؛ وفي ظل إدراكه لأزمة الاختيار التي وقع فيها واستمرار السمة الاستكشافية في سلوكاته ؛ يلجأ إلى تعليق بناء الهوية وهذا ما يفسر النسبة العالية لرتب معقلي الهوية في الدراسة.

وقد يعود هذا أيضا إلى كون عينة الدراسة تشمل على نسبة كبيرة من الأفراد الذين يتراوح سنهم ما بين 15-24 سنة كما يوضحه الجدول (عينة الدراسة)، إذ من المتوقع حدوث زيادة في النمو النفسي الاجتماعي مع التقدم في السن، كما يؤكد Erikson على دور المجتمع في تحقيق الهوية أو تعليقها لدى الفرد حيث يعتقد أن المجتمع يمنح الأفراد الفرصة للتأجيل النفسي الاجتماعي للهوية في حين يسعى المراهقون إلى تكوين التزامات أو تعهدات خاصة بهم في الحياة، وإلى ترسيخ تعريف ثابت نسبيا للذات، فهذا الوضع الذي يطبعه التناقض يثير الهوية الشعورية التي تجبر الفرد على اكتشاف البدائل والخيارات بين وجهات النظر المتباينة في مجالات عديدة (سياسية، اجتماعية، ترفيهية،... وغيرها) وإعادة حلها من خلال التعهدات أو الالتزامات الأيديولوجية الشخصية. وللتأكد من هذا التفسير قمنا بدراسة الفروق في رتب الهوية بدلالة السن فوجدنا أنه لا توجد فروق في رتبتي الانجاز والتشتت في الهوية بالتقدم في السن وهذا ما يعيدنا إلى الإقرار بالأثر العميق الذي خلفه التغيير الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري في بناء الهوية لدى الشباب ما جعل فترة تعليق الهوية تمتد إلى سنوات متقدمة في العمر (الثلاثينات) بحيث لا يستطع الفرد حتى في هذا العمر المتقدم تحديد خيارات خاصة به والالتزام بها .

كما أوضحت النتائج المتعلقة بهذه الفرضية أن نسب رتبة الانغلاق في الهوية الأيديولوجية والاجتماعية كانت ضعيفة. هذه الرتبة التي يصفها Erikson بأنها الرتبة التي يقرر فيها الفرد التزام ثابت بدون المرور بفترات يشعر فيها بأزمات هوية. فهو يتبنى معتقدات مكتسبة من الآخرين وغالبا ما يكونا الوالدين بدون فحص أو تبصر أو انتقاد لها وبدون أن يقارنها بأراء ومعتقدات الآخرين. إن المتأمل للبناء الاجتماعي التقليدي للمجتمع الجزائري وطرق التنشئة الاجتماعية فيه القائمة مظهريا على الإيحائية والجبرية والطاعة يحيلنا إلى الاعتقاد بلن نسبة الأفراد من رتبة انغلاق الهوية ستكون مرتفعة لأن الهدف الأساسي من التنشئة الاجتماعية في المجتمع التقليدي هو فرض الطاعة والالتزام بالاتجاهات والمعايير والعادات السائدة فيه بدون معارضة واعتراض ، وهذا ما يتقاطع مع تعريف الانغلاق في الهوية . لكن النتائج خلصت إلى عكس ذلك ، و تفسير ذلك بلن التغيير الاجتماعي الذي ميز المجتمع الجزائري منذ الاستقلال جعل الأسرة التقليدية تتنازل عن العديد من وظائفها لصالح مؤسسات تنشئة اجتماعية أخرى كالمدرسة ووسائل الإعلام مما جعل طرق التنشئة الاجتماعية تتطور وأصبحت تتميز بالتساهل والليونة وتشجيع الاستقلالية والإبداع على جميع المستويات الحياتية سواء الأيديولوجية أو الاجتماعية . فأصبح بذلك الشباب الجزائري المعاصر لا يحبذ أن يملي عليه الآخرين مثل هذه الأهداف والقيم والمعايير وإنما يفضل إنجازها بمفرده ويعارض كل جبر أو تقييد لحريته، وهذا ما تؤكدته نتائج دراسة علاونة ربعة (2011) حيث خلصت إلى إن نسبة انغلاق الهوية الأيديولوجية في عينة دراستها منعدمة في حين كانت ضعيفة نسبيا في الهوية الاجتماعية . نفس ما خلصت إليه دراسة خديجة بن فليس (2010).

وما نستخلصه أيضا من خلال النتائج التي توصلنا إليها ودائما في إطار هذه الفرضية، أن رتبة الإنجاز في الهوية هي الأكثر انتشارا في الرتب الصافية سواء في الهوية الأيديولوجية (11.5%) أو الاجتماعية (11.3%) فهؤلاء الشباب خبروا تعليقا اجتماعيا وأجروا استكشافات بديلة لتحديد شخصيتهم ثم قاموا بالالتزام بخيارات محددة، فهم بهذا قد أنجزوا أو حققوا هويتهم ، في حين أن رتبة التشتت كانت موجودة داخل عينة الدراسة ككل ولكن بنسب قليلة بالمقارنة مع رتبتي الإنجاز والتعليق الكلية، حيث قدرت في الهوية الأيديولوجية ب(8.4%) والاجتماعية (8.1%) . ويتميز الشباب في هذه الحالة بأنهم لا يدركون شعوريا حركة الهوية و لا يخبرون الحاجة لأن يكتشفوا خيارات أو بدائل كما يفشلون أيضا في الالتزام بإيديولوجية ثابتة، ومعظم الشباب مشتتي الهوية ذات نمو غير ثابت.

كما خلصت النتائج إلى أن نسبة رتب الهوية الانتقالية متقاربة بين الهويتين الأيديولوجية (11.5%) والاجتماعية (11.3%) وتشير هذه الرتبة إلى الشباب الذين يتعرضون لانتكاسة في النمو وينتقلون إلى مستويات أدنى من رتب الهوية بسبب تعرضه للحيرة أو التوقف عن خيار معين وإعادة البحث من جديد عن خيار آخر، وهذا الأمر متوقع في عالم معقد ومتعدد الاحتمالات والخيارات، خاصة ما يتعلق بالمجال المهني أو السياسي، أو قيم الفرد وأهدافه والمعايير التي يؤمن بها، هذه الجوانب من الحياة قد تكون في بعض الأحيان محل مراجعة وتقييم وحتى نقد من طرف الشخص في حد ذاته بسبب تأثير من بعض المتغيرات الخارجية، وقد يصل الأمر بالشخص إلى تعديل الأفكار التي يحملها وبالتالي البحث عن البديل. بهذا المفهوم يمكننا اعتبار الأفراد المنضوون تحت هذه الرتبة أفرادا يعانون من جديد أزمة في الهوية مع إمكانية انتكاستهم إلى مستويات أدنى من رتب الهوية خاصة لدى الفئة العمرية الصغيرة المكونة من المراهقين باعتبار أن المراهق يواجه عموما عددا كبيرا من التغيرات النفسية والجسمية والجنسية المتشابكة، ويواجه أيضا بمتطلبات عقلية واجتماعية ومهنية جديدة ومتنوعة قد تدفع بنموه النفسي والاجتماعي إلى الانتكاسة إلى مستويات أدنى. (ربيعة علاونة، 2011، ص 92).

وبما أن دراستنا تناولت عينة من المجتمع الجزائري وتحديدا فئة المراهقين والشباب المبكر فإننا نستخلص بان أغلبية أفراد العينة يعانون من أزمة في بناء الهوية (أكثر من 60 % معلقى الهوية وأكثر من 11% رتب انتقالية) لأن المجتمع الجزائري لا يوفر نموذج ثقافي واحد ومتوافق عليه ليساعد الشباب في بناء هويته، وإنما ترك الحرية للأفراد للاختيار من النماذج التي توفرها مختلف مؤسسات إنتاج الثقافة المحيطة بهم ، والتي تتعارض في الأغلب فيما بينها ما يجعل الفرد يؤول لخياراته ويجعل الأزمة تمتد إلى ما لا نهاية.

• الفرضية الثانية:

فيما يتعلق بنتائج الفرضية الثانية التي تناولت توزيع استراتيجيات التناقص على عينة الدراسة، فقد أظهرت النتائج أن نسبة استراتيجيات التناقص المنخفضة التحديد كانت الأعلى نسبة بنسبة 47 % . إن هذه الإستراتيجية تشير إلى أن أفراد العينة ما يزالون في رحلة البحث عن إستراتيجية تناقصية محددة في

ظل غياب الالتزام الكلي بالقيم والمعتقدات والمعايير السائدة في المجتمع أو الوافدة إليه على السواء مع استمرار التفاعل والتبادل بين المحددات الثقافية المتوافرة في هذا المجتمع. فالأفراد في هذه الحالة لم يستطيعوا اختيار إستراتيجية من الاستراتيجيات الثقافية الصافية (الاندماج أو التشابه أو بالعكس الانفصال) لأنهم لم يحددوا بعد اتجاهاتهم الثقافية المستقبلية وبالتالي نجدهم ما زالوا يعايشون التقاطب الثقافي المميز لمجتمعهم بعنف وحيرة، فلا هم اختاروا الاندماج والتشابه مع الثقافة الوافدة وبالتالي التزامهم بالعادات والمعايير والمبادئ المميزة للثقافة الغربية ولا اختاروا الانفصال واللجوء إلى الانطواء على الذات والتمسك بالثقافة المحلية التقليدية. ويعود السبب في ذلك إلى السمة التقاطبية المميزة للوضعية الثقافية الجزائرية ، فهي تجمع بين المرغوب فيه والممنوع ، الرغبة في الاستقلالية والخوف من الانفصال، الرغبة في الحداثة والخوف من التخلي عن شرعة الأسلاف. وهذا ما يتوافق مع دراسة نورالدين طوالي 1982 التي خلصت إلى أن الفرد الجزائري يعيش معاشا تقاطبيا عنيفا بين الحداثة والأصالة يجعل من اختيار احدهما والتخلي عن الآخر أمرا صعب المنال مما يجعله في حيرة من أمره. فلا يستطيع اختيار إستراتيجية ثقافية واضحة وصريحة نحو ثقافة ما في نوع من التعليق الثقافي وهذا ما يفسر النسبة العالية لاستراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد في عينة الدراسة.

تشير استراتيجيات الثقافة المنخفضة التحديد إلى استمرار الفرد في التفاعل الثقافي مع الثقافة الوافدة في حين أنه لم يستطع أن يحدد اتجاها نهائيا تجاهها (الاستيعاب أو الانفصال) ، فهذه الاستراتيجيات تعبر عن عمليات اندماجية في ثقافة الآخر ولكنها منخفضة التحديد. فإذا قمنا بجمع هذه النسبة مع نسبة الاستراتيجيات الاندماجية والاستراتيجيات الانتقالية، واستنادا إلى إن عملية الثقافة ظاهرة عالمية تمس جميع الأفراد بدون استثناء، نجد أن أغلب أفراد العينة دخلوا في عملية الثقافة بتابع إستراتيجية الاندماج الثقافي في الثقافة الوافدة بنسبة بلغت إجمالا (67 %) ، على اعتبار أن إستراتيجية الاندماج هي أول إستراتيجية يلجأ إليها الفرد في عملية ثقافته كرد فعل طبيعي لحاجته إلى الالتحاق بالركب الحضاري والنهل من مغريات الحضارة الغربية في حركة اشباعية للكثير من حاجاته النفسية والاجتماعية في المرحلة الأولى، لكن هذا الاتجاه نحو التشبع بقيم ونماذج هذه الثقافة الغربية في البداية يصطدم ؛ في ظل تناقض هذه النماذج المستوردة مع المقومات والنماذج التي نشأ عليها الفرد والمكونة لهويته الشخصية؛ برفض شديد من المجتمع والجماعات المحلية لسلوكه الاندماجي نتيجة للتناقض الصارخ بين هذين النمطين الثقافيين مع ما يصاحب ذلك من قلق وشعور بالذنب كردة فعل على التخلي عن الثقافة الأم. في هذه الوضعية ؛ ولتخفيف الصراع والحيرة التي يعيشها ؛ يلجأ الفرد إلى إستراتيجيات ثقافية لاحقة قد تتمثل في التخلي الكلي عن الثقافة المحلية لحساب الثقافة الوافدة في عملية استيعاب وتمثل كلي لقيمها ومعاييرها ، أو قد يلجأ إلى عكس ذلك وهذا بالانطواء والعودة إلى التقاليد والعرف في عملية انفصالية إلى مراحل سابقة، في حين نجد أفراد آخرين لا ينجحون في تحقيق أي إستراتيجية من هذه الإستراتيجيات مع تخليهم عن قيمهم ومعاييرهم الأولية في حين أنهم لم يتمكنوا من استيعاب النماذج التي

توفرها الثقافة الغربية مما يشعرهم بالرفض المزدوج في عملية انعزال وتهميش إستراتيجية لعدم التكيف مع عملية التثاقف المستحبة والمطلوبة لكنها صعبة التحقيق والمنال.

كما أوضحت النتائج أن إستراتيجية الانفصال في اتجاه الثقافة الأصلية هي الإستراتيجية الأكثر انتشارا من الاستراتيجيات الصافية في أوساط أفراد العينة بنسبة 13.6 % تليها إستراتيجية التهميش بنسبة 10.4 % بمعنى حوالي 89 فرد تحصلوا على درجات عالية من المتوسط على إستراتيجية التهميش في مقياس التثاقف ثم إستراتيجية الاستيعاب والتشابه بنسبة 9 % وفي الأخير إستراتيجية الاندماج بنسبة 5.8 % . تقترب هذه النتائج كثيرا من الإحصائيات التي أسفرت عنها دراسة **فانق قو شيو** في تحديده لاستراتيجيات التثاقف على عينة من 100 طالب وطالبة ذو أصول آسيوية في جامعة شيكاغو في و م أ سنة 2008 ، باستعماله مقياس التثاقف للطلبة الآسيويين، حيث جاءت نتائج دراسته هذه على أن 100 % من الطلبة والطالبات حققوا اندماجا نسبيا في ثقافة المجتمع الأمريكي في حين كانت نسبة الأفراد الذين لجئوا إلى استراتيجيات لانفصال الأعلى تليها الاستيعاب ثم الاندماج ، في حين كانت نسبة 16% من العينة الكلية يعانون من التهميش في إطار ظاهرة التثاقف مع شعور كبير لديهم بالرفض من كلا الثقافتين المحلية والمستقبلية لهم. كما نلاحظ أيضا أن هناك اتجاه وميل أكثر للشباب الجزائري إلى انتهاز إستراتيجية الانفصال كمرحلة نهائية في تثاقفهم بالمقارنة مع الاستراتيجيات الصافية الأخرى .

إن كل هذه النتائج تؤيد بقوة فرضية البحث الثانية خاصة وأن الكثير من الأسباب التي استعرضناها أشارت إلى شيوع ظاهرة التثاقف في المجتمعات المعاصرة سواء في دول العالم المتقدم في صورة المهاجرين من الجيل الأول والثاني أو في دول العالم الثالث المتحررة حديثا عن الاستعمار والخاضعة للهيمنة والتبعية الثقافية للعالم الغربي حتى الآن، ومن التفسيرات المحتملة لهذا الانتشار الواسع لهذه الظاهرة في أوساط الشباب الجزائري حسب رأينا هو الأثر السريع والشامل للعولمة عموما والعولمة الثقافية خصوصا في تغير الكثير من المفاهيم المفتاحية لدى الفرد كمفهوم الهوية والآخر والتقاليد والمعاصرة وحلت محلها مفاهيم أكثر مرونة وانفتاحا كنتيجة للاحتكاك والتفاعل المستمر والمتواصل بين معايير وقيم الثقافة المحلية في مقابل مغريات ومميزات الحداثة وثقافة الآخر وهذا من خلال ثورة الاتصالات والانترنت ووسائل الإعلام السمعية منها والمرئية .

ومن التفسيرات الأخرى لصحة هذه الفرضية هو أن السياق التاريخي للثقافة في الجزائر في ظل ما تعرضت له من غزو ومحاولات لطمس لمعالها إبان الفترة الاستعمارية، جعل الجزائر بعد الاستقلال تنغمس في مناخ من الفاصل الثقافي يتميز بأشرب قهري للسكان بالقيم والنماذج الغربية كان بمثابة بداية لعمليات التثاقف. نفس ما أكدته دراسة محمد سليم قلاله في كتابه " الاختراق في الثقافة الجزائرية" حتى أنه أضاف أن فرنسا لم تتأسى من اختراق الثقافة الجزائرية حتى بعد خروجها بل عمدت على ربط مجتمعنا بروابط ثقافية لتستغلها للتحكم عن بعد من خلال تكوين فئة اجتماعية مشبعة بالثقافة الغربية، نضيف إلى كل هذا فشل كل المشاريع الوطنية الصادقة والهادفة إلى إحياء التراث الثقافي الوطني وتكوين

نشء متمسك بالقيم والمعايير المحلية في ظل الانفتاح والعصرنة، والنقطة التي قسمت ظهر هذه المشاريع الوطنية الأزمة الأمنية في سنوات التسعينيات في ظل التراجع الكبير للمد الإسلامي الذي ترك فراغا ثقافيا على المستوى الاجتماعي والشخصي مع سيادة ثقافة الفضائيات والانترنت فكان مصير شباب هذه المرحلة انطلاقا من قانون العرض والطلب اللجوء إلى هذه الوسائل لإشباع حاجاتهم الثقافية بدون توجيه وتخطيط، ما يجعلنا نفسر هذه النسبة العالية من الأفراد المتثاقفين في عينة الدراسة والذين لم يحددوا استراتيجيات ثقافية نهائية ، هذا بالإضافة إلى التشجيع الاجتماعي والمكانة المرموقة التي يتحصل عليها الفرد المتثاقف في المجتمع.

إن الثقافة بصورة عامة يدل على قصور في الناحية النفسية والاجتماعية والثقافية والحضارية لكنه في الحقيقة يعد في ظل غياب سياسات ثقافية وطنية جادة شرطا أساسيا للتحويل نحو الفعل المبدع سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وهو الأمر الذي أكدته نديم البيطار عندما أكد على أن الإنسان العربي قبل أن يبني مصيره عليه أن يخسر تماما ثقته بكفاءة وجوده التقليدي على الاستمرار، وعليه أن يشعر بأنه أصبح غريبا فيه ويحس بحاجة عميقة إلى تجاوزه وإلغاءه. ونحن نورد ذلك لتبين أن عملية الثقافة ليست بالأمر السليبي تماما إذا كانت مصادره تتبع من الدافع النفسي نحو التطور الحضاري وهو أمر يحتاج لدراسات متعددة.

• الفرضية الثالثة:

توصلت الدراسة إلى وجود علاقة سالبة ذات دلالة إحصائية بين رتبة انجاز الهوية ودرجة الشدة النفسية وهو أمر متوقع، بمعنى أن درجة الشدة النفسية وخطر الإصابة باضطراب الصحة النفسية لدى الشباب تتناسب عكسيا مع درجة انجاز الهوية عند الشاب. بينما دلت النتائج على وجود علاقات موجبة بين كل من درجات رتب تعليق وتشنت الهوية الكلية مع درجة الشدة النفسية و هي كلها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من 0.01. بمعنى أن الأفراد الذين تكون درجاتهم في رتبة تعليق أو تشنت الهوية الكلية عالية تكون درجاتهم عالية على مقياس الشدة النفسية مع إمكانية إصابتهم باضطرابات الصحة النفسية. وكلها نتائج متوقعة حيث يعاني المعلقون من درجات عالية من الشدة النفسية نتيجة لاستمرار الأزمة لديهم.

تتفق هذه النتائج إلى حد كبير مع الافتراضات النظرية لخصائص انجاز وتعليق وتشنت الهوية وأيضا مع العديد من نتائج الدراسات السابقة (دراسة آدمز وآخرون 1979، ودراسة راسموسن Rasmussen 1961، ودراسة بوكين Bukin 1997، ودراسة عبير محمد حسن عسيري 2003، دراسات أبو بكر مرسي محمد مرسي 1988، 1997، دراسة عبد الرقيب البحيري 1990) التي تؤكد على أن رتبة الانجاز في الهوية هي رتبة تعبر عن النضج واكتمال النمو في الهوية وبالتالي تصاحب عموما بدرجات عالية من التوافق النفسي والاجتماعي والتكيف والصحة النفسية. بينما نجد أن رتبة التعليق تعبر عن الأفراد الذين اختبروا الأزمة في الهوية ولم يستطيعوا القيام بخيارات من البدائل المتوفرة لديهم ثم الالتزام بها، وبالتالي نجد ما

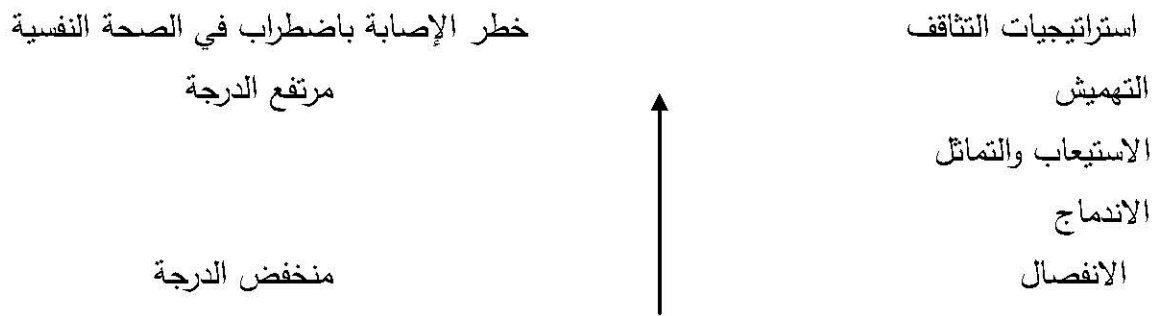
زالوا في أزمة هوية وأزمة الاختيار مع ما يصاحب ذلك من توترات وانفعالات وشدة نفسية وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين رتبة التعليق في الهوية ودرجة الشدة النفسية. أما بالنسبة لرتبة التشتت فهي تعبر عن أفراد لم يختبروا الأزمة ولم يقوموا بخيارات وان قاموا بها لا يلتزمون بها، فهم يجدون صعوبة في التكيف مع متطلبات الحياة ومع المحيط الاجتماعي خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع لجزائري، كما أنهم يعبرون عن نمو غير ثابت وواضح المعالم فهي تعبر عموماً عن الرتبة الأدنى في النمو وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين هذه الرتبة والدرجة العالية للشدة النفسية للأفراد.

كما دلت النتائج على وجود علاقة ارتباطية قوية بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش والشدة النفسية لدى أفراد العينة بمعنى أن الأفراد الذين يظهرون درجات عالية على هاتين الإستراتيجيتين يظهرون استعداداً أكثر للإصابة باضطرابات الهوية والاكتئاب والقلق. ففي حالة ارتفاع درجة التوجه نحو إستراتيجيتي الاستيعاب أو التهميش ينعكس ذلك على زيادة درجة الشدة النفسية. مما يفسر أن إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش تشتركان في التعبير عن حدة الصراع الثقافي الذي يعايشه الشاب الجزائري للاختيار بين البدائل الثقافية المطروحة في محيطه الاجتماعي ما يجعله عرضة لضغوط شديدة وهذا ما يفسر ارتفاع درجة الشدة النفسية لديه. تتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات التي تناولت العلاقة بين هذين المتغيرين نذكر منها دراسة نورالدين طوالي 1982 حينما لاحظ من خلال ممارسته الطب النفسي بين سنوات 1974 و 1977 في أحد مراكز التأهيل النفسي الاجتماعي الواقع في ضواحي الجزائر العاصمة نمط خاص من الباتولوجيا الاكتئابية غير المألوفة إلى حد ما لدى أشخاص تتراوح أعمارهم بين 35 و 55 عاماً، بحيث كان أكثر من 25 مريض من مجموعة ثلاثين كانوا من أصل ريفي لم يكن انتقالهم إلى الجزائر العاصمة إلا بعد الاستقلال بفترة وجيزة. وفسر ذلك كنتيجة لتثقافتهم وتخليهم عن ثقافتهم الأصلية ما ولد لديهم شعور عنيف بالذنب وتحقير للذات مما ساعد على ظهور هذا النوع من الاضطراب الاكتئابي، وكذا دراسة موريار و فورمان (1992) التي أسفرت نتائجها عن وجود علاقة ارتباطية موجبة بين عملية التثاقف و اضطرابات الصحة النفسية في عينة من المهاجرين في المجتمع الأمريكي، نفس النتيجة تؤكدها دراسة شان و تكوشي في معالجتهم لأثر عملية التثاقف في ظهور الاكتئاب لدى الأفراد المتثاقفين، حيث قاما بدراسة هذه العلاقة على عينة مكونة من 983 عامل أمريكي ذوو أصول صينية أغلبهم مهاجرون، وأسفرت هذه الدراسة على أن الدرجة العالية على مقياس التثاقف مرتبطة ارتباطاً موجباً بزيادة أعراض الإصابة بمرض الاكتئاب. دراسة أخرى قام بها لي LEE وآخرون على عينة مكونة من 319 طالب وطالبة ذو أصول آسيوية في الولايات المتحدة الأمريكية أسفرت على التأكيد بوجود علاقة ارتباطية موجبة وذات دلالة إحصائية بين الدرجة العالية في قلق التثاقف وظهور بعض الاضطرابات النفسية والعقلية لدى أفراد العينة. ودراسة كيم KIM التي اعتمدت فيها على نظرية الاستراتيجيات التثاقفية لبيري على عينة قوامها 60 مراهقاً أمريكياً ذو أصول صينية

وكورية و يابانية مع عينة أخرى من 116 راشد مهاجر إلى و م أ ، أسفرت النتائج إلى أن الراشدين والمراهقين الذين حصلوا على درجات عالية في إستراتيجية التهميش على مقياس التثاقف يظهرون نسبة عالية من الأعراض الاكتئابية العنيفة،

ويمكن تفسير ذلك في ضوء أن عملية التثاقف هي عبارة عن خبرة ذاتية مؤلمة تصاحب بدرجات عالية من قلق التثاقف والانفصال عن الثقافة الأم بصرف النظر عن الجنس (ذكور، إناث)، ويعزو ذلك إلى تداخل العديد من العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التاريخية منها والمعاصرة، ومالها من الأثر البالغ في دفع الأفراد إلى نهج مسلك التثاقف والانسلاخ عن الثقافة الأم لصالح ثقافات أجنبية دخيلة ومغرية، ما يجعل الفرد يعيش حالة من الحيرة والارتباك العام في ظل صراع مزدوج بين القيم والمعايير الثقافية المنتشرة ويولد لديه شعور عنيف بالذنب وتحقير للذات وزيادة في قلق التثاقف والانفصال مع فقدان للأمن النفسي الذي تضيفه الثقافة على الفرد، الشيء الذي يجعله فريسة سهلة لمختلف اضطرابات الصحة النفسية.

بينما أوضحت النتائج أن إستراتيجية الانفصال ترتبط سلبيا مع درجة خطر اضطراب الصحة النفسية (-0.073) ودالة إحصائيا (عند مستوى أقل من 0.05). (الجدول رقم 25). بمعنى أن الأفراد الذين يعتمدون على إستراتيجية الانفصال في تثاقفهم يتمتعون بمعدلات صحة عالية بمقارنتهم مع الأفراد الآخرين. تتعارض هذه النتيجة مع نتائج دراسة موريار و فورمان (1992) التي اسفرت نتائجها على أن التمسك القوي بالثقافة الأصلية و اللجوء إلى إستراتيجية الانفصال في عملية التثاقف ترتبطان مع درجة عالية على مقياس الاكتئاب ومقياس القلق و درجة منخفضة على مقياس تقدير الذات بالمقارنة مع استراتيجيات التثاقف الأخرى: كإستراتيجيتي الاستيعاب والتشابه و الاندماج . ويمكن تفسير ذلك بالدعم الاجتماعي التي يلقاه الفرد الذي يتبع إستراتيجية الانفصال والتمسك بالثقافة المحلية من المؤسسات الرسمية للتنشئة الاجتماعية خاصة الأسرة والمدرسة اللتان تشجعان الأصالة والحفاظ على الثقافة المحلية، وتوفران للفرد الدعم النفسي والاجتماعي وتخفضان من الشدة النفسية لديه ما يحقق له للتكيف والتوازن النفسي. والشكل التالي رقم (3) : يوضح التدرج في هذه العلاقة بحسب استراتيجيات التثاقف (حسب نتائج الدراسة) :



• الفرضية الرابعة:

توصلت نتائج العلاقات بين رتب الهوية بالمتغيرات الديموغرافية إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في رتب الهوية الكلية تعزى لمتغير الجنس (ما عدى في رتبة التثنت ولصالح الذكور)، مما يعني أن الإناث و الذكور عموما لا يختلفون في توزيع رتب الهوية بين الفئتين ماعدا رتبة التثنت في الهوية. هذه النتائج توافق إلى درجة كبيرة مع النتائج التي توصل إليها عبد المعطي (1993،1991) في دراساته حيث أوضح أنه لا توجد فروق حسب الجنس. بينما لا توافق تلك التي وردت في دراسة ستارك و تراكسلر (1974) Stark et Traxler التي توصلت الدراسة إلى أن الإناث أكثر تحديدا للهوية من الذكور. ويمكننا تفسير ذلك إلى أن بناء الهوية على العموم يتم بنفس مراحل النمو النفسي والاجتماعي سواء لدى الذكور أو الإناث كما أن التغير الاجتماعي الذي مس المجتمع الجزائري ساعد المرأة على أخذ مكانتها في المجتمع، وبالتالي استطاعت أن تحقق نوعا من الاستقلالية والتحرر من القيود الاجتماعية التي كانت تقيدها مما يفسر عدم وجد فروق في رتب الهوية (خاصة رتبة الانجاز) بين الذكور والإناث بحيث أصبحت المرأة الجزائرية تتمتع بنفس القدرة على الاختيار من البدائل الثقافية والاجتماعية التي يملكها الرجال في ظل هذا التغير.

أما بالنسبة لعدم وجود فروق تعزى لمتغير موقع السكن (ما عدى في رتبة الانجاز لصالح سكان المدينة). وان لم نستطع إيجاد دراسات سابقة تناولت علاقة رتب الهوية بهذا المتغير فإنه يمكننا تفسير ذلك بلبن طبيعة التغير الاجتماعي والثقافي الحالي يعتمد بشكل كبير على التفاعل غير المباشر مع الآخر من خلل ثقافته ورموزها التي تنقلها بالأساس وسائل الإعلام والتكنولوجيات الحديثة، والتي أصبحت في متناول الجميع سواء في المدينة أو الريف بنفس الشدة والحضور وهذا ما يفسر عدم وجود فروق في رتب الهوية الممثلة في التعليق والانغلاق والتثنت بينما نفس وجود هذه الفروق في رتبة الانجاز لأن المدينة توفر للفرد الفضاء المناسب لتحقيق هويته من خلال تسهيل بناء الهوية ونمو مفاهيم الصداقة والعلاقة بالجنس الآخر و الأدوار الجنسية و فلسفة الحياة... أكثر مما توفرها الفضاءات الريفية.

وتوصلت النتائج كذلك إلى عدم وجود فروق تعزى لمتغير السن في رتبتي الانجاز والتثنت في حين وجدت فروق تعزى لهذا المتغير في رتبتي التعليق والانغلاق لصالح الأفراد الأقل سنا وهي نتائج غير متوقعة خاصة بالنسبة لرتبة الانجاز التي تشير جميع لنظريات إلى اتجاه النمو في الهوية إلى انجاز الهوية بالتقدم في السن عكس ما خلصت إليه نتائج الدراسة. تتقاطع هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة ربيعة علاونة 2011 من عدم وجود فروق تعزى لمتغير السن في رتب الهوية الايديولوجية إلا في بعد التعليق ولصالح الفئة الأقل عمرا. أما في رتب الهوية الاجتماعية فلا توجد فروق إلا في بعد التثنت ولصالح الفئة الأقل عمرا. وهذا ما يتعارض مع نتائج العديد من الدراسات النمائية التي تشير إلى وجود فروق في رتب الانجاز في الهوية بالتقدم بالعمر مثل دراسات كل من ستارك و تراكسلر Stark et Traxler (1974)، آدمز وجونسن (1981) Adams et Jones و (Waterman et Archer1983) التي

أشارت إلى أن رتب الهوية (الإنجاز والتعليق) تزداد مع ازدياد العمر في حين تقل الدرجات على بعد الانغلاق والتشتت. إن الزيادة في نمو الهوية مع التقدم في العمر يتفق مع نظريتي Marcia et Erikson في نمو الهوية، وقد يعود السبب إلى زيادة نضج الشاب وخبراته في الجوانب الإيديولوجية وخاصة المهنية حيث يتوصل إلى صورة أفضل حول قدراته والمهن التي تناسبه. وهذا ما يؤكد Erikson من أن نمو الهوية ينبع من حالة تشتت للهوية إلى الوصول إلى نمط من الأنماط الأكثر تقدما وذلك عن طريق تحقيق التكيف بين القيم الوالدية والأهداف وهو ما يميز نمط الانغلاق، أو من خلال التساؤل والاختبار والفحص وهو ما يميز نمط التأجيل أو التعليق، ثم يتم أخيرا بناء الالتزامات والتعهدات على معايير مؤسسة ذاتيا وهو ما يميز نمط الإنجاز. (ربيعة علاونة ، 2011 ، 97).

كما يمكننا تفسير ذلك من خلال النسبة الضعيفة لرتب انجاز الهوية في الدراسة والتي لا تتجاوز 12% مما يعني أن أفراد العينة يجدون صعوبة في تحقيق هويتهم باختلاف أعمارهم والتي فسرها بأنها تعود بالأساس لأثر التغيير الاجتماعي والثقافي المميز للمجتمع الجزائري على تكوين نموذج موحد وثابت نسبيا لبناء الهوية. وبالتالي فإن التغيرات الثقافية الحاصلة في المجتمع الجزائري ثرت في دلالة اثر التقدم في على بناء وتحقيق الهوية.

بينما أشارت دراسة الفروق بحسب متغير المستوى التعليمي إلى وجود فروق دالة إحصائيا في جميع رتب الهوية تعزى إلى هذا المتغير ولكن لصالح الفئات الأقل مستوى تعليمي وهذا ما يتعارض مع السياق النظري والعديد من الدراسات في بعد الانجاز التي أشارت إلى أن هذه الفروق تكون لصالح الفئات الأعلى مستوى تعليمي في رتبة الانجاز مثل دراسة عبد المعطي (1993) التي دلت على أن مع انتقال الطلاب من السنة الأولى جامعي إلى الرابعة تسير حال الهوية من التشتت إلى التحقق. ويمكننا تفسير ذلك بان الشباب مع التقدم في العمر يعيدون النظر في الكثير من التزاماتهم السابقة في ظل وجود بدائل جديدة من خلال التغيير الاجتماعي والثقافي المميز للحالة الجزائرية . أما بالنسبة للفروق التي تعزى إلى متغير لغة الدراسة لعينة الشباب الجامعي، تبين وجود فروق دالة إحصائيا في جميع رتب الهوية ولصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة الفرنسية (ما عدا رتبة التشتت لتي لا توجد فروق فيها تعزى لهذا المتغير) مما يعني أن للغة الدراسة في الجامعة أثر في اختلاف توزيع رتب الهوية بين الفئتين ماعدا في رتبة التشتت في الهوية.

أما بالنسبة لمتغير الثقافة ، فقد توصلت نتائج العلاقات بين استراتيجيات الثقافة بالمتغيرات الديموغرافية إلى أنه توجد فروق ذات دلالة في استراتيجيات الثقافة تعزى لمتغير الجنس ولصالح الذكور (ما عدى في إستراتيجية التهميش) وهذا يتوافق مع طبيعة المجتمع الجزائري ، ورغم تغيره ما زال يفرض بعض القيود الثقافية على الإناث خاصة من خلال الأسرة، والذي يعطي مجال حرية أكبر للذكور في التفاعل مع المتغيرات الخارجية أكثر منه للإناث بهذا يمكننا تفسير وجود الفروق في

استراتيجيات الثقافة تبعاً لمتغير الجنس. هذه النتائج لا توافق تلك التي وردت في دراسات كل من سانغ قيمان 1997 وتونغ وديون 1994 (SINGH GHUMAN AND TANG DION) التي أشارتا إلى أن الشباب المسلمين الذكور في إنجلترا هم أقل ثقافاً مع تحصلهم على درجات منخفضة على مقياس الثقافة بالمقارنة مع الفتيات المسلمات. ولعلنا نفسر ذلك من خلال طبيعة المجتمع الجزائري والمجتمع الأوروبي في قضية المحددات الاجتماعية الممنوحة للمرأة.

كما دلت النتائج على وجود فروق تعزى لمتغير لغة الدراسة في جميع استراتيجيات الثقافة ولصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة الفرنسية (ما عدا إستراتيجية الانفصال لصالح الطلبة الذين يدرسون باللغة العربية) مما يعني أن للغة التدريس في الجامعة أثر فارقي في تحديد إستراتيجية الثقافة. وهذه النتائج تتوافق مع السياق النظري الذي يؤكد أن عامل اللغة عامل أساسي في تحديد الإستراتيجية التي يتبعها الفرد خلال عملية ثقافته، فاتجاه الأفراد الذين يستعملون اللغة العربية في الدراسة إلى إستراتيجية الانفصال في حين اتجه الأفراد الذين يدرسون باللغة الفرنسية إلى إستراتيجية الاستيعاب والاندماج يوضح أن عامل اللغة عامل فارقي في عملية الثقافة، مما يؤكد عدم صحة هذه الفرضية.

في حين كانت نتائج الفروق بدلالة متغير السن لعدم وجود فروق في استراتيجيات الثقافة تعزى لهذا المتغير (ما عدى في إستراتيجية التهميش ولصالح الفئات الأقل سناً). بينما أشارت دراسة الفروق بحسب المستوى التعليمي إلى وجود فروق تعزى لهذا المتغير في رتبتي الانفصال والتهميش ولصالح الفئات الأقل مستوى تعليمي في حين دلت على عدم وجود فروق في إستراتيجيتي الاندماج والاستيعاب. هذه النتائج، وكما هو الحال لدلالة الفروق في رتب الهوية بدلالة متغيري السن والمستوى التعليمي، يمكن تفسيرها بلبن خاصية التغير الاجتماعي والثقافي المميزة للمجتمع الجزائري تركت آثارها على جميع فئات المجتمع بمختلف أعمارهم ومستوياتهم العلمية بدون تمييز وهذا ما يفسر عدم وجود الفروق في استراتيجيتي الاستيعاب والاندماج بينما تعزى الفروق في استراتيجيتي الانفصال والتشتت إلى الفئات الأقل سناً إلى أن إستراتيجية الانفصال تعبر عن ردة الفعل الأولية للفرد في مقابل التفاعلات الأولية مع ثقافة الأخر، وباستمرار هذا التفاعل مع التقدم في العمر يختبر الفرد أفكار ومعايير جديدة قد تدفعه إلى ولوج أولى خطوات الثقافة نحو استراتيجيتي الاستيعاب والاندماج مستقبلاً.

في حين كانت نتائج الفروق في درجات متوسطات استراتيجيات الثقافة (الاندماج، الاستيعاب) بحسب موقع السكن دالة، وهي لصالح سكان المدينة بمعنى أن سكان المدينة يلجئون إلى استراتيجيات الاستيعاب والاندماج أكثر من سكان الريف. ويعود هذا إلى الخصائص الاجتماعية والعلائقية والحضارية التي يفرضها العيش في المدينة على الفرد. ما عدا إستراتيجيتي الانفصال والتهميش فإنه لا توجد فروق بينهما دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05.

جاءت هذه النتائج في مجملها بشير إلا أن فرضية الدراسة تحقق بنسبة تقدر بحوالي 50% ، وهي تشير الكثير من التساؤلات خاصة ما تعلق بعدم وجود فروق برتبة الانجاز بدلالة السن ، واتجاه الفروق في هذه الرتبة بحسب متغير المستوى التعليمي إلى الفئات الأقل مستوى تعليمي وهذا عكس ما ذهبت إليه الفرضية والعديد من الدراسات حول الفروق في عملية التثاقف حسب متغيرات السن والجنس والمستوى التعليمي التي أكدت على وجود هذه الفروق ولصالح الفئات العلى مستوى تعليمي، ويمكن تفسير ذلك باختلاف طبيعة شخصية الفرد الجزائري وبيئته الاجتماعية بالمقارنة مع مجموع أفراد العينات التي تناولتها هذه الدراسات التي بنينا عليها هذه الفرضية من طلبة وأفراد مهاجرين في الدول الأوروبية والآسيوية.

• الفرضية الخامسة:

توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك أثر لاستراتيجيات التثاقف ولترتب الهوية على الصحة النفسية للشباب ، حيث أوضحت نتائج تحليل الانحدار الثنائي اللوجستي مدى أثر المتغيرات التفسيرية استراتيجيات التثاقف (منخفض أو مرتفع) ورتب الهوية (منخفض أو مرتفع) في الزيادة أو الخفض في درجة الشدة النفسية. حيث بينت النتائج وجود توافق مقبول بين القيم الفعلية للشدة النفسية و القيم التقديرية في حالتها غياب الشدة (94.1) و وجود الشدة النفسية (23.3) و بلغت النسبة الحقيقية الكلية لتصنيف مدى تعبير البيانات عن الشدة النفسية (78.4) وهي مرتفعة و تدل على أن احتمال الخطأ هو في حدود (21.6%).

وعند إدخال كل المتغيرات في نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي كانت قيمة إحصاء وولد = 232,290، مستوى الدلالة اقل من 0.0001 ؛ أسية (B = 0.285). مما أكد أن البيانات ملائمة لبناء نموذج الانحدار الثنائي اللوجستي. وأن استجابات الأفراد من خلال أدوات الدراسة تعكس توافقها مع اتجاهات تجاه التغيرات الاجتماعية والثقافية المميزة لمجتمعهم.

و بلغت معاملات الارتباط بين المتغيرات لكل من معامل كوكس وسنال (ر = 2 - كوكس وسنال = 0.216) و معامل (ر = 2 - نغلكيرك = 0.278)، وعند أقل قيمة لدلالة الإمكانية العظمى (796,857) و أنها مرتفعة. أما نتائج اختبار هوسمر و لميشوف لانحرافات النموذج اللوجستي (كا² = 5.704، وقيمة الدلالة = 0.575). تثبت هذه النتائج أن استجابات الأفراد حقيقية و واقعية و التي أظهرت الدراسة أنه يمكن ملاحظتها و ليس فقط تلك التي تستند إلى نموذج نظري متوقع.

بينت نتائج ملخص تحليل الانحدار أن مؤشرات النموذج لكل من المتغيرين المستقلين لإستراتيجية التهميش الثقافية ولرتبة التعليق في الهوية لهما تأثير تنبؤي بدرجات الشدة النفسية لأفراد . ، حيث أن تغير نسبة الانتقال من احتمال الدرجات المنخفضة في الشدة إلى احتمال درجات عالية في الشدة النفسية بالنسبة لمتغير التهميش بمقدار + 5.722 في كل تغير بدرجة واحدة في هذا البعد، ضمن حدود الثقة (95% .: -3.849 - 8.505). و بالنسبة لبعد رتبة التعليق فإن تأثيرها في تغيير الانتقال من احتمال الدرجات المنخفضة في الشدة إلى احتمال درجات عالية في الشدة النفسية بمقدار (2.001) ،

و قيم إحصاء وولد في كل منها دالة إحصائيا. إن الاتجاه إلى إستراتيجية التهميش أو رتبة التعليق لدى الفرد يزوي من التوتر والضغط النفسي لديه ومن شدة وتكرر ضغط الصراع الثقافي الذي يعايشه الفرد في مجتمعه ما يجعل الفرد يظهر درجات عالية من الشدة النفسية مع درجة عالية من خطر الإصابة بالاضطرابات النفسية. وهذا ما يحيلنا إلى تفسير النسبة المعتبرة للشدة النفسية في أوساط الشباب الجزائري (22.2%) وهذا راجع إلى النسبة العالية لأفراد معلقى الهوية في عينة الدراسة.

تفسر هذه النتائج إمكانية التنبؤ من خلال رتبة تعليق الهوية أو إستراتيجية التهميش بدرجات الصحة النفسية المميزة للفرد حسب النتائج السابقة الذكر. حيث أن لجوئه إلى هذه الرتبة في بناء هويته أو الإستراتيجية يزيد درجة الشدة النفسية. و يوافق ذلك نتائج دراسة آدمز وآخرون (1979) ودراسة راسموسن Rasmussen (1961)، و دراسة بوكن Bukin (1997)، ودراسة عبير محمد حسن عسيري(2003)، دراسات أبو بكر مرسي محمد مرسي (1988، 1997)، دراسة عبد الرقيب البحيري(1990)) التي تؤكد على أن رتبة التعليق تعبر عن الأفراد الذين اختبروا الأزمة في الهوية ولم يستطيعوا القيام بخيارات من البدائل المتوفرة لديهم ثم الالتزام بها، وبالتالي نجدهم ما زالوا في أزمة هوية وأزمة الاختيار مع ما يصاحب ذلك من توترات وانفعالات وشدة نفسية وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين رتبة التعليق في الهوية ودرجة الشدة النفسية. أما بالنسبة لإستراتيجية التهميش نذكر دراسة كيم KIM التي أسفرت على أن الراشدين والمراهقين الذين تحصلوا على درجات عالية في إستراتيجية التهميش على مقياس الثقافة يظهرن نسبة عالية من الأعراض الاكتئابية العنيفة.

3- المناقشة العامة:

إن عملية بناء الهوية وتحقيقها تستدعي تضافر جهود مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام من خلال تقديمها تصورات مفاهيمية لنمط ثقافي موحد وثابت نسبيا ، يقوم على التناسق والانسجام بين مطالب النمو للفرد في مختلف مراحل نموه النفسي الاجتماعي ومتطلبات التغيير والتطور. لكن في زمن العولمة فإن هذه الفكرة تعتبر هدفا صعب المنال والتحقيق لأن خطط كل مؤسسة من هذه المؤسسات تتعارض فيما بينها خاصة مع وسائل الإعلام التي تحاول فرض النموذج الثقافي الغربي على المجتمعات الأخرى. من هنا انطلقت إشكالية الدراسة والبحث. توصلت الدراسة إلى أن نسبة رتب معلقى الهوية (الخالصة والمنخفضة التحديد) في أوساط الشباب الجزائري كانت الأعلى نسبة بنسبة 61.1% في الهوية الأيديولوجية و 61.9% في الهوية الاجتماعية. بمعنى أن معظم الشباب الجزائري يعاني أزمة في بناء الهوية مع غياب الالتزام الثابت بالقيم والمعتقدات والمعايير السائدة في المجتمع التي تبدوا له غير متجانس وفي بعض الأحيان متناقضة مع غياب نموذج ثقافي صريح وموحد يبني من خلاله هويته مما يدفع به إلى التموغ والدخول في التعليق النفسي الاجتماعي خاصة وإن البناء الاجتماعي والنفسي للمجتمع الجزائري لا يدفع ولا يشجع الشباب والمراهقين

إلى الاستقلالية وتحقيق هوية ناضجة ومكتملة . وهذا ما تؤكدُه النسبة الضعيفة للأفراد الذين أنجزوا الهوية في عينة الشباب والتي لا تتعدى (11.5% في الهوية الأيديولوجية و 11.3% في الهوية الاجتماعية). وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة ربيعة علاونة 2011 التي توصلت أيضا إلى أن نسبة الأفراد معقلي الهوية هي النسبة الأكبر في عينة من الشباب الجزائري من مختلف الأصول العرقية. وهي نفس الملاحظات التي توصلت إليها الدراسة من خلال دراسة توزع استراتيجيات التناقص على عينة الشباب الجزائري. فقد أظهرت النتائج أن نسبة استراتيجيات التناقص المنخفضة التحديد كانت الأعلى نسبة بنسبة 47% . إن هذه الإستراتيجية تشير إلى أن أفراد العينة ما يزالون في رحلة البحث عن إستراتيجية ثقافية محددة في ظل غياب الالتزام الكلي بالقيم والمعتقدات والمعايير السائدة في المجتمع أو الوافدة إليه على السواء مع استمرار التفاعل والتبادل بين المحددات الثقافية المتوافرة في هذا المجتمع . فالأفراد في هذه الحالة لم يستطيعوا اختيار إستراتيجية من الاستراتيجيات الثقافية الصافية (الاندماج أو التشابه أو بالعكس الانفصال) لأنهم لم يحددوا بعد اتجاهاتهم الثقافية المستقبلية وبالتالي نجدهم ما زالوا يعايشون التناقص الثقافي المميز لمجتمعهم بعنف وحيرة، فلا هم اختاروا الاندماج والتشابه مع الثقافة الوافدة وبالتالي التزامهم بالعادات والمعايير والمبادئ المميزة للثقافة الغربية ولا اختاروا الانفصال واللجوء إلى الانطواء على الذات والتمسك بالثقافة المحلية التقليدية. ويعود السبب إلى ذلك إلى السمة النقطية المميزة للوضع الثقافية الجزائرية ، فهي تجمع بين المرغوب فيه والممنوع ، الرغبة في الاستقلالية والخوف من الانفصال ، الرغبة في الحداثة والخوف من التخلي عن شرعة الأسلاف. وهذا ما يتوافق مع دراسة نورالدين طوالي 1984 التي خلصت إلى أن الفرد الجزائري يعيش معاشا تقاطبيا عنيفا بين الحداثة والأصالة يجعل من اختيار احدهما والتخلي عن الآخر أمرا صعب المنال مما يجعله في حيرة من أمره. وتوصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق عموما في رتب الهوية تعزى لمتغير الجنس وموقع السكن وفي رتبتي الانجاز والتشتت بحسب متغير السن (وهو أمر غير متوقع)، في حين توجد فروق في بعض رتب الهوية بحسب متغير المستوى التعليمي ولصالح الفئات الأقل عمرا (وهو أمر غير متوقع بالنسبة لرتبة الانجاز أيضا) وكذلك بحسب لغة الدراسة لصالح اللغة الفرنسية. بينما كانت نتائج الفروق في استراتيجيات التناقص تبين وجود فروق بحسب متغير الجنس لصالح الذكور واللغة الدراسة لصالح اللغة الفرنسية إلا في إستراتيجية الانفصال فكانت لصالح اللغة العربية. في حين جاءت النتائج تبين عدم وجود فروق تعزى لمتغير السن في استراتيجيات التناقص. ويمكننا تفسير هذه النتائج من خلال التركيز على الخصائص النفسية والاجتماعية للفرد الجزائري والى التغيرات الحاصلة على المستوى البنائي والتركيبى للمجتمع مع ما صاحب ذلك من تعارض لبعض النتائج مع بعض المسلمات النظرية كوجود الفروق تبعا لمتغير السن والمستوى التعليمي في رتبة الانجاز في الهوية.

ومن خلال نتائج الدراسة تأكدنا من أن تحقيق الهوية وانجازها يعبر عن درجات عالية من النضج والنمو ويقابلها درجات عالية من التوازن النفسي والصحة النفسية وهذا من خلال الارتباط السالب والبدال بين انجاز الهوية ودرجة الشدة النفسية في عينة الدراسة ، في حين كان الارتباط بين رتبتي التعليق والتشتت مع درجة الشدة النفسية موجبا بمعنى أن بمعنى أن الأفراد الذين تكون درجاتهم في رتبة تعليق أو تشتت الهوية الكلية عالية تكون درجاتهم عالية على مقياس الشدة النفسية مع إمكانية إصابتهم باضطرابات الصحة النفسية. وكلها نتائج متوقعة حيث يعاني المعلقون من درجات من الشدة النفسية نتيجة لاستمرار الأزمة لديهم مع ما يصاحب ذلك من توترات وانفعالات. في حين أن الأفراد ذوو رتبة التشتت يجدون صعوبة في التكيف مع متطلبات الحياة ومع المحيط الاجتماعي خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري. كما دلت النتائج على وجود علاقة ارتباط طردية قوية بين إستراتيجيتي الاستيعاب والتمهيش والشدة النفسية لدى أفراد العينة بمعنى أن الأفراد الذين يظهرون درجات عالية على هاتين الإستراتيجيتين يظهرون استعدادا أكثر للإصابة باضطرابات الهوية والاكتئاب والقلق. وهذا لان إستراتيجيتي الاستيعاب والتمهيش تشتركان في التعبير عن حدة الصراع الثقافي الذي يعايشه الشاب الجزائري للاختبار بين البدائل الثقافية المطروحة في محيطه الاجتماعي ما يجعله عرضة لضغوط شديدة وهذا ما يفسر ارتفاع درجة الشدة النفسية لديه.

وقد بينت نتائج تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي لأثر استراتيجيات الثقافة ورتب الهوية على الصحة النفسية للأفراد أنه يمكننا التنبؤ بدرجة الشدة النفسية من خلال درجات كل من استراتيجيتي التمهيش ورتبة التعليق في الهوية، فالزيادة في أحدهما يقابله ارتفاع في الشدة النفسية وخطر اضطراب الصحة النفسية .

ورغم محاولتنا جعل العينة ممثلة للمجتمع من خلال اختيار عينات من عدة ولايات على المستوى الوطني، و مع تعقيدات التفاعل الاجتماعي والثقافي المميز لكل منطقة في الجزائر، فإننا نؤكد على أن الشباب الجزائري في ثقافتهم يتوزعون غالبا في الاستراتيجيات الأقل تحديدا وفي الرتب المنخفضة التحديد مما يجعلهم يعانون من مستويات عالية من الشدة النفسية مع خطر إصابتهم بالعديد من الاضطرابات النفسية.. كما أن الإلمام بالموضوع يتطلب إجراء مزيد من البحوث الميدانية حول دور أثر الثقافة في بناء الهوية وتحقيق التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي لدى الشباب .

4 - الاستنتاجات

- طرحت هذه الدراسة ليستدل بها على أثر التغيير الاجتماعي والثقافي الناتج عن العولمة على العلاقة بين ثنائية الثقافة والنفس لدى الفرد الجزائري من خلال تناولت ظاهرتي الثقافة وبناء الهوية لديه في مجتمع جزائري يتعرض لتغيير سريع غير مخطط له يمس مختلف مكوناته البنائية وخصائصه الثقافية . وأتضح لنا من نتائج هذا البحث الاستنتاجات التالية:
- 1- الهوية مفهوم ديناميكي يتميز بالاستمرارية والتغيير بمعنى أن أي تغيير اجتماعي وثقافي في المجتمع يصاحب بأزمة في الهوية.
 2. الثقافة ظاهرة حتمية تمس مختلف المجتمعات المعاصرة بدون استثناء ، وقد تمتد حتى إلى المحددات الثقافية الأساسية لهذه المجتمعات في صورة اللغة والدين ونظام الأسرة....
 3. تتحدد الاستراتيجيات الثقافية تبعاً لقوة الرموز الثقافية الوافدة وللموقف الاجتماعي من هذه العملية ، كما يلعب الفرد المتناقص دور ايجابي ومهم في اختيار الإستراتيجية الثقافية التي تناسبه.
 4. إن عدم قدرة الفرد التأقلم مع معطيات التغيير الاجتماعي والثقافي من خلال استراتيجيات الثقافة يولد لديه شعور بالحيرة والتناقض ، فينعكس ذلك على بناء هويته التي تبقى متراوحة بين رتبتي التعليق والتشنت ، ثم على مستويات التوافق النفسي والاجتماعي لديهِ وعلى صحته النفسية.
 5. إن تغاضي الدولة الجزائرية عن رسم سياسات ثقافية تأخذ فكر العولمة الثقافية ومخلفاتها على الأفراد بعين الاعتبار يجعل مقومات بناء الدولة في خطر في شكل اللغة والشعور بالانتماء وارتفاع حالات الشدة لفسية والاضطرابات لفسية والعقلية والجسدية وكلها مظاهر تدفع الدولة ثمنها غالبا سواء اقتصاديا أو اجتماعيا.

5- التوصيات و الاقتراحات

إن النتائج التي توصلنا إليها تجعل التوصيات تصطدم بجدار الحذر العلمي والموضوعي ، ولا نريد في نفس الوقت أن تكون توصياتنا مطالب عامة لذلك سنكتفي بالتأكيد على العلاقة الدالة بين عملية التثاقف والهوية واضطرابات الصحة النفسية بمعنى أنه يمكننا تفسير الكثير من اضطرابات الصحة النفسية من خلال السياق القيمي والواقع الثقافي للفرد ومجتمعه، وكذا على ضرورة تدخل الدولة لحل الإشكالية الثقافية لدى الشباب. كما سنقتصر مقترحاتنا على إجراء دراسات أخرى تتناول متغيرات الدراسة الحالية سواء كل منها على حدى أو برفقة متغيرات أخرى، وذلك بغية التأكد من نتائج الدراسة الحالية مع تفضيل استخدام وسائل قياس متعددة وعدم الاكتفاء بوسيلة واحدة لكل متغير وبالأخص فيما يتعلق بمتغير التثاقف ولعله من الممكن استخدام أدوات قياس أكثر إجرائية من خلال بنائها انطلاقاً من خصائص وميزات المجتمع المحلي.

أما إذا أردنا أن تتسجم اقتراحاتنا مع التراث النظري المعتمد في هذه الدراسة فربما ستأخذ اقتراحاتنا حيزاً أكبر وينبغي أن توّظف في سبيل مساعدة الأفراد على تحقيق عمليات تثاقف ناجحة وموجهة بهدف الحفاظ على التراث المحلي والاستفادة من إيجابيات العولمة والتطور الحضاري . وكذا الإشارة إلى ضرورة تفعيل مؤسسات المجتمع المدني كي تعمل ومن خلال برامج محددة على إقرار نوع من التوازن في العملية الثقافية ، أي التوازن بين الأخذ بالقيم ومعايير التقليدية والتشبع بمعايير الثقافة الغربية المنفتحة والمتحضرة بواسطة سياسة انتقاء اجتماعية وثقافية مع إعطاء الأولوية للعناصر الإيجابية لكل ثقافة في عملية اندماجية ناجحة وصحية كون الكثير من الدراسات أشارت إلى أن عملية الاندماج الناجحة ترافق في العموم بانجاز الهوية وبمستويات عالية من الصحة النفسية والتكيف الاجتماعي.

خاتمة

خاتمة:

بعد التغير اليوم سمة المجتمعات الحديثة ومنها الجزائر ، هذا التغير يعرض القيم كلها والنماذج جميعها لعملية نقدية؛ وذلك تحت تأثير العولمة مع تطور اقتصادي ثقافي يتميز بالتسارع؛ حيث إن نظام القيم الخاص بالمجتمعات الحديثة يعتمد على ديناميكيات خاصة تؤدي إلى خرق مستمر لقيمه الداخلية، فالتحديث يشتمل في واقع الأمر على قيمة التغير الدائم والذي يؤدي إلى نفي دائم للتقليدي. إن ضياع المعايير الاجتماعية والثقافية والنفسية في العالم المعاصر تجعل من بناء الهوية ووظائف الحياة النفسية في أزمة واضطراب، فالخاصية اللاتجانسية للمعايير والقيم الثقافية التي تميز الجزائر منذ استقلالها 1962 حتى الآن قد عقدت منظور بنية هوية متوازنة وثابتة حول معايير ثقافية موحدة تساعد على التناسق والتفرد والظهور ايجابيا بالموازاة مع حركة التاريخ. فعملية الثقافة العنيفة التي ميزت الجزائر الحديثة هي مسؤولة في جزء كبير عن أزمة الهوية لدى الأفراد فيها.

الثقافة، الهوية واضطرابات الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري والعلاقة بينهما تلك كانت حدود دراستنا من الناحية المفاهيمية وإذ توشك هذه الدراسة على الانتهاء فإننا لا نريد إعادة ما تم انجازه وبنفس طريقة الانجاز ، بل سنكتفي بالتركيز على الجوانب التي نراها إضافات للتراث النفسي ، وهذه الإضافات نراها تتركز على الجوانب التالية:

أولاً: يمكن اعتبار دراستنا الحالية كمصدر ودليل للبحث في أدبيات موضوع الثقافة في الساحة النفسية المحلية على الأقل وستوفر على الباحثين في المستقبل عناء كبيرا كانوا سيقضونه بتتبع حيثيات الموضوع من جوانبه المختلفة. كما أنها أكدت بالدليل العلمي على أن الشباب الجزائري في أغلبه يعاني في بناء هويته بسبب تعدد النماذج الثقافية المعروضة عليه من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ثانياً: ستوفر الدراسة الحالية إمكانية أولية للتحدث عن عملية الثقافة واستراتيجياتها في البيئة النفسية المحلية باعتبارها من الدراسات الأولى حسب علمنا من حيث تناول موضوع الثقافة بهذه الطريقة، وستكون أيضاً مرشداً ومعيناً لمن يبحث في هذا الموضوع مستقبلاً وحتى لمن يتناوله من وجهات نظر أخرى.

ثالثاً: العلاقة بين متغيرات الدراسة هي علاقة قليلة التناول بالدراسة في البيئة المحلية حسب علمنا فلم نستد إلى دراسات سابقة تشير بصورة مباشرة إلى هذه العلاقة وإنما استندنا إلى مؤشرات ودلائل وملاحظات أوصلتنا لهذا الاستنتاج.

رابعاً: إن أغلب نتائج الدراسة تم تفسيرها في جانب كبير منها من خلال الهزات والتغيرات الاجتماعية التي تميز المجتمع الجزائري.

خامساً: الاهتمام بشريحة الشباب كعينة لهذه الدراسة، من خلال تناول إشكالية الخلفية الثقافية لديهم وصعوبات الاختيار بين النماذج الثقافية المطروحة عليهم في ظل العولمة وثورة المعلومات، يبين أهمية

خاتمة

الدراسة مما ربما سيدفع البعض للاهتمام بتناول الحركية الثقافية في عصرنا هذا وأثار ذلك على مستويات الصحة النفسية والجسدية للأفراد وعمليات التكيف الاجتماعي. وإذا كانت النتائج لم تؤيد بعض العلاقات المفترضة في بداية الدراسة فلا نعتقد بأن هذا سيقبل من الأهمية النسبية لإضافات الدراسة، وإنما يقودنا إلى الحديث والتساؤل عن مدى عالمية الدراسات حول موضوع التنافس وبناء الهوية عند مختلف شعوب العالم المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

-القران الكريم

-السنة النبوية الشريفة

المراجع:

أولا: باللغة العربية:

- الكتب

1. أبو القاسم سعد الله (1998): تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
2. أبو زيد جيهان (2007) : الشباب العربي، المعهد السويدي، الإسكندرية، مصر.
3. ابن خلدون (.....): المقدمة، درا إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
4. أحمد بن نعمان (2005): اطلبوا الوطنية ولو في فرنسا، دار الأمة الجزائر.
5. أحمد بن نعمان (1998) : سمات الشخصية الجزائرية من منظور الانثربولوجيا النفسية، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر ، الجزائر.
6. أحمد منور (1999): الشخصية الجزائرية والاستعمار وإشكالية الهوية، لندن، إنجلترا.
7. الكيس ميكشيللي (1993) : الهوية، ترجمة علي اسعد وطفة، دار الوسيم، دمشق سوريا.
8. برهان غليون (2005) : تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية ، دراسات الشرق المعاصر، جامعة السربون، باريس، فرنسا.
9. برهان غليون (1989): مجتمع النخبة، الطبعة الثانية، دار البراق، تونس.
10. توبسن ميشال وآخرون (1998) : نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت
11. جلال سعد (1986): في الصحة العقلية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
12. حامد زهران (1985): علم نفس النمو، الطبعة الخامسة، جامعة عين شمس، مصر.
13. حطب زهير (بدون تاريخ) : السلطة الأبوية والشباب، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان.
14. حماني أفضلي (2006): الثقافة والتنمية البشرية، الطبعة الأولى، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب.
15. زهير عبد الوافي بوسنة (2012): التصور الاجتماعي لظاهرة الانتحار، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر .

16. زهير عبد الوافي بوسنة (2012): علم النفس النمو ونظريات الشخصية، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر
17. سليمان عشارتي (2009): الشخصية الجزائرية، الارضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
18. طوالي نورالدين (1988): الدين والطقوس والمتغيرات، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
19. طوالي نورالدين (1988): في إشكالية المقدس، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
20. الباز شهيدة (2004): تحليلات العولمة في الوطن العربي، دراسة منشورة في المرأة والعولمة "نشرة غير دورية" دار نشر البحوث، القاهرة، مصر.
21. الخطابي عزالدين (2001): سوسيولوجية التقليد والحداثة بالمجتمع المغربي، الطبعة الأولى، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء المغرب.
22. الركبي عبد الله (1998): الهوية بين الثقافة والديمقراطية، دار هومة، الجزائر.
23. السويدي محمد (1991): مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر، الجزائر.
24. الشيباني محمد التومي (بدون تاريخ): الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.
25. عادل عبد الله محمد (2000): دراسات في الصحة النفسية، دار الرشاد للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ، دار غريب للطباعة والنشر، دراسات في سيكولوجية الاغتراب 26. عبد اللطيف محمد خليفة (2003): القاهرة، مصر.
27. عبد المجيد عمرانني وآخرون (2011): التثاقف في زمن العولمة، كتاب جماعي، منشورات مخبر الحضارات والعولمة، سرار للطباعة، باتنة، الجزائر.
28. عبد المعطي حسن (2004): النمو النفسي والاجتماعي وتشكيل الهوية، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر.
29. فروم اريك (2003): الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، نداكوم للطباعة والنشر، الرباط، المغرب.
30. قباري محمد إسماعيل (1982): علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- ، الطبعة الأولى، مطبعة هومة للنشر الاختراق في الثقافة الجزائرية 31. قلالة محمد سليم (2003): والتوزيع، الجزائر.

- 32.مالك بن نبي (1980): مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- 33.محمد ابراهيم عيد (2002) : الهوية والقلق والابداع، الطبعة الاولى، دار القاهرة للنشر، القاهرة ، مصر.
- 34.محمد السيد عبد الرحمن (1998) : مقياس موضوعي لرتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية في مرحلتى المراهقة والرشد المبكر، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- 35.محمد العربي الزبيري(1986): الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982، منشورات، الجزائر.
- 36.محمد العربي ولد خليفة (2003): المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 37.محمد بن عبد الله (2010) : سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 38.محمد عباس نورالدين (2000): قضايا الشباب في المجتمع المعاصر. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
- 39.مصطفى الاشرف (1983): الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 40.مصطفى بوتفونوش (1984): العائلة الجزائرية- التطور والخصائص الحديثة-، ترجمة دمري احمد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.
- المجلات والدوريات:**
41. ابو بكر مرسي محمد مرسي(1997): أزمة الهوية والاكنتاب النفسي لدى الشباب الجامعي، دورية دراسات نفسية ، المجلد السابع العدد الثالث جويلية 1997 ، القاهرة، مصر. ص 323-347.
42. بن عيسى محمد المهدي(2010): تجاوز الإعاقة بين آليات الدمج وتشكيل الهوية-مقاربة سوسيولوجية- عدد خاص الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة..... ص 516-539 .
43. بن عيسى محمد المهدي(2010): مستخدمي الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة ورقلة.....ص ص 581-606.
44. خديجة بن فليس (2010): أساليب تعامل المراهقين مع التدفق الإعلامي وأثرها على تشكل الهوية لديهم، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الإجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري ، جمعة رقلة، ص ص 65-81.
45. ربيعة علاونة(2011): رتب الهوية لدى الشباب الجزائري، مجلة دراسات نفسية و تربوية، العدد 6 ، جوان 2011، مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية. جامعة ورقلة، ص ص 62-102).

46. زغو محمد (2010) : أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 4 ، ص ص- 101 93.
47. سلطان بلغيث(2010): تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، عدد خاص الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة. ص ص 363-348
48. محمد سليمان بني خالد(2007) : الهوية الذاتية : دراسة مقارنة بين الطلبة المراهقين ذوي التحصيل المرتفع /المتدني (في ضوء نظرية اريكسون النفسية) ، مجلة جامعة الأزهر - غزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، المجلد 9 ، العدد 1. ص ص 350-335.
- الأطروحات الجامعية :
49. رابحي إسماعيل (2013): الاصلاح التربوي واشكالية الهوية في المنظومة التربوية الجزائرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة باتنة ، الجزائر .
- ، كلية العلوم الإنسانية الشباب بين التقليد الثقافي وثقافة التقليد50. صليحة كوسيت (2001): والاجتماعية، جامعة الجزائر ، (رسالة ماجستير غير منشورة).
51. طايبي مريم (2007) : اشكالية الثقافة في الجزائر : بين المقاومة والاستلاب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ، (رسالة ماجستير غير منشورة).
- ، كلية العلوم الاحتكاك الثقافي في الجزائر وآفاق التطبيق لمشروع التعريب52. كريم بلحداد (2000): الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، (رسالة ماجستير غير منشورة).
- ، كلية العلوم الإنسانية أزمة الهوية عند الشباب الجزائري53. فاطمة الزهراء كوسة (بدون تاريخ): والاجتماعية، جامعة الجزائر، (رسالة ماجستير غير منشورة).
54. شنافي ليندة (2010): تأثير سياسة الإصلاحات الاقتصادية في البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة باتنة ، الجزائر .
55. عبيد بنت محمد حسن عسيري (2003): علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي والعام "الدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الارشاد النفسي، جامعة ام القرى مكة، المملكة العربية السعودية.
- الجراند اليومية:
56. جريدة ليبرتي اليومية، العدد الصادر ليوم 27 أوت 2006.
57. جريدة الوطن العدد الصادر ليوم 21 مارس 2009 .
58. جريدة لتربيين العدد الصادر ليوم 16 فيفري 2005.
59. جريدة لوسوار دالجبري اليومية، العدد الصادر ليوم الجمعة 22 والسبت 23 ماي 2009.

المشورات الرسمية:

60. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية المعدل 2008.
61. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1989.
62. تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الأسكوا) حول دور التربية والتنمية الاجتماعية الاقتصادية في مواجهة التحديات وفي تطوير قدرات الجيل العربي الشاب، اجتماع الخبراء 27 فبراير الأمم المتحدة. - 2007
63. Ministre de la sante (2004) : La sante mentale en Algérie, **rapport annuel** du ministre de la sante, Décembre 2004, Algérie
- ثانيا: المصادر باللغات الأجنبية:
- Ouvrage :
- Français :
64. ABOUS (.....) : L'Identité culturelle, édition anthropos, Paris, France.
65. ANDRIEU.B (2006) : Le corps humain : une anthropologie bioculturelle, Revue Qu'est-ce qu'un corps ?, Musée du quai Branly Flammarion, Nancy, France.
66. ANDRIEU.B (2000) : Le corps dispersé ; Une histoire du corps au Xxe siècle, L'harmattan, 3ed, Paris.
67. BASTIDE.G (1971) : Anthropologie appliqué, Payot, Paris.
68. BOUCEBCI. M (1978) : psychiatrie, société et développement, SNED, Alger.
69. BUREAU.R et al (1989) : Socialisation et cultures, actes de premier colloque d'ARIC, 13-15 mars, presses universitaires du Mirail, Toulouse, France
70. CAMELLERI.C et al (1999) : Les stratégies identitaires, troisième édition, Presse universitaires du France, Paris France.
71. CAMELLERI.C, VINSONNEAU.G (1996) : Psychologie et culture : concepts et méthodes, Armand Colin, Paris France.
72. CAMELLERI.C et al (1989) : choc de cultures, édition L'Harmattan, Paris, France
73. CAMELLERI. C et TAP. P (1986) : Identité collective et changements sociaux, Privat, Paris.
74. CAMELLERI. C (1973) : Jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturelle dans un pays de tiers monde « Tunisie », CNRS, Paris.
75. DEDYEK. J.J (2000) : Le processus d'acculturation des juifs d'Algérie, L'HARMATON, Paris.
76. ELIEZER- BEN RAFEL (1998) : Le multiculturalisme : une perspective analytique, Cahiers internationaux de sociologie, Vol CV, PUF, Paris.
77. GALLET.D et al (1983) : Identité culturelle et révolution technologique, édition anthropos, Paris, France.
78. GUERRAOUI.Z, PIRLOT. G (2011) : Comprendre et traiter les situations interculturelles, édition de Boeck université. Bruxelles. Belgique.
79. GUERRAOUI.Z, TROADEC. B (2000) : Psychologie interculturelle, Armand Colin , Paris France.
80. INADI. B (1984) : La culture en question, ENAL, 2 édition, Alger.

81. KAES.R et al (2012) : Différence culturelle et souffrance de l'identité, deuxième édition, Dunod, Paris France.
82. LAPLACHE .J et PONTALIS .J.B (1967) : Vocabulaire de la psychanalyse, PUF, Paris.
83. LAVALEE .M et al (1991) : Identité culture et changement sociale, édition L'Harmattan, Paris, France.
84. LINTON. R (1977) : Le fondement culturel de la personnalité, Collection Sciences de l'éducation, No 11, Paris.
85. MAGHREBI. A (1986) : culture et personnalité de Massinissa a nos jours, ENAG, OPU, Alger.
86. MARC.E (2005) : Psychologie de l'identité soi et le groupe, Dunod, Paris, France.
87. MERDACLM (2010) : Une psychologie de champ algérien : éléments de clinique sociale, OPU, Alger, Algérie.
88. PEYRONEL.V et al (2009) : Cultures et conflits ; cultures en conflit, Michel Houdiard Editeur. Paris, France.
89. ROCHEBLAVE SPLENIE. A.M (1970) : La psychologie de conflit, Edition universitaire, Paris.
90. ROQUE.M-A et al (1996) : Les cultures du Maghreb, édition L'Harmattan. Paris, France.
91. ROY.S et al (1998) : Jeune en difficulté et contexte pluriethnique, les cahiers de recherches du CRI, Québec.
92. SABATIER .C et al (2002) : Identités, acculturation et altérité, édition L'Harmattan, Paris, France.
93. TOUALBI.N (2001) : L'identité au Maghreb l'errance, deuxième édition, Casbah édition, Alger, Algérie.
94. TOUALBI. N (1985) : L'ambivalence culturelle ou des reliquats psychologiques de l'histoire coloniale , Revue algérienne de psychologie et des sciences humaines , édition n 01, OPU, Alger.
95. TOUSIGNANT. M (1992) : Les origines sociales et culturelles des troubles psychologiques, Collection de la psychiatrie ouverte, Les Presses universitaires de France, Paris.
96. VINSONNEAU.G (2012) : Mondialisation et identité culturelle, édition de Boeck université. Bruxelles. Belgique.
97. VINSONNEAU.G (2009) : L'Identité culturelle, Armand Colin, Paris France.
98. YVONNE. T (1971) : Affrontement culturelle dans l'Algérie coloniale, 2 Edition, ENAL, Alger.

Anglais :

99. DOH. N-R (2001): Relationships among English Proficiency, Acculturation, Identity, and Mental Health, Miami University of Ohio, USA.
- ERIKSON. E. (1986): **Identity, Youth and Crisis**, Norton Press New York
100. GREGG GRAY. S (2007): Culture and identity in a Muslim society, Series in culture cognition and behaviour, published by Oxford University Press, Inc. New York.
101. NHI-HA.T & al (2009): Handbook of Mental Health and Acculturation in Asian American Families, Humana Press, New York. USA.
102. Yo Jackson et al (2006): Encyclopaedia of multicultural psychology, Sage Publications, Inc. California, USA.

Reuves :

Français :

103. **ABELLA. A et MANZANO. J** (2006) : Les troubles psychiques de l'enfance et l'adolescence aujourd'hui ; un problème majeur de santé publique, Scheizer archiv fur neurologie und psychiatrie, No 157, pp 29 -34, Genève.
104. **BOUCEBCI. M** (1993) : Aspects du développement psychologique de l'enfant au Maghreb, Santé mentale au Québec XVIII, No 1, pp 163-178 , Canada.
105. **BRAMI. A** (2000) : L'acculturation ; étude d'un concept, DESS, No121, pp 54 -63, Paris.
106. **CAMELLERI. C** (1984) : Les étudiantes étrangers en France et leurs discours sur l'identité culturelle, Bulletin de psychologie, tome 37, N 364, Paris.
107. **JODELET. D** (2006) : Culture et pratiques de santé, Nouvelle Revue de Psychologie, No1, pp. 219-239. Québec, Canada.
108. **GRENON. M** (1992) : La notion d'acculturation entre l'anthropologie et l'historiographie, Revue LEKTON, vol 2, No 2, Automne 1992, pp13-42. Montréal, Canada.
109. **LONGFELLOW. S** (2007) : Processus d'acculturation et reconstruction identitaire des mennonites dans le Chaco paraguayen. Séminaire Identité et mobilisation, université Paraguay.
110. **MEBENGUE. M** (2002) : Internet et culture africaine ; menace d'acculturation ou vecteur d'intégration, Au congrée de l ABSAD, 12 – 14 Décembre 2002, Afrique de Sud.
111. **OUEDRAOGO. J.B** (1994) : Systèmes de Santé et Changement Social dans le Boulgou, Nordique Journal of African Studies, No 3(1), pp 59–75, Ouagadougou, Burkina Faso.
112. **RUBY. C** (2008) : De la critique de la culture aux travaux des sciences sociales (XIX° au XX°s), Exploration de la question de la culture, Série 2008, Article 10, PAC Editions, Bruxelles, France.
113. **SZABO. D, GAGNE. D et PARIZEAU. A** (1972) : L'adolescent et la société ; étude comparative, Collection de Psychologie et sciences humaines, Charles Dessart Éditeur, Première partie, pp 9-70, Bruxelles.
114. **SZABO. D et al** (1968) : Interprétations psycho-culturelles de l'inadaptation juvénile dans la société de masse contemporaine, Acta criminologica, vol 1, N° 1, pp 9-133. Québec.
115. **SZABO. D** (1965) : Société de masse et inadaptations psycho-culturelles, Revue française de sociologie, vol 6, No 4, pp 472-486, CNRS, Paris.
116. **SZABO. D** (1963) : Urbanisation et criminalité, Revue de l'Institut de Sociologie, No1, pp 37-52, Paris.
117. **TOUSIGNANT. M** (2001) : l'interculturalité et la crise d'identité de la psychologie, Association pour la recherche interculturelle, bulletin N 39, Université de Fribourg, Germany.
118. **TREMBLAY. M.A** (1983) : L'anthropologie de la santé ; une réponse aux innovations dans le système médical québécois, Revue Santé Culture / Health, Bulletin d'information en anthropologie médicale et en psychiatrie transculturelle, vol 1, N° 2, pp 14-21, Montréal.
119. **TREMBLAY. M.A** (1979) : Les constructions parallèles de l'identité québécoise et l'acculturation, Mémoires de la société Royale du Canada, 4^e série, tome 17, pp 71-82. Ottawa, Canada.
120. **UGEUX. B** (2001) : Qu'est-ce que guérir ? Les dimensions culturelles et religieuses de la santé. Cahier de l'ISTR n° 6 (2001/1), Toulouse, France.
- Anglais :**
121. **AL-SHARIDEH. K.A & GOE. W. R** (1998): Ethnic communities within the university: an examination of factors influencing the personal adjustment of international students, Research in Higher Education, No 39, pp 699-725, USA.

122. **AMADO. M.P ET PEREZ. W** (2003): Acculturation, Social Identity, and Social Cognition: A New Perspective, Hispanic Journal of Behavioral Sciences, Vol 25, No 1, pp35-55, Sage Publications, Spain.
123. **Andrew G, Slade T** (2001) : Interpreting scores on the Kessler Psychological Distress Scale. Australian and New Zealand Journal of Public Health. 25(6): 494-497.
124. **ARENDSTOHT. J. V & VAN VIJVER F. J. R** (2006): Acculturation and parent-child relationships: Measurement and development, Issues in conceptualization and assessment of acculturation, pp. 33-62, Cambridge, London.
72. **BERRY. J** (2008): Globalisation, Acculturation and Ethnicity, 13th International Metropolis Conference ; Mobility, Integration and Development in a Globalised World, 27-31 October 2008, pp1-28, Bonn, Germany.
125. **BERRY. J & KIM. U** (1988): Acculturation and mental health, Health and cross-cultural psychology, pp207-236, Newberry Park. CA: Sage.
126. **BERRY. J & all** (1987): Comparative Studies of Acculturative Stress, International Migration Review, Vol. 21, No3, Special Issue: Migration and Health (Autumn, 1987), pp 491-511, Montréal, Canada.
127. **BRADEN. B.J** (2004): Arguments for testing ethnic identity and acculturation ,Risk analysis ,Vol 24, No 05, pp 1279- 1287. New Jersey.
128. **CHANG.J.H & al** (2006): Our World Enriched by Different Cultures, Intercultural Symposium on Cultural Globalization, China Media Research, 2(3),pp 100-105, China.
129. **COCKERHAM. W.C** (1997): Lifestyles, Social Class, Demographic Characteristics, and Health Behavior, Handbook of Health Behavior Research I: Personal and Social Determinants, NY: Plenum Press, pp255-256, New York.
130. **CRUZ. G.D & al** (2004): Effect of Acculturation on Objective Measures of Oral Health in Haitian Immigrants in New York City, Journal of Dental Research, No 83(2):180-184, 2004, New York.
131. **DELA ROSA. M.R & al** (1993): Drug Abuse among Minority Youth; Advances in Research and Methodology, NIDA Research Monograph 130, NIH Publication No93-3479, Madrid.
132. **FASSAERT. T et al** (2009): Psychometric properties of an interviewer-administered version of the Kessler Psychological Distress scale (K10) among Dutch, Moroccan and Turkish respondents, International Journal of Methods in Psychiatric Research Int. J. Methods Psychiatry. Res. 18(3): 159–168 (2009).
133. **GU.S-F & PISTOLE. M. C.** (2008): An Acculturation Scale for Asian International Students Development and Validation, Poster presented at the International Counselling Psychology Conference, Purdue University, Chicago, USA.
134. **HASANOVIAE. M & al** (2005): Acculturation and Psychological Problems of Adolescents from Bosnia and Herzegovina during Exile and Repatriation, Croat Med Journal, No 46(1), pp105-115, Bosnia.
- 135.. **HORTENSIA. A & al** (1990): Acculturation and Marijuana and Cocaine Use; Findings from HHANES 1982, American Journal of Public Health, December 1990, Vol. 80: 54 – 60, Supplement.
- 136.**KISSLER R. C. et al** (2003): screening of serious mental illness in the general population, in ARC Gen Psychiatry, 2003, vol 60, pp 184-189.
137. **KORZENNY. F** (1998): Acculturation: Conceptualization and Measurement, issue of Quirk's Marketing Research Review, April 1998, USA.

138. **LARA. M & al** (2005): Acculturation and Latino health in the United States, Annu Rev Public Health, 2005, No 26: 367–397, California.
139. **LEE. S.B** (2006): Toward a model of acculturative self concept, In the Abstracts of 4th International Biennial SELF Research Conference. July 23-26, University of Michigan, USA.
140. **LEE. S.B** (2006): Acculturation scale for Korean- American college students, Psychological Reports, No 98, pp176- 187, Michigan, USA.
141. **MAINOUS. A.G & al** (2008): Acculturation and Healthy Lifestyle among Latinos with Diabetes, Annals of family medicine, Vol 6, No 2, pp 131-137, Carolina.
142. **MARIN. G & al** (1987): Development of a short acculturation scale for Hispanics. Hispanic Journal of Behavioural Sciences, No 9: 183-205, USA.
143. **MCLEOD D.M & Moon. S.J** (2003) :The Effects of Immigration and Acculturation on Cultural Values; a Comparative Study of Korean Immigrants in America and Mainland Koreans in Korea , the Hawaii International Conference on Social Science, June 12-15, 2003, Honolulu, Hawaii.
144. **NGUYEN. H & al** (1999): Toward a more complex understanding of acculturation and adjustment; Cultural involvements and psychosocial functioning in Vietnamese youth, Journal of Cross-Cultural Psychology, No30, pp5-31, Vietnam.
145. **NORMA.C & ARTHUR.K** (1992): Culture and Somatic Experience; The Social Course of Illness in Neurasthenia and Chronic Fatigue Syndrome, Psychosomatic Medicine, No 54, pp 546-560, Boston.
146. **OPPEDEL. B** (2006): Development and Acculturation, In the Cambridge handbook of acculturation, pp 97-112, Cambridge University Press, London.
147. **PHENNEY. J** (2001): Ethnic identity, immigration, and well being, an international perspective, journal of social issues, vol 57, No 3, pp 493 – 510. Los Angeles.
148. **RAY HEISEY. D** (2006): The Meaning and Impact of Cultural Globalization, Intercultural Symposium on Cultural Globalization, China Media Research, 2(3),pp 105-109. China.
149. **ROSENBERG. R.C et al** (2002) : Psychosocial interventions in the psychiatric Emergency service, Review of Psychiatry Series, vol 21, No 3, pp 151-178, American psychiatric publishing INC, Washington.
150. **SCUGLIK. C & al** (2007): When the Poetry No Longer Rhymes; Mental Health Issues among Somali Immigrants in the USA, Transcultural Psychiatry Vol 44(4), pp 581–595, USA.
151. **SHELLEY. & al** (2004): Acculturation and Tobacco Use Among Chinese Americans, American Journal of Public Health ,February 2004, Vol 94, No. 2 : 300- 307, USA.
152. **STELLA. MY & al** (2003) : Acculturation and the Health and Well-being of U.S Immigrant Adolescents, Journal of adolescent health, No 33 , Published by Elsevier Inc, pp 479–488 , New York.
153. **SUINN. R.M** (1992): The Suinn-Lew Asian Self Identity Acculturation, Psychosocial Measures for Asian Americans; Tools for Practice and Research, Dept. of Psychology, Colorado State University, USA.
154. **SULS.J and ROTHMAN. A** (2004): Evolution of the Biopsychosocial Model; Prospects and Challenges for Health Psychology, Health Psychology ,Vol 23, No 2, pp119–125 ,by the American Psychological Association Inc ,USA.
155. **TAKASHI. A et al** (2004): Socioeconomic Status, Acculturation, Discrimination, and Health of Japanese Americans, Generational Differences, Hawaii International Conference, 2004, Hawaii.

156. TERESA.L (1993): psychological impact of biculturalism, evidence and theory, psychological bulletin, 1993, vol114, no.3, pp395 - 412, USA.

157. ZEA, ASNER , BIRMAN et BUKI (2005): The Abbreviated Multidimensional Acculturation Scale: Empirical Validation With Two Latino/Latina Samples, Cultural Diversity and Ethnic Minority Psychology, Vol 9, No 2: 107–126 Washington,USA.

Etudes académiques :

Français :

158. BÉLANGER. C (1997) : Jeunes en difficulté ; histoire de leurs placements et déplacements, Thèse de Doctorat en sociologie, Université du Québec, Montréal.

159. BELKAID. N (2000) : Processus d'interculturalisation et structuration identitaire ; les cas des migrants marocains en France, thèse de Doctorat en psychologie, sous la direction de Claude CLANET, université Toulouse. France.

160. ECHEPETELEC. H (2010) : stratégies d'acculturation de populations étrangères migrantes au sein de la communauté autonomes Basque, thèse de Doctorat en psychologie, sous la direction de B. ALMUDEVER, université Toulouse. France.

161. Gaillard. A (2006) : Les répercussions du processus d'acculturation des jeunes requérants d'asile sur les familles, Mémoire de fin d'étude pour l'obtention du diplôme HES d'assistante sociale, Haute Ecole Valaisanne Santé-Social, Septembre 2006, Suisse.

162. GUERRAOUI. Z (1992) : Interculturalisation et contraception : étude comparative entre deux population d'origine maghrébine en France, thèse de Doctorat en psychologie, sous la direction de Claude CLANET, université Toulouse. France.

163. GUIRAUD. C (1989) : identité scolaire et conflit d'identité personnelle chez les adolescentes en classe scolaire, mémoire de maîtrise de psychologie sous la direction de M. Pierre TAP, université Toulouse. France.

164. GUY. D (1977) : Jeunes maghrébins en France ; contribution à l'étude de leur inadapation, Thèse de Doctorat de troisième cycle, Université des lettres et sciences humaines. Lyon, France

165. HIJAZI. S (2005) : L'identité libanaise entre l'appartenance confessionnelle et le partage culturel, Thèse de Doctorat (N.R.) en psychologie sociale, Université Lumière Humanités et Sciences Humaines, Lyon 2; France.

166. JUMAGELDINOV. A (2009) : Diversité culturelles et construction identitaire chez les jeunes appartenant aux différents groupes ethniques au Kazakhstan, approche comparative. Thèse de Doctorat en psychologie, sous la direction de Mohamed LAHLOU, université Lyon 2. France.

167. LESGOURGUES. L (1996) : étude de la place de l'acculturation dans le processus psychopathologique présents chez les immigrés d'origines maghrébine toxicomanes, thèse de D.E.A en psychologie, université Toulouse. France

168. RIGUET. M (1972) : Etude sur un échantillon d'adolescents tunisiens ; conflits provenant de la biculture et comparaison avec un échantillon d'adolescents français de réactions affectives définies par deux tests, Thèse de Doctorat 3e cycle, l'Université de Lyon, France.

169. WAGNER. A.L (2010) : Contribution au modèle d'acculturation interactif, thèse de Doctorat en psychologie, sous la direction de Pascal TISSERANT, université Paul Verlaine-Metz, France.

Anglais :

170. MAMER. M (2005) : Arab American mental health in the post September 11 Era, acculturation , stress and coping, doctor of philosophy in psychology, university of Toledo, USA.

171. **THAI.O** (1995): impact of cultural change and acculturation in the health and help seeking behaviour of Vietnamese – Australians, PHD in Health Psychology, Swinburne University of technology, Australia.

المواقع الإلكترونية:

172. **Relation interculturelles et acculturation:**

http://sesmassena.fr/Documents/31%20-%20C%20-%20Relations%20interculturelles%20et%20acculturation%20_2007-2008_.pdf

173. **Les études sur l'acculturation sont elles universelles ou contextualisées?**

<http://www.unifr.ch/ipg/ARIC/Publications/Bulletin/Sommaire36/07SabatierC.pdf>

111. *Acculturation, Adaptation of Adolescent Immigrants*, Seminar Summer Term May 2006, Muriel K Helbig and Peter Titzmann:

www2.uni-jena.de/svw/devpsy/exchange/.../acculturation.PDF

174. **The nature of acculturation and its relationship to health:**

www.lutonvts.co.uk/.../Acculturation/Acculturation%20presentation%20-%20Block.pdf

175. **Conceptualization approaches to acculturation:**

[http://student.ucr.edu/~qhuyn002/Berry%20\(2003\)%20conceptual%20approaches%20to%20acc.pdf](http://student.ucr.edu/~qhuyn002/Berry%20(2003)%20conceptual%20approaches%20to%20acc.pdf)

176. **Commission européenne (2000) : Rapport sur l'état de santé des jeunes dans l'Union européenne, Document de travail des services de la commission, Unité F3 :**

http://ec.europa.eu/health/ph_information/reporting/ke01_fr.pdf

177.. **Phénomène d'acculturation et déculturation dans le monde contemporain, Colloque d'orientation établie par Unesco, (Unesco, Paris, Novembre 1980) :**

<http://unesdoc.unesco.org/images/0009/000939/093953fb.pdf>

178- موقع الديوان الوطني للإحصاء <http://www.ONS.dz> أوت 2011

- الملحق 1 -

الصورة الأولية لمقياس استراتيجيات التثاقف

من إعداد: ا.د. رجال غربي محمد الهادي

أ. العقون لحسن

التعليمات

الأسئلة المقترحة هي لغرض جمع المعلومات حول الخلفية الثقافية للمبحوث. المطلوب منك أن تعطي إجابتك الفورية والصريحة على كل بند وهذا بوضع علامة (X) في الخانة المناسبة أمام العبارة التي تراها معبرة عن إجابتك، لا تترك أي عبارة بدون إجابة. سنتعامل مع إجابتك بكل سرية، ليس هناك إجابة صحيحة وأخرى خاطئة إنما المسألة هي مجرد رأي.

الرقم	العبارات
1	أكتب بطريقة أحسن باللغة الفرنسية منها بلغتي الأصلية.
2	أشارك في النشاطات الاجتماعية مع أشخاص مشبعين بالثقافة المحلية.
3	أشارك في إحياء الحفلات والأعياد المحلية وكذا الأعياد الخاصة بالثقافة الغربية.
4	أشجع عمل المرأة لتحقيق مكانة اجتماعية مناسبة لها.
5	معظم أصدقائي مشبعون بالثقافة الغربية.
6	أميل أكثر إلى أن أصبح فردا متمسكا بقوة بالثقافة المحلية.
7	أشعر بأن القيم التقليدية المحلية أكثر قبولا الآن من القيم الغربية.
8	أشعر بالرغبة في التواصل باللغة الفرنسية لكن لا يمكنني ذلك.
9	أريد أن أعيش على نمط التفكير والمعيشة الغربي: الحرية، الديمقراطية.....
10	أجيد الكتابة بكل من اللغتين العربية و الفرنسية.
11	أملك أصدقاء مشبعين بقيم الثقافتين المحلية والغربية.
12	أهوى ترديد نكت وحكايات مستوحاة من الثقافة الغربية.
13	أحس أن أفراد أسرتي لا يفهمون أفكاري.
14	عندما أكون في المنزل، غالبا ما أتكلم باللغة الفرنسية.
15	أميل إلى معارضة أفراد الأب باتخاذ القرارات العائلية.
16	أظن أنه بإمكانني التأقلم والتعايش في المجتمع الغربي.
17	أستطيع ربط صداقات قوية مع الأفراد بغض النظر عن ثقافتهم (محلية أو غربية).
18	أفضل الكتابة باللغة العربية أكثر من اللغات الأخرى.
19	بالنسبة لي، من المهم أن أشارك في إحياء وتطوير ممارسات الثقافة المحلية.
20	لا أملك رغبة في ممارسة العادات والتقاليد المحلية ولا العادات الغربية.
21	أحس بالراحة في العمل مع أشخاص مشبعين بالثقافة الغربية.
22	أفضل الاستماع والتفكير والتواصل مع الآخرين باللغتين العربية والفرنسية معا.

23	أريد أن أعيش على نمط التفكير والمعيشة الغربي: الحرية، الديمقراطية.....
24	غالبا ما أجد صعوبات اجتماعية في مصاحبة الأفراد الآخرين.
25	أكون أكثر سعادة لو أنني أعيش في أوروبا أو أمريكا.
26	أظن أنني سأنجح أكاديميا وفي العمل لو أنني تابعت دراستي باللغتين العربية والفرنسية.
27	أشارك دائما في الاحتفال ببعض المناسبات الغربية بعيد رأس السنة الميلادية.....
28	إذا أصبحت أبا، أفضل تنشئة أولادي على النمط التقليدي.
29	غالبا ما أجد صعوبة في الاتصال بجميع الأفراد الآخرين.
30	أجد نفسي أميل أكثر إلى التفكير وفقا للثقافة الغربية.
31	أحبذ الاستماع والتواصل بالآخرين باللغة العربية أكثر.
32	أحس أن الأفراد المشبعين بالثقافة الغربية يفهمونني أكثر من ذوي الثقافة المحلية الوطنية.
33	بعد الزواج ، أطمح إلى العيش مع أسرتي بعيدا عن العائلة الكبيرة.
34	تكون سلوكاتي عموما نابعة من الثقافة الغربية.
35	أتناول الطعام التقليدي المحلي وكذا الغربي (hamburger) معا.
36	أحس أن الأفراد المشبعين بالثقافة المحلية يعاملونني باحترام أكثر من المشبعين بالثقافة الغربية.
37	أشارك دائما في إحياء معظم المناسبات والاحتفالات التقليدية بعيد رأس السنة الهجرية.
38	أشعر بأنني لا أملك لا الهوية الوطنية ولا الهوية الغربية.
39	من المهم بالنسبة لي أن أشارك في إحياء قيم الثقافة الغربية.
40	أظن أنني لن أشعر بأي سعادة سواء بالعيش في بلدي أو في المجتمع الغربي.
41	أحس أن قيم وأفكار كلا الثقافتين المحلية والغربية تناسبني.
42	يمكنني ربط صداقات مع الآخر مهما كانت جنسيته.
43	أفضل كتابة المقالات والقصص باللغة الفرنسية لو طلب مني ذلك.
44	أفضل إحياء العادات الغربية أكثر منها العادات المحلية.
45	أتمنى أن أعامل على أساس أنني فرد ذو ثقافة غربية.
46	أحكي النكت والحكايات المستوحاة من كلا الثقافتين.
47	إذا هاجرت إلى أوروبا، أفضل أن يكون أصدقائي مشبعون بالثقافة المحلية لبلدي الجزائر.
48	سلوكاتي عموما نابعة من تعاليم ثقافتي المحلية.
49	أهوى ترديد نكت وحكايات مستوحاة من الثقافة المحلية.
50	لا رغبة لدي إطلاقا في مغادرة بلدي إلى أوروبا.
51	أكره تكوين صداقات سواء مع الأفراد ذوو الثقافة المحلية أو الغربية.
52	أشارك في النشاطات الاجتماعية أكثر مع أشخاص مشبعين بالثقافة الغربية.
53	أهوى مشاهدة وسماع الأفلام والموسيقى الغربية والأجنبية.
54	لا أمانع بالزواج بشخص مشبع بخصائص الثقافتين المحلية و الغربية معا.
55	أحس بالراحة في العمل مع الأفراد المشبعين بالثقافة المحلية.
56	أنا مقتنع بقيم الثقافة المحلية.

57	أنا منضبط بأداء فريضة الصلاة في وقتها المحدد.
58	في مواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت، غالبا ما أربط صداقات مع أفراد ذوو ثقافة غربية.
59	أطمح إلى الزواج بشخص مشبع بقيم وعادات الثقافة الغربية.
60	أحب مشاهدة وسماع الأغاني والبرامج التلفزيونية المحلية والغربية.
61	بعد الزواج أفضل العيش في المنزل العائلي مع العائلة الكبيرة.
62	أظن أنه يجب الامتنال لقرارات الأب الذي يمثل السلطة المطلقة في العائلة.
63	أنا مقتنع بقيم وعادات الثقافة الغربية.
64	أحترم الديانات الأخرى بتنوعها وأدعو إلى التعايش معها.
65	من خلال أفكاري أنا شخص مزدوج الثقافة.
66	أتمنى أن أعامل على أساس أنني فرد مزدوج الثقافة.
67	في مواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت، معظم أصدقائي مشبعون بتعاليم الثقافة المحلية.
68	أهوى مشاهدة وسماع الأفلام والموسيقى الوطنية الجزائرية.
69	أظن أنه على المرأة الاكتفاء بالعمل المنزلي وتربية الأولاد لأن ذلك أفضل لها ولعائلتها.
70	أتمنى العيش على نمط المعيشة والتفكير التقليدي.
71	أحس أنني غير مقبول سواء لدى الأفراد ذوو الثقافة المحلية أو حتى ذوو الثقافة الغربية.
72	أشعر بأنني لا أنتمي إلى الثقافة المحلية ولا إلى الثقافة الغربية بطريقة كاملة.
73	أنا لا أؤيد القيم التقليدية المحلية ولا القيم الغربية.
74	أجد نفسي تائه بين الثقافة المحلية والثقافة الغربية.
75	لا أشعر بأي سعادة سواء في الثقافة المحلية أو الثقافة الغربية.
76	أشعر بأنني شخص غير مقبول سواء في الثقافة المحلية أو الثقافة الغربية.
77	أشعر بأنه يمكنني العيش في بلدي أو في أوروبا بدون مشاكل في التأقلم.
78	غالبا ما أشعر بأنني غريب.

- الملحق 2 -

الصورة النهائية لمقياس استراتيجيات التثاقف

La version finale du teste : stratégies d'acculturation

من إعداد: ا.د. رحال غربي محمد الهادي

أ. العقون لحسن

بيانات عامة

- السن: سنة

- الجنس: ذكر أنثى

- المستوى التعليمي: أساسي و ثانوي ؛ ليسانس ؛ ماستر

- مكان السكن (البلدية):

التعليمات

الأسئلة المقترحة هي لغرض جمع المعلومات حول الخلفية الثقافية للمبحوث.

المطلوب منك أن تعطي إجابتك الفورية والصريحة على كل بند وهذا بوضع علامة (X) في الخانة المناسبة

أمام العبارة التي تراها معبرة عن إجابتك، لا تترك أي عبارة بدون إجابة.

سنعامل مع إجابتك بكل سرية، ليس هناك إجابة صحيحة وأخرى خاطئة إنما المسألة هي مجرد رأي.

الرقم	العبارات	1	2	3	4	5
		لا أوافق تماما	لا أوافق	أحيانا	أوافق	أوافق تماما
1	أهوى مشاهدة وسماع الأفلام والموسيقى الغربية والأجنبية.					
2	أستطيع ربط صداقات قوية مع الأشخاص بغض النظر عن ثقافتهم (محلية تقليدية أو غربية أجنبية).					
3	أظن أنه يجب الامتنال لجميع قرارات الأب الذي يمثل السلطة المطلقة في العائلة.					
4	عندما أكون في المنزل، غالبا ما أتكلم باللغة الفرنسية.					
5	أشعر بالراحة في العمل مع أشخاص مشبعين بأفكار مستمدة من الثقافة الغربية: الحرية، الديمقراطية....					
6	بعد الزواج أفضل العيش في المنزل العائلي مع العائلة الكبيرة.					
7	أشعر بأن الأفراد المشبعين بالثقافة المحلية التقليدية يعاملونني باحترام أكثر من المشبعين بالثقافة الغربية.					
8	أحبذ الاستماع والتواصل مع الآخرين باللغة العربية أكثر.					
9	أفضل الكتابة باللغة العربية أكثر من اللغات الأخرى.					
10	غالبا ما أجد صعوبات اجتماعية في مصاحبة الأفراد الآخرين.					

					11 أظن أن قيم وأفكار كل من الثقافتين المحلية التقليدية أو الغربية تناسبني معا.
					12 من خلال أفكاري أنا شخص مزدوج الثقافة.
					13 أشارك في النشاطات الاجتماعية أكثر مع أشخاص مشبعين بأفكار مستمدة من الثقافة الغربية.
					14 أريد أن أعيش على نمط التفكير والمعيشة الغربي.
					15 أجد نفسي أميل أكثر إلى التفكير وفقا للثقافة الغربية.
					16 أظن أنه بإمكانني التأقلم والتعايش في المجتمع الغربي.
					17 أملك أصدقاء مشبعين بقيم كلا الثقافتين المحلية والغربية.
					18 يمكنني ربط صداقات مع الآخر مهما كانت جنسيته أو ثقافته.
					19 أتمنى أن أعامل على أساس أنني فرد مزدوج الثقافة.
					20 أشعر بأنه يمكنني العيش في بلدي أو في أوروبا بدون مشاكل في التأقلم.
					21 إذا أصبحت أبا (أما)، أفضل تنشئة أولادي على النمط التقليدي.
					22 أتمنى العيش على نمط المعيشة والتفكير التقليدي.
					23 أحس أن أفراد أسرتي لا يفهمون أفكاري.
					24 أشعر بأنني لا أنتمي لا إلى الثقافة المحلية ولا إلى الثقافة الغربية بطريقة كاملة.
					25 أجد نفسي تائه بين الثقافة المحلية والثقافة الغربية.
					26 أشعر بأنني لا أملك لا الهوية الوطنية ولا الهوية الغربية.
					27 لا أشعر بأي سعادة سواء في الثقافة المحلية أو الثقافة الغربية.
					28 غالبا ما أشعر بأنني غريب.

- الملحق 3 -

المقياس الموضوعي لرتب الهوية

الأيدولوجية والاجتماعية (المراهقة والرشد المبكر)

إعداد د. بينون وآدمز (1986)

ترجمة وتفتين على البيئة العربية: د. محمد السيد عبد الرحمن

الصورة النهائية المعدلة " ج "

التعليمة:

عزيزي الشاب، عزيزي الطالب

اقرأ كل عبارة من العبارات الآتية ووضح إلى أي درجة تعكس مشاعرك وتفكيرك. إذا كانت هناك عبارات تتكون من أكثر من جزء، فأرجو أن تعبر عن استجابتك للعبارة ككل وليس لجزء واحد فقط منها، وأن تسجل إجابتك في ورقة الإجابة باختيار إجابة واحدة فقط من الإجابات التالية: (موافق تماما، موافق بدرجة متوسطة، موافق إلى حد قليل، غير موافق إلى حد قليل، غير موافق بدرجة متوسطة، غير موافق إطلاقاً).

وذلك بوضع علامة (x) في المربع المناسب الذي يدل على الإجابة التي اخترتها لهذه العبارة.

ملاحظة: يرجى الإجابة على جميع العبارات بدون استثناء. سنتعامل مع إجابتك بكل سرية، لا توجد

عبارة صحيحة وأخرى خاطئة، فالإجابة الصحيحة هي التي تعبر بصدق عن مشاعرك وتفكيرك.

رقم	العبارات
1	لم أختار بعد المهنة التي أرغب حقاً في العمل بها، وأعمل الآن في أي مجال يتاح لي إلى أن يتوفر لي عمل أفضل فيما بعد.
2	في ما يتعلق بالمسائل الدينية، لم أجد شيئاً يشغلي ولا أشعر فعلاً بالحاجة إلى البحث في هذه النواحي.
3	إن أفكارني عن دور الرجل والمرأة تتطابق مع أفكار أبي وأمي فما يعجبهم يعجبني ويروق لي.
4	لا يوجد نمط أو أسلوب معين في الحياة يجذبني عن غيره من الأساليب.
5	هناك أنواع مختلفة من الناس، ومازلت أحاول وأبحث لكي أجد ذلك النوع الذي يناسبني من الأصدقاء.
6	أشترك أحياناً في الأنشطة الترفيهية ولكن نادراً ما أحاول أن أفعل ذلك بمبادرة من جانبي.
7	أنا لم أفكر في الواقع حول أسلوب التعامل مع الجنس الآخر عند مقابلتهم، وأنا غير مهتم إطلاقاً بطبيعة التعامل معهم.
8	السياسة من الأشياء التي لا أستطيع الوثوق بها لأنها سريعة التغير، ولكن أعتقد أن من المهم أن أحدد اتجاهاتي السياسية
9	ما زلت أحاول تحديد قدراتي كشخص والوظائف التي تناسبني.
10	لا أفكر كثيراً في النواحي الدينية، فهي لا تمثل مصدر قلق بالنسبة لي بشكل أو بآخر.
11	هناك طرق عديدة لتقسيم مسؤوليات الزواج، وأحاول أن أحدد مسؤولياتي في هذا الصدد.
12	أبحث عن وجهة نظر مقبولة لأسلوب حياتي ولكنني في الواقع لم أجدها بعد.
13	توجد أسباب عديدة للصدقة ولكنني أختار أصدقائي المقربين على أساس أن يتشابهوا معي في قيم معينة أتحملي بها.

14	على الرغم من أنني لا أهوي نشاطا ترفيهيا معينا إلا أنني في الحقيقة أمارس أنشطة ترفيهية عديدة في أوقات فراغي بحثا عن تلك التي قد تمتعني وأندمج فيها.
15	بناء على خبراتي السابقة، فقد اخترت فعلا الأسلوب الذي أريده للتعامل مع الجنس الآخر.
16	ليس لي حقيقة ميول سياسية محددة، فالسياسة لا تثير اهتمامي كثيرا.
17	ربما قد يكون دار تفكيري حول العديد من الوظائف المختلفة، ولكن في الحقيقة لم يعد يشغلني هذا الأمر منذ أن حدد والداي المهنة التي يريدانها لي.
18	حقيقة إيمان الشخص مسألة ينفرد بها الشخص ذاته، وقد فكرت في هذا مرارا وتكرارا حتى تأكدت وأيقنت بمدى إيماني.
19	لم أفكر بجدية حول دور الرجل والمرأة في العلاقة الزوجية، فهذا الأمر لا يشغلني كثيرا.
20	بعد تفكير عميق كونت لنفسي وجهة نظر عن أسلوب في الحياة، ولا أعتقد أن بإمكان أي كان أن يجعلني أغير وجهة نظري
21	يعرف والدي أفضل أسلوب بالنسبة لي يمكنني به أن أختار أصدقائي.
22	لقد اخترت واحدا أو أكثر من الأنشطة الترفيهية العديدة لأمارسها بانتظام وأنا راضي تماما بهذا الاختيار.
23	لا أفكر كثيرا في مسألة التعامل مع الجنس الآخر وأقبل هذا الأمر كما هو.
24	إنني أشبه إلى حد كبير ببقية الناس في الأمور السياسية، وأتبع ما يفعلونه في مجال الانتخابات وغيرها.
25	إنني غير مهتم فعلا بالبحث عن العمل المناسب لي لأن أي عمل سوف يكون ملائما وأنا أتكيف مع أي عمل متاح.
26	أنا غير متأكد من بعض القضايا الدينية وأريد أن أتخذ قرارا في هذا الشأن، ولكنني لم أفعل ذلك حتى الآن.
27	لقد أخذت أفكار عن دور الرجل والمرأة من والدي وأسرتي، ولم أعد اشعر بالحاجة إلى البحث عن المزيد من تلك الأفكار.
28	لقد اكتسبت وجهة نظري حول الأسلوب المرغوب في الحياة من أبي وأمي ، وأنا مقتنع تماما بما اكتسبته وما علمني والداي.
29	ليس لدي أصدقاء حميمين ولا أفكر في البحث عن هذا النوع من الأصدقاء.
30	أمارس أحيانا بعض الأنشطة الترفيهية في وقت فراغي، ولكنني لا أهتم بالبحث عن نشاط معين لأمارسه بانتظام.
31	أقوم بتجريب أنواع مختلفة من أساليب التعامل مع الجنس الآخر، ولم أحدد بعد أي أساليب التعامل المناسبة لي.
32	يوجد العديد من الأفكار والأحزاب السياسية، ولكنني لا أستطيع تحديد ما يجب إتباعه منها إلا بعد أن أقفهما جميعا.
33	قد استغرقت بعض الوقت في تحديد وظيفة أو مهنة التحق بها بشكل دائم، ولكنني أعرف تماما طبيعة المهنة التي أريدها.
34	كثير من المسائل الدينية غير واضحة لي الآن، حيث تتغير وباستمرار وجهة نظري عن الصواب والخطأ أو الحلال والحرام.
35	لقد استغرقت بعض الوقت في التفكير حول دور الرجل والمرأة في العلاقة الزوجية، وحددت الدور الذي يلائمني تماما.
36	في محاولة لي لإيجاد وجهة نظر مقبولة عن الحياة، أجد نفسي مشغولا في مناقشات مع الآخرين ومهتما باكتشاف ذاتي.
37	أختار الأصدقاء الذين يوافق عليهم أبي وأمي.
38	أحب دائما ممارسة نفس الأنشطة الترفيهية التي يمارسها والداي ولم أفكر جديا في شيء غيرها.
39	أتعامل فقط مع ذلك النوع من الجنس الآخر الذي يوافق عليه والداي.
40	لقد بحثت في أفكاري السياسية، وأعتقد أنني أتفق مع والدي في بعض الأفكار دون الأخرى.
41	لقد حدد والدي منذ وقت طويل العمل الذي ينبغي أن التحق به، وها أنا أتبع ما حددها مسبقا.
42	لقد دار بفكري مجموعة من الأسئلة الخطيرة عن قضايا الإيمان ، وأستطيع القول الآن أنني أفهم جيدا ما أومن به.
43	لقد فكرت كثيرا هذه الأيام في الدور الذي يلعبه الأزواج والزوجات، وأحاول اتخاذ قرار مناسب في هذا الصدد.
44	إن وجهة نظر والداي في الحياة تناسبني بشكل جيد ولا أحتاج غيرها.
45	لقد كونت علاقات صداقة عديدة ومتنوعة، وأصبح لدي الآن فكرة واضحة على ما يجب توافره في صديقي من صفات.
46	بعد ممارسة العديد من الأنشطة الترفيهية المختلفة، حددت من بينها ما أستمتع به حقا سواء بمفردي أو بصحبة الأصدقاء.
47	ما زال أسلوب المتبع في التعامل مع الجنس الآخر يتطور ولم أصل إلى أفضل أسلوب بعد.
48	لست مقتنعا بمعتقداتي السياسية، وأحاول تحديد ما يمكنني الاقتناع به.

49	لقد استغرقت وقتًا طويلاً في تحديد توجهي المهني (الوظيفي) ولكنني الآن على يقين بصحة توجهي.
50	أمارس شعائري الدينية في نفس المسجد الذي ترتاده أسرتي دون أن أسأل نفسي عن سبب ذلك.
51	توجد طرق كثير لتقسيم المسؤوليات الأسرية بين الزوج والزوج، وقد فكرت كثيرا في هذا الأمر وأعرف الآن ما يناسبني.
52	أظن أنني من النوع الذي يحب الاستمتاع بالحياة عموماً، ولا أعتقد أن لي وجهة نظر محددة في الحياة.
53	ليس لدي أصدقاء مقربين، أحب فقط أن أجد نفسي وسط حشد من الناس.
54	لقد مارست أنشطة ترفيهية متنوعة على أمل أن أجد منها في المستقبل نشاط أو أكثر يمكن أن أستمتع به.
55	لقد قابلت أنواعاً مختلفة من الناس ، وأعرف الآن بالضبط الأسلوب الأمثل للتعامل مع الجنس الآخر والأشخاص الآخرين.
56	لم أندمج في مجال السياسة بدرجة كافية لأتمكن من تكوين وجهة نظر محدد في هذه الناحية.
57	لا أستطيع أن أحدد ما ينبغي أن أمارسه من مهنة أو وظيفة لأن هناك احتمالات كثيرة في هذا الأمر.
58	لم أسأل نفسي حول حقيقة بعض الأمور الدينية، ولكنني أفعل ما يفعله والداي وأترك ما يتركه.
59	لا أفكر كثيراً في دور الرجل والمرأة في العلاقة الزوجية نظراً لأن الآراء حول هذا الموضوع عديدة ومتنوعة.
60	بعد أن اختبرت ذاتي جيداً، كونت لنفسي وجهة نظر محددة تماماً تتعلق بأسلوب حياتي المقبلة.
61	لا أعرف في الحقيقة أفضل نوع من الأصدقاء بالنسبة لي، وأحاول التحديد الدقيق لما تعنيه الصداقة في رأيي.
62	أخذت أنشطتي الترفيهية من والدي ولم أجرب أو أمارس غيرها.
63	أتعامل مع الأشخاص من الجنس الآخر الذين يوافق عليهم والداي.
64	لدى الناس من حولي معتقدات سياسية تتعلق ببعض القضايا كحقوق الإنسان ...، وأنا أتفق دائماً معهم في هذه الأفكار.

- الملحق 4 -

مقياس الشدة النفسية (k10)

إعداد د. كيسلر و د. مورزاك (1994)

ترجمة وتقنين على البيئة العربية: أ.د. رحال غربي محمد الهادي
أ. العقون لحسن

الهدف من الأسئلة التالية هو معرفة شعورك خلال الأيام الثلاثين الماضية، يرجى وضع علامة (X) في الخانة المناسبة (أبدا أو نادرا أو أحيانا أو غالبا أو دائما) أمام العبارة التي تصف بالشكل الأفضل ما مدى إحساسك بهذه المشاعر:

دائما	كثيرا	أحيا	نادرا	ابدا	خلال الأيام الثلاثين الماضية، هل غالبا ما كنت تشعر.....
					1. بأنك متعب(ة) دون سبب حقيقي.
					2. بأنك متوتر(ة).
					3. بأنك شديد(ة) التوتر لدرجة أنه لم يعد شيء يهدئك.
					4. بأنك يائس(ة).
					5. بأنك عصبى(ة) لدرجة أنك عاجز عن الهدوء والسيطرة على
					6. بأنك كثير(ة) الضجر والاضطراب لدرجة أنك عاجز عن
					7. بأنك مكتئب(ة).
					8. بأنك تحتاج(ين) إلى مجهود للقيام بأدنى شيء.
					9. بأنك شديد(ة) الحزن لدرجة أنه لم يعد شيء يفرحك.
					10. بأنك بلا قيمة.

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين استراتيجيات التثاقف ورتب الهوية وأثر هذين المتغيرين على درجات الصحة النفسية لدى الشباب في المجتمع الجزائري. شملت الدراسة أربعة عينات استطلاعية لدراسة الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة، وعلى عينة أساسية مكونة من 853 شاب وشابة من مختلف كليات جامعات باتنة وبسكرة والجزائر العاصمة، إضافة إلى بعض مراكز التكوين المهني. تراوحت أعمارهم بين 15-30 سنة (22.30 ± 2.4 ، الإناث=73%). استعملت في الدراسة الأدوات التالية: مقياس الشدة النفسية لكيسلر الذي يقيس الشدة النفسية وخطر ظهور اضطرابي القلق والاكتئاب، و المقياس الموضوعي لرتب الهوية، ومقياس استراتيجيات التثاقف. بينت النتائج أن هذه المقاييس تتمتع بخصائص سيكومترية مقبولة. وكشفت عن توزع استراتيجيات التثاقف ورتب الهوية بنسب متفاوتة مع نسب عالية للاستراتيجيات ولرتب الهوية المنخفضة التحديد ما يدل على أن الشباب الجزائري يعاني من أزمة في الهوية. كما كشفت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائيا بين كل من إستراتيجية الانفصال ورتبة الانجاز مع درجة الشدة النفسية، في حين كانت موجبة ودالة إحصائيا مع إستراتيجيتي الاستيعاب والتهميش ورتبتي التعليق والتشتت. بينت نتائج تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي أن كل من إستراتيجية التهميش ($B=1.744$) ورتب الهوية التعليق ($B=0.694$) يمكنها التنبؤ بدرجة الشدة النفسية لدى الشباب وخطر اضطراب الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: التثاقف، الهوية، الصحة النفسية، الشباب الجزائري.

Résumé

Cette étude vise à identifier la relation entre les stratégies d'acculturation et les niveaux d'identité, et l'impact de ces deux variables sur l'état de la santé psychique des jeunes algériens. L'étude comprenait quatre groupes de participants ayant servi à l'étude les caractéristiques psychométriques des outils de mesures et un échantillon principal composés de 853 jeunes viennent de différents facultés des universités suivantes : Batna, Biskra et Alger, en plus quelques centres de formation professionnelle, âgés entre 15 et 30 ans ($22,30 \pm 2.4$, femmes 73,4%). Les outils utilisés sont le test de détresse psychologique de Kislser, l'échelle objective des niveaux d'identité d'Adams et Binion, et l'échelle des stratégies d'acculturation de Rahal et Laggoun. En plus des bonnes caractéristiques psychométriques des outils, les résultats dévoilent une répartition des stratégies d'acculturation et des niveaux d'identité en faveur les stratégies et les niveaux les moins déterminants, cela signifié que le jeune algérien vit son identité en crise. Encore, les résultats dévoilent des corrélations négatives et significatives entre la stratégie de séparation et l'identité confirmée avec le degré de détresse psychologique. Alors que les corrélations entre stratégie d'assimilation, de marginalisation, d'identité dispersée et d'identité rapportée avec le degré de détresse psychologique sont positives et significatives.

L'analyse de régression logistique binaire, montre que l'effet de la stratégie de marginalisation ($B=-1.744$, Wald=74.35, $p<0.001$) et le degré de l'identité rapportée ($B=0.694$, Wald=9.448, $p<0.001$) peuvent prédire le degré de détresse psychologique chez les jeunes et le risque d'avoir un trouble de santé psychique.

Mots clés: acculturation, identité, santé psychique, jeune algérien.